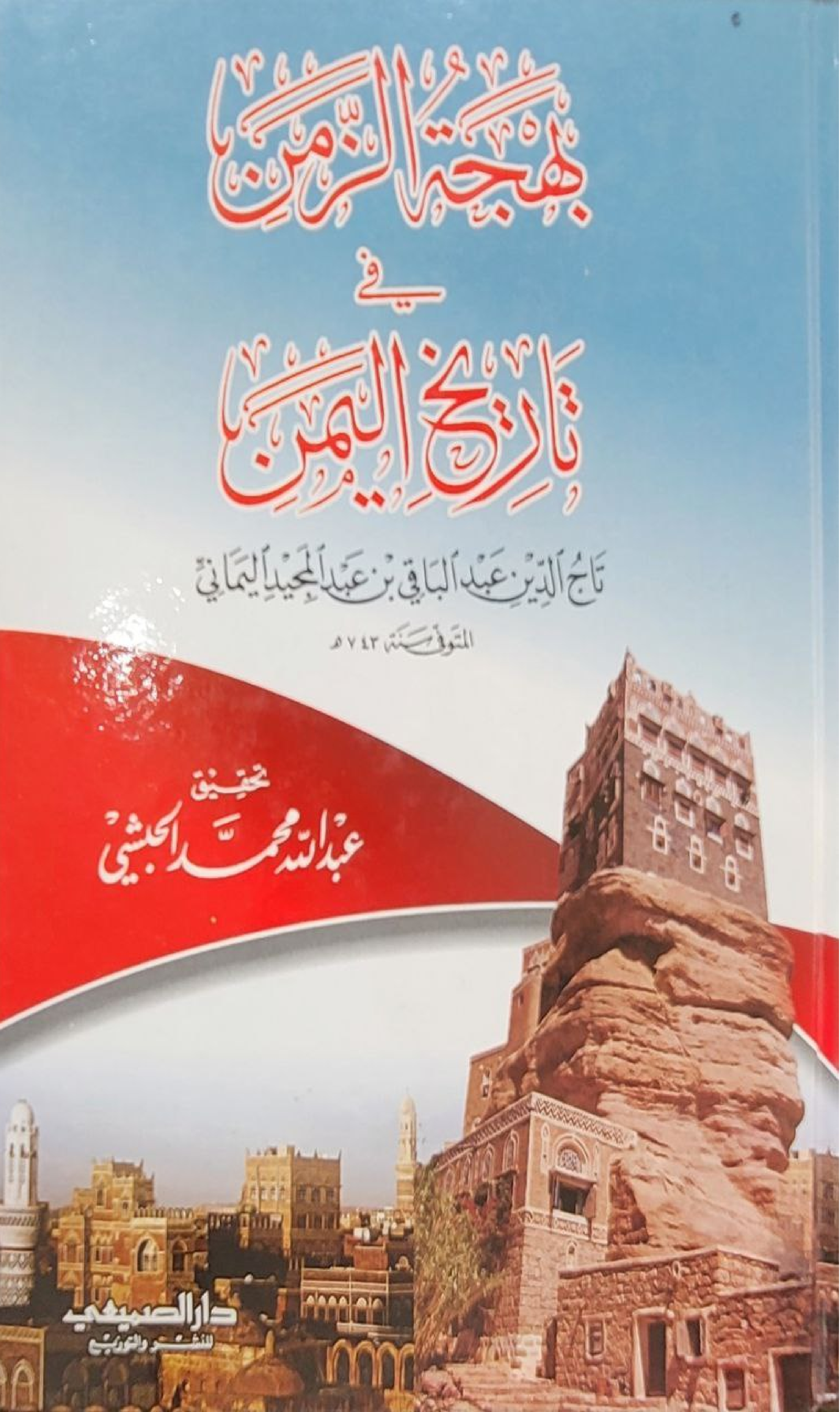

بهجة الزمن
في
تاريخ اليمن
تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني
المتوفى سنة ٧٤٣ هـ
تحقيق
عبد الله محمد الحبشي
دار الصيفي
للنشر والتوزيع



تاريخ اليمن

تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني

المتوفى سنة ٧٤٣ هـ

تحقيق

عبد الله محمد الحبشي

دار الصميعي

للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

دار الصميعي للنشر والتوزيع /
المملكة العربية السعودية

الرياض ص. ب: ١٩٦٧

الرمز البريدي ١١٤١٢

المركز الرئيسي: الرياض. السويدي.
شارع السويدي العام
هاتف: ٤٣٦٢٩١٥ - ٤٢٥١٤٥٩،

فاكس: ٤٢١٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة - بجوار مؤسسة الشيخ
محمد بن عثيمين الخيرية
هاتف ٣٦٢١٧٢٨ للفاكس: ٣٦٢٤٤٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية
/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
البريد الالكتروني:
darsomaie@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يبحث الدَّارس عن الصِّياغة الأولى لكتابة التاريخ اليمني ليجد كل من أتى بعد هذه الكتابة ينقلها بنصّها دون إضافات تذكر إلا في حالات نادرة تتعلق بالمعاصرة والمشاهدة الشخصية، وانت تقف عند أول نص تاريخي يمني يسلسل الأحداث، وهو لعمارة اليمني في القرن السادس، فتجد أكثر المؤرخين ينساقون في تعبيره وصياغته الأولى حتى يقفوا عند الزمن الذي لم يدركه فيضيفون عليه أشياء من عندهم وهكذا.

إلا أن الصّياغة التاريخية للأحداث اليمنية تطورت في أسلوبها ونمطها على يد مؤرخ قدير نادراً ما يذكره أحد، وهو المؤرخ الأديب الفارس إدريس بن علي الحمزي المتوفى سنة (٧١٤هـ) فهو صاحب النمط الفني الأول لكتابة التاريخ اليمني، وسيذكر له هذا الفضل في الفصل الملحق بتاريخه الكبير «كنز الأخبار» الذي جعله في تاريخ العالم الإسلامي، ثم أدرج فيه تاريخ اليمن على شكل حوليات منتظمة تتميز بصناعة الأسلوب وسلامة التعبير، وذلك بعد أن تمرس بكتابة التّاريخ وأصبح فنه الأثير، وكان من المشاركين في أحداثه كما ذكر ذلك عن نفسه.

ثم كان للمؤرخ اليمني عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني مساهمته المشكورة في صياغة هذا التاريخ إلا أنه كان مقتفياً أثر شيخه المؤرخ

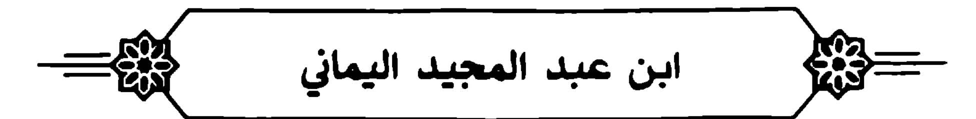
إدريس بن علي، بل إن اقتفاءه المذكور يكاد يكون نقلاً صريحاً لما خَطّه سلفه، كما سنبينه فيما بعد، ومع ذلك فهو ممن أسهم في تقييد الأحداث، وكان مرجعاً للمؤرّخين الذين جاؤوا بعده؛ كالجندي والخزرجي، وكان الأخير مصدراً لابن الدَّيبع الذي لخص كتابه «قرة العيون» من كتاب الخزرجي «العسجد المسبوك» ثم أتى يحيى بن الحسين في القرن الحادي عشر واستوعب جهود من سبقه وهكذا.

ويبقى أمامنا نصّ المؤرّخ ابن عبد المجيد وهو نص قديم يسبق نصوص فطاحلة التاريخ اليمني الكبار، فتكون له الأهمية من هذه الناحية، ولعلّك ستدرك هذه الأهمية عندما تجد المؤرخ الحسن بن علي الخزرجي المتوفى سنة (٨١٢هـ) يعتمد على كتابنا هذا في تدوين الأحداث الرُّسولية التي لم يدركها ثم يستوعبها في كتابيه الشهيرين «العَسْجد المسبوك» و«العقود اللؤلؤية»، وقد تبيّن لي جليّاً أنه قد أغار على كتاب ابن عبد المجيد اليماني في الأحداث المتسلسلة حتى قيام الدولة المجاهدية دون أن يشير إلى ذلك إلا في مواضع قليلة، ولا غضاضة في ذلك فهي عادة مطّردة عند المؤرخين السابقين، وكان مؤرخنا ابن عبد المجيد اليماني قد انتهب نفسه كتاب «كنز الأخبار» لعماد الدين إدريس عندما أرّخ لأحداث التاريخ اليمني حتى قيام الدولة المؤيدية، باستثناء فصل مستل من مفيد عمارة، ووريقات مأخوذة من تاريخ «وفيات الأعيان» لابن خلكان، وهكذا يأتي الأخير فيأخذ عن الأول وهلم جرى.

على أنه إذا ذكرنا الإضافات الحقيقية في تدوين التاريخ اليمني فسنجدها في الجهود الشخصية التي قام بها مؤرخون لم يعتمدوا على النقل في قليل أو كثير، ومن هؤلاء وأقدمهم المؤرخ علي بن محمد العلوي في كتابه «سيرة الهادي يحيى بن الحسين» والمؤرخ ابن حاتم في

«السّمط الغالي الثمين» الذي فَصّل فيه أحداثاً تاريخية لا نجدها في غيره، ثم مؤرخ الدَّولة الرَّسولية محمد بن علي الحاسب المتوفى سنة (٨٤٠هـ) في كتابه الظاهري، الذي قمنا بنشره في السنوات الأخيرة، ثم المؤرخون المتأخرون من كتّاب السِّير والفترات المحصورة؛ كالمؤرخ الموزعي في كتابه «الإحسان» الذي قمنا بنشره أيضاً، ولله الحمد، وعبد الرحمن بن محمد الحبيشي في «تاريخ وصاب»، نشرناه أيضاً، وغيرهم مما لا يحضرني الآن ذكرهم، واستوعبناهم في كتابنا «مدرسة التاريخ اليمني».

ولم نذكر من الكتب تلك الكتب المخصَّصة في التراجم فالنَّاس هنا في هذا المضمار عالة على ابن سمرة والجندي، وإنما استجد المؤرخ البريهي بَعْضَ التّراجم المستحدثة بعد الخزرجي عندما وجد حَشْداً من العلماء أدرك حيواتهم وشاهدهم بنفسه، وذلك عندما ترجم لهم في كتابه «تاريخ البريهي»، والذي قمنا بنشره أيضاً سنة ١٩٨٠م، وهذه خواطر مرت بنا أثناء عملنا في هذا الكتاب أردنا قولها هنا، وبقي أمامنا ترجمة المؤلف والحديث عن كتابه.



ابن عبد المجيد اليماني

هو الأديب المنشي تاج الدين أبو محمد عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله ابن أبي المعالي مثنى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يوسف اليمني المخزومي، كذا يسلسل نسبه المؤرخ ابن حجر في «الدرر الكامنة» (٢/ ٣١٥)، وهو أيضاً عند الفاسي «العقد الثمين» (٥/ ٣٢١) إلا أن الأخير يجعل مثنى متى، وصلاح الدين الصفدي في أعيان العصر (٣/ ١٢) ويسمى والده عبد الحميد، وهو كذا عند أهل اليمن يطلق عليه غالباً ابن عبد الحميد، وقد ترجم له الجَنَدي في

«السلوك» (٢/ ٥٧٦) قال: وقد جعلت ذكره فارس الأعقاب وبه ختم كتابه ولم يذكر نسبته إلا إلى والده عبد المجيد فهل كان عبد الحميد أحد أجداده أو أنه مجرد تصحيف من قبل أحد المؤرخين.

ولد بمكة لمضي اثنتي عشرة ليلة من رجب سنة (٦٨٠هـ) وهو تاريخ مضبوط؛ لأنه ذكر عن نفسه أنه عندما وقعت معركة التتار وانتصار المسلمين عليهم سنة (٧٠٣هـ) كانت سنه إذ ذاك ثلاثاً وعشرين سنة، وذكر الجندي أن ميلاده كان بمدينة عدن. يقول الفاسي: «ومولده في ١٢ رجب سنة (٦٨٠هـ) بعدن، على ما ذكر الجندي في تاريخ اليمن، وهو أقعد بمعرفته» قلت: لعله ارتحل إلى مكة صغيراً فقد ذكروا أنه طلب بها، وأنه سمع فيها من العز الفاروقي، وقد توفي المذكور بواسط سنة (٦٩٤هـ)، وكان بمكة سنة (٦٩١هـ)، فيكون سن صاحبنا إذ ذاك إحدى عشرة سنة، وكان صاحبنا ممن شغف بالرِّحلة وجعلها ديدنه، فكان في سنة (٧٠٣هـ) بمدينة عدن كما ذكر ذلك عن نفسه في تاريخه هذا، وكان أثيراً عند ملوك اليمن، ولعله كان يطمح إلى منصب كبير في الإنشاء، وهو في سن لا يسمح له بتولّي مثل هذا المنصب، فقد ذكر عن نفسه سنة (٧٠٤هـ) أنه كان بمدينة عدن، وأنه توجَّه إلى مصر «لما منعت الصدقات السلطانية» وسنه إذ ذاك ٢٣ سنة كما أسلفنا.

وكانت رحلته من الديار اليمنية رحلة علم وتثقيف، فقد أخذ عن الشيوخ واستفاد من العلماء والأقران، وفي الشام وقف على المكتبة السميساطية، وقد حَدَّثنا عن مقتنياتها حيث وقف على نسخة نادرة من تفسير الرَّازي وغيره، ومكث مدة يدرس العروض والمقامات بجامع دمشق بمرتب حصل عليه من واليها الأفرم يقدره الفاسي بنحو مئة درهم كل شهر، وأخيراً عاد إلى اليمن يحدوه الشوق إلى المنصب الذي يتوق إليه، وكان الملك المؤيد قد عرف قدره، فاستدعاه من الشام سنة

(٧١٨هـ) ليتولى منصب الإنشاء، وقد ذكر هذا ابن عبد المجيد نفسه في تاريخه، وأورده في تاريخه بعض القصائد التي قالها في مناسبات لها صلة باحتفالات الدولة، وأكثرها في مدح الملك المؤيد، وتُعَدُّ أيام المؤيد من سنة (٧١٨هـ) حتى وفاته سنة (٧٢٢هـ)، هي أيام العز والسعادة بالنسبّة لمؤرخنا ابن عبد المجيد ثم فجأة يتوفى اللهُ المؤيَّد ويعقبه ابنه المجاهد وتتطور أمور من قبل المتنافسين على الحكم، ويثور عَمُّ المجاهد الملك المَنصور أيوب، ثم تعَقّبه ابنه الظّاهر، وكان لسوء حظ مؤرخنا أن يكون من حِزْب الأخير الذي لم تواتِه الظروف وتكون هزيمته على يد خَصمه الملك المجاهد، وفي هذه الحادثة يقول مؤرخ الدولة الرسولية في العصر الحديث الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه «بنو رسول وبنو طاهر» ١٨٧ :

«كان الملك المجاهد تنقصه الحنكة السياسية والقدرة على إدارة شؤون البلاد، وكان يفتقر إلى الخبرة مما جعله أسير حاشيته ومنفذاً لما يشيرون به عليه، وكان لكل ذلك أثره السيء على نفوس العسكر وأمرائهم الذين أيقنوا أنه لن يستقيم لهم أمر معه، ولهذا قرروا الخلاف عليه، والخروج عن طاعته، وبدأت ثورتهم بقتل نائب السَّلطنة ومن كان معه كقاضي القضاة، وغيرهما من كبار أعوان المجاهد، وأتبعوا ذلك بالقَبْض على المجاهد نفسه في ٨ جمادى الآخرة سنة (٧٢٢هـ) وعزلوه عن السلطنة، وأقاموا عمه سلطاناً على اليمن وسلموا إليه المجاهد فسجنه في حصن تعز، وحلفت للمنصور أيوب فأنفق فيهم الأموال الكثيرة، وعلى الرغم من أن المنصور أختصّ أعوانه بالمناصب والإقطاعات وكسب قلوب الجند بالهبات، فإنه لم يحترز أتباع المجاهد، مما أتاح الفرصة لبعض غلمان المجاهد».

ويستمر الصراع بين الأقارب حتى ينتهي الأمر بتغلب المجاهد على

خصومه وخروج صاحبنا من الدّيار اليمنية ذليلاً مدحوراً لا يلوي على شيء حتى تردّه الأقدار إلى الكنانة مَرَّة أخرى، ليجد نفسه غريباً بين مصر والشام، وذكر من ترجم له أنه وصل إلى مصر سنة (٧٣٠هـ)، وتَردّد بينها وبين الشَّام مدّة، وفي مصر درَّس بالمشهد النفيسي، وولي شهادة المارستان، ويفهم من بعض ما أورده النويري من مكاتبات أنه عمل في ديوان الإنشاء بمصر، ثم استوطن بيت المقدس مدَّة، وتَرَدّد بين دمشق وحلب وطرابلس، وولي بالقدس تصديراً، وفي سنة (٧٤١هـ) رجع إلى الشام، فأقام بها بقية حياته حتى توفي سنة (٧٤٣هـ)، وكانت وفاته بالقدس كما نقله الأستاذ مصطفى حجازي في ترجمته للمذكور، وقد وصفه معاصره صلاح الدين الصّفدي وكان ممن رآه وجالسه بقوله: «كان أسمر اللون ظريف الكون شيخاً طوالاً حسن العمة بعيد الهمة»، ولكنه كسائر المعاصرين الذين لا يخلو كلامهم من التنافس والمماراة نجده قد وصفه بشيء من النقد اللاذع، وقال: إنه «يدعى في الإنشاء أشياء لو صحت كانت معجزة أو لو أتي ببعضها كانت من الغرائب الموجزة لا يحقق شيئاً من العلوم، نعم كانت له قدرة على النظم والنثر، وكان ظنيناً بنفسه يدعي أنه يملي على أربع كتّاب أو قال خمسة في مقاصد مختلفة نظماً ونثراً، وكان يعظم نفسه ويطريها ولكن لكلامه وقع في النفوس وديباجة إذا أطنب في وصف نفسه وتَعَيَّش بذلك زمناً، وقمر عقولاً وأغماراً إلى آخر عبارات الصفدي في وصف معاصره مؤلف كتابنا هذا، ولا يخلو كلامه من التحامل والغيرة إلى ما وصل إليه صاحبنا والله أعلم.

مؤلفاته:

١ ـ **الاكتفاء بحل ألفاظ الشفاء**، ذكره بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» (٦/ ٢٦٩)، ومنه مخطوطة بدار الكتب المصرية ٢١٢٧.

٢ ـ **حاشية على كتاب الشّفا في حقوق المصطفى**، للقاضي عياض، بعنوان: المجمل بحل مشكلات الشفاء، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس.

٣ ـ **مطرب السّمع في حديث أم زرع**.

٤ ـ **مختصر الصّحاح**، ذكره ابن العماد في شذرات الذهب.

٥ ـ **إشارة التعيين في طبقات النحاة واللُّغويين**، منه مخطوطة بدار الكتب المصرية، وطبع أخيراً بتحقيق الدكتور عبد المجيد دياب.

٦ ـ **لقطة العجلان في مختصر وتذييل وفيات الأعيان**، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الأمبودليان، انظر: فهرستها ص١١١، وكتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص٤١٤.

٧ ـ **مقامة في فن التطفيل**، أوردها محقق «بهجة الزمن» الأستاذ مصطفى حجازي.

٨ ـ **رسالة بعثها الخليفة المستكفي إلى الملك الرّسولي** من إنشاء ابن عبد المجيد، أوردها المحقق السابق.

٩ ـ **مفاخرة بين القنديل والشمعدان**، نشرها الأستاذ عزت العطار في الثلاثينات، ثم أعدنا نشرها في مجموع المقامات اليمنية فتنظر.

١٠ ـ **مقامة بعنوان**: خلاصة الحكم في المفاضلة بين السيف والقلم.

١١ ـ **قلائد الحور في المفاخرة بين المنظوم والمنثور**، ذكر الصفدي في أعيان العصر ٣: ١٤.

هذا الكتاب من أهم مؤلفات ابن عبد المجيد، ألّفه للملك الظَّاهر أسد الدين بن أيوب، الثائر على الملك المجاهد، وليس للنّويري كما ذكر بعضهم، وقد ظل نصّه الأصلي مفقوداً، وإنما عرفناه من مختصره المدرج في موسوعة شهاب الدين النويري المسماة «نهاية الأرب»، فعندما وقف على هذا المختصر الأستاذ مصطفى حجازي اهتبل الفرصة ونشره مستقلاً جازماً بسلامة النص وكماله، يقول: «والنّويري كما عودنا أمين كل الأمانة فيما ينقل عن مصادره التي أخذ منها في موسوعته الكبرى التي أسماها «نهاية الأرب في فنون الأدب» وفي الجزء الحادي والثلاثين وجدنا هذا الكتاب قد أورده النّويري ضِمناً، حيث استطرد عند ذكره حوادث سنة (٧٢٥هـ)، فروى هذا الكتاب، ويغلب على الظّن أن النويري لم يتصرف في عبارة الأصل؛ لأن صنيع المؤرخين القدامى في التأليف كان يعتمد على الرواية الأمينة».

قلت: لو أن المحقق اطّلع على مخطوطة الكتاب الأصلية لغيَّر ظَنّه في النويري، ولوجد أنه إنما لخّص بعض الحوادث وترك بعضها، بل إنه ربما حذف أوراقاً كاملة من الكتاب.

وكان ضرورة أهمية نَشْر الكتاب كاملاً، وقد حظيت مكتبة باريس الوطنية بوجود النسخة الوحية منه، وكانت هذه المكتبة، شأنها شأن بقية مكتبات أوربا الأخر قد حفظت تراثنا الإسلامي وصانته من العبث من قبل الجاهلين، الذي كان سيلقاه لو أنه ظل في موطنه الأصلي، خاصة في فترات الجهل والفقر، لا كما يظن بعض النَّاس الذين يرون النَّكبة كل النكبة في تسرب تلك المخطوطات إلى أوروبا.

وبهذه المناسبة نقول: إن حفظ المخطوطات ونشرها حسنة من

حسنات الاستشراق الأوروبي لا يجهلها إلا جاحد للجميل ناكر للمعروف.

وكان عثورنا على مصوّرة من هذه المخطوطة النادرة بواسطة السيدة الفاضلة ماري كريستين التي تَفضّلت بتصويرها على حسابها وأهدتها إلينا، والكتاب يقع في ١٢٣ ورقة مسطرتها ١٩ سطراً وينقصه من أثنائه وآخره بعض الأوراق نَبّهنا عليها في مواضعها، وخطه جيد وأظنه يعود إلى القرن التاسع.

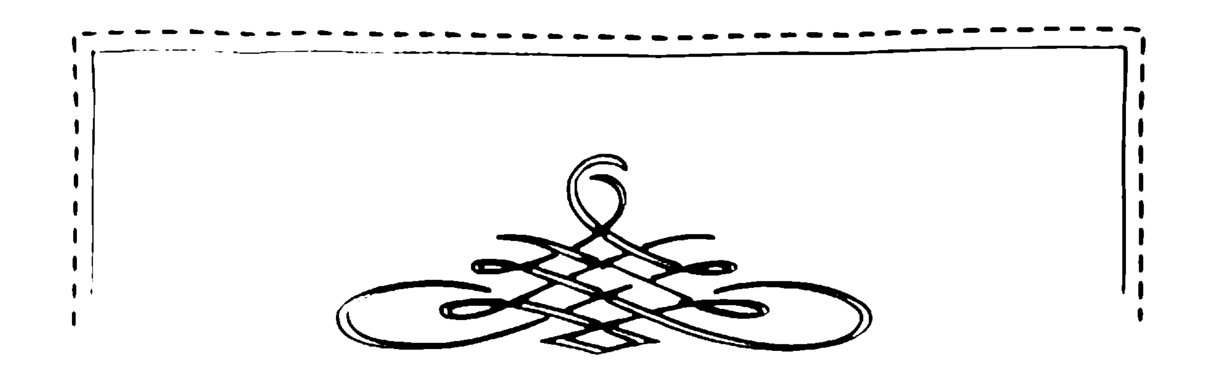
وحيث إنّ الكتاب لا توجد منه إلا نسخة واحدة فقد قمنا بتتبع المؤلف في مصادره، ولحسن الحظ وجدنا المؤلف يرجع في أول الكتاب إلى كتاب «كنز الأخبار» للشريف عماد الدين إدريس بن علي المتوفى سنة (٧١٤هـ)، وهو نقل بالحرف والعبارة، فأفادنا كثيراً في استكمال النقص والمراجعة، وقد تم طبعه في الكويت سنة ١٩٩٢م؛ أي: بعد صدور طبعتنا الأولى لهذا الكتاب بأربع سنوات، فاستفدنا منه في هذه الطبعة الأخيرة وقد ترجح لنا أشياء كثيرة كنا قد سهونا عنه في الطبعة الأولى.

أما في الفترة المتأخرة المعاصرة للمؤلف، فقد رجع فيها إلى نفسه واستقاها من المعاصرين له الذين شاهدوا الوقائع في حينها فأفاد مصدراً مهماً لا يعوض بثمن، وقد وجدنا المؤرخ الخزرجي المذكور ينقل عبارة المؤرخ ابن عبد المجيد بالعبارة والنَّص، فأفادنا هذا النّقل كثيراً في المراجعة، حيث إننا لم نجد نسخة أخرى من الكتاب الذي نحققه، وهكذا مَنّ الله علينا باستكمال ما كان في الكتاب من نقص، ولا نزعم الكمال فيما قمنا به ووراء كل ذي علم عليم، وبالله التوفيق.



نموذج من المخطوطة

نموذج من المخطوطة

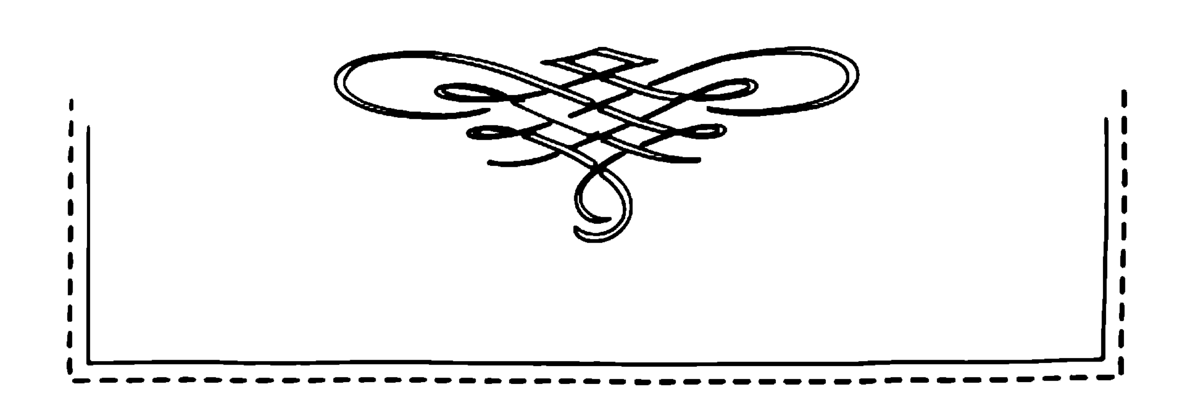


كتاب
بهجة الزَّمن في تاريخ اليمن

جمع الشيخ الإمام أبي المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد القُرَشي رحمة الله عليه وصلى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

يا أكرم الأكرمين العفو عن رجلٍ	في السيئات له وِرْدٌ وإصدار
هانت عليه معاصيه التي عظمت	يا رب انك للعاصين غفّار
وامنن عليَّ وسامحني وخُذْ بيدي	يا من له العفو والجنّات والنار

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسَلَّم





بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر وأعن، الحمد لله مصرّف الأقدار، ومكوّر الليل على النّهار، وجاعل الأيّام والليالي عبرةً لأولي الإعتبار، وما ينشا[1] منهما من اختلاف الدّول، تاريخاً يستضيء به أولو الأبصار، نحمده على منّه المِدْرار، وسُحب فضله الغِزار، ونُصلي على سيّدنا محمد النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين في دينه، أحبّاء الله والأنصار، وسلَّم وكرَّمَ وبَعْد:

فإنَّ المِنح الإلهيَّة، والمِنَن الربّانية، نَظَمَتْني في سِلْك الخدم الشريفة العالية، المولويّة[2] العالميَّة، العامِليّة[3]، والسُّلْطانية، الملكيّة الملكيَّة، الظاهِرية[4] الأسديّة[5]، ضاعَفَ الله نِعَمها، وأدام على أوليائه كرَمَها، بعد معاندَة الزّمان، ومُصارَمة الإخوان، وظُهور مُكايَدة الدهر الخوَّان، فألفيتُ منهُ أوصافاً قلَّ أن تَجتَمع في إنسان، لِساناً بالبيان، ومنطِقاً لا يَعرِف البُهْتان، وجَناناً في قَضاء الأمور أمْضَى من سِنان، إلى ما حازه من فَضائِل متنوِّعة، ومآثِر تفرَّقت في أسلافه الملوك ولكنّه

(١) (خ): «يشا».

(٢) لقب أطلق في العهد المملوكي على السلطان نفسه صبح الأعشى ٦/ ٣٢.

(٣) لقب أيضاً يطلق على السلطان. انظر: تعريفات صبح الأعشى ص٢٤٠.

(٤) نسبة إلى الملك الظاهر عبد الله بن أيوب من أمراء الدولة الرسولية، ناصب الملك المجاهد الملك، ووقعت بينهما معارك انتهت بانتصار المجاهد، وزج الظاهر في سجن (تعز) مكرماً معززاً إلى أن مات سنة ٧٣٤هـ العقود اللؤلؤية ٢/ ٢١ وما بعدها.

(٥) من ألقاب الملك الظّاهر المذكور. انظر: العقود اللؤلؤية ٢/ ١٥.

متَجمِّعة، وما أحقَّه بقول من قال[1]:

يغضِي حياءً ويُغضىٰ من مَهابَتِه ... فَليْس يُسْألُ إلَّا حيـنَ يَبْتَسِمُ

وَلمّا مثَلتُ بمقامِه العالي، وشاهدت فضله الجالي[2]، رأيت العالم في إنْسانِه، والعالِم النِّحْرير يغرق في بَحْر بيانِه، وَذِكْر اختلاف الدول وانقلاب أهل [الملك][3] والخول، وتقلّب الزّمان بالسّالك والمسالك، والمملوك والمالك، وسأل[4] وضع للقطر اليمني من عَهد الرَّسول ﷺ تاريخاً الـ[5] عليه تفصّل أحوال القطر اليمني وملوكه على جليَّة من الأمر مقرَّرة وموضحة، لمتأملها محرّرة، فأجبْته خلَّد الله سُلطانه: أني عَثرت على مصنَّفات مُختَصرة، وفَوائد في أمهات الكتب مُعْتَبرة، تذكر طرفاً[6] من أخبار اليمن المحروس، ولم أشاهد كِتاباً مطوَّلاً يقتضي السنين من عهد الهجرة والماجرايات[7] التي اتفقت بها على الخلية[8]، وعَلِق بالذِّهن منها أشياء جميلة، وفوائد جليلة، فبرز مَرْسومه برسم ما عَلِق بالذِّهن من أخباره، وأحْضَره الحِسّ عند التذكُّر من آثاره، وكان ذلك مِنه وهو في مَحَلِّ مُلكه وعَظَمة سُلطانه، وعظيم سُلطانه، بمعقل الدملؤة[9]،

---

(١) من قصيدة مشهورة للفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) العالي أو الواضح.

(٣) مطموسة في (الأصل).

(٤) كلمة مطموسة.

(٥) كلمة مطموسة.

(٦) كلمة مطموسة.

(٧) الماجريات، وفي المصادر: الماجريات: الحوادث، مأخوذة من قولك: «جرى ما جرى».

(٨) كذا في (الأصل).

(٩) الدملؤة: حصن يعتبر فرع من جبل الصلو في بلاد الحجرية. ضبطه الجندي بضم الدال وسكون الميم وضم اللام وفتح الواو وهو حصن منيع (إبراهيم المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ص١٦، ط. دار الكلمة سنة ١٩٨٥م).

وليس معي كتاب في هذا الفنّ يُراجع، ولا مُطوّل في التاريخ يُطالَع، فاستعنت بالله، وجعلت سعادته وسُلطانه دليلاً على التّذكار، وسَعْد بخته[1] قائداً يَقُود إلى طاعة قَلَمي عَساكر الأخبار، ومن ها هُنا أبدأ بما منَّ اللهُ به من الآثار.



(فصل)

في ذكر اليمن وتسميته بذلك

باختلاف العلماء في تَسْمية هذا القطر باليمن

فقال قَومٌ: سُمِّي باليمن؛ لأنّه على يمين الكعبة، كما سُمِّي الشام بالشام لكونه على شمال الكعبة.

وقال قَومٌ: سُمِّي باليمن بن أقطن[2] بن عابر [بن شالح][3] بن أرفخشد بن سام بن نُوح النبيّ ﷺ، وهو قُطر مُبارك عظيم البركة جاءت فيه الآثار النبويَّة على الناطق بها أفْضَل الرضوان مِنْها:

«الإيمان يمان والكعبةُ يَمانية وإني لأجِدُ نَفَس الرحمن من قِبَل اليمن» وقوله ﷺ: **«جاءكم وَفْدُ اليمن أرَقُّ قُلُوباً وألين أفئدة»**[4]، وفائدة هذا الحديث: أنّ من رَقَّ قَلْبه ولان فؤاده كان أسْرَعُ قَبُولاً للإيمان، ولذلك إنهم آمنوا بوصول معاذ بن جبل، وما شاهدوا النبيّ ﷺ.

وللعلماء في وصف اليمن وما فيه من الآثار مصنَّفات جمَّة، ليس

---

(١) بخته من البخت: الحظ، والسعد فارسيّ معرَّب.

(٢) (كنز الأخيار): «بأيمن بن يقطن».

(٣) ساقط من (الكنز).

(٤) ورد هذا الحديث بروايات متعددة وصيغ مختلفة. انظر: تاريخ صنعاء للرازي ص٦، تحقيق الدكتور حسين العمري، ونشر الدرر المكنون ص٤٣٥ ط. ثانية.

هذا موضع إيرادها، ومدينة اليمن صنعاء؛ لأنّها كانت في الصَّدر الأول، والعَصْر المتقدِّم، كرسي ملك التبابِعة[1] كل من ملك حضرموت إلى حجّة، وما وراء ذلك سُمِّي تُبعاً، ووقع اصطلاح أهل ذلك العَصْر، أن كل من وُلِّي مصر سُمِّي فِرْعون، وكل من وُلِّي فارِس سُمِّي كِسْرى، وكل من وُلِّي الرّوم سُمِّي قيصراً، وكلّ من وُلِّي اليمن سُمِّي تُبَّعاً، وكل من وُلِّي الحبشة سُمِّي النجاشي.

واسم صنعاء أزال، ونُقل عن وهب بن منبّه أنّه وَجَد في التوراة: «أزال بُورِكَ فيك وما حواليك»[2]، ولَمّا تُوفي نوح ﷺ، سار سام في الأرض يَرْتادُ مكاناً أطيبِ ما فيها، فأقبل طالِعاً في الجنوب، إلى أن صار إلى الإقليم الأول، فوجد اليمن أطيبه سَكناً، وارتاد اليمن فوَجَد حقل صنعاء أطيبه[3]، فَبَنى صنعاء اليمن، ثم أسَّس غمدان، ثم احْتَفر بِئْره، وهي التي تُسمَّى كرامة، مقابلةً لأول باب مِنْ أبواب المسجد الجامع[4] من ناحية المشرق، وماؤها أُجاج، وبنيت صنعاء بين الجبلين نُقم وعَيْبان، وبينهما ستة أميال، ويُقال: أول جدار[5] رُفع بعد الكعبة عمارة حران بالجزيرة، [جزيرة[6] ابن عمر من قرايا الموصل][7] وعمارة غمدان بصنعاء اليمن.

---

(١) كلمة مطموسة في (الأصل).

(٢) في تاريخ صنعاء للرازي ص١٥: «أزال كل عليك وأنا أتحنن عليك، بورك فيك وفيما حواليك».

(٣) تاريخ صنعاء ص١٦: أطيبها بعد المدة الطويلة فوضع مقرانة ـ وهو الخيط الذي يقدر به البناء ـ إلخ... في خبر طويل أورده الرازي في تاريخه، واختصره المؤلف هنا.

(٤) الرازي: مسجد صنعاء.

(٥) الرازي: أول حجر وضعت على حجر، وكذا في (كنز الأخيار) مخطوطة المتحف البريطاني.

(٦) جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل. قلت: هي غير جزيرة حرَّان المشار إليها هنا؛ لأن حرّان مدينة قديمة بينها وبين الرها يوم وبينها وبين الرقة يومان. قال ياقوت: هي أول مدينة بنيت بعد الطوفان.

(٧) زيادة من المؤلف على تاريخ صنعاء للرازي.

في ذكر غمدان

والباني له سام بن نوح ﷺ، واختلف العلماء[1] في سُمكه، بعْد أن زادت فيه التبايعة ملوك حمير، وأصَحّ ما قيل فيه: إنّه عشرون سقفاً، بين كل سقف وسقف عشرة أذرع[2]، وكان في رأسه غرفة اثنا عشر ذراعاً في مثلها، تكوينه[3] من زجاج ملوَّن ترمي ظلَّها على ثلاثة فراسخ ـ الفرسخ: ثلاثة أميال، الميل: ثلاثة آلاف خُطْوة الْخُطوة: خُطوة البعير ـ، وهو من المباني العجيبة التي يُضرب به المثل، ويُقال: إنّه إذا سُرِّج فيه يراه الرَّائي مثل النجم الزاهر، وإذا استلقى المستلقي به عَرَف الغُراب من الحدأة[4]، وقد أكثر الشعراء فيه وضُرب به المثل وما أحسن قول بعضهم:

أم أين غمدان المنيف وأهله ... وهو الشفاء لقلب من يتفكَّر
يسمو إلى كبد السماء مصعداً ... عشرين سقفاً كلها[5] لا تقصر
ومن السحاب معصب بغمامةٍ ... ومن الرُّخام ممنطق ومؤزَّر
فأزاله الدهر الخؤُون وأهله ... فحوتُهم بعد القصور[6] الأقبر[7]

ولم يزل غمدان قائم العمارة إلى أن هدمه فَرْوَة بن مسيك[8] بأمر

(١) (كنز الأخيار): «بالرواية».
(٢) في تاريخ صنعاء ص٢٢: كل سقف على عشرة أذرع.
(٣) الرازي ص٢٤: «بيضة رخام»، وفي (الكنز): «في ميلها يطبق عليها حجر رخام».
(٤) مطموسة في (الأصل) وأصلحناها من تاريخ الرازي ص٢١، وفي (كنز الأخيار): «ومرّ به الطائر عرف الحدأة من الغراب».
(٥) الرازي: «سقفها»، وفي الإكليل ١٧/٨: «سمكها».
(٦) الرازي: «التحارب».
(٧) انظر: القصيدة بكاملها في تاريخ صنعاء للرازي ص٢٥، و(كنز الأخيار) ص٢٥.
(٨) هو: فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة المرادي وفد على النبي ﷺ واستعمله على مراد. تاريخ صنعاء ص٥٨٥.

رسول الله ﷺ، وقيل: هُدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وقيل: في خلافة عثمان رضي الله عنه.

وقيل: إن دور صنعاء بلغت مائة وعشرين ألف دار، ومساجدها ثلاثة عشر[١] ألف مسجد، وحماماتها كذلك، وعدّوا مساكن[٢]، القطيع فبلغت سبعين ألف مسكن، والقطيع ربعها[٣]، ثم تلاشت في أيّام أحمد بن قيس الضحاك في سنة ثمانين وثلاث مئة من الهجرة، فبلغت ألف دار وأربعين داراً.



(فصل)

وأمّا مسجد الجامع بها فاختلف في من بناه [فقيل أبان بن سعد بن العاص][٤] بأمر رسول الله ﷺ أن يُبنى حائط باذان[٥] [مسجداً][٦] بين غمدان إلى الحجر الململمة، فوجدت في زقاق بني[٧] ثمامة وكبَّر الناس، وأمره أن يجعل قبلته [ضينا][٨].

وقيل: عمّره فروة بن مسيك المرادي، وجّهه رسول الله ﷺ إلى صنعاء ومخاليفها، ولم يزل كذلك إلى أيّام الوليد بن عبدّ الملك فأمره بالزيادة فيه من موضع قبلته الأولى إلى موضع قِبْلتِهِ اليوم، وذلك سنة

---

(١) تاريخ صنعاء: «عشرة آلاف مسجد وسقايا».

(٢) تاريخ صنعاء: «مساكين».

(٣) (الكنز): «والقطيع ذلك اليوم ربع صنعاء».

(٤) زيادة من (الكنز).

(٥) في (الأصول): «الاذان».

(٦) ساقط من الأصل.

(٧) الرازي: «ابن ثمامة».

(٨) زيادة من (الكنز).

ست وتسعين، وأهل صنعاء يزعمون أن جامعهم أفضل من جامع الجند؛ لأن النبي ﷺ حدّه وذكر قبلته، وإنّما قال لمعاذ في مسجد الجند: «حيث تبرك ناقتك فابن مسجداً»[1].



(فصل)[2]

تُوفي رسول الله ﷺ وولاته على اليمن ثلاثة: أبان بن سعيد بن العاص بن أميّة على صَنْعاء وأعمالها، وعلى الجند ومخاليفها معاذ بن جبل الأنصاري، وعلى حضرموت المهاجر بن أميّة المخزومي. فلما تُوفي رسول الله ﷺ وظهر الأسود الكذّاب العَنْسي [المتنبّي، وأغوى أهل اليمن، ارتد أهل اليمن وخاف أمراء الجهات على أنفسهم][3]، فلحقوا بأبي بكر الصديق ﷺ، فاستخلف معاذ على عمله عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي [والد عمر بن أبي ربيعة الشّاعر المشهور][4]، واستخلف أبان بن سعيد على عمله يعلى بن منية[5] التميمي، حليف بني نوفل بن عبد مناف، واستخلف المهاجر [زياد بن لبيد فلما كان من حروب الردة دخول المهاجر][6] بن أبي أميّة وعكرمة بن أبي جهل، [ثم إنْ أهل اليمن أصرّوا على المعاندة والكفر، فما ردَّهُم إلى الإسلام إلّا عساكر جاءت من قبل أبي بكر لمحاربتهم، ورجع أهل اليمن إلى الإسلام][7]، فأقرّ أبو بكر ابن أبي ربيعة على الجَنَد ومخاليفه، ويعلى على صنعاء

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر عن مكحول.
(٢) من هنا تبدأ (المطبوعة).
(٣) ساقط من (ط).
(٤) زيادة على «كنز الأخيار».
(٥) (الكنز): «أميه» ومنية اسم أمه. تاريخ صنعاء لابن جرير ص٢٠ (تحقيقنا).
(٦) زيادة من الكنز.
(٧) ساقط من (ط).

وأعمالها. [ولم يزل الأمر كذلك إلى انقضاء خلافته][1]، ولَمّا وُلّي عُمر بن الخطّاب ﷺ سنة ثلاث عشرة، أقرَّهما أيضاً على اليمن.

وأمّا أهل حضرموت، فإنهم عصوا وارتدّوا ومنعوا من يصل إليهم.

وأمّا يعلى المتولّي أمر صنعاء، فأقام صدراً من خلافة عمر، ثم عزله عُمر، وسبب عزله أن رجلاً من جبل حفاش[2]، وهذا الجبل أعلى المهجم، أتى إلى يعلى، وقال: إن رجلاً قتل ابني[3]، فكتب يعلى إلى نائبه سعيد بن عبد الله الكندي على جبل حفاش وملحان: أن أحضر إليّ قاتل ابن هذا الرجل، فقدم به سعيد على يعلى، فأحضرَ يعلى وجوه أهل صنعاء ودفع إلى والد المقتول سيفاً وقال: اقتله، وهؤلاء شهود، فضربه بالسيف حتى ظَنّ من حَضَر أنّه قَتَله، فاحتملوه ليدفنوه فوجدوا فيه رمقاً فداووه فصحّ، فوجدَه أبو المقتول بعد ذلك يرعى غنماً، فجاء إلى يعلى، فقال: قاتل ابني حيّ، فكتب يعلى إلى عامله بإشخاصه إليه، فأشخصه إليه حياً [فأمر ففتشت جراحته فوجد فيها الدِّية][4] فقال لوالد المقتول: «إن شئت فاقتله وادفع ديته، وإلّا فدعه»[5]، فلحق الرجل والد

---

(١) ساقط من (ط) ويكثر مثل هذا فلا حاجة إلى التنبيه عليه هنا إلّا لماماً.

(٢) في (الأصول): «خفاش» بالخاء المعجمة خطأ. قلت: حفاش جبل مشهور بالغرب من صنعاء بمسافة ١٤١كم: جوار جبل ملحان، وهو ناحية تابعة لقضاء المحويت، المقحفي ص١٢٤.

(٣) انظر هذه الحكاية بتمامها في تاريخ صنعاء لابن جرير الصنعاني (تحقيقنا) ص٢٢، وعنه نقل كل من أتى من بعده من المؤرخين هذه الحكاية وغيرها.

(٤) هذه الزيادة لا توجد في الأصول، وفيها خلط والتباس، وعبارة (العسجد المسبوك) ص١٨ بعد قوله: (حياً): «وبه أثر جراحات كثيرة فأمر يعلى من قدّر أرشها فبلغت الدية فقال لوالد المقتول... إلخ» وفي (كنز الأخيار في معرفة السير والأخيار) لعماد الدين إدريس بن علي المتوفى سنة (٧١٤هـ) مخطوطة المتحف البريطاني ص١٧٣: «ففتش جراحته وحسب فوجد فيها الدية».

(٥) في غاية الأماني ص٨٣: «إما أن تدع الرجل وإما أن تقتله ويعطى ورثته أرش جراحته».

المقتول بعمر بن الخطاب مستعدياً على يعلى، وأنه حال بينه وبين قاتل ابنه، فغضب عُمر، وبعث المغيرة بن شعبة على صنعاء، وأمره أن يرفع إليه يعلى، فأتى المغيرة إلى يعلى، وأشخصَهُ فلمّا قدم على عمر أخبره الخبر، فشك في الأمر، فاستفتى علياً، فقال: لقد قضى يعلى بالحق، ثم رجع إلى عمله بعد سنتين من عزله، فلمّا قدم إلى صنعاء أحسن إلى المغيرة، فقال المغيرة: والله إنَّ يعلى خيراً منّي، فأقام يعلى على عَمله ما شاء الله، ثم إن أخاه عبد الرحمن ابتاع من رجل فرساً بمئة قلوص[1]، وقدم البائع على فَرَسه فاستقال عبد الرحمن فلم يقله، فلحق بِعُمر فأخبره الخبر، وقال: غصبني يعلى وأخوه فرساً لي، فكتب عمر إلى يعلى أن أقدم عليّ فأتاه، فقصَّ عليه الصّورةَ فقال عمر: إنَّ ثمن الخيل يبلغ هذا عندكم؟ فقال يعلى: نعم. فقال عمر: تأخذ من أربعين شاة شاة، ولا تأخذ من الخيل شيء، فأخذ على كل فرسٍ ديناراً وعاد يعلى إلى عمله، ثم إن نفراً من مواليه وقعوا على رجل فضربوه، فلحق بعمر، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ موالياً ليعلى ضربوني حتى، قال عمر: حتَّى مِه؟ قال: حتى أحدثت، فكتب عمر يرفع يعلى إليه ماشياً، فخرج حتى إذا صار برحابه[2] على أميال من صنعاء، لقيه الخبر بقتل عمر واستخلاف عُثمان وإقراره له على عمله، فعاد راكباً فرِحاً وتلقاه أهل بيته ومن إليه ونخبة بالزبازب[3]، والمعازِف والمحاجر[4]، فلم يزل على عمله إلى خِلافة عثمان، وكذلك ابن أبي ربيعة

(١) الإبل الشابة بمنزلة الجارية في النساء.

(٢) كذا في (الأصل)، وفي (العسجد) ص١٩، و(غاية الأماني) ص٨٥: «مراحل» قلت: رحابه بلد باليمن من بلد مراد في أرض مأرب. المقحفي ص١٧٤.

(٣) في (الأصل): «بالدنادن»، والإصلاح من (العسجد) ص. ٢٠ قلت الزبازب: نوع من السفن، وأظنه أيضاً نوعاً من المعازف، وفي القاموس: دندن الرجل رفع صوته بالغناء والله أعلم.

(٤) من الحجير وهو ما يعرف في البلاد الأخرى بالزغاريد (عامية).

لم يزل على الجند ومخاليفه مدّة خلافة عثمان ﷺ، فلمَّا قُتل عثمان واستخلف ابن أبي طالب كرَّم الله وجهَه أرسل إلى اليمن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب على جميع مخاليفه، فلمَّا علم يعلى [وابن أبي][1] ربيعة بقدوم نائب عليّ، سارا نحو الحجاز على خوفٍ ووجل، فلحقا بمكَّة، ولم يعرض لهما أحدٌ[2]، وكان يعلى قد جمع أموالاً جمةً تخرج على الحدِّ، فوجَد بمكَّة طلحةَ والزُبير وعائشة، يريدون الخلاف على عليّ بن أبي طالب والمسير إلى البصرة، فأعانَهُم على جهازِهم بست مئة ألف درهم، وستمائة بعير، منها جمل عائشة الذي يُنْسَب إليه يوم الجمل، وكان اسمُ الجمل عسكراً. ولم يزل عبيد الله بن العبَّاس على اليمن، وحجَّ بالناس إلى آخر أيَّام علي بن أبي طالب وتخاذل أصحابه، وأغار معاوية على أطرافه، فسيَّر معاوية جيشاً أمَّر عليهم بسْر بن أرطأة الفهري إلى اليمن، وأمَره بقتل شيعة علي بن أبي طالب، فقتل بالمدينة قَوْماً وهَدَم دوراً، ثم أتى مكَّة فقتل قَوماً من ولد أبي لهب، وكذلك فَعَل بالسراة ونجران، فلمَّا قارب صنعاء انحازت[3] مِنْه همدان إلى جبل شبام[4]، فَدَخَل صنعاء وقَدْ تميَّل[5] عنها عبيد الله بن العباس، فوجَد له صبيين صغيرين، فذبَحهُما بيده، وقتل مَعَهُما سبعين[6] شيخاً من أبناء فارس،

---

(١) ساقط من (الأصل).

(٢) تاريخ صنعاء لابن جرير ص٢٣.

(٣) في (الأصل): «أغارت»، وما أثبتناه في (العسجد) ص٢٠.

(٤) شبام هو شبام الغراس في الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٣كم، وتقع بالسفح الغربي لحصن ذي مرمر. المقحفي ص٢٢٤.

(٥) كذا في (كنز الأخيار) للشريف إدريس (مخطوط) وكذا في الأصل، ولم أجد هذه اللفظة في سائر المصادر الأخرى. قلت: عبارة (العسجد) ص٢٠، وهو ممن ينقل عن كتابنا هذا: «وعلم به عبيد الله بن العباس جمع أهل صنعاء وعظهم وحضّهم على القتال فقال له فيروز الديلمي: ما عندنا قتال، فاحترز في نفسك إلخ».

(٦) تاريخ صنعاء لابن جرير ص٢٥: «اثنين وسبعين شيخاً من أبناء فارس».

فَدُفنَا حيث قُتلا، وعُمِلَ عليهما مسجد، ويُعْرف بصنعاء بمسجد الشهيدين[1] عظيم الفضل والبركة.

ولمَّا بَلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مسير بُسْرِ[2] إلى اليمن، جهَّز جيشاً مع جارية بن قُدامة السعدي، وعلم به بُسْر فخرج له، فهرب [وتبعه جارية حتى جاوز المدينة، فوجد أبا هريرة يصلّي بالناس فاختفى من جارية][3] وقال: لو وجدت أبا هرٍ لتركت أكثره[4] شعراً بالأرض. ثم قتل علي بن طالب كرَّم الله وجهَهُ.



ولاية معاوية وولده

واستولى معاوية على البلاد، فبعث إلى اليمن عثمان بن عفَّان الثقفي، ثم عزله وجمع اليمن بكامله لأخيه عُتبة بن أبي سفيان، فأقام به ثلاث سنين، ثم تُوفي[5]، فبعث معاوية على اليمن النّعمان بن بشير الأنصاري فمكث سنة ثم عزله، [وبعث بشير بن سعيد الأعرج فمكث سنة ثم عزله][6]، وولّى سعيد بن داذويه من أبناء الفُرس، فأقام تسعة أشهُرٍ ومات، فاستعمل الضحاك بن فيروز، فلم يزل على اليمن حتى توفي معاوية.

---

(١) من المساجد العامرة في الغرب الشمالي من سوق صنعاء. مساجد صنعاء للحجري ص٥٩.

(٢) في (الأصل): «بشر» بالشين المعجمة، والإصلاح من المصادر الأخرى ترجمته في الأعلام ٢/ ٥١.

(٣) ساقط من (الأصل) وما أوردناه وجدناه في (كنز الأخيار) للشريف إدريس (مخطوط) وهو مصدر كتابنا.

(٤) كذا في (الأصل) وفي (كنز الأخيار) (مصدر كتابنا).

(٥) في (الكنز) و (المطبوعة): «ولحق بأخيه وقد استخلف فيروز الديلمي فمكث ثمان سنين وتوفي».

(٦) سقط من (الأصل) وأثبتناه من (الكنز).

فلما وَلّي يزيد بعث بحير بن ريشان[1] الحميري على المخلافين، مخلاف صنعاء ومخلاف الجند، وتقبّلَهما منه بمال عظيم، وكان بُحير متجبِّراً عاتياً، ولم يزل على اليمن حتى مات يزيد.



ولاية ابن الزبير

وظَهَر ابن الزبير بمكة، فأطاعه أهل اليمن إلَّا القليل منهم، فبعث عليهم الضحّاك بن فيروز[2]، ثم مكث سَنَةً، فَعَزَلَه بعبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فاقام سَنَة، فعزله بعبد الله بن أبي وداعة السَّهمي، فمكث سنة وثمانية أشهر، ثم عزله بأخيه عبيدة بن الزبير، فمكث خمسة أشهر، وعَزَله، وولَّى قَيْس بن يزيد السَّعدي، أحد[3] بني تميم، ومكث عشرة أشهر وعزله، واستَعْمَلَ[4] بعده ولاة يقفون الأربعة الأشهر والخمسة[5] ويعزلهم، حتى قُتل سنة ثلاث وسبعين.



ولاية الحجاج وولاية بني مروان

ولما قتل ابن الزبير. استولى[6] الحجاج بن يوسف نائباً عن عبد الملك بن مروان على الحجاز واليمن واليمامة والبحرين، فبعث على اليمن أخاه محمد بن يوسف، فأقام عليها تسع عشرة سنة إلى آخر أيَّام

(١) في (الأصل): «بحير بن زيان»، وما أثبتناه من (العسجد)، ومثله في (غاية الأماني).
(٢) تاريخ صنعاء لابن جرير ص٢٩.
(٣) (المطبوعة): «أخو»، وما أثبتناه في (الأصل) و(كنز الأخيار).
(٤) في (الأصل): «واشتمل» والإصلاح من (المطبوعة) و(كنز الأخيار).
(٥) انظر: قائمة ولاة اليمن في هذه الفترة عند ابن جرير الصنعاني تاريخ صنعاء ص٣٠.
(٦) في (المطبوعة): «ولّى»، وفي (كنز الأخيار): «جمع» وكذا في تاريخ صنعاء ص٣٣.

عبد الملك وتوفي، وكان قد جمع المجذومين بصنعاء، وجمع لهم الحطب ليحرقهم، فمات قبل ذلك، فولى الحجاج بأمر الوليد بن عبد الملك، ابن عمه أيوب بن يحيى الثقفي، فلم يزل عليها بولاية لوليد.

وأيوب هو الذي تولّى عمارة الجامع بصنعاء حين[1] زاد الوليد فيه ما زاد، فلمّا وُلّي سليمان بن عبد الملك، ولّى اليمن عروة بن محمد السعدي، فأقام عليها [ست سنين][2] ولاية سليمان، وولاية عمر بن عبد العزيز.

واستقضى عمر بن عبد العزيز، وهب بن منبه[3]، وكان وَهب يقول: «إنّه يرى الرؤيا الصادقة فتكون كما يراها»، فلمّا ولّي القضاء ذهبَ الذي كان يراه، فلمّا تُوفي عمر بن عبد العزيز، وولّي يزيد بن عبد الملك، استعمل على اليمن مسعود بن عوف الكلبي، فأقام عليها ولاية يزيد، فلمّا وُلّي هشام بن عبد الملك، بعث يوسف بن عمر الثقفي على مخاليف اليمن جميعاً، فمكث عليها ثلاث عشرة سنة، فخرج عليه سنة سبع ومائة، عباد الرعيني في ثلاث مائة محكماً[4]، فقتلهم يوسف جميعهم، ثم أمره هشام بالخروج إلى العراق، وولّاه أمرها، وأمره بالقبض على خالد بن عبد الله القسري، واستخراج الأموال منه ومن أصحابه، فاستخلف على اليمن ابنه الصلت، وسار يطوي المراحل ويخلط الليل بالنّهار، فقدم الكوفة فقال بعض الشعراء:

ألا قطع الرحمن ظهر قلائص حملنك من صنعاء سِتّاً وأربعا

---

(١) (الكنز) (المطبوعة): «حتى».

(٢) زيادة من (كنز الأخيار) على (الأصل).

(٣) انظر: تاريخ صنعاء ص٣٤.

(٤) كذا في (الأصل)، و(كنز الأخيار)، وفي (غاية الأماني) ص١١٩: «نفر».

كأن على العيس التي أقبلت به   أمام[1] ركاب القوم سفراً مجوعا

فأقام الصلت على اليمن خمس سنين، فلمَّا توفي هشام، وولّي الوليد بن يزيد بَعث على اليمن جَميعَه، مروان بن محمد بن يُوسُف ابن أخ الحجاج، وكان في أيَّامه شيَّد[2] دار [خوط يوم الجمعة النصف من شوالٍ سنة أربع وعشرين ومائة، وكان في دار][3] خوط تُسمّى برك الغماد، وكانت مجمعاً للعَرب والوفود بصنعاء إذا قدموا على مُلُوكها، حتّى ضرب بها المَثل [قال سعيد بن عبادة يوم بَدْر لرسول الله ﷺ: «**لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد من ذي يمن ما فارقناك**»، وقال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ من أهل بيته كلّمه في شيء يعطيه، فقال: أمَّا ما لي فلن يسعكم، وأمَّا هذا المال، فإنَّما حقكم فيه كحقِّ رجلٍ بأقصى برك الغماد][4]، وكان سيل نقم يصُب إليها، فكبست قبل هذا التاريخ، واختطت منازل الوليد ومساكنه، فنزل سَيْل نقم نزولاً عظيماً فخرَّب المنازل وجرَّ الأمتعة[5].

فلمّا ولي يزيد بن الوليد الناقص، بعث الضحاك بن واصل السكسكي على اليمن، فأقام عليها ولاية يزيد.

فلمّا غلب مروان بن محمد على الأمر، بعث على اليمن القاسم بن عمر الثقفي أخا يُوسف بن عمر، وحضرموت يومئذٍ ممتنعة، قد ثار بها الأعور[6] الخارجي، ولم يلبث القاسم أن قصده الأعور إلى صنعاء،

---

(١) (كنز الأخيار): «أقام».

(٢) في تاريخ صنعاء لابن جرير: ٣٦ و(كنز الأخيار) و(العسجد) ص٢٣: «سيل».

(٣) ساقط من (الأصل) والزيادة من (كنز الأخيار) ليستقيم المعنى.

(٤) من زيادات المؤلف على (كنز الأخيار).

(٥) انظر: أول ذكر لهذا السيل في تاريخ صنعاء لابن جرير ص٣٦.

(٦) هو: عبد الله بن يحيى بن عمرو الكندي المعروف بطالب الحق قتل سنة (١٢٦هـ) سير أعلام النبلاء ٥/٤٢٥.

فانهزم عنه، وقتل ابن أخيه الصلت بن يوسف، وغلب عبد الله بن يحيى الأعور على اليمن سنة وأربعة أشهر، واستولى نائبه أبو حمزة الخارجي على مكّة، وقتل أهل قديد[1]، وسار فاستولى على المدينة فأقام بها أربعة أشهر، ثم سار منها يُريد الشام، فبلغ الوادي[2]، فتلقته هناك جيوش أهل الشام بعثهم مروان مع عبد الملك بن محمد بن عطيّة السعدي [وقد انتخبهم وجعلهم من فرسان الناس ووجوههم][3]، فقتلهم عبد الملك بوادي القرى ومكّة وبيشة وصنعاء، وأصْفَى اليمن منهم، وسار إلى حضرموت، فأتاه كتاب مروان بتوليه الموسِمَ، فصالحهم وَسَار في ركب قليل، فقُتل بالجوف، ولمَّا بَلَغ مروان قَتْل عبد الملك بن عطيَّة بعث الوليد بن عروة بن محمد، فلم يزل على اليمن حتى انقطعت ولاية مروان[4].



ولاية بني العبَّاس

وجاءت الدولة العباسية فاستخلف أبو العباس السفّاح في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومئة، فبعث على الحجاز واليمن، عمَّهُ داؤد بن علي [بن عبد الله بن العبّاس][5]، فاستخلف داؤد على اليمن، عمر[6] بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن زيد بن الخطّاب [القرشي العدوي][7]

---

(١) قديد: موضع قرب مكة. مراصد الإطلاع ص١٠٧٠.

(٢) كذا في (الأصل) وفي (المطبوعة): «وادي القرى» قال المحقق الدكتور مصطفى حجازي: (وادٍ بين المدينة والشام كثير القرى).

(٣) زيادة على (كنز الأخيار).

(٤) (كنز الأخيار): «بني مروان».

(٥) زيادة على (الكنز).

(٦) تاريخ صنعاء ص٣٩: «عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن».

(٧) زيادة على (كنز الأخيار).

فمكث خمسة أشهر ومات، فبعث أبو العباس على اليمن محمد بن زيد بن عبد الله بن زيد بن عبد المدان الحارثي[1]، فقدمها لسبع مَضَيْن من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومئة، وبَعَثَ أخاً له على عدن، وأراد إحراق المجذومين بالشرار[2] بصنعاء، وجمع لهم الحطب، فمرض أيّاماً يسيرةً ومات قبل إحراقهم، ومات أخوه بعدن، فوجّه أهل عدن إلى أخيه بريداً يُخبر بموته، ووجَّه أهل صنْعاء بريداً بخبر موت محمد، فالتقى البريدان بموتهما [من الجند][3] وماتا[4] جميعاً لا يعلم هذا ما قدم له هذا، وكانت ولايته خمسة أشهر، فبعث أبو العبّاس عبد الله بن مالك الحارثي، فمكث أربعة أشهر ثم عزله وبعث علي بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان، فمكث أربع سنين وشهراً[5]، وكان في ولاية علي بن الربيع حكومة أهل صنعاء، والأبناء [في الرحبة[6]، فوكل أهل صنعاء ابن ثُمامة، ووكل الأبناء إبراهيم بن قوّاس[7]، فأخرج إبراهيم بن قوّاس كتاب رسول الله ﷺ للأبناء[8]، فقال عمر بن ثُمامة: إنَّه يكْفُر بهذا الكتاب، فغضب ابن الربيع وقال: يكفُر بكتاب رسول الله ﷺ وجرّده وضربه خمسَة وسبعين سوطاً، وقال: أمّا أنه لا يخرج من الدنيا أو تُصيبه عاهة، فأقام حتى وُلّي منصور بن يزيد الحميري، ودعا وجُوه أهل صنعاء إلى

---

(١) تاريخ صنعاء ص٤٠.

(٢) كذا في (الأصل)، وفي (المطبوعة): «بالنيران»، وفي (كنز الأخيار): «فأراد إحراق المجذومين بصنعاء». قلت: لعل الصواب السرار بالمهملات واد يشق صنعاء (سبق).

(٣) زيادة من «كنز الأخيار».

(٤) كذا في (الأصل) وفي تاريخ صنعاء ص٤٠: «وباتا».

(٥) تاريخ صنعاء ص٤١ و(كنز الأخيار): «أشهراً».

(٦) الرحبة: ناحية تابعة للواء صنعاء في الشمال الشرقي لمسافة ٥كم. المقحفي ص١٧.

(٧) (العسجد): «فراس».

(٨) في (الأصل): «أيها الأبناء»، والإصلاح من (العسجد) ص٢٥.

حائط له، وفيه عمر بن ثمامة، فأكل[1] جلجل فرخ[2] حمام فغصّ به فمات[3]].

وتوفي أبو العبّاس السفّاح واستخلف أخوه أبو جعفر المنصور، فبعث على اليمن عبد الله بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فأقام مدّة، وسار نحو المنصور واستخلف ابنه، فأقام باليمن حتى قدم عليه معن بن زائدة الشيباني في ربيع الأول سنة أربعين ومئة، وقيل: سنة اثنتين وأربعين ومئة، وكان تناثر النجوم سنة أربعين ومئة تناثراً مثل المطر، نحو المغرب حتى الصباح، وعُوفي تلك الليلة مجانين كثير. قال بعضهم: كنت أعْرِف مِنْهُم امرأة تقوم على رأسها [ورجليْها إلى فوق][4] عامة يومها، فأصبحت عاقلة تغسل ثيابها، فقيل لها في ذلك [فقالت][5]: (إن الله رماه البارحة بنجم فأحرقه وكفانيه).

وبعث معن في ولايته ابن عم، يقال له: سُلَيمان إلى المعافِر فقتلوه، فَغَزاهم فقتل مِنْهم فأكْثَر، وقال:

إذا نابت الآلاف كادت حزازة ... على القلب من ذكرى سُلَيْمان تَبْردُ[6]

وقدم ابن جُرَيْج[7] العالم على مَعْن وافداً من مكة لدين لَحقه،

---

(١) (الأصل): «أكلا».

(٢) (الأصل): «فخرج».

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (كنز الأخيار).

(٤) ساقط من (كنز الأخيار).

(٥) زائد في (كنز الأخيار).

(٦) ورد هذا البيت في (العسجد) ص٢٥ وهكذا:

«إذا تمت الألفان كادت حرارة ... على القلب من ذكرى سليمان تبرد»

وكذا ورد في (كنز الأخيار).

(٧) هو: العلامة الجليل عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فقيه الحرم وإمام أهل الحجاز يقال: إنه أول من صنف التصانيف أصله من الروم توفي سنة (١٥٠هـ). انظر: الأعلام ٤/ ١٦٠.

فأقام عنده حتّى إذا كان عاشر ذي القعدة مرَّ بقوم وجارية تُغني لهم شعر عمر بن أبي ربيعة[1]:

هيهات من أمه الوهاب منزلنا ... إذا حَللنا بسيف البحر من عدن
واحْتل أهلك أجياداً فليس لنا ... إلا التذكر أو حظ من الحزن
تالله قُولي له في غير مُعْتبة ... ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دُنيا أو ظفرت بها ... ماذا أصبت[2] بترك الحج من ثمن

قال: فبكى ابن جُرَيْج وانتحب، وأصبح إلى معن وقال: إن أردت بي خيراً فردّني إلى مكة، ولستُ أريد منك شيئاً، فاستأجر له معن أدلاء أعطاهم خمس مئة دينار، ودفع إليه ألفاً وخمس مئة، فوافى النَّاس يوم عرفة، ثم إن حضرموت انتفضت على معن، فسار إليهم، فمر بزياد[3] من وادي مسور، فعظم في عينه ما رأى من جرن الزَّبيب بها، فقال لنائبه: لا تقبل منهم دون عشرة آلاف ذهب[4] زبيباً، فلم يزالوا به، حتى حطَّ لهم ألف [ذهب][5]، وجمعوا أعشارهم، فجاءت عشرة آلاف، فأعطوا عامله تسعة، وعمروا مسجدهم بألف، ووصل إلى حضرموت، فأوقع بهم عدَّة وقعات، قيل: بلغت قتلاهم فيها إلى خمسة عشر ألفاً، فأعظم الناس ذلك وتحدَّثوا فيه حتى قال رجل من سادة قريش وفدَ على المنصور: ألا ترى يا أمير المؤمنين إلى ما فَعَل معن بحضرموت، كاد أن يأتي عليهم، فسكت عنه قليلاً ثم قال: يا ابن أخي أخبرني عن قوم

---

(١) انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة والأغاني وبهجة المجالس، ومعجم البلدان.
(٢) (كنز الأخيار) و(العسجد): «أخذت».
(٣) في (الأصل): «بريان»، وفي (كنز الأخيار): «بديار»، وفي (العسجد): «برباب»، والإصلاح من عندنا. يقول المقحفي ص١٩٤: زيادة من وادي مسور يسكنها بنو حليقة.
(٤) الذهب قال في محيط المحيط ص٣١٢: مكيال لأهل اليمن.
(٥) زيادة من (الأصل) على (الكنز).

نسّاك من قومك ومن الأنصار وكنتُ أعرفهم بملازمة السواري في مؤخر مسجد رسول الله ﷺ قد أصفرت وجوههم من العبادة قال: فتلهم الخوارج بقديد. قال: فأخبرني عن الفتى[1] الصالح الذي كان يلازم السارية الفلانية؛ كأنه خشبة من العبادة؟ قال: قتل بقديد. قال: فأخبرني عن أهل البيت الصالح بني فلان ما فَعل الدّهر بهم؟ قال: فتلوا يوم قديد، وجعل يُعدِّد له من قتل يوم قديد من أبناء المهاجرين والأنصار من وجوه أهل المدينة وعبّادهم ونسّاكهم وساداتهم، وكان قاتلهم أبو حمزة الخارجي بأهل حضرموت فقال: يا ابن أخي أفتعتب على معن في قتل أهل حضرموت وقد أخذ بثأركم؟ فسكت القرشي، ورجع معن إلى صنعاء، ثم استخلف ابنه زايدة، وسار إلى العراق، وكانت ولايته اليمن بمقام أبيه سبع[2] سنين، ولما بلغ المنصور كتابه بما فعل في أهل حضرموت استصوب فعله، وتَمثّل في الكتاب بأبيات من شعر الأعشى منها[3]:

فَما وجدتك الحَرْبُ إذ عضَّ نابها ... عن الأمر وقّافاً لدى كُل مشهد

ولمَّا قدم معن على المنصور ولاه سجستان، وبعث على اليمن ضرار[4] بن سالم العبسي، فمكث ثلاث سنين، ثم عزله بيزيد بن منصور الحميري [خال ولده المهدي][5] وذلك سنة أربع وخمسين ومئة، وأقرّ خالَه على اليمن، فلمَّا كان الموسم كتب إليه بموافاته فَفَعل، واستَخْلف

---

(١) (العسجد): «الرجل».

(٢) (كنز الأخيار): «تسع».

(٣) ديوان الأعشى: ٤٨ ط. دار صادر.

(٤) كذا في (الأصل) و(المطبوعة)، وفي (كنز الأخيار) ص٣٧، وتاريخ صنعاء لابن جرير ص٤٣، و(السلوك) للجندي ١/ ١١ و(العسجد) ص٢٧، و(المقتطف) للقاضي عبد الله الجرافي: «الفرات بن سالم العَبْسي»، وأظنه كذا في سائر المصادر.

(٥) ساقط من (الأصل)، والزيادة من (المطبوعة) ص٢٠، و(العسجد) ص٢٧.

عبد الخالق بن محمد[1] الشهابي فَوُلي شهرين ونصفاً، وقدم عليه رجاء بن روح الجذامي[2] في ذي الحجة سنة تسع وخمسين [ومئة] وقد كان وقع بين أهل صنعاء والجُنْد قتال في العيد، وانحاز [أهل][3] الجُنْد إلى شعوب[4]، ثم اصطلحوا، فأقام رَجاء ثلاثة عشر شهراً. ثم بعث المهدي علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العبَّاس، فقدمها في المحرَّم سنة إحدى وستين ومئة، فأقام إلى سنة اثنتين وستين، وسار نحو العراق، واستخلف رجُلاً يقال له: واسع بن عُصيمة[5]، فأقام بَعدْه أَحَدَ عَشَرَ شهراً. ثم بعث إلى اليمن عبد الله بن سليمان أخا علي بن سليمان، فقدَم لِسبعٍ بقين من ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ومئة، فأقام تسعة عشر شهراً، وبعث المهدي منصور بن يزيد بن منصور الحميري، فقدم سَنَةَ خمس وستين، ثم عَزَله بعبد الله[6] بن سليمان النوفلي، فمكث سنة وكان خيّراً، يروي الحديث.. روى عن الزهري عن [عروة، عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: ٣٢]، «أنها لو وقعت منها حلقة على جبل لأذابته، خُلِقت لهم وخُلِقوا لها»،

---

(١) في (المطبوعة): «عبد الخالق بن أحمد».

(٢) المقتطف: رجاء بن حيوة الجذامي قلت: لعله اختلط عليه برجاء بن حيوة الكندي أحد الوعاظ والزهاد كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز توفي سنة (١١٢هـ)، وورد ذكره برجاء بن حيوة أيضاً في اللطائف السنية ص٧، ولعله هو الذي أوقع الجرافي في هذا الالتباس.

(٣) زيادة من (الأصل) توهم المؤلف أنها الجَنَد بالتحريك البلد المعروف وهو خطأ.

(٤) شعوب: هي ضاحية صنعاء الشمالية تنسب إلى شعوب بن جشم بن عبد شمس. انظر: معجم المدن والقبائل لإبراهيم المقحفي ص٢٣٥.

(٥) في (المطبوعة): «واسع بن عقبة»، ثم أصلحه بالهامش، وفي (العسجد) ص٢٧، و(كنز الأخيار): «واسع بن عصمة».

(٦) قلت: انظر ذكره في كتب الرجال، انظر على سبيل المثال: خلاصة تذهيب الكمال لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الزبيدي وفيه ص٢٠٠: «عبد الله بن سليمان النوفلي عن ثابت بن ثوبان والزهري، وعنه هشام بن يوسف».

وروى عن زيد بن زيد بن جابر عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «ذُو عدوات وذو نزوات[1]، وذو بدوىٰ، فاستعيذوا بالله من شرّه، واسألوه من خيره» ومعنى ذي بدوىٰ: ذي قوة. قال عدي بن رقاع:
بلغنا إليه بذي بدوى، قليل التفقد للعَيب، يصف كثرة جيشهم[2]، ثم عزل النوفلي بسليمان بن يزيد بن عبد المدان، فأقام على اليمن بقية خلافة المهدي.

فلمّا وُلّي الهادي في المحرَّم سنة سبع وستين مئة، وَلّى عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فمكث سنة، ثم عزله بإبراهيم بن سليمان بن قتيبة [ابن مسلم الباهلي[3]، فأقام أربعة أشهر، وتوفي الهادي، فلما ولى الرشيد][4] في ربيع الأول سنة سبعين ومئة، ولّى خاله الغطريف بن عطاء اليمن، فقدم اليمن والفتنة ثائرة بين الجُنْد وأهل صنعاء، فاصْطَلح أمرهم، وأقام على اليمن ثلاث سنين وتسعة[5] أشهر، ثم سار نحو الرّشيد واستخلف على اليمن عبّاد بن محمد الشهابي.

فبعث [الرشيد][6] على اليمن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان، فقدم آخر سنة أربع وسبعين[7]، وفيها وقع بصنعاء ثَلْج عظيم، لم يقع مثله بها، فمكث سنة، ثم عزله الرشيد بعاصم ابن عُتبة الغسّاني، فمكث

---

(1) الكلمة مطموسة في (الأصل)، وفي النهاية في غريب الحديث ٣/١٩٣: «السلطان ذو عدوان وذو بدوان» أي: سريع الانصراف والملال.
(2) من زيادات المؤلف، وهي زيادة تدخل في موضوع غريب الحديث الذي ألف ابن عبد المجيد اليماني كتاباً فيه في شرح غريب ألفاظ الشفاء ولا يزال مخطوطاً.
(3) زيادة من المطبوعة، وكذا في سائر المصادر الأخرى.
(4) ساقط (الأصل) وأضفناه من (كنز الأخيار) لعماد الدين إدريس (مخطوط).
(5) (كنز الأخيار) و(اللطائف السنية) ص٨: «سبعة» بتقديم السين.
(6) زيادة من (الكنز).
(7) في (الأصل): «تسعين بتقديم التاء خطأ».

سنة، ثم عُزل [بأيوب بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله، فمكث سنة، ثم عُزل][1] بالربيع بن عبد الله الحارثي، والعبَّاس بن سعيد، مُولى بني هاشم، فالربيع على الصلاة والحارث[2]، والعبَّاس على الجِبَاية[3]، فأقاما سنتين وعُزِلاً بِمحمَّد بن إبراهيم الهاشمي، وقد جمع له الحجاز واليمن، فأقام بالحجاز، وبَعَث ابنه العبَّاس، فشكاه[4] الناس، [فعزله][5]، ووليَّ الرشيد، عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير، وكان رزق عامل صنعاء في الشهر ألف دينار، فجعل له الرشيد ألفي دينار، فقال له يحيى بن خالد: هذا يفسد عليك من تُوليَّه بَعْدَه من أهل بيتك، فرَّد رزقه ألف دينار، وَوَصَله بِصَلة جَلَيْلة، فأقام سَنَة، ثم عزله بأحمد بن إسماعيل بن علي الهاشمي سنة إحدى وثمانين، وفي هذه السنة قام الهيْصَم بن عبد الحميد في جبال العضد[6]، وهي جبال مسور، وكان يُقيم ببيت دُخَّان[7] وما يليها، فحارب جنود السلطان وهزمهم وقتلهم، وعزل بأحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن طَلْحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار، فأقام سنة ووثب به الجُنْد، وكان في ولايته تخليط وضُعْف، مع أنَّ بشر الأبناوي[8] من أهل صنعاء، صاحب الرسائل

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من مخطوطة (كنز الأخيار) (نسخة المتحف البريطاني) وقد وجد هذا السقط في المطبوعة من الكتاب أعني (بهجة الزمن) ص٣١، فدل أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ رجع في جمع كتابه هذا على مخطوطة المتحف البريطاني نفسها من كتاب (كنز الأخيار)، والله أعلم.

(٢) (الكنز) و (المطبوعة) ص٣٩: «الحرب».

(٣) (كنز الأخيار): «الخراج».

(٤) مطموسة في (الأصل).

(٥) ساقط من (الأصل)، والزيادة من (المطبوعة) و(كنز الأخيار) وسائر المصادر.

(٦) انظره في صفة جزيرة العرب ص١٣٤.

(٧) كذا في (الأصل) وفي (كنز الأخيار): «ذخار».

(٨) هو: المعروف بابن أبي الكباري البلوي توفي سنة (١٦٥هـ). مصادر الفكر الإسلامي ط. ثالثة.ص٤١٠.

المشهورة[1] في وعظ الخُلفاء والأمراء، أثنى عليه خيراً في رسالة إلى يحيى بن خالد، فعزله الرشيد بمحمد بن خالد بن برمك، فدخل صنعاء سنة ثلاث وثمانين، فأقام بها حتى جر الغيل المعروف بالبرمكي، ثم سار إلى بلد يَخْصُب، فأقام بقرية منكث سنة يجبي المخلافين الجند وصنعاء، ثم عزله الرشيد بمولاه حماد البربري، فقدم صنعاء في شوال سنة أربع وثمانين ومئة، فلم يزل على اليمن بقيه خلافة الرشيد إلى سنة ثلاث وتسعين، فعمر اليمن في أيّامه وخاصةً صنعاء، وأمنُ الطُرُق حتى كانت القوافل تقدم من اليمامة فيها القطيع من الغنم على كل شاة مخلاتان، في كل مِخْلاة ستة أمداد تمر، فتباع بأرخص الأثمان.

وكان لا يترك الحج سنةً، وفي كل سنة يحجّ ويستخلف على عمله، وعُني بأمر الهيصم بن عبد الحميد، فامتنع عليه وأجابه إلى الخلاف كثير من أهل اليمن، فاستمدَّ الرشيد [[2]فأمده بعشرة قواد، ثم استأمن إبراهيم بن عبد الحميد، أخو الهيصم إلى حماد فأمنه، فكان سبب ظفر حماد بجبل العضد، فهرب منها الهيصم إلى بيش تهامة، فظفر به هنالك، فحمل إلى حماد بصنعاء، فلم يزل عنده حتى شخص به وبأخيه إبراهيم وأهل بيته وجماعة من الرؤساء ممن كان خالف مع الهيصم أو اتهم بالخلاف فقدم بهم للعراق، فوجد الرشيد بالرقة[3]، فأمر بضرب عنق الهيصم وصرف بقية من كان معه إلى السجن ببغداد، فأقاموا به، حتى وليَّ الأمين فأطلقهم.

ولَمّا استخلف الأمين سنة ٩٣ (ثلاث وتسعين) أمر حماد على

---

(١) انظر: رسائله في صفة جزيرة العرب ص١٠٧، وطبعت أخيراً بتحقيق الدكتورة وداد القاضي.

(٢) هنا سقط ورقة كاملة من الأصل المخطوط بمكتبة باريس فاستكملنا الناقص من كتاب كنز الأخيار مخطوطة المتحف البريطاني. وانظر المطبوعة: ٤٠ ـ ٤٢ لوجود التشابه الكبير بينهما.

(٣) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات من جانبه الشرقي معجم البلدان لياقوت ٣:١٥٩.

ولايته، فأقام مدة مديدة، ثم سار نحو العراق، واستخلف ابن أخيه، وكان أهل اليمن كتبوا رسالتين إلى الأمين وإلى الفضل بن الربيع، يشكوه، فعزله الأمين بمحمد بن عبد الله الخزاعي، فقدم خليفة له، ثم قدم بعد ذلك، فاستخرج من عمال حماد أموالاً جليلة وعدل في الناس، ثم عزله الأمين بسعيد بن السرح الكناني، فقدم صنعاء في شعبان سنة خمس وتسعين، فأقام والياً على اليمن حتى ثارت الفتنة بين الأمين والمأمون، فلما استقوى طاهر على الأمين، وحصره وضعف أمره، ودخل أهل الأطراف في طاعة المأمون، بعث طاهر على اليمن، يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، فقدم صنعاء آخر الحجة سنة ست وتسعين، فقبحت سيرته من الناس، وظهرت منه عصبية قبيحة، وذلك أنه وجد قوماً من الأبناء هم من أبناء الفرس، الذين بعث بهم كسرى مع وهرز مدداً لسيف بن ذي يَزَن، قد نكحوا في قحطان، فكان يؤتى بالرجل منهم إليه، فيحمله على طلاق زوجته، حتى أتى ببكر بن عبد الله الأبناوي، ويزيد في ملإٍ من وجوه أهل اليمن، كان تحت بكر امرأة من خولان، فأمره يزيد بطلاقها، فقال بكر: والله ما حملني على زواجها رغبة في حسنها، ولكني كنت امرءاً قليل المال، وكان قومي لا يزوجون إلا على ألف دينار، وإنما تزوجت هذه المرأة على عنز ذبحتها في وليمتها، وهي طالق ثلاث، فسكت يزيد عما كان يفعله، وأقلع عنه، ثم إن رجلاً من أهل العراق يكنَّى أبا السلط، قدم على يزيد طالباً فلم يعطه شيئاً، فعاد حتى إذا كان بضمر[1] من بلد همدان، وجد عمر بن إبراهيم، من ولد عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان نازلاً مع أخواله أرحب من السلمانيين، فأخبره خبره، فقال: بئس ما صنع يزيد

---

(١) بلدة من جبل عيال يزيد في الشمال الغربي من صنعاء على نحو ٤٠كم.

ووصله بعشرين دينار، فقال أبو السلط: لا جرم لأحسنن مكافأتك إن شاء الله تعالى، فخرج من عنده ومكث وقتاً، ثم قدم عليه بكتاب افتعله بولاية اليمن.

فقدم عمر ابنه محمد في نفر من الأعراب، وقوم جمعهم فدخل صنعاء في صفر سنة ثمان وتسعين ومئة، وأخذ يزيد بن جرير فحبسه، ثم قدم عليه أبوه فأقام وقتاً، وأخرج يزيد من الحبس ميتاً، وقيل: إنه قتله، وعن بعضهم: دخلت على يزيد بن جرير في الحمام عند قُدُمِ العمري، فقلت: دخل الساعة رجل، فصعد المنبر يقول: أنه أمير، ويقرأ كتاب عهده، فقال يزيد هكذا تقوم الساعة فكانت ولاية عمر أشهراً، فعزله المأمون بإسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي، فقدم في العقدة آخر سنة ثمان وتسعين ومئة، فأقام بها سنة تسع وتسعين، ثم سار يريد الحجاز واستخلف][1] ابن عمّه أبا القاسم بن إسماعيل، وذلك حين بلغه ظهور محمد بن إبراهيم المعروف بابن طباطبا بالكوفة واستيلاؤه عليها، وتسييره جماعة من الطالبيين نحو الحجاز، فاستولوا على المدينة ومكة، والموسم آخر سنة تسع وتسعين ومئة، فلما صار إسحاق بضمر، وثب به الأعراب فقاتلوه، فرجع إلى صنعاء، فوجد خليفته أبا القاسم قد أحدث أحداثاً، وضرب بها رجالاً، وهدم دوراً كثيرة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: كتابك وأخرج إليه كتاباً قد مثل على خطّه بتسمية من ضرب وهَدْم من هدم[2]، وبحث عمن افتعل الكتاب فوجده عباد بن الغمر الشهابي على شرطته، فقال: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: تخوفت أن يقتل ابن عمكَ من بصنعاء من أولياء السلطان، فلم ينكر عليه، وسمع بقدوم إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الطالبي، والياً على اليمن، بعثه

---

(١) من هنا ينتهي النقص في المخطوطة وهي ورقة بأكملها سقطت أثناء تجليد المخطوط.
(٢) (كنز الأخيار): «دور».

الحسين بن الحسن الطالبي المعروف بابن الأفطس، بعد استيلائه على مكة، فقدم إبراهيم اليمن في صفر سنة مئتين، فأسرَف [في القتل] حتى سُمِّي الجزار، ولم تزل أموره مستقيمة باليمن حتى ثار[1] محمد بن إبراهيم، وقام بعده محمد بن محمد بن زيد بن علي، فلمَّا أسر محمد وقُتِل أبو السرايا، انحلت أمور الطالبيين بالحجاز واليمن، وبعث المأمون محمد بن علي بن عيسى بن ماهان[2]، فكانت بينه وبين إبراهيم وقائِع، استظهر فيها ماهان على إبراهيم، وأقام إبراهيم يتردد في القرى التي حول صنعاء من مخلاف الخشب[3] وخولان، حتى قدم عليه عهد المأمون بولاية اليمن، فأبى ابن ماهان تسليمها إليه، فالتقيا بجدر[4] عند صنعاء، فهزمه ابن ماهان، فعاد إبراهيم ولم يستقم له أمر بعد ذلك.

فقدم عيسى بن يزيد الجلودي[5] التميمي والياً، فجمع له ابن ماهان عشرة آلاف مقاتل، وخرج إليه ولده عبد الله من صنعاء، وقد خندق الجَلودي عند رحابة[6] فالتقوا، فهزمه الجلودي، ودخل بعده صنعاء، فيمَّم عبد الله منهزماً طريق أعشار[7]، في فرسان حتّى قدم مكّة، واختفى

(١) (الكنز) و(المطبوعة) ص٤٢: «مات».

(٢) في (الأصل): «هامان».

(٣) في (الأصل): «بالمهملات والخشب وطن من أرحب شمال صنعاء»، وفي (المطبوعة) من (الكنز) ص٤٣: «الحب».

(٤) جدر: بفتح الجيم وكسر الدال منطقة من بني الحارث بالأطراف الشمالية لمدينة صنعاء. معجم البلدان والقبائل اليمنية ص٢٩٩.

(٥) في الأصول: «الخلودي»، وأوردناه هنا حسب رواية التاريخ اليمني. انظر: تاريخ صنعاء لابن جرير ص٥٨، و(كنز الأخيار) ص٤٣.

(٦) رحابه قرية أثرية تحت جبل الصمع من أعمال بني الحارث شرقي شبام سخيم. المقحفي ص١٧٤.

(٧) أعشار: واد في جنوب صنعاء معجم البلدان والقبائل ص٨٤.

أبوه بصنعاء، فدخل عليه الجَلودي، فقبض عليه وحبسه، وفرّق عُمّاله في المخاليف، وأشخص نحو العراق.

وكان المأمون قد قلّد محمد بن عبد الله بن زياد الأعمال التهامية، وما استولى عليه من الجبال، فقدم اليمن سنة ثلاث ومئتين، ومعه رجل تغلبي يُسمَّى محمد بن هارون، قاضياً على الأعمال [وهو جدّ بني عُقامة][1]، ولم يزل الحكم فيهم يتوارث، حتى أزالهم ابن المهدي، حين أزال دولة الحبشة، على رأس الخمسين وخمس مئة، فاستولى ابن زياد على تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب، واختطّ مدينة زبيد سنة أربع ومئتين، وكان مع ابن زياد، مَولى لَهُ يُسمَّى جعفراً، وهو الذي ينسب إليه مخلاف جعفر، وكان فيه دَهاء وذكاء حتى كانوا يقولون: ابن زياد بجعفره، واشترط على عرب تهامة ألّا يركبوا الخيل. وسيَّره مولاه إلى المأمون سنة خمس [ومئتين] بهدايا جليلة وأموال عظيمة، فعاد سنة ست، ومعه ألفا فارس، فيها من مسودة خراسان تسع مئة، فعظم أمر ابن زياد، ومَلِكَ حضرموت، وديار كنْدة، والشْحر، ومِرْباط، وأبين، ولحج، وعدن، والتهايم، إلى حِلي، ومَلكَ من الجبال أعمال المعافر، والجند، والمخلاف، وقلده جعفر، فاختط به المذيخرة في جبل ذي[2] أنهار، ورياض واسعة، وخَطَب لابن زياد بصنعاء، وصعده، ونجران، وبيحان، ومات سنة خمس وأربعين ومئتين، فأقام بالأمر بَعْدَه، ولده إبراهيم بن محمد إلى سنة تسع وثمانين ومئتين.

وقام بعده زياد بن إبراهيم، فلم تطل مدَّته، فملك بعده أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم، فامتنع عليه أهل الأطراف، وانقطعت الخطبة له في الجبال.

---

(١) زيادة من كتابنا على (الكنز).

(٢) (كنز الأخيار): «ذات أنهار».

واستولى سليمان بن طرف على المخلاف، وهو من الشرجة[1] إلى حلي، وجَعَل السكَّة والخطبة باسمه، وكان مبلغ ارتفاع عمله في [السنة][2] خمس مئة ألف دينار عِثرِيّة[3]، وهذا المخلاف هو المعروف بالسَّليماني[4] اليوم لا أدري نسبته إلى سليمان بن طرفُ أو إلى الأشراف السليمانين[5]، وخرج أيضاً من ولاية أبي الجيش لحج وأبين وما عداها إلى البلاد الشرقية، ومات أبو الجيش سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة على طفل له اسمه عبد الله، وقيل: زياد، فتولت كفالته أخته هند بنت أبي الجيش، وعبد لأبيها يُسَّمى رشيد[6] أستاذ حبشي، فقام بأمر الطفل، فلَمَّا مات رشيد، قام بكفالته حسين بن سلامة وصَيف من أولاد النوبة، ويُنْسب إلى أمه، وقد كان هذَّبه رشيد، وأحسن تأديبه، فخرج حازماً عفيفاً، وقام بالأمر، ووزر لولد أبي الجيش وأخته، وكانت دولتهم قد [تضعضعت] أطرافها وغلبت ملوك الجبال على الحصون والمخاليف، فقام الحسين يحاربهم حتى رجعت إليه أكثر مملكة بني زياد الأولى، واختَّط مدينة الكدراء[7] على وادي سهام ومدينة المعْقر[8] على وادي ذؤال، وكان عادلاً في الرعيَّة، كثير الصدقات وإنشاء الجوامع والمنارات

---

(١) في (الأصل): «الشجرة»، والإصلاح من سائر المصادر. قال المقحفي ص٢٨٨: الشرجة من قرى وادي زبيد من مخلاف المعاصلة، وشرجة حرض بلدة كانت فرضة حرض، قلت: وربما بلد آخر بهذا الاسم، وفي بعض المصادر: شرجه أول كورة عثر، فلعلها المقصودة هنا.

(٢) ساقط من (الأصل).

(٣) نسبة إلى (عثر) مدينة تهامية خربة. المقحفي ص٢٧٨.

(٤) في (الأصل): «السلاماني».

(٥) في (المطبوعة): «جزم بنسبته إلى سليمان المذكور».

(٦) (المطبوعة) ص٢٨: «رشد».

(٧) الكدراء: من قرى وادي سهام فيما بين المراوعة والمنصورية. المقحفي ص٣٤٦.

(٨) المعقر: مدينة تهامية خربة كانت قائمة بالقرب من بيت الفقيه ابن عجيل. المصدر السابق ص٣٩٦.

الطوال والقُلل[1] العادية في المغاور. المنقطعة ،بناء الأميال ،والفراسخ والبرد[2] على الطّرقات من حضرموت إلى مكة حرسها الله تعالى، ورأيت اسمه مكتوباً في لوح في عدة أماكن بجامع زبيد ومسجد الأشاعر بها وبجامع حلي وبأماكن كثيرة، وبمسجد الرّباط بأبين وهو [من أكبر المساجد][3] وأوسعها.

وأتاه يوماً رجل فقال: إن رسول الله ﷺ أمرني إليك لتعطيني مئتي دينار. قال: لعل الشيطان تمثّل لك. قال: إنّه قد عرّفني بأمارة لا يعلمها إلا أنت. قال: وما هي؟ قال: إنّكَ لا تنام حتى تصّلي عليه مئتي مرّة كل ليلة، فبكى وقال: صدقت والله ما اطّلع على هذا أحدٌ من عشرين سنةً إلا الله تعالى، ومات حسين سنة اثنتين وأربع مئة، وقد انتقل الأمر إلى طفل آخر من آل زياد، فتولّت كفالته عمةٌ له، وعبد أستاذ اسمه مرجان، من عبيد الحسين بن سلامة [فاستقر في الوزارة][4]، وكان له عبدان فحلان من الحبشة، ربّاهما صغيران، وولاهما الأمور كبيرين، أحدهما يُسمَّى نفيساً، وجعل إليه تدبير الحضرة، والثاني يُسمَّى نجاحَ وهو والد سعيد بن الأحول، وجيّاش، وكان يتولى أمور الكدراء والمهجم، ومور، والواديين، فوقع التنافس بين نجاح وبين نفيس، على وزارات الحَضْرة، وكان نفيس غشوماً مرهوباً، ونجاح ذا رفق بالناس، عادلاً مُحْسِناً إلى الرعية، إلا أن مولاتهما تميل إلى نفيس، فنمى إلى نفيس أن عمة ابن زياد تكاتب نجاحاً وتميل إليه، فأعلم مولاه، فأمره بالقبض عليهما وعلى ابن زياد، فقبض عليهما وبنى عليهما جداراً وهما

(١) (المطبوعة): «القلب»، وقال: «البئر والعادية القديمة».
(٢) المسافة بين كل منزلين.
(٣) مطموسة في (الأصل).
(٤) زيادة من (كنز الأخيار).

حيَّان، وهما يناشدانه بالله حتى] سدَّ بابه وختم[1] عليهما، فكان بموت هذا الصبيِّ انقراض دولة بني زياد، وكانت مئتي سنة وثلاث سنين[2]، ذكره صاحب المفيد[3] وهو الأصحّ، وكان بنو زياد قائمين بخدمة الخلفاء العباسيين ومواصلتهم بالهدايا والأموال، فلمَّا اختلَّ أمرهم، وغلب أهل الأطراف على ما بأيديهم، تغلَّب بنو زياد على ما بأيديهم من أعمال اليمن، وركبوا بالمظلَّة، وساسوا قلوب الرعيَّة بإبْقاء[4] الخطبة العباسية، ولما بلغ نجاحاً ما فَعَله نفيس في مواليه، استنفر الناس وجمع العرب على باب زبيد، واستولى نجاح على زبيد سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، وقال نجاح [لمرجان]: ما فعل مواليك وموالينا؟ قال: هم في ذلك الجدار، فأخرجهما وصلَّى عليهما، وأعاد مرجان في موضعهما وبنى عليه حيّاً، وركب بالمظلة وضرب السِّكَّة، وكاتب أهل العراق، وبذل لهم الطاعة.

وقد كان حين توفي الحسين بن سلامة واختلف عبيده، هرب مُلوك الجبال من سِجنه، ولحقوا ببلادهم، فغلب بنو معن على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت، وغلب بنو الكرَنْدِي وهم قوم من حِمْير، كانت لهم سلطنة ومكارم ظاهرة على السَّوا[5] والسَّمدان[6] والدَّملوه، وحصن صبر، وحصن ذخر، والتعكر ومخاليفها المعافرية والجَنَدِيّة والجعفرية، وتغلب على حب[7] وحِصْن الشِعْر[8] رجل يُعرف بالحسين بن

(1) في (المطبوعة): «وهما حيان يناشدانه الله حتى ختم عليهما».
(2) (المطبوعة): «امتي سنة وثلاث وستين سنة».
(3) المفيد لعمارة ص٧٦.
(4) (الأصل): «امانعاً».
(5) السواء: عزلة كبيرة من ناحية المواسط وأعمال الحجرية.
(6) حصن شامخ في بلد الرجاعية من المعافر بالغرب من تربة ذبحان بمسافة ١٥كم.
(7) حب: حصن من عزلة سير في بعدان.
(8) الشعر: بكسر الشين ناحية تابعة لقضاء النادرة.

التبعي، وبنو عبد الواحد على أعمال بُرَع[1] والعمد[2]، والعسان[3]، ولم يزل نجاح مستوليًا على الأعمال التهامية، حتى ملكها الصليحي على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وقد جمعنا أخبار آل زياد ومواليهم في هذا الموضع، ولم نأت به متفرقاً على حُكم السنين ليتم فائدته، ونجيء بذكر من مَلِك منهم بعد الصليحيين في موضعِه إن شاء الله تعالى.

ولنعد إلى ذكر من ولي صنعاء وأعمالها بعد الجلودي. قيل: إنه استخلف رَجَلاً حين أشخص إلى العراق، رَجَلٌ يقال لَهُ: حصن بن المنهال، فأقام حتى قَدِم عليه إبراهيم الإفريقي وهو رَجل من بني شيبان من ربيعة، فأقام على اليمن مدَّة ثم عزله بنعيم بن الوضَّاح الأزدي والمظفَّر بن يحيى الكندي اشتركا في العمل، فقدما صنعاء [في صفر][4] ـ سنة ست ومئتين، وسار المُظَّفر، فجبى الجَنَد ومخاليفها وأقام بها مدّة، ورجع إلى صنعاء فمات بعد أيَّام من رِجوعه، فصار الأمر جميعه إلى نعيم، فمكث حتى عُزل بمحمد بن عبد الله بن محزب مولى المأمون، فقدم اليمن سنة ثمان ومئتين، وأمر ابناً له يُقال له: أبو الحميد نحو الجند ومخاليفها، فَجباها، ولم يَلْبث ابن مُحزب[5] ـ أن شغب عليه الجُنْد، وكان في ولايته ضُعْف، فخرج نحو الحجاز، واستخلف عباد[6] بن الغمر الشهابي، فأقام حتى قَدِم إسحاق ابن العباس بن

---

(١) برع: جبل شامخ شهير بالشرق من مدينة الحديدة.

(٢) اسم لعدة مواضع في اليمن.

(٣) في (المطبوعة): «نعمان، ولعسان: من تهامة».

(٤) ساقط من (الأصل) المخطوط.

(٥) في (المطبوعة): «محرز» أصلحه من تاريخ اليمن للواسعي، وكذا في غاية الأماني ص١٥٢، واللطائف السنية ص٩، وسائر المراجع، قلت: أوردناه هنا على أصله لوروده هكذا في الأصلين المطبوع والمخطوط.

(٦) (العسجد): «العماد».

محمد بن علي بن عبد الله بن العبَّاس اليمن وهي ولايته الثانية، وكان قدومه آخر رجب سنة تسع [ومئتين] فأساء السيرة، وظَلَم الناس وغشمهم، وظهرت منه أخلاق فَظَّة غليظة، ونال اليمانية كل منال، وتعصّب عليهم تعصُّباً لم يفعله أحدٌ قبله، حتى كان لا يسأل أحَدٌ فينسب إليهم إلا ضَرَب عنقه، حتى كان من سأله بعد ذلك عن نَسبه قال: مولى بني العباس، ولم يذكر لحميرٍ ذكراً ولا اسْماً[١] حتى أمر بقلع الخوخ الحميري، ممَّا أسرف عليهم في التحامل، وكان أيضاً يوسّط النَّاس، وفي فِعْله يقول بعض الشعراء[٢]:

لله دِرُّك يـا إسـحـاق مـن رَجـلٍ   يَسْمو بذكرك عباس على الناس
تركت حمير لمَّا أن سَمَوت لها   بحدِ سيفك صَرْعى رهن أرماس
ضربت أعناقهم صَبراً وكنت لها   لمَّا بدا لك منها الداء كالآسي
طوراً وطوراً تِسِل المشرفي لها   بضربك الوسط بعد الضرب في الرأس

ولم يزل كذلك حتى مات سنة ست عشرة ومئتين، وقيل: أنَّ أهل صنعاء شكوه إلى المأمون، فأمر بإشخاصه، فلمَّا مثَّل بين يديه قال له: ضع يدك على رأسي، فلمَّا وَضَع يده قال: قُل وحياة رأسك لا ضربت عُنقاً [فقالها][٣] فقال: عُدْ إلى عملك، فقيل: إنَّه [إنما] وسط الناس[٤] بعد عودته حين أقسم من ضَرْب الأعناق، وكانت الزلزلة العظيمة بصنعاء في أيَّامه سنة اثنتي عشرة ومئتين[٥]، وكان إسحاق قد استخلف على صنعاء وعلى عمله ابنه يعقوب، فحاربه [الجند][٦] وأهل صنعاء، وسار

(١) (المطبوعة): «ارسما».
(٢) انظرها في (كنز الأخيار) ص٤٩.
(٣) ساقط من (الأصل)، وما أثبتناه في (كنز الأخيار).
(٤) تاريخ صنعاء لابن جرير ص٦٣.
(٥) في (الأصل): «الرأس»، والإصلاح من المطبوعة و(كنز الأخيار).
(٦) «الجند»: ساقطة من (كنز الأخيار).

إلى ذمار، وقَدم على صنعاء من قبل المأمون، عبد الله بن عبيد الله بن العباس الهاشمي، فأقام بها حتى توفي المأمون سنة ثماني عشرة ومئتين، فلحق عبد الله بالعراق، واستخلف عباد بن الغمر الشهابي، وبايع الناس للمعتصم أبو إسحاق بن الرشيد، فأقر[1] الغمر سنتين، ثم ولّى المعتصم صنعاء ومخاليفها عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي، فقدم صنعاء آخر المحرَّم سنة إحدى وعشرين ومئتين، فأقام مُدّة، وحبس عباد بن الغمر الشهابي، وابنه عند يعفر بن عبد الرحيم الحوالي، وعزل عبد الرحيم، بجعفر بن دينار مَوْلى المعتصم، فَقَدَّم خليفة له يُقال له منصور بن عبد الرحمن التَّنُوخي، في صفر سنة خمس وعشرين، فضبط البلد، ووجّه عماله، ثم قدم عليه عبد الله بن محمد بن ماهان[2] وقد أُشرك مع جعفر في الولاية، فأقام منصور وقَتاً، ثم عُزل جعفر بأيتاخ[3] التركي مُولى المعتصم، فأقر منصوراً وعبد الله على عملهما، ومات المعتصم [سنة ست وعشرين ومئتين][4]، وَوَلي الواثق، فأقرَّ أيتاخ على اليمن، فوجّه أبا العلاء أحمد بن العلاء العامري، فلمّا وصل صَعْدَة، أرسَل يعفر الحوالي إلى غُلامه طريف بن ثابت نحو صنعاء في عسكر، فخرج إليه من فيها من الجنْد مع منصور بن عبد الرحمن، الذي كان خليفة لجعفر بن دينار، فقاتلوا[5] يعفر فهزموه وقتلوا من موالي يعفر ألف رَجُل، وأسروا أسارى[6] ضَرَب منصور أعناقهم، وقدم أبو العلاء صنعاء بعد الوقعة بأيام، فأقام بها حتى تُوفي، واستخلف أخَاه عمر بن العلاء،

---

(١) (الكنز) و(المطبوعة) ص٤٩: «أمر».

(٢) في (الأصل): «هامان».

(٣) يرد اسمه في (كنز الأخيار): «إيتياخ - بيائين».

(٤) زيادة من (كنز الأخيار).

(٥) (الكنز) و(المطبوعة) ص٥٠: «بعصر».

(٦) في المطبوعة: «أسرى»، وفي (كنز الأخيار): «وأسروا مثلهم».

فأقام والياً حتى ولى أيتاخ هُرثمة بن البشير، مولى المعتصم، فورد كتاب هُرثمة على منصور بن عبد الرحمن يستخلفه، وقدم هرثمة سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، فأقام أيَّاماً وخرج لمحاربة يعفر بن عبد الرحمن، وهو بشبام، فحط [المتصل][1] أسفل وادي ضلع[2]، فأقام محارباً ليعفر وقتاً، ثم عاد، وعزل الواثق أيتاخ عن اليمن، وولاه جعفر بن دينار، مولاهم، فقدم وحاصر [يعفر][3] مُدة وعاد إلى صنعاء [ثم خرج ثانية لحرب يعفر، فأقام حتى بلغه موت الواثق سنة مئتين واثنتين وثلاثين ٢٣٢هـ، وعاد إلى صنعاء][4]، فأقام بها سنة، وسار نحو العراق، واستخلف ابنه محمداً وانتهت ولاية الواثق ولم يزل على ولايته من المتوكل حتى قُتل المتوكل واستخلف المستعين سنة سَبْع[5]، وأربعين فأقره، وكان في ولايته تخليطٌ وضُعْفٌ وقتاً[6].

ثم خلع المستعين وولي المعتز، وخلع وقُتل وهو على ولايته، حتى استخلف المعتمد في سنة ثمان وخمسين ومئتين، وخُلع وأموره كلها بيد أخيه أبي محمد الموفق كما عرف في تاريخ بني العبَّاس، فوردت كتب إلى أحمد علي بن محمد بن يعفر بولاية اليمن فوجَّه عُمَاله على المخاليف وفتح حضرموت، وكانت قد مُنِعت[7] على من قبله، ثم إنّه استخلف في سنة اثنتين وستين ومائتين في ذي الحجة على عمله ابنه إبراهيم بن محمد وحج وجُدد له عهده من أبي أحمد الموفق، وفي سنة

---

(١) هذه اللفظة تفردت بها نسختنا، ولم نجدها في المطبوعة، ولا في (كنز الأخيار).
(٢) ضلع أو ضلاع: إحدى متنزهات صنعاء الغربية بمسافة ٥كم.
(٣) ساقط من (الأصل)، والزيادة من (كنز الأخيار).
(٤) ساقط من (الأصل)، والزيادة من (كنز الأخيار).
(٥) في (الأصل): «تسع بتقديم التاء» والإصلاح من (كنز الأخيار).
(٦) كذا في (الأصل)، ولم نجد هذه اللفظة في مصدر آخر.
(٧) (الكنز): «امتنعت».

اثنتين وستين بذي الحجة نزل بصنعاء سيل عظيم وهو السيل الثاني، وكان معظمه في السرار[1] وتلف[2] عالم كثير وأموال جمة، وقيل: إن عدّة الدور التي خربت ستة آلاف دار، وقيل: ألف دار ومئتي دار، واستمر إبراهيم على ولايته إلى سنة تسعين[3] ومئتين، وأمره جدّه يعفر بقتل ولديه محمد وأحمد ابني يعفر، فَقُتلا بعد المغرب في صومعة[4] مسجد شبام، فانتشرت الأمور على يعفر وتفرقت عليه وخالف عليه المفضَّل[5] بن يُونس المُرادي بالجوف، وولد طريف (غُلامه) بيحصب ورعين، والمكرمان ببيحان ومالوا إلى جعفر بن إبراهيم المناخي، فوجّه ابن يعفر إلى المخاليف من حاربهم، فكانت سِجالاً، وَوَلّى إبراهيم محمد الدَّعام الجوفين، ثم تغير عليه الدَّعام ونَصَب له الحروب، فسارت إليه عساكر إبراهيم [ابن محمد بن يعفر][6]، فالتقوا بورور[7] فهزمَهُم الدَّعام وقتل منهم بَشراً.

وقدم عَهْد ابن أبي جعفر[8] على صنعاء ومخاليفها من ذوي الوزارتين صاعد بن مخلد[9]، وزير المعتمد، فاعتزل إبراهيم بن محمد

---

(١) السرار: واد يشق صنعاء نصفين، يقول الدكتور حسين العمري لعله السائلة المعروفة الآن وهي التي تشق صنعاء من الجنوب إلى الشمال، وشرقها صنعاء القديمة وغربها أحياء النهرين، وبستان السلطان وبئر العزب. تاريخ صنعاء ص٦٢٩.
(٢) هنا بياض قدر نصف سطر في (كنز الأخيار).
(٣) (الكنز): «سَبْعين» بتقديم السين، ومثله في (المطبوعة)، و(العسجد) ص٣٤ وهو الصواب.
(٤) الصومعة: المئذنة (معروفة).
(٥) (الكنز) (المطبوعة): «الفضل»، وفي (العسجد): «الفضل بن نفيس».
(٦) زيادة من (العسجد).
(٧) ورور: جبل في أسفل وادي شوابه من بني جبر حاشد من ناحية ذي بين يعرف اليوم بطفار داود. المقحفي ص٤٦٣.
(٨) كذا في (الأصل) و(الكنز) وفي (المطبوعة) ص٣٥، و(العسجد) ص٣٤: «يعفر».
(٩) من مشاهير الوزراء كان نصرانياً وأسلم على يد الموفق واستكتبه سنة (٢٦٥هـ)، ولقب بذي الوزارتين توفي مسجوناً سنة (٢٧٦هـ). الأعلام ١٨٧/٣.

عن الإمارة، وولّى أبو يَعفُر ابنه عبد الرحيم، فأقام بصنعاء مدة ثم عَزَله أبوه حين قَدِم صنعاء سنة ثلاث وسبعين ومئتين، واستعمل على صنعاء وُلاة كثيرة، وكان أكثر مقامة بشبام، ثم إنّه أجمع[1] أهل صنعاء وغيرهم من الأبناء، والشهابيون على عماله بصنعاء، فقاتلوهم فَقُتل منهم خَلْقٌ كثير، ثم طَردوهم ونَهبوا دار أبي يعفر وأحرقوها، ولم يلبث أبو يعفر بعد ذلك أن قُتل بشبام آخر المحرّم من سنة تسع وسبعين ومئتين، فقام بالأمر بَعْدَه عبد القاهر بن أبي يعفر أيّاماً حتى قدم من العراق علي بن الحسين المعروف بجفتم[2] في صفر من السنة عاملاً على صنعاء وأعمالها، فقاتله الدَّعام بمدينة صنعاء فهزمهم جفتم، فأقام بها إلى سنة اثنتين وثمانين ورجع إلى العراق، وكان من سيرته أنّه لا ينام الليل بل يكون قاعداً ونُوَّاب الدروب بين يديه والعسس تَخْتلف إليه، ومن له حاجة حتى يُصليّ الفجر، ثم يقعد للنَّاس إلى وقت الغداء فيتغدى مَعَه خاصته ونُوابه، ثم ينام إلى الظهر، فإن انْتبه عند الأذان، وإلا جمع الصِّبيان يكبِّرون حتى ينتبه، وكان يقول: في أهل صنعاء خصال سُوءٍ[3] منها أنَّهم يَرْجفون على أنفسهم، وسائر أهل الأمصار يرجفون لأنفسهم، ومنها أنَّ حجاماً لو خَدَم السلطان حملوه على رُؤوسهم، والناس عندنا يعظِّمون العلماء وأهل الخير، ومنها أن سعاياتهم إلى السلطان بعضهم ببعض، ومنها إهراقهم ماء سواقيهم على أبوابهم وفي شوارعهم، فلما عاد جفتم نحو العراق سار الدعَّام نحو صنعاء فدخلها ثم هَرَب منها، ورجع الأمر إلى بني يعفر ومواليهم.

ثم إن أبا العتاهية بن الرَّوية المذحجي استدعى الإمام الأعظم

---

(١) (المطبوعة): «اجتمع».

(٢) ورد في (الأصل): «بجفيم»، بالياء بعد الفاء.

(٣) (الكنز): «شوم».

الهادي][1] إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم من صعدة إلى صنعاء، فدخلها في آخر المحرَّم سنة ثمان وثمانين ومئتين، وذلك في آخر أيَّام المعتضد العباسي، فَدَعا الهادي إلى نفسه فبايعه الناس وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وكتب في الضَّرب[2]، ووجَّه عماله إلى المخاليف فَقَبضوا الأعشار، وخرج إلى يَحْصب ورعين ونواحيها، واستخلف على صنعاء أخاه عبد الله بن الحسين[3]، فأقام أيَّاماً وعاد إلى صنعاء، ثم خرج منها واستخلف ابن عمّه علي بن سُليمان على صنعاء، وكان آل يعفر وآل طريف بعضهم في سجن صنعاء وبعضهم في سِجْن شبام، فاجتمعت همدان وسواها، وقصدوا الهادي إلى شبام، فقاتلوه بها، وَوَثب من بصنعاء على نائبه، فأخرجوه، كسروا السّجن، وأخرجوا من به من آل يعفر وآل طريف، فاستولى عبد القاهر بن أبي الخير[4] بن يعفر على صنعاء، وخرج الهادي من شبام، فأقام بريدة، وبيت زود[5] شهراً، ثم عاد إلى صنعاء في جيش كثير، وجعل صاحب جيشه أبا العتاهية، فَلقيته جيوش آل يعفر بالرحبة، فهزمهم، ودخل صنعاء وانحازت آل يعفر إلى شبام، وتولى الأمر فيهم اسعد بن أبي يعفر، وابن

---

(١) ساقط من مخطوطة (الكنز).

(٢) كذا في (الأصل) وفي (المطبوع) ص٣٥، و(الكنز): «الطرر»، قلت: الطرر: جمع طرة وهي الطغراء علامة ترسم على مناشير السلطان ومسكوكاته، يدرج فيه اسمه واسم والده مع لقبه وذلك على هيئة مخصوصة.

(٣) هو: العلّامة الكبير صاحب كتاب الناسخ والمنسوخ، ويعرف بصاحب (الزعفرانة) خرج مع أخيه الهادي إلى اليمن. انظر: كتابنا مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص١٥.

(٤) في (المطبوعة): «الحسين»، أصلحه من عنده، وما جاء هنا في (الأصل) و(الكنز) و(العسجد) ص٣٥.

(٥) بيت زود قرية من ناحة خارف، وهي بالغرب من (ربدة). قلت: وردت في الأصل دون إعجام.

عمه عثمان بن أبي الخير، فأقامت الحرب بينهم سجالاً مُدَّة، والنَّاس في ضِيْق من العيش وانقطاع من الطرق، ثم رجع الهادي إلى صعدة في جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين، فعادت صنعاء إلى آل يعفر، ودخلها مولاهم إبراهيم بن خلف، وصالح أبا العشيرة[1] بن الرَّوية، على أن مخاليف مذحج في جميع اليمن إليه.

وَلَمَّا توفي المعتضد سنة تسع وثمانين، وولَّى ولده المكتفي، وليَّ اليمن نجح بن نجاح[2]، فوردت كُتبه عَلَى عثمان بن أبي الخير وأسعد بن يعفر، بتَجديد ولايتهما، وفي ذلك الوقت، اشتد القحط باليمن، ومات أكثر الناس جوعاً، وأكل الناس بعضهم بعضاً، وخُرِّبت قرى كثيرة. ثم قدم جفتم المرَّة الثانية، والياً على اليمن، فلمَّا صار بأرتل[3] قرية من حازة بني شهاب، خرج إليه جراح، وإبراهيم بن خَلَف كالمسلِّمين عليه والمسلِّمين الأمر إليه، فقبضا عليه، وصار جيشه إليهما، وكان حبسه في قرية ظَهر[4]، ثم احتال فخرج وصار إلى صنعاء، فالتف إليه الجُنْد الذين بها وأصحابه الذين وصلوا معه، وأسَعَد وعثمان يغدوان إليه في كل يوم يُصبِّحانه[5]، ويسألهما تَسْلِيم الأمر إليه، فاستنظراه أيَّاماً، فَجمع أصحابه، وكَبَس عليهما، فأرادا الهرب فَلم يُمَكنهما، وخرجا في مواليهما ومن التف معهما من أهل صنعاء [فقاتلاه][6] فقُتل في نَفر من

---

(١) (الكنز): «العبرة».

(٢) في (الأصل): «الحج بن لحجاج»، وما أوردناه من (المطبوعة) و(العسجد) ص٣٥، وفي (الكنز): «اعج».

(٣) (المطبوعة): «يازل»، و«أرتل»: بفتح الهمز وسكون الراء قريةً في الجنوب الغربي من مدينة صنعاء. معجم البلدان والقبائل اليمنية: ص٥٠.

(٤) عبارة (الكنز): «فقبضا عليه وحبساه».

(٥) كذا في (الأصل) وفي (المطبوعة) سقطت هذه اللفظة، وفي (الكنز) موضع «يصبحانه: أصحابه» وكذا في (العسجد) ص٥٣.

(٦) زيادة من (المطبوعة).

أصحابه، ومال الجيش إليهما، وأكل قوم من أهل صنعاء من لحم جفتم[1]. ثم إن أسعد وثَب على ابن عمه عُثمان، واستبد بالأمر إلى سنة ثلاث وتسعين.

ودخل علي بن الفضل القرمطي صنعاء، فانحاز منه إلى بلاد قدوم[2]، ونحن نذكر مبدأ[3] امره، وأمره المنصور صاحب مسور، وصورة دخولهما إلى اليمن داعيين لعبد الله المهدي. أما المنصور فأصله من الكوفة، واسمُه الحسن بن زادان[4]، ينسب إلى ولد عقيل بن أبي طالب، ولا يعرف الطّالبيون[5] له نسباً، وأمّا علي بن الفضل فمن أهل اليمن من حمير، من ولد ذي جدن، وكانا جميعاً ينتحلان مذهب الاثنتي عشريَّة، فاتفق أن [علي بن][6] الفضل، حجَّ، وزار قبر الحسين، فبكى عنده وترَّحم، واستغفر، وأظهر الأسف العظيم والحُزن، [ووالده عبد الله المهدي يومئذٍ وولده][7] عبيد الله القائم بإفريقية وأول من ملك مِنْهُم، فتفرَّس والد المهدي وكان مُنجماً فلكياً، فرأى أنه سيكون له شأن، ثم خاطبه وحادثه فَوجده قريب الميل إلى ما يُريد، فأخذ عليه العُهود وأظهر له مذهبه، وكان أيضاً تفرَّس في المنصور ما تفرَّس في ابن فضل، ودعاه فأجابه، فجمعه وابن الفضل وعرَّفهما: بأنكما ستملكان، ويكون لَكُما شأن عظيم، وقال لهما: «الدين يمانٍ والكعبةُ يمانية»، وكل أمرٍ يكون مبتدأه من قِبل اليمن، فإنه سَيَكون ثابتاً لثبوت

---

(١) كأنهم اغتابوه.

(٢) قدوم: أظنها قدم بلاد جنوبي حجة.

(٣) (الكنز): «مبتدأ».

(٤) (الكنز): «دادان».

(٥) عبارة صاحب (الكنز): «ولا يعرف أصحابنا له نسباً».

(٦) ساقط من (الأصل).

(٧) عبارة (الكنز): «وميمون القداح يومئذٍ وولده عبيد القائم بإفريقية إلخ».

نجم اليمن، فاخرجا إلى اليمن، حين آمركما، وادْعُوا لي ولولدي - يَعْني عبيداً - فيكون له ولذريته عِزّ وسلطان، فأقاما عِنْده حتى أمرهما بالمسير، فَسَارا، فدخلا اليمن بعد قتل محمد بن يعفر، واختلاف آل يَعْفُر، فقصد المنصور عدن لاعة[1]، وقد أمَره المهدي بذلك، وقصد علي بن فضل سَرْو يافع، فأقام كل واحد منهما في جهة يُظهر الزُهْد والورع والصلاح، حتى اجتمع[2] أهل المغرب على المنصور، وأهل المشرق عَلَى ابن فضل، فصاروا لا يخالِفُونَهما في أمرٍ لَمَّا ظَهرَ مِنْ صلاحهما.

[ثم نبتدىء من ها هنا ما كان من ظُهُور المنصور، وعَلي بن فضل][3].

فأول ما فعل المنصور أن [أمر][4] أهل المغارب، بجمع زكواتِهم، واسْتعمل عليها[5] الثقات، فَلَّما اجتمع منهم الكثير، قال: قد رأيت أن تبنوا موضِعاً منيْعاً يكون فيه بيت مال المسلمين؛ فسارعوا إلى قوله وبنوا موضعاً يُقال له: عين[6] محرَّم، موضِع بني العِرجي، تحت مَسْور، فَلمَّا حَصَّنَه نَقَل إليه كل ما يحتاج إليه، وَصَار فيه في خمس مئةُ من وجوه أصحابه، بِحَريمهم، وأموالهم، وأنكر النَّاس ذلك، واجتمعوا وقَصَدوه، فقال: إنَّما تحصَّنت من السُّلطان، فَلَم يقبلوا قوله، فقاتلوه فهزمَهُم، وقتل مِنْهم بشَراً كثيراً، فَعظُم شأنه، وشَاعَ ذِكْرَه في البلدان، وبَلَغ المتقدِّم في الأمر من بني يَعْفُر، فَكتب إلى العشائر حَوْله يحرِّضْهم عليه، فقاتلوه مراراً في كلِّها ينتصِر عليهم، وعَمِل لنفِيه طبولاً ورايات، وأظهر

---

(١) عدن لاعة: قرية بجنوب بني العوام في بلاد حجة.

(٢) (الكنز): «أجمع».

(٣) من زيادات المؤلف على (الكنز).

(٤) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز).

(٥) الأصل: عليه والإصلاح من (الكنز).

(٦) في (الأصل): «عنبر»، والإصلاح من (الكنز) و(العسجد) ص٣٦.

مَذْهبه ودَعا إلى المهدي عبد الله، وقال للناس: ـ ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا رجالي، وإنَّما أنا داعي المهدي الذي بشر به النبي ﷺ فانهمك إليه عامة الناس ودخلوا في مذهبه، ثم سمت به همته إلى ارتكاب جبل مَسْوَر، فأعدَّ له الرجال والعُدَد، وعامل عشرين رجلاً من خمس مئة مُرَتبين في حِصْن بيت فايش[1] من قبل الحوالي[2]، فتسلق[3] الجبل في جموعِهم، وفَتَح له أولئك العشرون، فقال: ادخلوها بسلام آمنين، وقال: ـ اخرجوا مِنْها فإنَّا داخلون، وأمَّن مُستحفظ الحِصْن ومن مَعَه، وكان معه مال الحواليين فلم يعرض له، وكان طُلُوعه مَسْور في ثلاثة آلاف رَجُل، وكانت طُبوله ثلاثون طَبْلاً، [وإذا ضُرِبَتْ سُمِعَتْ إلى المواضِع البعيدة من المغرب][4]، وعَمَر ريب[5]، وجَعَله دار الإمارة وحَصَّنَه، وحَصَّن سائِر الجبل ودرَّبه[6] من كل ناحية، وجَعل له بابين، ولَمْ تزل عساكِرُه تُغيْر على القبائل حَوْله حتى أبادهم، وأخذ أموالهم، وملك جميع مخاليف المغرب، وسار إلى بَلْد بني شاور[7]، فاستفتحها، ثُم خرج إلى ناحية شبام فحارَبْ بني[8] حَوَّال فكسَروه[9] في عَسْكره وقتلوا من أصحابه جَماعة، وانهزم المنصور، ثُمَّ عَامَل رجُلاً من

---

(١) بيت فائش: قرية من ناحية مسور المنتاب. معجم بلدان اليمن للحجري ص٦٣١.

(٢) (الأصل): «الخوارج»، والإصلاح من (الكنز) وفي (المطبوعة) أسقط النويري أغلب خبر القرامطة الوارد في كتابنا هذا.

(٣) (الأصل): «فتسلق».

(٤) من زيادات المؤلف على (الكنز).

(٥) بيت ريب قرية من نواحي مسور وأعمال حجة. الحجري ص٣٧٤.

(٦) درّبه: جعل له درباً؛ أي: سوراً.

(٧) بنو شاور: بطن من حاشد، وبلدة من نواحي حجة. الحجري ص٤٤١.

(٨) في (الأصل): «اليسر»، خطأ، وفي (العسجد): «الشرق»، ووردت مطموسة في (الكنز) و(الإصلاح) من قرة العيون لابن الديبع ١/١٨٩.

(٩) (الكنز): «كبسوه».

مواليهم، كان مستحفظاً على حِصْن ضلع، فأوقع ببني حَوَّال فهزمهم، وغَنِمَ جميع ما كان لهم بشبام، فَنقَله إلى مَسْور، ثم خَالَف عليه ذلك المولى، ونَدِم على ما فَعل، واستَدْعَى العساكر من صنعاء فَكسروهم[1] إلى شبام، وخَرَج منهزماً إلى مَسْور وتَرَك كُل ما كان له، وكَتَب إلى المهدي وَوَلده [عبيد][2] يخبرهما بما فَتَح من البلاد، وبَعث بهدايا من طرف اليمن سَنَه تِسْعين ومئتين.

وأمَّا علي بن الفضل، فَلَمَّا تَمَّ له من طاعة يافع ما يرُيدَه، كان قد أقام برأس جبل متخلّياً بِزعمه للعبادة، وكان يُريَهُم أنّه يَصوم النَّهار، ويَقُوم اللَّيل، فأحبُّوه، وافتتنوا به، وجعلوا أمُورهم بيده، وسألوه أن يَنْزل من ذلك الجبل، ويَسْكن مَعَهُم، فقال: لا أفعل حتى تُعْطوني العُهود على ترك المعاصي، وشُرْب الخمر، والظُّلم وَغَيْره، وتنكروا على أهل المعاصي، فأجابوا إلى ذلك، فأمرهم بعمارة حصن في ناحية السَّرو[3]، فَفَعلُوا فأنهبهم أطراف البلد، وأراهم أن ذلك جهاداً للعاصِيْن حتى يدخلوا في دِيْنِ الله طَوعاً أو كرهاً، وكان يومئذٍ بأبين[4] ولحج، رَجُلٌ يُعْرفُ بابن أبي العلاء مالكهما، وجَعفر بن إبراهيم المناخي بيده مِخْلاف جعفر، وبلد[5] المعافر التي بين[6] ذبحان وجبا ومخلاف الجند وما يليهما، فأمر ابن فضل أهله[7] بالغارة على ابن العلاء، فكانوا يهزمون جيوشه ويتخطفون أطراف بلاده، وكان بين

---

(١) (الكنز): «فكبسوه».

(٢) زيادة من (الكنز).

(٣) (الكنز) و(المطبوعة) ص٥٧: «المشرق».

(٤) (الكنز): «بخنفر أبين».

(٥) (الكنز): «وقلد».

(٦) (الكنز): «الذي هي».

(٧) (الكنز): «أصحابه».

المناخي [وابن][1] أبي العلاء شحناء[2] عظيمة، فكتب المناخي إلى ابن فضل بالممالأة على بن أبي العلاء، فأجابه إلى ذلك، وبعث المناخي إليه جيشاً، وتعاقدا على أنّ ما يفتتحان من بلدٍ بينهما نصفين.

فخرج ابن فَضْل لحرْب ابن أبي العلاء بقبائل يافع وعسكر المناخي، فهزمهم ابن أبي العلاء وقتل منهم خلقاً كثيراً، ولمّا صار ابن فَضْل بصهيب[3] مُنهزماً قال لأصحابه: إنّي أرى رأياً صائباً، إنّ القوم قد أمنوا منّا وارى أن نَهجم عليهم، فإنّا نظْفُر بهم، وسار[4] بهم فلم يَشْعر ابن أبي العلاء إلّا وهو معه بخنفر[5]، فقتلهم وعسكرهم واستباح ما كان لهم، وأخذ من خزانة ابن أبي العلاء تسْعين بِدْرة[6]، في كلِّ بِدْرة عشرة آلاف درهم، وعاد إلى بلد يافع، فعظُم شأنه وشاع ذكره، وبَلغ المناخي، فَنَدم على معاضدته وخَافه على نَفْسه، وسأله قِسْمة ما أخذ مِنْ خنفر، فَجَمَع ابن فضل القبائل والعساكر، وقال[7]: هذا رسولُ جَعْفر لِقِسْمَة ما حَصَلَ وقد أحضَرتُكُم فاشهدوا على تسليمه، وأحضر المال وسَلَّم إلى السفير[8] نِصْفَه، فلمّا كان اللّيل طَلَب السّفير واستعاد منه الذي سَلَّمه إليه، وقال: انصرف من ساعتك وقُل لصاحبك يستعد لحربي، وكتب معه إلى المناخي ما معناه: «بلغني ما أنت عليه من ظُلْم المسلمين وأخذ أموالهم بغير حقّ، وإنّما قُمت لإزالة الباطل وإقامة

---

(١) ساقط من (الأصل): وأضفناه من (الكنز).
(٢) في (الأصل): «جيوشاً»، وأصلحنا من (الكنز).
(٣) صهيب: بلد في الجنوب الشرقي من الضالع.
(٤) كذا في (الأصل) وفي (الكنز): «وساعدوه».
(٥) خنفر: مدينة خربة وسط أبين.
(٦) البدرة: صرة من المال.
(٧) كذا في (الأصل) وفي (الكنز): «فأحضروا رسول المناخي وقال هذا إلخ...) قلت: لعله سقط من (الأصل).
(٨) (الكنز): «الثقة».

الحقّ، وادفع لأهل دلال[1] ديةَ ما قطعت من أيديهم[2]، وكان جعفر قد قطع منهم على حجر بالمذيخرة ثلاث مئة يد، فبقي أثر الدّم [زماناً طويلاً][3] على تلك الحجر.

ثُمّ إن ابن فضل جمع جموعه، وسار نحو المعافِر في العام القابل، فجمع جعفر المناخي نحو ألف فارس، وسار نحوه وقد أمر بلزم نقيل البردان[4] الذي تحت التعكر[5]، فهزم ابن فضل، فعاد إلى يافع، وجَمع جموعه، وسار نحو المناخي إلى المذيخرة، وهي مستقر مُلكه، فانهزم منه إلى تهامة، واستولى ابن فضل على المذيخرة، واستَمد جعفر بصاحب تهامة، فأمدّه بجيش عظيم، فلَمَّا قارب ابن فضل كبسه[6] في اللّيل، فقتل جعفراً، واستباح عسكره، واستولى على بلده، ثم قصدَ إلى يحصب فَدخل منكث[7]، فأخربها، فلمّا صار بذمار وجد الحوالي بهرّان جيشاً عظيماً، فاستمال الحوالي[8] بهرّان[9]، ودخله إلى مِلّته، ثم قَصد صنعاء فانهزم منه أسعد بن أبي يعفر الحوالي كما قدّمنا، فلمّا صار ابن فضل هُناك[10] أظهر دينه الخبيث، ومذهبه القبيح، وارتكب محظورات الشرع، وادَّع النّبوة، وكان يؤذّن في

---

(١) دِلال: من قرى عنس وأعمال ذمار.
(٢) (الكنز): «أموالهم».
(٣) من زيادة المؤلف على (الكنز).
(٤) في (العسجد) ص٣٩ و(الكنز): «الثروات»، وضبط موضعه كما هو هنا.
(٥) في (الكنز): «الدعكر»، وهو جبل يقع في مخلاف جعفر يطلّ على وادي ظبا من الجنوب ومخلاف الجند فصبر.
(٦) (الكنز): «السؤال».
(٧) منكث: قرية في حقل يحصب من بلاد يريم.
(٨) (الكنز): «السؤال».
(٩) هرّان: حصن معروف في مدينة ذمار.
(١٠) (الكنز): «بصنعاء».

محطته: نشهد أنَّ علي بن فضل رسول الله، وفي ذلك يقول الشاعر من أهل الوقت[1] الأبيات المشهورة:

خُذي الدّف يا هذه واضربي ... وغَنّي هزاريك ثم أطربي
تَولى نبيّ بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب
لكلّ نبي مضى شرعة ... وهذي شريعة هذا النبي
فقد حطَّ عنّا فروض الصّلاة ... وحطَّ الصّيام ولم يتعب
إذا النَّاس صلُّوا فلا تنهضي ... وإن صوّموا فَكلي واشربي
ولا تطلبي السَّعي عند الصفا ... ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين ... من الأقربين ومن أجنبي
فمن أين حُلّلت للأبعدين ... وصِرْت محرَّمةً للأب
أليس الغراس لمن ربَّه ... وأسقاه في الزمن المجدب
وما الخَمْر إلا كماء السماء ... حلالاً فقُدّست من مذهب
أحلَّ البنات مع الأمهات ... ومن فضله زاد حَلَّ الصبي

ثم التقى ابن فضل والمنصور صاحب مسور إلى شبام، فأقاما أيّاماً وابن فضل يُكبر المنصور، ويقول: إنَّما أنا سيفٌ من سيوفك، والمنصور يخافه ويهابَه لِما يَرى من شهامته، وعَزم ابن فضل على نزول تهامةَ، فَنَهاه المنصور وقال: الصَّوابُ التأنّي، وتقف بصنعاء سنة وأنا بشبام سنة حتى نُصلح أمور ما استفتحناه، فلم يقبل منه، وجمع ثلاثين ألفاً ما بين فارس وراجل، وسَار على طريق اللحب[2] حتى إذا توسَّط البلاد ومضايقها، ثاروا به ولزموا عليه الطريق، فلم يقدر على التخلّص، وبَلَغ المنصور، فجمع جموعه وسار نحوه فاستنقذه وعاد إلى صنعاء، فرَتب

---

(١) (الكنز): «شاعره فقط».

(٢) في (الأصل): «الحب»، والإصلاح من (الكنز): «واللحب من بلد الشرف من نواحي حجة».

بها، وسار إلى حراز[1] وملحان[2] ونزل المهجم[3] فقتل صاحبها، وأخذ الكدراء، وسار إلى زبيد، فهجم على من بها فقتلهم واستباحهم، وسَبى من زبيد أربعة آلاف عذراء، [وصاحب زبيد إذ ذاك قيس[4] بن زياد][5]، ثم خرج منها، فلمَّا صار بموضع يُسمّى الملاحيظ جمع جنده وقال: إن هؤلاء النّسوان يشغلنكم عن الجهاد، ونساء الخصيب فتنة فاذبحوا[6] ما في أيديكم منها. قال صاحب التاريخ[7]: فذبح اربعة آلاف عذراء في ساعة واحدة، ثم سمَّى الملاحيظ: المشاحِيْط، ورجع إلى المذيخرة، وقد جعلها دار ملكه، وأمر بقطع الحج، واستدعى أهل صنعاء الهادي، فدخل صنعاء ونفى عنها القرامطة، وجهز ابنه أبا القاسم المرتضى إلى ذمار ومخاليفها، واستعمل العمال. ثم تعاظم أمر القرامطة، وجمعوا جموعهم، وقصدوا لابن الهادي، فلحق بأبيه بصنعاء، وذلك في سنة أربع وتسعين.

ثم إن موالي يعفر [الحسن][8] بن كبالة، وابن جَرَّاح جمعوا جموعهم لحرب الهادي، ورأى خذلان أهل صنعاء، فخرج إلى صعدة، ودخل أسعد بن يعفر صنعاء، ثم إن ذا الطوق اليافعي، أَحَدُ قُواد ابن فضل، وقَصد ابن الرَّوية إلى ذمار، فهرب منه إلى رداع، وجمع عشيرته، فقصده ذو الطوق فقتله، وسار نحو صنعاء، حتى إذا بلغ قرية

(١) من مخاليف اليمن الكبرى يقع غرب صنعاء ويضم عدة بلدان.

(٢) بكسر الميم، بلد يقع شمالي حراز ويشرف على المهجم الآتي.

(٣) من مدن تهامة، تقع شرق الزيدية على وادي سردد.

(٤) كذا عند المؤلف، صوابه: إسحاق بن إبراهيم بن زياد كما هو مذكور في (العسجد) ص٤٠.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من المؤلف على (الكنز).

(٦) (الكنز): «فاذكوا».

(٧) يعني الشريف إدريس بن علي الحمزي، صاحب كنز الأخيار السابق ذكره.

(٨) ساقط من (الأصل).

مَحيب[1] بمارب صنعاء، قصده أسعد إلى هنالك فقاتله ذو الطوق صنعاء، فاستدعى أهل صنعاء بالهادي، فصدر مقدمة عليهم علي بن جعفر العلوي، والدَّعام بن إبراهيم، وسار[2] بعدهم ابنه المرتضى، فهربت القرامطة من صنعاء [فأقام بها المرتضى زماناً حتى جاءته القرامطة بما لا قبل له به فخرج من صنعاء][3]، وخرج معه خلق كثير من أهلها، فوافى الهادي بوَرْوَر، وانتشرت القرامطة في البلاد، وعاد الهادي إلى صعدة، ولم يلبث أن مات سنة ثمان وتسعين ومئتين، بعد أن أوقع بالقرامطة سبعين وقعة، ولمَّا انتشروا في البلاد، جَمَع آل يعفر ومواليهم ومن قدروا عليه، وقصدوا من في صنعاء، فقتلوا بعضهم وانهزم الباقون إلى ضهر [فساروا بعدهم][4] فنفوهم[5] وقتلوا من قدروا عليهم، وعاد أسعد إلى صنعاء.

فلمَّا كان سنة تسع وتسعين، قَصَد علي بن الفضل نحو صنعاء، فهرب منه أسعد ورتَّب فيها علي بن الفضل، وخرج لحرب المنصور صاحب مسور، وقد اختلفا حين استبد[6] علي بن الفضل بالدعوة ولم يذكر المهدي عبيد الله[7] وابنه، وذكَّره المنصور حقوقهما، وإنما هما نعمةٌ من نعمهم، فلم يلتفت إليه[8] وحصره ابن فضل ببيت ذخار أشهراً، ثم انصرف عنه ابن الفضل [في رمضان][9] من السنة، فأقام بصنعاء

---

(١) عبارة (الكنز): «حتى إذا بلغ محيب مغارب صنعاء». قلت: محيب من قرى بني معطر عزلة بني الراعي.

(٢) (الكنز): «وسَيَّر».

(٣) زيادة من (الكنز).

(٤) زيادة من (الكنز).

(٥) (الكنز): «فثقفوهم».

(٦) في (الأصل): «استدعا الفضل»، والإصلاح من (الكنز).

(٧) في (كنز الأخيار): «برد بالقداح».

(٨) في (الأصل): «يلتفوا إليهم»، والإصلاح من (الكنز).

(٩) ساقط من (الأصل)، والزيادة من (الكنز).

أيَّاماً، وكان ابن أبي يعفر، ومولاهم الحسن بن كبالة بذمار، فَلمَّا توجَّه ابن الفضل نحو المذيخرة، وثب أسعد على ابن كبالة فقتله، وصَالَح ابن فضل، فَولاه صنعاء وخَطَب له، ولَبس الثياب البيض، وقَطَع ذكر بني العبَّاس، وتراجَع أهل صنعاء إليها، وأمن الناس وتوفي ابن فضل الخبيث بالمذيخرة سنة ثلاث وثلاث مئة، احتال عليه طبيب وقد احتاج إلى الفصاد، فلمَّا حَضَر بين يديه جرَّده من ثيابه وغسل المفصد وهو ينظر، وقد جعل الطبيب السمَّ في شعر رأسه، فلمَّا غَسَل مفصده مَسَحهُ برأسه؛ كالمجفف له فعلق فيه وقتل الملعون وكفى الله شرَّه، فاجتمعت له رؤساء اليمن مع الحوالي وقصدوا مذيخرة وحصرها سنة ورماها بالمجانيق حتى تسلَّمها وسَبى منها بنات علي بن فضل ففرَّقها في رؤساء العرب[1].

وقام الناصر أحمد الهادي بعد موت أبيه واعتزال أخيه، فاستولى على أكثر اليمن الأعلى، وقدم عدن في ثمانين ألفاً فيها أربعون ألف قوس، ومات سنة اثنتين وعشرين[2]، [وثلاث مئة، ولم يزل أسعد بن أبي يعفر الحاكم على صنعاء ومخاليفها إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة، ومات بحصن كحلان، فأقام به مدة، ثم حمل في تابوته إلى شاهرة[3]، وهي الحضرة التي أوقفها على الجامع بصنعاء، فبلغ[4] ودفن هنالك ولم تزل صنعاء بيد بني يعفر ومواليهم مع كثرة اختلافهم وقيام من قام عليهم بسبب ذلك إلى سنة أربع وأربعين وثلاث مئة.

ووصل المختار بن الناصر بن الهادي إلى ريدة، فخرج من صنعاء من بني الضحاك، فولّاها المختار أبا القاسم بن يحيى بن خلف، ولم

---

(١) في (الكنز): «الناس».

(٢) من هنا يبتدء النقص في مخطوطتنا فاستكملناه من كتاب (كنز الأخيار). (مخطوطة المتحف البريطاني) والمطبوعة: ٦١.

(٣) شاهرة: من ضلاع غربي صنعاء.

(٤) كذا في (الكنز).

يلبث الضحاك أن غدر بالمختار وأصحابه، وحبسه في قصر ريدة في صفر سنة خمس وأربعين، فأقام بالحبس إلى شوال من السنة وقتله، وكان علي بن وردان[1] من موالي آل يعفر قد غلب على صنعاء، وثار الأسمر يوسف بن أبي الفتوح فقامت معه قومه خولان، واحتل بلدة مَسْور المشرق، وإلى الآن ينسب مسور إليهم، فعارض بني يعفر وبني الضحاك وموالي آل يعفر فقصدوه وهو بخدار[2]، فهزموهم، وقَتَل من همدان خلقاً كثيراً، ومات ابن وردان سنة خمسين وثلاث مئة، وقد استخلف أخاه سابوراً، فقام بالأمر، وصار الضحاك معه كما صار مع أخيه، فقصدوا[3] ابن أبي الفتوح إلى بلد خولان، فلم يظفروا منه بشيء، فعاد الضحاك إلى صنعاء وسار سابور يريد ذخار، فلحقه الأسمر فقتله بنقيل يكلى[4] سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة، فكاتب الضحاك أبا الجيش بن زياد صاحب زبيد وخطب له بصنعاء في شوال سنة اثنتين وخمسين [وثلاث مئة]، ولما تعطلت المخاليف من يحصب ورعين، وظهر أمر السفهاء أجمع الوجوه إلى الأسمر يوسف بن أبي الفتوح، وسألوه أن يكاتب الأمير عبد الله بن قحطان بن أبي يعفر وهو يومئذٍ بشبام أن يقوم بالأمر، فخرج الأمير عبد الله إلى السِّر[5]، فأقام به مع ابن أبي الفتوح أياماً، ثم سار نحو كحلان فأقام به مدة فرجع إلى صنعاء فدخلها سنة ثلاث وخمسين [وثلاث مئة] وانهزم الضحاك منها، ولم يلبث ابن قحطان أن خرج من صنعاء فعادها الضحاك وأعاد الخطبة إلى

(١) في (الكنز): «فردان».
(٢) (العسجد): «حراز خطأ».
(٣) السلوك خمس وأربعين.
(٤) نقيل يكلى: من ناحية الحدا.
(٥) السر: وادٍ من ناحية بني حشيش.

ابن زياد ولم يستقم له أمر، وعاد أمر البلاد إلى ابن قحطان، فأقام يتردد من شبام إلى كحلان إلى سنة تسع وسبعين وثلاث مئة، وتجهز لنزول زبيد فلقيه صاحبها ابن زياد إلى حجرة حراز[1]، فاقتتلوا فكانت الدائرة على ابن زياد، وقتل من عسكره خلقٌ كثيرٌ، ودخل ابن قحطان زبيد في ربيع من السنة، فنهب دور بني زياد، ونهب العسكر زبيد أقبح نهب، وأقام بها ست أيام، وعاد نحو كحلان، وخطب للعزيز صاحب مصر، وقطع ذكر بني العباس، ثم قصد ابن بن قحطان مخلاف جعفر فملكه سنة ثمانين فأقام بإبّ، فاضطرب عليه أهل المخلاف فأمر بعمارة المنظر[2]، وتحول إليه من إبّ، وجعل أمر أَلْهَان[3] إلى أسعد بن أبي الفتوح، وأعانه على من أراد مناوءته من أمراء العرب، ومات سنة سبع وثمانين وثلثمائة، فقام بما كان عليه من بعده ولده أسعد بن عبد الله.

وكان ظهور الإمام يوسف بن يحيىٰ بن الناصر بن الهادي[4] سنة ثمان وستين وثلاثمائة، فخرج إلى نجران، ثم إلى بلد الربيعة[5]، ثم سار إلى ريدة واستخرج المختار ﷺ، فوجده على هيئته من حين قتله الضحاك، فدفنه وسار إلى صنعاء فدخلها في جماد[ى] من السنة، وخطب لنفسه، وهدم ما كان قد بني في درب صنعاء، وسار قيس بن الضحاك إلى بيت بَوْس عند قدوم الإمام صنعاء، ثم خرج الإمام إلى الرحبة، فلحقه جموع قيس وفيهم أسعد بن أبي الفتوح وخيل قد كان

---

(١) حجرة حراز: لعلها المعروفة بحجرة ابن مهدي من حراز.

(٢) المنظر: قرية تعرف الآن بروضة أحمد قرية من صنعاء.

(٣) ألهان: مخلاف كبير ويعرف اليوم بناحية آنس.

(٤) يوسف بن يحيى ابن الإمام الناصر أحمد بن يحيى بن الحسين الزيدي، لا يُعَد من أئمة الزيدية، ومات في صعدة في صفر عام ٤٠٣هـ. انظر: ابن الديبع، قرة ١/ ٢٢٦ هامش.

(٥) بلد الربيعة: انظر: الهمداني، صفة، ص٣٦٣.

استمد بها من مأرب وجمع عظيم من أهل صنعاء وغيرهم، فهزموا أواخر عسكر الإمام، وقتلوا منهم حتى لحقوا به فعطف في خيله، وكان معه نحو ألف فارس من همدان وحمير وغيرهم، فهزم الناس، وقتل فيهم إلى الليل وأمسى في شَعُوب، ودخل صنعاء، فأقام بها أياماً وخرج منها، فدخل قيس وأسعد وأقام الإمام يتردد في البَوْن[1]، واستنجد قيس بابن زياد صاحب زبيد، فأمده بشريف من ولد الهادي وعسكر ضخم، فسارا إلى ريدة فطلع الإمام بلد بني صُرَيم[2]، فانصرف قيس طريق المولدة إلى خيْوَان[3]، ورجع الشريف وأسعد إلى صنعاء، وعاد الشريف إلى زبيد وترك ابنه مع أسعد، والخطبة لابن زياد، وعمروا درب صنعاء، ثم أقبل الإمام إليهم وقد جمع جموعاً عظيمة، وقد اختلف هو والشريف فسار الشريف إلى الإمام، فقاتلهم الشريف على أبواب صنعاء أربعة أيام قتالاً شديداً، فلم يظفر منهم بشيء، فأخرب ما حول صنعاء من الأعناب بضهر وغيرها، وذلك سنة تسع وستين، ورجع إلى ريدة وبقي أسعد وسَلَمه بن محمد الشهابي بصنعاء زماناً ثم اختلفا، وأعان أهل صنعاء سَلَمَة بسبب قتل حدث بين الأبناء وأهل صنعاء، فقاتلوا أسعد في صنعاء ثم أخرجوه إلى بيت بُوْس[4]، فكاتب الإمام يوسف على السمع له والطاعة

---

(١) البَوْن: من أشهر حقول اليمن وأخصبها يقع إلى الشمال من صنعاء بحوالي ٥٠كم، وما كان جنوباً يسمى البَوْن الأعلى وما كان شمالاً بشرق يعرف بالبَوْن الأسفل، الأكوع ص٤٤، المقحفي، ص١٩٥.

(٢) بلد بني صُرَيم، وبني صُرَيم من قبائل حاشد، وحاشد إحدى فرعي همدان، ومساكنها في الأقاليم الشمالية الغربية من صنعاء. انظر: المقحفي، ص١٥٩، الحجري، ٢/ ٢١٦.

(٣) خَيْوَان: وادٍ مشهور وبه مدينة تحمل اسمه، يقع إلى الشمال من صنعاء بحوالي ١٤٠كم، المقحفي، ص٢٣٤.

(٤) بيت بوس: قرية حصينة تقع إلى الجنوب الغربي من صنعاء بحوالي ١٠كم، المقحفي.

وحرب أهل صنعاء، فالتقياإلى ضُلَع، ودخلا صنعاء على سَلَمَة بعد قتال شديد، فاستُخرج من دار كان انحاز إليها، وقتل في جماعة كبير من الشهابيين، وهدم الإمام الدور، ثم فسد ما بين الإمام وأسعد، فخرج الإمام إلى بلد خولان فأخرب فيها إلَّا دار ابن أبي الفتوح وعاد إلى صنعاء، فكان يخرج لحرب ابن أبي الفتوح وهو ببيت بَوْس، وقد استلحق الضحاك وجعل له ربع جباية صنعاء، ثم اختلفت عليه همدان فسار إلى بلد عَنْس[1]، فأقام بذَمار زماناً ثم سار إلى مأرب على الغيظ، فوصل ريدة وجمع همدان وسار إلى صنعاء، فطرد ابن أبي الفتوح منها، ذلك سنة أربع وسبعين، ثم خالفت عليه همدان، وطلبوا ابن الضحاك، فرجع الإمام إلى مكاتبة ابن أبي الفتوح ومصالحته على أن له نصف جباية صنعاء، فصالحه على ذلك وطرد عمال ابن الضحاك، ودخلها، وخطب للإمام ولعبد الله بن قحطان بن أبي يُعفر من غير أن يؤامره، فكتب إلى أسعد يلومه؛ حيث أشرك الإمام معه، فقطع ذكر الجميع، وسار الإمام إلى حُوث[2] فبنى بها منزلاً ونقل أولاده، ولم يزل أمر صنعاء مضطرباً إلى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة تارة يغلب عليها الإمام، وابن أبي الفتوح، وتارة ابن الضحاك [و]تارة قيس وأخرى أبو حاشد والعرب من همدان وحمير وخولان وبني شهاب متفرقة على هؤلاء، فمن كثر جمعه غلب عليها، ولم يكن الإمام يوسف بن يحيى من الأئمة السالفين //١٨١ب// عند أهل البيت وعلمائهم، ولم يعدوه مع أئمة الزيدية القائمين بأمر الله.

فلما كان سنة تسع وثمانين وثلثمائة[3]، وصل الإمام المنصور

---

(١) بلد عَنْس: مخلاف كان يطلق على بعض المناطق القريبة من ذَمار، ويعرف اليوم بعَنْس السلامة. انظر: الأكوع، ص٢٠٠، المقحفي، ص٤٧٤، الحجري، ٣/ ٦١٣.

(٢) حُوث: بلدة مشهورة في بلاد حاشد. انظر: المقحفي، ص٢٠٨، الحجري ٢/ ٣٠٠.

(٣) انظر: سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني (تحقيقنا) ص١٩، وتاريخ صنعاء لابن جرير ص١٠٧.

القاسم بن علي بن عبد الله ابن محمد بن القاسم بن إبراهيم[1]، وكان مقامه بتَرْج[2] من بلد خثعم، ثم أقام بتباله[3]، واستخرج الغيل القديم الذي كان بها، ووصل إلى صعدة فملكها، وسار إلى نجران، ثم عاد نحو تبالة وتَرْج، فوجد أهل صعدة، قد خالفوا عليه فجمع عليهم همدان فأخرب دربها، وطرد منها الإمام يوسف وولاها ابنه جعفراً، وأقام بعِيان[4]، ثم وصل إلى ريدة، وأطاعه أبو جعفر بن الضحاك وجاءه كافة أهل البون فبايعوه، وكان إماماً فاضلاً، عالماً بصنعاء، أحد أئمة الزيدية وفضلائها، فأرسل إلى صنعاء من قبله شريفاً يعرف بالقاسم بن الحسين الزيدي من ولد زيد بن علي، فتصرف بصنعاء بأحكام الإمام، وعاد الإمام القاسم إلى عِيان واستخرج غيل مَذَاب، وتردد بين صعدة إلى عِيان، وخالف عليه أهل نجران، فجمع لهم، فسير إليه ابن أبي الفتوح ابن عمه الموفق بن يوسف، وسارت إليه حاشد وبكيل أبناء همدان والزيدي في أهل صنعاء، فهدم حصوناً بنجران، وأسر منهم جماعة كثيرة، ورجع إلى عِيان والزيدي إلى صنعاء، وخرج الزيدي إلى بلاد عَنْس وذَمار، وصارت في سلطان القاسم بن علي وابن أبي الفتوح في طاعته، ولما صار الزيدي في ذمار، ولى الإمام القاسم صنعاء ولاة يعزلهم واحداً بعد واحد، وصل إلى ريدة سنة تسعين، وسأل الناس النصرة على أهل نجران، وكانوا قد كسروا عسكره عقيب دخلته الأولى

(١) الإمام المنصور بالله القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم الرسي والملقب بالعِياني، توفي عام (٣٩٣هـ)، ابن الديبع، قرة ١/٢٢٧ ـ ٢٣٤.

(٢) تَرْج: وادٍ قريب من تَبَالة. انظر: البكري، معجم، ص٩، الحموي ٢/٢١.

(٣) تَبَالة: بلدة عامرة في إقليم عسير وتقع إلى الغرب من بيشة، الأكوع، ص٥١، المقحفي، ص١٠٣، الحربي، المناسك، ص٦٦٤.

(٤) عِيان: قد تكون هي القرية التي تقع قرب مدينة خيوان في بلاد سفيان بن أرحب بن بكيل، انظر: المقحفي، ص٤٨١، الحجري ٤/٦١٨.

عليهم، وقد كان الزيدي كاتب أسعد بن عبد الله بن قحطان صاحب كُحلان في طاعة الإمام، فأجابه وخطب له بكُحلان، فلقيه في حركته هذه بمال جليل وخيل وخلع، وخطب لأسعد مع الإمام بصنعاء، وسار الناس إجابة للإمام، فقصد نجران، فدخل عليهم قهراً درب الهجر، وقتل منهم قتلاً ذريعاً، ثم غدروه باسم الصلح، فتأخر عنهم فأحكموا ما فسد في دربهم، فعادوهم، فلم يظفر منهم بشيء، فعاد إلى عبد الله وفسد ما بين الزيدي، وابن أبي الفتوح، حين دخل الزيدي ألهان وأخذ حصن أشيَح[1]، وكان به عم أسعد بن أبي الفتوح، وأخذ له خيلاً وجمالاً، وكتب إلى نائب الإمام بصنعاء يلقاه إلى نُعُظ[2] بلاد بني أبي الفتوح، فالتقوا بها، فهدم دور بني أبي الفتوح، وسار الزيدي إلى صنعاء في عسكر عظيم، فأقام أياماً وعاد إلى ذمار، والقاسم بوَرْوَر، فسارت إليه همدان فسألوه النفقات، فكتب إلى عامله بصنعاء، فلم يجدوا عنده ما يقوم بما هو لهم، فقصدوا إلى أسعد بن أبي الفتوح وابن أبي حاشد، فحلفوا لهما، فدخلا صنعاء سنة إحدى وتسعين، وكان الغالب على أمر صنعاء ابن أبي حاشد بن الضحاك دون ابن أبي الفتوح؛ لأنه خرج إلى بلده وتركهم، فأقاموا بها مدة، وتجهز الزيدي من ذمار بجموع حتى صار في بئر الخولاني[3]، فقطع ما كان بها لبني أبي الفتوح من أعناب، وسار إلى نُعُظ فأخربها، وخرج ابن أبي حاشد من صنعاء، فعاد بها ابن أبي الصبَّاح والي الإمام.

---

(١) أشيَح: حصن في بلاد آنس، الحجري، ١/ ٨٢، الأكوع، ص٢٦، المقحفي، ص٣٧.

(٢) نعُظ: قرية في عزلة الربع الشرقي في ناحية سنحان، تقع في الجهة الغربية من جبل كُنَن، المقحفي، ص٧٠١، رسمها الحجري ٤/ ٧٤٣، هكذا نُعَض.

(٣) بئر الخَولاني: يعرف بأبؤر الخولاني، وهو في بلاد خولان العالية إلى الجنوب الشرقي من صنعاء. انظر: الهمداني، صفة، ص٤٠٧.

وكانت الأبناء قد أسلمت أسعد بن أبي الفتوح وتأخرت عن نصرته، فلما رأى ذلك طرح نفسه برؤوس القبائل على الزيدي فقبله، على أن له ثلث مخلاف خولان تحت يد الزيدي، وحمل أسعد إلى الزيدي خمسة وسبعين ألف درهم، ودخل الزيدي صنعاء ثم تجهز للقاء القاسم بن علي، ولقيه ودخل صنعاء، فأقام بها أياماً، ورجع الإمام إلى وَرْوَر، والزيدي إلى ذمار، وولّى الإمام صنعاء رجلاً حسنياً يعرف بهلال بن جعفر، وفي السنة وهي سنة إحدى وتسعين، غلا السعر بصنعاء غلاءً عظيماً، ووصل جعفر بن الإمام إلى صنعاء، والتقى بابن أبي الفتوح، ورد عليه جميع مخلافه، ولحق الناس من جعفر شدة عظيمة، ثم قدم الإمام صنعاء، ووصله ابن أبي الفتوح، ونقم الإمام على الزيدي، فخالف عليه، فأقام حتى خرج الإمام من صنعاء، وقد استخلف ابنه جعفر عليها، فقصده الزيدي إلى صنعاء فأسره وجماعة من أخوته، وسيرهم إلى بيت مَخْفِد[1]، وحارب ابن أبي الفتوح، فانحاز إلى حصن المطقوع، فأخرب قرية نُعُظ.

ثم إن الإمام كاتب الزيدي، واستطاب قلبه، فأطلق أولاده وحملهم، وسار ولقي الإمام إلى ريدة، فأقام معه أياماً، وتقابلا على أحوال لم تظهر، وكتب له الإمام كتاب ولاية من عَجِيْب[2] إلى عدن، واشهد له بذلك، وذلك في المحرم سنة اثنتين وتسعين، فعاد الزيدي إلى صنعاء فولاها الشريف هلال بن جعفر وسار نحو ألْهَان، وبلغه الخبر بوفاة الأمير أسعد بن عبد الله بن قحطان بن أبي يُعفر بكُحلان، وولاية أحمد بن محمد بن أبي يُعفر بعده، وطاعة كافة حمير له، وذلك في ربيع

---

(١) بيت محفد: موضع في حزاز جبل عيبان مطل على صنعاء. (المقحفي ص٥٩١).
(٢) منطقة بالقرب من مدينة ريدة (المقحفي: ١٠٢٣).

الآخر من السنة. ثم إن جعفر بن الإمام القاسم دخل صنعاء فتخيل منه هلال والي الزيدي[1]، فوصل الزيدي إلى صنعاء، وكتب إلى الإمام يُوسُف بن يحيى بالوصول، فَسَار نحوه فالتقيا في مشرق[2] همدان، وتَحالفا، وأقام يوسف بريدة، ورجع الزَّيدي إلى صنعاء، فخطب ليوسف وقطع اسم الإمام، ووصل يوسف إلى صنعاء في المحرَّم سنة ثلاث وتسعين، ثم خرج مع الزَّيدي إلى مشرق خولان، فحاربا ابن أبي الفتوح، وعاد يوسف وبَقِي الزيدي في المشرق شهراً، ثم عاد إلى صنعاء، وسار منها إلى ألهان، ونفى جماعة من بني أبي الفتوح، وأسر منهم رجُلاً وعاد إلى ذمار، وخرج الإمام يُوسف من صنعاء، فبقيت بغير سلطان، وأتى الخبرة بوفاة الإمام القاسم بن علي بعيان سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، فوصل ابن أبي حاشد إلى صنعاء وخطب للزَّيدي ثم تغيَّرت عليه الأحوال فخرج منها[3] بغير سلطان، حتى اصطلح[4] ابن أبي حاشد، وابن عمه أبو جعفر، فسارت إليه همدان فدخل صنعاء سنة خمس وتسعين، وصالحَ ابن أبي الفتوح، واستقامت أحواله.

فلما كان نصف رجب سنة ست وتسعين [وثلاث مئة] ليلة النصف، طلع نجم من المشرق مثل الزهرة أربع[5] مرَّات بعد غروب الشَّمس بنصف ساعة، ولم يكن مدوراً بل هُو إلى الطول أقرب، وفي أطرافه

---

(١) من هنا ينتهي النقص من المخطوطة، وكان الساقط منها قدر ورقة كاملة سقطت أثناء التجليد، وقمنا باستكمالها من أصل المؤلف الذي ينقل عنه وهو كتاب كنز الأخيار. انظر: كنز الأخيار (المطبوعة) ص٦٣ ـ ٦٨.

(٢) تاريخ صنعاء لابن جرير ص١١٥.

(٣) عبارة (العسجد) ص٥٠: «ثم تغيرت عليه الأحوال، فخرج من صنعاء وتركها بغير سلطان».

(٤) (الأصل): «أصلح»، والإصلاح من (العسجد) ص٥٠.

(٥) (العسجد) ص٥٠: «ارتفع».

شُعبٌ مثل الأصابع، وله حركة عظيمة؛ كأنه في ماء يضطرب، وله شعاع كشعاع الشمس، وكان طلوعه في برج الميزان من العقرب ودام كذلك.

فلمّا كان ليلة النصف من رمضان نقص نوره ثم اضمحل.

وتجهز ابن أبي الفتوح بجيش عظيم يُريد ألهان، فلمّا صار ببعض الطريق وثب عليه بعض خدمه فقتله، وذلك في ذي القعدة من السنة، فأعيد إلى نعظ فقبر بها، فقام بالأمر بعده ولده المنصور وحلفت له خولان، واستقامت أموره.

وكانت صنعاء بغير سلطان إلى المحرّم سنة سبع وتسعين، ودخلها أسعد بن أحمد الضحاك[1] [والياً لابن عمه أبي جعفر ثم غلبه عليها ابن أبي حاشد وتعاورها آل الضحاك][2] إلى سنة ثمان وتسعين، وقدمها الزيدي ومعه الإمام يوسف بن يحيى، فأقاما نحو نصف شهر، ولم يتم لهما أمر، فخرج الإمام نحو مدر[3]، ورجع الزيدي، وأقامت الفتنة على صنعاء بين همدان، وخولان، وحمير، والأبناء، وبني شهاب في كل شهر أمير، وعليهم رئيس وفي أكثر أوقاتها خالية من السُلطان، والغالب عليها آل الضحاك إلى سنة أربع مئة، وسار جماعة من همدان وبني شهاب إلى الزيدي إلى ذمار، فسار معهم إلى صنعاء، فدخلها في القعدة من السنة.

فلما كان في شهر صفر سنة إحدى وأربع مئة، وصل الحسين بن القاسم بن علي إلى قاعة[4]، وادّعى أنه المهدي الذي بشّر به النبي ﷺ، فأجابته حِمْير وهمدان وسائر[5] أهل المغارب، وتخلوا عن الزيدي،

---

(١) (الكنز) وتاريخ صنعاء لابن جرير ص١٢٤ و(العسجد): «أحمد بن سعيد».

(٢) ساقط من (الأصل) وأضفناه من (الكنز).

(٣) مدر: بلدة من أرحب شمالي صنعاء. وفي (الكنز): «وورور».

(٤) قاعة: من ناحية العشة ـ قضاء خمر.

(٥) (الأصل): «وسار» والإصلاح من (العسجد) ص٥١.

فوصل [الزيدي][1] إلى صنعاء اليمن، وقد كان خرج إلى مغاربها، فأمر ابنه محمد بن القاسم الزيدي أن يَدْعوا لنفسه إلى الإمامة، فوصل كتابه إلى ذمار بالدعوة، فبلغت الحسين [بن القاسم][2] فأجابها بنقضها، وخرج الزَّيدي، فأقام ببيت بوس[3] وقد حصَّنه، وابنه [زيد][4] أقام بصنعاء فحصَّن دروبها.

ثم بدأ للزَّيدي فأخرج من في حَبْس صنعاء، وأنهب أهرا[5] الطعام بها، وعاد إلى ذمار، فتعطَّلت صنعاء من السلطنة إلى سنة اثنتين وأربع مئة، ووصلها الضحّاك بن أبي جعفر بن الضحّاك، فأقام بها مدَّة، ووصلها رجل يُدعى أبا النجم، رسولاً للإمام الحسين في جماعةٍ من أصحابه يطالب الناس بالزكاة، ولم ينكر عليهم ابن الضحاك، ووصل الحسين صنعاء آخر سنة اثنتين، فطالب أناساً من أهل صنعاء بخمس[6] عبيدهم وخيلهم[7]، وجعل أخاه جعفراً والياً على صنعاء، وَضَرب سكة باسم الحسين، ولم يستقم لجعفر بصنعاء كُل الأمر، وحاربه أهلها وسطها، فأغار عليه أخوه الإمام، فَهدم دور صنعاء، واستَصْفى أموالهم، وعاد وترك أخاه، فكاتب أهل صنعاء الزَّيدي، فَقَدم سنة ثلاث وأربع مئة، فخرج جعفر من صنعاء، فلما صار بها الزيدي، أمر بهدم دُور جماعة من شيعة الحسين، واجتمع معه بصنعاء عسكر عظيم، وبَلغ

---

(١) زيادة من (العسجد) يقتضيها النص.

(٢) زيادة ليستقيم المعنى.

(٣) بيت بوس: قرية من ناحية البستان قرب صنعاء.

(٤) مطموسة في (الأصل) فأوردناه من (الكنز): (٦٩).

(٥) الأهرا غير مهموز: مخازن الطعام تحت الأرض، وفي (الكنز): «أكثر».

(٦) الخمس هو حصة السلطان أو الدولة من الغنائم الحربية ونحوها.

(٧) (الكنز): «حليهم»، وتاريخ صنعاء لابن جرير ص١٣٥، وفيه: «وطالب أهل صنعاء بالزكاة وبأخماس مماليكهم».

الحسين فَجمع عساكره وأكثرهم همدان وحِمْير، وقصده، فالتقوا عند الجُبوب[1]، فاقتتلوا ساعةً من النهار، وانهزم الزَّيدي طريق الفج[2]، ودخل الحسين بعسكره صنعاء، وركب في أفراس فأدرك الزيدي فقتله في الحقل حقل صنعاء[3]، ورجع الإمام إلى ريدةَ، وترك أخاه جعفراً بصنعاء، ولما بَلغ ابن الزيدي قتل أبيه نهض في جميع مذحج، فوصل ألهان وبِها ابن أبي الفتوح من جهة الإمام، فَهزم ابن الزّيدي، وقتل من عسكره ونُهب وأخذت راياته، فبعث بها إلى الإمام، ونزل [ابن][4] مروان مستمداً بابن زياد إلى تهامة، فأمدّه بأموال جليلة، فوصل ألهان وجاءه[5] ابن الزَّيدي في عنس، فكادوا أنْ يستولوا على ابن أبي الفتوح، فاستمد بالإمام، فسار إليه في جيوش عظيمة، فلمّا قاربه انفضَّ من مَعَه، وهَرب هو وابن الزيدي خفيةً، فاستولى الإمام على ما كان لهما وعلى مئتي فرس لعنس.

وقد كان أهل البون[6] خالفوا عليه عند مسيرة إلى ألهان، فلمّا عاد فَعَل معهم ما لا يُفعل، ولزم مشايخهم وصَلبهم منكّسين، ووهَبَ خيلهم وسِلاحهم للشيعة، وألزم جماعتهم الجزية وقبضها[7] منهم، وسار إلى صَعْدة في حزب[8] عظيم، فخرَّب دَرْبَها، وولّاها أخاه جعفراً، وعاد الحسين صنعاء وقد خالف عليه المنصور بن أبي الفتوح، وخالف

---

(١) في (الأصل): بدون إعجام، والجبوب موضع بالشرق من صنعاء أسفل جبل نقم.
(٢) أظنه فج عطان، قرية أسفل جبل يناع شمالي حدة.
(٣) انظر: خبر مقتل الزيدي في تاريخ صنعاء لابن جرير ص١٣٩.
(٤) زيادة من (الأصل) لا توجد في (الكنز). وانظر: تاريخ صنعاء لابن جرير ص١٤١.
(٥) (الأصل): «وأخاه»، والإصلاح من (العسجد) ص٥١.
(٦) (العسجد): «صنعاء».
(٧) (الأصل): «وتضامنهم»، والإصلاح من (العسجد).
(٨) (العسجد): «جيش»، و(الكنز): «عسكر».

بخلافة بنو شهاب، وبنو صريم، ووادعة، ونزل بنو صريم حمدة[1]، فنهبوا دار الإمام[2]، وأخرجوا المحبسين من أهل البون، وراسَل ابن أبي الفتوح ابن زياد صاحب تهامة، فأمدّه بمال، وخرجت الشيعة من صنعاء بعد أن نُهبت دورهم، وجمع الإمام عسكره، فقاتلوه عند ريدة، وهزموه إلى حمدة، وقُتِل من عسكره قوم كثير، وحطّوا عليه بحمدة، فخرج مختفياً طريق بلد الصَّيد، فنهبوا حمدة، وأعاد النَّاس أبا جعفر بن قيس بن الضحَّاك على إمارة صنعاء، فأقام بها إلى المحرَّم سنة [أربع وأربع مئة][3] وعَلِم بجمع الإمام لِعساكره، فخرج من صنعاء مُختفياً مُنْهزماً، وقَدْ كان اجتمعت إليه القبائل المخالِفة على الإمام، فاضْطربوا، ثُمّ تقوَّت[4] قُلوبهم وصاروا[5] إلى الإمام إلى ذيبين، فَهزمُوه إلى الجوف، ثم عاد إلى بَلَد الصيد[6] في مئة فارس، فَعلِمتْ به هَمْدان فالتقوه[7] إلى عند رَيْدة، وقاتلوه فغشيهم بنفسه مراراً في كُلّها يخرق صُفُوفهم، فتعاوروا عليه فقتلوه، وذلك في صَفر سنة أربع وأربع مئة، وفي جَهَلة الشّيعة من يدّعي أنّه حيّ، وأنّه المهدي الذي بَشَّر به النبي ﷺ، وكان على هذا الاعتقاد كثير من الأشراف آل القاسم بن علي، ثُمّ انْقَرَضَ أهل هذا الرأي بَعْد أنْ كانوا بشراً كثيراً في مغارِب مخْلاف اليمن.

---

(١) حمدة: مدينة من ناحية عيال سريح في الغرب من عمران.
(٢) (العسجد): «الإمارة».
(٣) ساقط من (الأصل)، والزيادة من (كنز الأخيار).
(٤) عبارة (الكنز): «ثم نفرت قلوبهم وساروا إلى الإمام إلى كحلان».
(٥) (الكنز): «ساروا».
(٦) الصَّيد: بلد من حاشد (معروف).
(٧) (كنز الأخيار) و(العسجد) ص٥١: «فلقيوه».

والأئمة من أهل البيت وعُلماؤهم باليمن [متفقون][1] على أنّ الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، خُولط في عَقْلِه في آخر عُمره؛ لأنّه ظَهرَ منهُ أقوال وأفعال تُخالِف الشريعة المطهّرة، وكان مِنْ أفصَح خَلْق الله تعالى وأعْلَمهم، وهو مع ذلك لم يبلغ الثَّلاثين سنة.

ولَمّا قُتل سار ابن أبي حاشد إلى صنعاء، فأقام بها إلى النِّصف من شوَّال سَنَة خَمْس، ووَصلها أبو جعفر أحمد بن قَيْس، فأقام بها إلى ربيع سنة سِت، وخَرَج مِنها، ورَفَع أيدي عُمّاله، فَتَعطّلت من السَّلْطنة إلى سنة ثمان، وراجَعت هَمْدان أبا جَعْفر في الرجوع إلى الأمر فأجابَهُم.

وفي شباط[2] يوم الحادي عشر مِنْهُ سَنَة عشر وأربع مئة: نَزَل باليمن ثَلْج عظيم، بَعْد أن أصابهم في مشتاهم برد عظيم، جَمَد الماء فيه أيّاماً، والخيل تسير عليه.

وفي سنة عشر: ثار زيد[3] بن القاسم مع قوم من بني شهاب بابن مروان[4]، فقتلوه بأشيح[5]، فسار إليهم ابن أبي الفتوح وأمدّه القائد مرجان[6] صاحب الكدراء، وعاضده ابن أبي حاشد، ثم إن ابن أبي الفتوح نزل إلى تهامة، فالتقاه القائد بالكدراء بأحسن مَلْقى، وعاد فأقام بألهان، حتى أخرج زيداً من أشيح، وسلّمه لمولاه[7] القائد، وتحالفت همدان

---

(١) زيادة من (الكنز). وانظر: تاريخ صنعاء لابن جرير ص١٤١.

(٢) كذا أرّخ المؤلف بهذا الشهر نقلاً عن أصله (كنز الأخيار): ٧١ وذلك لَمّا كان يؤرخ لحادثة طبيعية، أورد اسم هذا الشهر وهو من الشهور الفصلية التي تؤرخ بها المواسم.

(٣) (المطبوعة) ص٤٥: «يزيد»، خطأ.

(٤) كذا في (الأصل) و(المطبوعة) ص٤٦، وفي (العسجد) ص٥٢: «فسحبوه»، و(الكنز): «فأسقروه فقتلوه كذا».

(٥) أشيح: حصن في بني سويد من آنس وهو في الشمال الغربي من ضوران.

(٦) من بني نجاح.

(٧) كذا في (الأصل) وفي (الكنز): «ولاة».

والأبناء على بني شهاب، وأمرهم القائد بذلك، فحاربُوهم مراراً في بيت بوس والمحلل[1] [قائد همدان ابن أبي حاشد وقائد الأبناء ابن أبي الفتوح وهما يلقيان بحريمهم ويعود هذا إلى صنعاء، وهذا إلى بلد خولان][2] ثم اصطلحوا.

ووصل جعفر بن القاسم أخو الحسين من صعدة إلى عيان، فاستدعته همدان وحمير فسار إلى صنعاء، فدخلها سنة ثلاث عشر وأربع مئة، فأقام إلى المحرَّم، وطلب [الناس][3] المسير معه إلى صعدة، فسار معه طائفة، فوصل صعدة فنهبها وأخرب دُوراً، وقتل ناساً، وقد كان ذعفان وابن أبي حاشد[4] خالفا عليه عند مسيره صَعْدة ودخلا صنعاء، فَلَمّا رجع جعفر إلى عيان، سألته همدان العودة إلى صنعاء فكَرِه، ثم وقع الخلف بين همدان وذعفان وابن أبي حاشد، فاستدعوا جعفراً بن أبي القاسم، فأدخلوه صنعاء في صفر سنة خمس عشر، فطالب الناس مطالبةً شديدةً، وأقام بها مدَّة يُحارب ذعفان، وابن الفتوح، وهما نصبوه في عسكر جَيِّد، ثم اصطلحوا شهرين.

ونزل ذعفان إلى القائد في الكدراء فتلقَّاه بأحسن لقاء، وأمدَّه بأموال جليلة، وكتب معه إلى المنتاب صاحب مسور، وأمرهم جميعاً بحرب جعفر، فاجتمعوا عليه، فخرج إلى بيت شعيب، فحصرته همدان وحمير، وأعادوا إلى ابن أبي حاشد إمارة صنعاء، فهجم أهل بيت خولان على محطّة حمير، فقتلوا منهم مائة رجل، وانهزم عسكر المنتاب، وذلك في المحرَّم سنة ست عشر وأربعمائة. ثم تهادنوا إلى آخر السنة وأقام كل بموضعه.

---

(١) في (كنز الأخيار): «المعلل».
(٢) ساقط من (الأصل) وأضفناه من (الكنز).
(٣) ساقط من (الأصل).
(٤) كذا في (الأصل) وفي (الكنز): «ابن رَيْعان».

فلمّا كانت سنة ثماني عشرة وأربع مئة: ظَهَر إنسان بناعظ، ولَمْ يعرف الناس باسمه وذكر أنه يتسمَّى عند ظهور رايته[1]، وأنّه من المشرق، فسار إلى مأرب، وبها المؤمن بن أسعد بن أبي الفتوح فتلقّاه أحسن الملتقى، وأقام عنده وسطَّر[2] كتبه: من عبد الله الإمام، المعيد لدين الله، الدَّاعي إلى طاعة الله، الدافع لأعداء الله، وأنفذها إلى النواحي، فبلغ[3] مُرجان المتولي من الحبشة قيام المؤمن بن أسعد معه، فعتب[4] على المنصور بن أسعد [وأعاد كتبه مختَّمة][5] فغَضِبَ المنصور، وكتب إلى سبأ أن ينهض مع الإمام وأخيه المؤمن، فساروا إلى مسور، ولقيهم المنصور في جيوش عظيمة، ودخل الإمام صنعاء، وذلك في رمضان سنة ثماني عشرة، وخطب له ابن التَّقوى[6] بالإمامة، وهو يومئذٍ على قضاء صنعاء من جهته [وأنفذ ولايته إلى جميع المخاليف][7]، وأقام أيّاماً ثم سار إلى خدار[8]، فتلقته عنس وبكيل على بركة ضاف[9]، وسار إلى أهل ألهان، وصاحب عسكره منصور بن أبي الفتوح، فأقام بها سبعة أيّام، وسار إلى ذمار فأقام بها، فرجع المنصور إلى بَلَده.

---

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (كنز الأخيار): ٧٣ وفيه: «أنه يتسمى عند ظهور رايته في المشرق»، وتاريخ صنعاء لابن جرير ص١٥٢ وفيه: «ويذكر أنه لا يتسمى إلا عند ظهور الراية معه من المشرق».

(٢) كذا من (الأصل) وفي (الكنز): «وصدَّر»، وهو الصواب.

(٣) (الكنز): «وبلغ القائد مرجان صاحب الحبشة».

(٤) (الكنز): «فغضب».

(٥) ساقط من (الكنز).

(٦) خطيب صنعاء في ذلك الوقت، انظر: غاية الأماني ص٢٤٣، وهو أحمد بن عبد السلام التقوي. وابن سمرة ص٢٣٥، وتاريخ صنعاء لابن جرير ص١٤٣، وفيه: «عبد الله بن سليمان التقوي».

(٧) زيادة من (الكنز).

(٨) خدار: ـ بكسر الخاء ـ بلدة تقع على ربوة أمام الصاعد من نقيل يسلح.

(٩) ضاف: قرية من قاع جهران.

ووصلت عساكر القائد إلى ألهان، فخالف معها[1] جعفر بن أبي القاسم وذعفان، وسار الإمام إلى صنعاء فتلقاهما[2] وعاد إلى ذمار، فلمّا كان بخدار أمر برجم إنسان زانٍ، ودخل صاحب كحلان في طاعته، وذلك في سنة تسع عشرة، وأمر ببناء حصن هرّان، ثم طلب من صاحب كُحلان المنصور المسير إلى مخلاف جعفر، فسار معه إلى إب، فأجمع عليهما أهل المخلاف إلّا ابن كرمان[3] صاحب التعكر، فاستدعى عسكر القائد، فأقاموا متراكزين إلى سنة عشرين [وعاد كُلّ إلى موضعه]، ثم إنَّ ابن أبي الفتوح، وابن حاشد رجعا إلى طاعة القائد، فخرج الإمام إلى هرَّان بمكاتبة عنس[4] له، فتعامَل عليه قوم منهم أبو عبسان[5] ومروان، فقتلوه، وذلك آخر ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربع مئة.

وفيها[6]: اشتد القحط باليمن، فخلت بلاد كثيرة من أهلها، ومات أكثر الناس.

وفيها: كانت فتنة بين الشيعة والسنيّة[7]، والقحط بحاله إلى سنة اثنتين وعشرين، وصنعاء خالية من السلطنة إلّا أن لبني مروان فيها بعض الأمر[8]، وولاية ألهان، ومقرى[9] إليهم من تحت يد القائد، ولصاحب

---

(١) (الكنز): «فنفاهما».

(٢) (الكنز): «معه».

(٣) (الكنز): «مكرمان».

(٤) في (الأصل): «عبس بالباء».

(٥) كذا في (الأصل) وفي (الكنز)، وتاريخ صنعاء لابن جرير ص١٥٧: «أبو غسان وسقط اسمه من سائر المصادر».

(٦) تاريخ صنعاء لابن جرير ص١٥٦.

(٧) تاريخ صنعاء لابن جرير ص١٥٦.

(٨) تاريخ صنعاء لابن جرير ص١٥٧، وفيه: «وصنعاء خالية من السلطنة إلى ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وبها علي بن محمد بن مروان مقيم من غير سلطان.

(٩) مقرى: هو الاسم القديم لما يسمى اليوم بمغرب عنس من بلاد ذمار.

مسور حسين بن المنتاب بعض منازعه [سنة ست وعشرين][1].

وفي رجب سنة ست وعشرين وأربع مئة: ظهر الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن إماماً [ويُسمَّى بالنفس الزكيَّة][2] ومعه ولده حمزة بن أبي هاشم، وهو الذي ينسب إليه الأشراف الحمزيون، فقصد صنعاء، فهرب منه ابن أبي حاشد، ووصله المنصور بن أبي الفتوح، بايعه ورَجَع إلى بَلده، واستقوت الشيعة على السنية[3]، وعزلوا القاضي وكان سنياً.

فأقام أمر أبي هاشم إلى سنة تسع وعشرين، فخالفت عليه همدان، فدخل ابن أبي حاشد صنعاء، ثم خرج منها، فتعطَّلت من السلطنة إلى سنة إحدى وثلاثين، واستدعت همدان جعفر بن القاسم، فدخل صنعاء في ربيع من السنة، فافترقت [عليه] همدان، وعلى ابن أبي حاشد، والأكثر[4] مع ابن أبي حاشد، فخرج [جعفر][5] من صنعاء إلى علب[6] فقَصدوه، فانهزم منها، وسار ابن أبي الفتوح إلى مخلاف جعفر للقاء ابن الكرندي[7]، وعبد الله بن أبي جعفر، فأقام معهما إلى [أول] ربيع [من سنة اثنتين وثلاثين][8]، وعاد فقوي به ابن أبي حاشد، فَخَرَج[9] ثم فسد الحال بينهما، فَهرَب ابن أبي حاشد من صنعاء، وجَمع جموعاً وجاءه ابن سلمة الشهابي، فقصدوا ابن أبي الفتوح إلى السرِّ، فتراكزوا فيه، وقُتل ابن عم لابن أبي الفتوح.

---

(١) زيادة من (الكنز).
(٢) ساقط من (كنز الأخيار).
(٣) هذا النص يدل على أن أهل صنعاء كانوا في ذلك الوقت سنية.
(٤) (الكنز): «فمال الأكثر».
(٥) زيادة من (الكنز).
(٦) قرية في سفح جبل نقم من جنوبيه.
(٧) (الكنز): «الكيديد».
(٨) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز).
(٩) (الكنز): «وعضده أياماً».

واستدعت همدان جعفر بن القاسم إلى صنعاء بأمر ابن أبي حاشد.

ثم انتقل الحرب، وكان ابن أبي الفتوح بعلب، وابن أبي حاشد، وابن سلمة ببيت بوس، فأقاموا كذلك مُدّة، وجعفر بصنعاء، تارةً يجبي الأموال وتارة يضعف[1] عن ذلك، وكره ابن أبي حاشد مقام جعفر بصنعاء، فعامل عليه من أخرجه، فسار إلى ابن أبي الفتوح.

واستدعى ابن أبي حاشد الإمام أبا هاشم، فدخل صنعاء ثاني خروج جعفر، فأقام ثمانية أيّام، وولى على البلد، وخرج إلى ريدة، واطرح ابن أبي حاشد على ابن أبي الفتوح بمنزله في نعظ على محاربته له[2] مع بني سلمة، فقتله وعادت الفتنة بين ابن أبي الفتوح وبني سَلَمة، وقد مالاهم بنو الحارث وغيرهم على حربه.

وصنعاء خالية من السلطنة إلى شوال سنة سبع وثلاثين وأربع مئة، ووصل الإمام أبو الفتح الناصر بن الحسين الديلمي، مدعياً الإمامة، وصار في البون مع همدان، وجمع العساكر لصعدة فنهبها وخرَّب بها دوراً، وقتل من خولان بمجز[3] مقتلة عظيمة، ورجع في ذي القعدة فدخل صنعاء وقد دخل ابن أبي الفتوح، وابن أبي حاشد، فَنَصرَ الشيعةَ على السّنيَّة، وقبض الزكاة والأخماس، وتَمَّ له الأمر، وأقام بذيبين إلى صفر سنة ثمان وثلاثين، ووصل ابن أبي الفتوح، فبنى[4] له في حِصْن عَلَب، قصراً بالجصّ والآجر.

وكاتب له المنصور عنساً، فأقبل من رؤسائهم مئة فارس، فدخلوا

---

(١) (الكنز): «يعجز».

(٢) كذا في (الأصل) وعبارة (الكنز): «بمنزلة لا يقوم مع ابن سلمة عليه فقتل وعاد».

(٣) مجز: ناحية من قضاء جماعة من بلاد صعدة.

(٤) (الكنز): «فنحت».

في طاعة الإمام وبايعوه، فاستدنى[1] له أيضاً الأمير جعفر بن القاسم، فجعله أمير الأمراء، [2][وصرف إليه ربع ما يحصل للإمام، ثم فسد الأمر بينهم ولم يتم، وتمالأ جعفر، وابن أبي حاشد على حرب الإمام، وخرجا من صنعاء، فأمر الإمام بخراب [دور بني الحارث][3] ودور بني مروان، فغضب ابن أبي الفتوح، وابن أبي حاشد لذلك، ودخلا صنعاء ورفعا أيدي عمال الإمام، وطرد الشيعة من الجامع، ومَكَّنا منه السُّنَّة، وقطعا اسمه من خطبته، فخرج هارباً من عَلب إلى الجوف، ثم إلى بلاد عنس، ووصلهما جعفر، فأقاموا بصنعاء مدة.

وتوفي السُّلطان يحيى بن أبي حاشد، أول سنة أربعين وأربع مئة، فأغلقت أبواب صنعاء، ولم يتبايع الناس ثلاثة أيام، ووصل المنصور بن أبي الفتوح معزياً فيه إلى همدان، وأقام[4] الناس ابنه أبا حاشد، وحلفت له همدان.

وفي ليلة الاثنين ثالث جمادى الآخر: وهي ليلة قران المشتري، ظهر علي بن محمد الصليحي باليمن، فاستولى عليه كافة، ودَمَّ ملوكه في أقرب مدة، ونحن نذكر مبتدأ أمره وكيف اتصلت به دعوة القرامطة[5]، قد ذكرنا دخول علي بن فضل والمنصور وما تَمّ لهما، وموت علي بن فَضل في سنة ثلاث وثلاث مئة، وكان موت صاحب مسور سنة اثنتين وثلاث مئة، واستخلف على أهل دعوته، رجلاً من بني شاور يقال له: عبد الله بن عباس، وابنه الحسين وأمرهما بالمحافظة على دينهما

---

(١) (الكنز): «واستمال».

(٢) هنا سقطت ورقة من المخطوطة فألحقناها من كتاب (كنز الأخيار) مخطوط المتحف البريطاني الذي يتفق مع كتابنا نصّاً ومضموناً، فلله الحمد. وانظر المطبوعة من الكنز: ٧٥.

(٣) ساقط من (مطبوعة الكنز).

(٤) (الكنز) و(المطبوعة): «إمام».

(٥) (الكنز): «القداحية».

الخبيث، وأن لا يقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون القدّاح، فإنما هم غرس من غروسهم، وهم نالوا من الملك والرئاسة ما نالوه، وأن يكتبا للمهدي، فإذا ورد أمره بولاية أحدهما سمع الآخر وأطاع، وقد كان تقدم الشاوري إلى المهدي سابق معرفة، فكتب إليه يعرّفه موت المنصور، وأنه قد قام بالدعوة فوصلت كتبه في ولايته، وعزل أولاد المنصور، وبعث إليه سبع رايات، فسار ولد المنصور إلى المهدي، وأمره بالسَّمع والطاعة لابن عباس، فعاد وقد أيس من الرئاسة، فعلما على قتل ابن عباس فنهاه إخوته، فلم ينته، وقتله واستولى على الأمر، ولم يدع مكاتبة المهدي.

ثم إن أبا الحسين، خرج من مسور إلى عين محرم، وفيه رجل من قبله، يقال له: [ابن العرجي، واستخلف على مسور إبراهيم بن عبد الحميد التباعي[1] وهو جد بني][2] المنتاب، فحين بلغه قتل أبي الحسين، لزم مسور، وادعى الأمر لنفسه، وخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور إلى جبل بني أعشب[3]، فوثب عليهم المسلمون، فقتلوهم صغيرهم وكبيرهم، وسبوا حريمهم، ثم اتفق إبراهيم، وابن العرجي، واقتسما المغرب نصفين، لكل واحد ما يليه، ورجع إبراهيم إلى مذهب الإسلام، وخطب للخليفة العباسي، وأصله من حمير من حراز، وكان أبوه قتل في مخلاف شرف البياض[4] حين وجهه المنصور إلى هنالك، وكاتب إبراهيم الأمير ابن زياد صاحب تهامة، ودخل في طاعته، وسأله أن يرسل إليه رجلاً من قبله، فبعث إليه رجلاً

(١) في (المطبوعة): «السباعي».
(٢) ساقط من (مطبوعة الكنز).
(٣) (المطبوعة): «أعسب» - بالسين المهملة -، وهي عزلة قرب كحلان عفار شرقي حجة.
(٤) شرف البياض من خولان من جهة صعدة. الحجري ص٤٥١.

يعرف بالسّراج، وقال له: إذا أمكنتك فرصة من إبراهيم وثبت عليه، فتلَقّاه إبراهيم وأنصفه، فعامل عليه، فبلغ إبراهيم، فقبض عليه وحلق لحيته ورأسه ونفاه، وقطع مواصلة ابن زياد، وتَتبَّع القرامطة بالقتل والسَّبي، وبقي منهم بقايا، فنصَّبوا عليهم داعياً يعرف بابن الطّفيل، فقتله إبراهيم، فانتقلت الدَّعوة إلى رجل يعرف بابن قحيم[١]، وذلك في أيام المنتاب بعد موت أبيه إبراهيم، وخاف ابن قحيم على نفسه، فكان لا يستقرّ في موضع واحد خوفاً من المنتاب ومن معه من المسلمين، ثم إنه كاتب المعز[٢] إلى مصر، بعد خروجه من القيروان، فلما جاءه الموت استخلف رجلاً من[٣] شبام حمير، يُعرف بيوسف بن الأمير[٤]، فأقام دعوتهم حياته، واستخلف من شبام حمير أيضاً رجلاً يُسمّى سليمان بن عبد الله الزواحي[٥]، [والزواحي قرية من أعمال حراز][٦]، فَدعا إلى الحاكم، والظاهر والمستعلي، والمستنصر وكان كثير المال والجاه، فاستمال الرعاع والطغام إلى مذهبه، وكلّما همَّ به المسلمون، دافعهم بالجميل[٧]، وقال: أنا رَجُلٌ مُسْلم كيف يحلّ قتلي، وكان فيه كرم نفس، وأفضال على الناس، فيتركونه. وقد كان تفرّسَ في الصُليحي، فرآه رجُلاً شَهْماً مِقداماً، وكان كثير الخُلْطة له والوقوف عِنْدَه، وأحْظَأ الناس لديه[٨]، فلَمَّا حَضَرته الوفاة أوصاه بالدعوة، وأعطاه مالاً كثيراً قد كان جَمعه من أهل مذهبه.

(١) في (المطبوعة): «أقحم».
(٢) (الكنز) و(المطبوعة): «المعتز» خطأ.
(٣) من هنا ينتهي النقص في المخطوطة.
(٤) كذا في (الأصل) وفي (المصادر الأخرى): «الأشج».
(٥) عبارة (الكنز): «واستخلف بعد موته سليمان إلخ».
(٦) زيادة على (الكنز) من المؤلف.
(٧) في (الكنز): «الحيل».
(٨) (الكنز): «إليه».

وأقام الصليحي دليلاً للحاج على طريق السُراة خَمْسة عشر سنة، وهو مع ذلك يَعْمل الحيلةَ في ظُهور أمره، فَطَلع مَساراً، وهو أعلى ذَرْوة في جبال حراز، ومَعَه قَومٌ قد بايعوه على الموت، فأحاط به جميع أهل حراز وتَهدَّدوه بالقتل، فدافَعهم بالجميل وقال: إنَّما لزمته خَوفاً أن يلزمه الغير، فتلحقنا جميعاً المضرَّة، ولم يَمْض عليه أشهر[1] حتّى بناه وحصَّنه وأتْقنه، وأمْرَه يستفحل وشأنه يَظْهر، فَلمّا ظَهَر بمسار، وقد طلعه[2] قَومٌ من الحجاز، وسَنْحان، ويام، وجشم، وهَبْرة، حَصْرَه جَعْفر بن القاسم في الأحبوش، وهُمْ خَلْق كثير، ورَجُلٌ يُسمَّى جَعْفر بن العباس، شافعي المذْهب كان مجاباً في المغرب، سَارَ مع جعفر لحصاره في ثلاثين ألفاً، فأوقَع الصليحي بِجَعْفر بن العبَّاس في محطَّته في شعبان من السَنَة، فَقَتَلَه في جمعٍ عظيم، فتفرق الناس عنه، ثم طَلَع جبل حَضُور، فاستفتحه، وأخذ حِصْن يناع، وجَمَع له ابن أبي حاشد صاحب صنعاء، فالتقوا بصُوف، قريةٌ بين حَضُور، وبيْن بني شهاب، فقتل ابن أبي حاشد، وألف رَجُل [وبهذه القتلة يُضرَب المثل إلى اليوم فيقال: «قتلة صوف»[3]] وسَار إلى صنعاء فملكها، وطوى اليمن طيّاً سَهْلة وجَبَلة، حتى قال يوماً وهو يخطُب في جامع الجَنَد: وفي مثل هذا اليوم نَخْطب على منبر عدن. قال بعض من حضر مستهزئاً: سُبّوح قَدّوس، فأمر الصليحي بالحوطَة عليه، واتَّفق له أن خطب في مثل ذلك اليوم على منبر عدن، فقام ذلك الإنسان وقال: سُبّوحان قُدّوسان، فبايعه، ودخل في مذهبه.

وفي سنة إحدى وأربعين وأربع مئة[4]: هبَّت رِيْحٌ عظيمة بشبام

---

(١) (الكنز): «يسير».

(٢) (الأصل): «بمسار معه قوم»، والإصلاح من (الكنز).

(٣) زيادة على (الكنز).

(٤) كنز الأخيار: ٧٨.

حمير، فاقتلعت البرقوق[١] باصوله، وهَدمت داراً ومسجداً وجداراً عظيماً، وحملت الكلاب، فكانت تنبح في الهواء.

وفي سنة خمس وخمسين: استقر مُلْك الصليحي في جميع اليمن من مكَّة إلى حضرموت سَهْلها وجبلها، واستقرَّ بصنعاء، وأخذ مَعَه ملوك اليمن الذين أزال مُلْكهم وأسكنهم مَعَه، واختطَّ بصنعاء عِدَّة قُصور، وقد كان قد آلى أن لا يُولّي زبيداً وأعمال تهامة إلا من حَمَل له مئة ألف دينار، [ثُم ندمَ علَى يمينه[٢]، وأراد أن يولّيها صِهْره أسْعد بن شهاب، صِنْو أسماء زوجَته أمّ المكرّم، فَحَملت أسماء المال عَلى أخيها، [فقال لها: يا مولاتنا أنّى لك هذا؟ قالت: هُو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فتبسَّم وعلِم أنَّه من خزانته، وقبضَهُ وقال: هذه بضاعتنا [فقالت له أسماء: رُدَّت إلينا ونَمير أهلنا ونحفظ أخانا][٣]، فدخل [أسعد بن شهاب][٤] زبيد سنة ست وخمسين وأربع مئة وأحْسَن سيرته في الرعيَّة، وفَسَح لأهل السنَّة في إظهار مَذْهبهم، وكان يَحْملُ من تهامة إلى صنعاء كل سنة بَعْد أرزاق الجند [بها وغير ذلك من الأسباب اللازمة][٥] من العين ألف ألف دينار.

ولم تزل هذه أحواله إلى آخر سنة تسع وخمسين وأربع مئة، وعَزَم على التوجّه إلى مكة، حَرَسها الله بالإيمان، فاستخلف ابنَه المكرَّم على الملك، وسار في ألفي فارس، فَمِنْهُم آل الصليحي مئة وستون رجُلاً واستصْحَب مَعَه مُلوك اليمن الذين أزال مُلْكهم ونعمتهم، خوفاً أن يثوروا

(١) هو المشمش واللفظة يونانية (معجم أسماء النبات لأحمد عيسى: ١٤٨).
(٢) زيادة على (الكنز).
(٣) ساقط من (الأصل)، أضفناه من (العسجد المسبوك) ص٥٨.
(٤) ساقط من (الكنز).
(٥) زيادة على (الكنز).

بَعْدَه في البلاد، ونَزَل بالمهجم بظاهِرها بضيعة تُعْرف بأم الدُّهَيْم وبير أم معبد، وخَيّمتْ عسكره حوله، فلمذا كان في الثاني عشر من شهر ذي القعدة لم يَشْعر الناس لانتصاف[1] النَّهار حتى قيل لهم: قُتل الصليحي!! فانذعروا وسقط في أيدهم، وكان سبب قتله: أنّه لَمّا استولى على زبيد سنة ثمان وأربعين، وقتل نجاحاً بالسُّم، وقيل: كان أهدى له جاريةً وأمرها بأن تسمّه، فَهرب أولا نجاح سعيد الأحول، وجيَّاش، وغَيْرهما، فلحقوا بأرض الحبشة، وقد ظَهرَ على ألسِنة المنجِّمين واهل الملاحِم، أنَّ سعيد الأحول قاتِلُ علي بن محمد الصليحي، وبَلَغ ذلك الصليحي، فاستشعره، وصُوِّرتْ له صورة الأحول على جميع حالاته، وبَلغ سعيد ما اقتربت إليه همته، وتهيأ لأسبابه، وكانت أخبار[2] الصليحي عنده في كل وقت وحين، فلما سمع بمسير الصُّليحي نحو الحجاز، خَرَج من أرض الحبشة في البحر معارِضاً لَه في خمسة آلاف حربة قد انتقاها، حتى خرج من ساحل المهجم، وسار مختفياً حتى هجم على المحطَّة انتصاف النهار، والناس متفرقون في خيامهم مقيلون[3] غير مستعدين لشرٌ ولا خائفين له، فقصد الأحول في أهل بيته خيمة الصليحي، فدخلوا عليه وهو عند دواب النوبة يُريد الرّكوب، فقتلوه وأخاه عبد الله هنالك، وافترقوا في المحطَّة، فقتلوا من وجَدوا، واستولى الأحول على خزائن الصّليحي وأمواله، وقد كان استصحب منها أموالاً جليلة. قيل: كان قصده دخول مِصْر إلى دَعْوته من العبيديين، وجَمع آل الصليحي خاصة، فقتلهم رمياً بالحراب، وأخذ أسماء بنت شهاب فأركبها هودجها، وجَعَلَ رأس الصّليحي، ورأس

(١) (الكنز): «انتصاف»، وفي (المطبوعة): «في نصف النهار».
(٢) (الكنز): «أعلام».
(٣) أي قائلون من القيلولة (معروف).

أخيه أمام هودجها، حتى دخل زبيد، وتركها في دارٍ، والرأسان منصوبان قبالة الدّار التي هي فيها، وفي ذلك يقول شاعرهم العثماني[1] من قصيدة قالها ارتجالاً.

بكرت مظلته عليه فلم ترح   إلّا على الملك الأجل سعيدها
ما كان أقبح وَجْهَه في ظلّها   ما كان أحسن رأسَهُ في عودها
سُود الأراقم قاتلت أسد الشرى   يا رحمتا لأسودها من سودها

فأقامت تحت الأسر سنة، لم يمكنها الكتابة إلى ابنها المكرّم، ولا أمكنها ذلك، حتى تلطَّفت لرجلٍ مشرقي، فرمت إليه برغيف فيه كتاب لطيف يخبر المكرَّم: أن قد صارت حُبْلى للأحول، وليس كذلك، فإنَّه ما رآها قط، ولكن أرادت ما كان من استشارة حفائظ العرب، فَلَمّا وصل الكتاب إلى المكرَّم: أن قد صارت حُبْلى للأحول، جَمع رؤساء العرب والقبائل، وقرأه عليهم، فنكّفوا، وثارت حفائظهم، وسار من صنعاء في ثلاثة آلاف فارس، غير الرجّل، فخطبهم في بعض الطريق وعرّفهم إنّما يقدمون على الموت فمن أراد أن يرجع فمن مكانِه وتمثَّل بقول المتنبي:

وأورد نفسي والمهنَّد في يدي   موارد لا يصدرن من لا يُجالد

فقيل: رجع بعضهم، وسَارَ في الباقين، حتى نزل من فج الحاقاه[2] وظنَّه أتى طريق سِهَام، وبلَغ الأحول فجَمع جموعَه، وصفَّ له على باب

---

(١) هو: أحمد بن محمد العثماني، دخل إلى اليمن من العراق ومدح الصليحي. انظر: كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص٣١٤.

(٢) كذا في (الأصل): وحذفها صاحب (المطبوعة) و(العسجد)، وفي (المفيد) ص١٢٩، «فج الحلفا» قال: هو ما يعرف اليوم بشط الحلفا: إحدى المحطات الرئيسية من صنعاء إلى زبيد لذلك العهد ويقع شمالي وادي سهام. معجم البلدان والقبائل اليمنية ص٤٩١.

المجرى إلى القبلية[1] في عشرين ألف حربة، وطحنتهم العرب طحن الرَّحى، وأتى القتل على أكثرهم، وكان الأحول قد أعدَّ خيلاً مضمَّرة على باب النخل، فلمَّا انهزم الناس ركبها في خواصِه وأهل بيته، حتى أتى السَّاحل، وقد أعدَّت له هنالك سُفن، فركبها نحو دَهْلك ودخلت العرب زبيد، وكان أول فارس وقَفَ تحت طاق أسماء ولدها المكرَّم، فَلم تعرفه وسألته من هو؟ فانتسب لها وقال: أنا أحمد بن علي. قالت: إن أحمد بن علي في النَّاس كثير، فاحْسر عن وجهك حتى أعرفك، فحسر لامته عن وجهه، فأصابته رِيْح شديدة ارتعش لها واختلجت بشرة وجهه وعاش بعد ذلك سنين عِدَّة وهو على هذا الحال، وأتت رؤوس رؤساء القبائل يُسلِّمون عليها وهي بارزة وجهها لهم على عادتهم أيَّام الصليحي، وولَّى المكرَّم خاله أسعد بن شهاب زبيد والأعمال التهامية، ورجع بأمِّه إلى صنعاء، فأقامت مدَّة وماتت، فجمعت الحبشة لأسعد بن شهاب فنفوه عن البلد، وعادت إلى ملكهم، ولنذكر عودتها في موضع ثان.

ثم إن المكرَّمَ فوَّض الأمور إلى زوجه الحرَّة الملكة الصليحية، واسمها سيّدة[2] بنت أحمد بن جعفر الصليحي، وكان الصليحي يخصّها من الإكرام ما لا يفعل لبناته، ويقول لزوجته أسماء: هي والله كافلة ذرارينا، والقائمة بهذا الأمر لمن بقي منَّا، فلمَّا ماتت أسماء، فوضَّ الأمر إلى زوجته الحرَّة السيِّدة، وخَلا للشراب واللَّذات والسماع[3]،

(١) كذا في (الأصول) ولم نجد هذه اللفظة في سائر المصادر التي نقل عنها أو التي نقلت عنه.

(٢) ورد اسمها أيضاً في المقتطف ص٦٨ بالسيدة أروى بنت أحمد، وكذا في اللطائف السنية ص٣٦، والأعلام ٢٨٩/١، ط. دار العلم للملايين وفي تاريخ المعلم وطيوط. (مخطوط تحت الطبع بتحقيقنا) ورد اسمها بـ (الحُميْرى) وهو كذا في المفيد ص١٣٧ ولعله لقب عليها.

(٣) علق ناسخ المخطوطة على قوله هذا: هو منزه عن ذلك بل حاشى علاه كون خليفة =

فارتحلت من صنعاء بجيش جرَّار، حتى دخلت جبلة، فبنت دارها ويُعرف بدار العزّ[1]، وقد كان بعض من وَلّي التعكر الصُّليحي من إخوته اختط فيها داراً[2]. ثم عادت إلى صنعاء، وقالت للمكرَّم: أرسل يا مولانا على أهل صنعاء ومخلافها بالحضور غداً إلى الميدان، فلمّا حَضَروا، قالت: أشرف عليهم، فقالت: ماذا ترى؟ فلم يقع طرفه إلّا على لمع السُّيوف والأسنة البيض. ثم نزل مَعَها إلى ذي جبلة وحشدت الرعايا له، فقالت: أشرف عليهم، فأشرف عليهم فلم يقع بَصَره إلّا على رجل يجر كبشاً أو يحمل ظرفاً مملوءاً سمناً أو عسلاً، فقالت له: العيش بين هؤلاء يَصْلُح، فأقام بها، وكان يطلع صنعاء فيقيم بها ثم ينزل، فاستخلف عمران بن الفضل اليامي، وهو على حاله في ارتعاش يديه وبشرة وجهه وإقباله على لذّاته، حتى مات سنة أربع وثمانين وأربع مئة، فأسندت الدعوة إلى ابن عمه السُّلطان سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، وكان دميم الخلق لا يكاد يظهر من السرج بطائل، وكان جواداً شاعراً قائماً بأحوال الملك، وإيَّاه عنى ابن [القم][3] بقوله:

ولَمَّا مدحت الهزبري ابن أحمد ... أجاز وكافاني على المدح بالمدح
وعوَّضني شعراً بشعري وزادني ... عطاءً فهذا رأس مالي وذا ربحي

= مصر لقبه ونعته بذي السيفين، فما أنصف المصنف، بل جنح وجاف ولم يقصد الإنصاف، وهذا الداعي مشهور بالمكرم وفي الفضل والخصال المحمودة، مجمع على ذلك المؤالف والمخالف. اهـ. قلت: هذا القول الذي بهت به المؤلف كَغْلَلهُ كاتب هذه الحاشية ـ ولعله أحد الباطنية ـ ليس من عنده وإنما نقله عن عمارة اليمني أول من أرخ للصليحيين يقول في المفيد ص١٣٨: واستروح إلى السّماع والشراب... إلخ.

(١) (العسجد) ص٦٢: «دار العروبة».

(٢) (العسجد) ص٦٢، وكان الذي اختط جبلة عبد الله بن محمد الصليحي وذلك سنة ٤٥٨هـ، وكان أخوه علي بن محمد قد ولاه حصن التعكر في التاريخ المذكور فاختط مدينة جبلة.

(٣) ساقط من (الأصل) والزيادة من المفيد ص١٤٧.

شققت إليه الناس حتى رأيته فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح

وكان مستقر عزّه حصن أشيح وما إليه من الجبال المطلّة على زبيد، كوصاب، والظفر، وظفار، وريمة، فكانت الحرب بينه وبين آل نجاح سجالاً، وكانت العرب تنزل في الشتاء، فتجتمع الحبشة إلى زبيد، فيقيم العرب في الحواز، فتارة يكون ارتحالهم بالقتال، وتارةً بالوباء، حتى كان في آخر الأمر نزل في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل، فَحطَّ على زبيد، ورأى من الحبشة تواني، فتوانى في الحزم وهي منهم مكيدة، فبيّتوه في بعض اللَّيالي هو وعسكره على غرة، فأتوا على أكثر عسكره قتلاً، ونجا سبأ على قدميه على عامة ليله، حتى وجد من حمله على فرس آخر الليّل، فلم تعد العرب بعدها إلى تهامة.

وكان بعد موت المكرَّم ومصير الدَّعوة إليه، خطب الحرة السيدة، فلم تجبه وأظهرت غاية الإنكار لذلك، فتحاربا مدة، فقيل له: ما تجيبك إلا بأمر المستنصر خليفة مصر، فأرسل رسولين من خاصة أصحابه، فعاد أمر المستنصر، ومعهما خادم من أكبر خدَّام داره، فوصلوا إليها، وقد جمعت[1] [أرباب دولتها وكبارهم، فأبلغها السلام عن الخليفة بألفاظ حسنة، فأجابته بأحسن منها، ثم قال لها: إن أمير المؤمنين يقول لك، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقد زوجك أمير المؤمنين من الداعي الأوحد، عمدة الخلافة أمير الأمراء، أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عيناً وخمسون ألفاً من التحف والطيب والكساء فقالت: أما كتاب مولانا ـ صلوات الله عليه ـ فأقول فيه: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ

(١) هنا سقطت ورقة من الأصل أثبتناها من (كنز الأخيار): ٨١ أصل الكتاب.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣٠]، ولا أقول في أمر مولانا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ [النمل: ٣٢]، وأجابت إلى العقد بعد امتناع منها، فأقبل سبأ في جموع عظيمة إلى ذي جِبلة فتلقتهم من الضيافات والعطاء الواسع ما بهر سبأ وأصغر قدر نفسه عنده، فأقام لذلك شهراً، واستأذنها على الدخول فأذنت، فقيل اجتمع بها ساعة واحدة، وقيل: بل بعثت إليه بجارية ولم يجتمعا بعد ذلك ومات سبأ، فأقامت الحرة للذبَ عن ملكها المفضل بن أبي البركات الحميري[1]، وكانت هي التي تولت تربيته فكان حازماً عاقلاً شجاعاً ناهضاً وإليه عواليه التَّعْكُر، وبه ذخائر بني الصليحي وأموالهم، فصار رجل الدولة وأميرها، وعظم شأنه، وعلت كلمته، وغزا تهامة وعدن مراراً، وهو الذي كان تولى حرب الداعي حين كرهت الحرة زواجه، وحصر علياً بن الداعي في قَيْظان[2] حتى أخرجه منه، وحارب عمرو بن عرفطة الجنبي وغيره من عنس وزُبَيد، واستخرج لها نصف خراج عدن من آل زُرَيع ولم تزل هذه حالها إلى سنة أربع وخمسمائة، واستنجد به بعض آل نجاح على بعض، وكان المتولي للتَعْكُر رجل من قبله من الفقهاء فطلع إليه جماعة من فقهاء المخلاف، فسولوا له الخلاف واستولوا على الحصن وما فيه وبلغ المفضل الخبر، فأقبل يطوي المراحل فحصرهم حصاراً شديداً فلما جهدهم قال بعضهم:

والله لا مت حتى أقتل المفضل وعمد إلى حظاياه المعروفات بميله إليهن فألبسهن فاخر الحلي والحلل، وأطلعهن سطوح القصور يضربن بالدفوف بحيث يراهن المفضل وجميع عسكره، وكان شديد الغيرة فمات من ليلته كمداً. وقيل: امتص خاتماً تحت فصه سم، وعند ذلك طلعت

---

(١) أحد رؤساء دولة الملكة الحرة الصليحية (المفيد: ١٥٤).
(٢) بلد حصن خارب في بلاد يريم (المقحفي: ١٣١١).

الحرة من ذي جِبلة فخيمت بالرَّمادَي[1]، وكاتبت الفقهاء ولاطفتهم وكتبت لهم خطًّا بما اقترحوه من أمان وأموال، وقبضت الحصن وولته أحد مواليها، وقدم على أثر ذلك علي بن نجيب الدولة[2] رسولاً إلى الحرة من الخليفة بمصر، وكان نبيهاً عاقلاً فقام بأمر الحرة وغزا أهل الأطراف حتى قويت شوكته، واتخذ أربعمائة فارس من فرسان همدان وغزا ملوك زبيد في بعض أيامه فقاتلهم على باب القرتب ورمى حصانه في منخره فصرعه، وقاتلت عليه فرسانه حتى ردف ذلك وقت الظهر وثم حصانه غائِرا][3]. فَصَّبح[4] الجند طلوع الفجر وكانت الوقعة وقت الظهر، فقالت الناس: قتل ابن نجيب الدَّولة رسولاً[5].

ولم تزل أموره مستقيمة، حتى سمعت منه الحرة ما تكره، وأنها لا تصلح لتَدْبير الملك؛ لأنها قد خرفت، فأغرت به ملوك اليمن، وكانوا تحت طاعتها بحيث لا يخالفها أحدٌ منهم فيما تأمره به من صُلْح أو حرب أو عقد أو نقض، كعمران اليامي وعُمرو الجبني، وكل واحد مِنْهما يسير في ألف فارس، وغيرهما من أهل الأطراف[6]، فساروا إليه إلى الجَنَد في ثلاثة آلاف فارس، فحصروه حتى جهد، وكانت فرسانه تقاتلهم على أبواب المدينة أشدَّ القتال، فلمَّا اشتد به الحصار، فرقت الحرة عشرة آلاف مثقال مصرية[7]، وأشاعت في النَّاس أنها من نجيب الدولة، وطلبت العساكر من سلاطينها الأموال وإلا ارتحلوا، فَغَالطوهم

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هو علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة أحد دعاة الفاطميين (المفيد: ١٦٢).

(٣) هنا ينتهي السقط من المخطوطة أثبتاه من أصل المؤلف (كنز الأخيار) ص٨١ - ٨٣.

(٤) (كنز الأخيار): «فوصل».

(٥) (الكنز): «فطن الناس أنه قتل».

(٦) (الكنز): «الآلاف».

(٧) (الكنز): «بعشرة آلاف دينار درهم مصرية».

فارتحلوا وتفرّق النّاس، فقيل لابن نجيب الدولة: هذا من تدبير التي قُلت: إنّها قد خرفت، فركب إليها إلى ذي جبلة، فاعتذر إليها، ثم قدم رسول من الدّيار المصريّة فلم يحتفل به ابن نجيب الدولة، فشق عليه ذلك، والتصق به أعداء ابن نجيب الدولة، فقال لهم: اعملوا على وجهين[1]، وأنا أكفيكم أمره، اكتبوا على يدي كتاباً أنه دعاكم إلى البيعة لنزار، واضربوا سكّة نزارية، وأنا أوصلها الخليفة الآمر بأحكام الله، ففعلوا وفَعل، فغضب عليه الآمر، وبعث أميراً، فقبض عليه وسيّره إلى مصر، فسيَّرت الحرة رسولاً يشفع فيه، فلمّا توسط البحر غَرّقهم الموكلون[2] بهم بوساطة[3] أمير الدولة الزريعية.

وانتقلت الدعوة إلى الداعي سبأ بن أبي السعود الزريعي، وهؤلاء[4] بنو زُريع بن العبَّاس بن الكرم بن يام بن أصبي بن حاشد بن همدان، وهم بيت رياسة وشرف، وكان لجّدهم العباس سابقة محمودة وبلاءٌ حسناً مع الصليحي في القيام بالدعوة، ومع المكرَّم في نزول زبيد.

ولمَّا تغلّب بنو معن على عدن نَزَلها فافتتحها، ونفى بني معن، وولّى العباس ومسعود ابني المكرَّم فيها، وجعل للعبَّاس التعكر ما حَصَل[5] من البّر ولمسعود الخضراء[6]، وما بقي من السّواحل، فلم يزالا على ذلك حتى سارا مع المفضل ابن أبي البركات إلى زبيد لقتال الحبشة، فقتلا جميعاً على باب زبيد، فانتقل الأمر بِعَدن إلى

---

(١) كذا في (الأصل) ولم نجدها في (الكنز).
(٢) (الكنز): «الموكل».
(٣) (الكنز): «وصاة».
(٤) (الكنز): «وهو».
(٥) (الكنز): «وما يصل».
(٦) جبل وحصن في الطرف الجنوبي لجبل شمسان المطل من الشمال على خليج صيرة مرسى عدن (المقحفي: ٥٧٢).

ابن أبي السَّعود بن زريع، وأبي الغارات ابن مسعود، حتى ماتا فَوَلي الأمر الداعي سبأ بن أبي السعود، ومحمد بن أبي الغارات، فلمَّا مات محمد وُلِّي الأمر بَعْدَه على نصيبه أخوه علي بن أبي الغارات، وبِيد الدَّاعي سبأ مع عدن قريةَ بنا أبه[1] وَلَه في الجبال حصن الدّملوه وسامع[2]، ومطران[3]، وذبحان[4] ويمين[5]، وبعض المعافر وبعض الجَنَد.

ثم إن علي ابن أبي الغارات أساء نُوابُه مجاورة نواب الداعي وعشيرته[6]، وبَسطوا أيديهم إلى من يختص بالداعي، وجَبَوا ما ليس لهم جبايته، والدّاعي محتمل لهم، وهُو مَعَ ذلك يجمع الأموال، حتى استتم له ما يريده ونَزَل من الدملوه بعساكر عظيمة، فنزل ببنا أبه، ونزل بنو أبي الغارات بقرية الزَّعاع[7]، فقال الداعي محمد بن سبأ: كنت في طلائع الداعي[8]، فَظَهر علي ابن أبي الغارات، وعمَّه منيع بن مسعود، ولم تحمل الخيل أفرسَ مِنْهُما، فقال لي منيع بن مسعود: يا صبيَّ قُل لأبيك يَثْبُت فلا بُدّ الليلة[9] من تقبيل الجشميات[10] التي في مضاربه، فأخبرت بذلك والدي، فركب بنفسه، وقال لمن حَضَر من بني عَمِّه آل

---

(١) بنا أبه: بلدة من لحج وهي على نصف ميل غربي مدينة لحج وتعرف الآن بمية.

(٢) جبل وعزلة من ناحية المواسط وأعمال الحجرية وهو في الجنوب من جبل صبر.

(٣) حصن بقدس من الحجرية.

(٤) ذبحان: عزلة معروفة من قضاء الحجرية.

(٥) - بضم الياء - حصن من الزعازع بالغرب من ذبحان.

(٦) (الكنز): «أساء برأيه بمجاورة نواب الداعي» كذا.

(٧) في (الأصل): «الزعازع بزائين معجمتين». قلت: وقد ترد هكذا في بعض المراجع مدينة مشهورة كانت عاصمة لحج أيام الزريعين وهي اليوم خراب.

(٨) (الكنز): «والدي».

(٩) في (الأصل): «الشيعة»، والإصلاح من (الكنز).

(١٠) نسبة إلى جشم جد آل زريع.

الذئب، العرب المستخارة[1]، لا تصبر على حدّ الطعان، ولا تحمل الثبات إلا قدره، فالقوا بني عمكم بأنفسكم، وإلا فهي الهزيمة[2] والعار، فالتقى القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً، واتفق أن طُعن منيع بن مسعود طعنة ظلمت شفته[3]، وخرمت أرنبته.

وأقبل وادي لحج دافعاً بالسيل فتحاجزوا ووقفوا على عدوته[4] يتحادثون، فقال الدّاعي لمنيع بن مسعود: كيف رأيت تقبيل الحشميات يا أبا المدافع؟ فقال: وجدته كما قال المتنبي:

والطعن عند محبيهن كالقُبَل

فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب لموافقته شاهد الحال، فتركهم بعدن ولحج مدة طويلة[5] ثم استفتح الدّاعي لحج، وبقي ابن أبي الغارات فَلَحق بحصن منيف[6]، والجليلة[7] وصُهيب، واستفتح نائبه بعدن الخضراء وما لبني أبي الغارات بها، وكان ذلك في يوم واحد، وَصَفَتْ البلاد للدَّاعي سبأ، ودَخَلَ عدن وأقام بها سبعة أشهر ومات، فَدُفن بِسَفح حصن التعكر[8]، وذلك سنة ثلاث وثلاثين، بعد الحرّة بسَنة، فَوَلي بعده الأمر وَلَده، واسْمَه عليًا[9]، ودخل القاضي الرشيد بن الزبير من مِصْر بتقليد الدعوة، فوافاه[10] قد مات سنة أربع

---

(1) كذا في (الأصل) وفي (الكنز): «المستأخرة».

(2) في (الكنز): «المذمة» و(المفيد) ص١٨٠ : «الهزيمة».

(3) الأصل مسفرنة والإصلاح من (الكنز).

(4) (الكنز): «نواحيه».

(5) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) و(المفيد) ص١٨٠ : «فأقامت فتنته بعدن ولحج مدة طويلة».

(6) منيف: حصن في سبأ صهيب المعروف ببلاد العلوي جنوب لحج.

(7) كذا في (الأصل) و(الكنز) ومخطوطة (المفيد): «الحبلة قرية هناك».

(8) (الكنز): «الدعكر».

(9) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) و(المفيد) ص١٨٣ : «فولى بعده ولده على الأغر».

(10) (الكنز): «فوافقه».

وثلاثين، فَقلَّدها أخاه محمد بن سبأ، ولقَبه المعظم المتوّج المكين، وكان الداعي محمد بن سبأ ممدوحاً يَقْصُده الشعراء، فيثيبهم ويُجزل لهم العطاء، وكان جواداً حليماً، وتَوسَّع في الملك وَغَلَب على أكثر البلاد [1][ومن شُعرائِه محمد بن زياد الماربي الشعتمي[2] مِنْ مأرب مدينة السد، وَلَه فيه من أوَّل قصيدة يَمْدَحه بِهَا وهي إذ قال[3]:

ما رَاق حُسَّادي وريِّق كاسي   كيد الفتى ومَكائد الأنكاس

ومن محصلها:

فأشرب على برد النسيم وعاطني   صُهْباء تحسب شعلة المقياس
أو مَا ترى وجه الزمان وقد بَدَى   كالبدر ينصف سدفة الأغلاس
وعَلا لسان الحق واختطب الهدى   من بعد ما أشْفي على الديماس[4]

ومن شعرائه القاضي عمران بن أحمد بن عمر بن منيع اليامي[5]، فَمَن مَدائحه في الداعي محمد بن سبأ قوله:

رايات حقٍّ خافقات بنودها   وآيات صِدْق طالعات سُعُودها
أفاد سُرور المؤمنين وفودها   وأورد كَتب الكافرين وُرُودها

ومن مديحها قوله:

وخصَّ بها الداعي المكين الذي له   مفاخر فوق الفرقدين مشيدها
أخاهمةٍ ردَّت دُجى الليل واضحاً   ونَشَّر مطويَّ المكارم جُودَها

---

(١) من هنا تبتدىء الزيادة التي أضافها المؤلف على (كنز الأخيار) نقلاً عن مفيد عمارة.
(٢) انفرد المؤلف بهذه النسبة. انظر: ترجمته في المفيد ص٢٦٨.
(٣) هذه الأبيات سقطت من مطبوعة المفيد وسنوردها في طبعتنا للكتاب.
(٤) الديماس: المكان العميق الذي لا ينفذ إليه الضوء.
(٥) هذا الأديب لم يذكر ضمن شعراء (المفيد) لعمارة النسخة (المطبوعة) وسنثبته في تحقيقنا لطبعة الكتاب المذكور إن شاء الله تعالى.

ومن مدّاحه القاضي الأجل الفاضل، يحيى بن أحمد بن عبد السلّام بن أبي يحيى[1] من السادة الرؤساء العُلماء الفضلاء، وبنو أبي يحيى قضاة صنعاء، ورؤسَائها وسَادتها وكُبرائها، وليْس في أهل الجبال الذي عاصرهم[2] أشعر من هذا يحيى بن عبد السلام، ولم أورد له هُنا من مختار شعره شيئاً إذ لم أجده، وإنَّما أوردت ما اتفق حضوره عندي، فمن ذلك مطلع هذه القصيدة التي يَمْدح بها الداعي محمد بن سبأ صاحب عدن، وقد عزم على الخروج إلى ذي جبلة لتملك بلاد الأمير منصور بن المفضَّل وهو قوله:

النصر من قرناء عزمك فاعزم   والدهر من أسراء حكمك فاحكم

ومن مدَّاحه الشريف يحيى بن محمد بن علي بن الحسين، مدحه بقوله من أول قصيدة[3]:

جلالك ألبس العيد الجلالا   ومجدك مِنْه مجد العيد طالا
وعزَّك أكسب العباد عزَّاً   تتيه به فصار لها جمالا

ومن مدَّاحه الشيخ الأديب سالم بن عمَّار التَّغْلبي يمدحه من قصيدة أولها:

هل للفضائل عن مديحك مَعْدِل   أم هل لها من دون بابك مَوْئل
شغلت صفاتك ألسن الشعراء عن   أن يفسقوا معها وأن يتغزَّلوا

ومن مدَّاحه أيضاً المأذون أحمد بن سالم بن ظفر الهمداني[4] بقوله:

زمانك أحيا ميتات الخواطر   وعَصْرك أبدى داثرات الدوائر

---

(١) هو: أخو العلامة جعفر بن أحمد بن عبد السلام، ذكره عمارة في مفيده ص٣٢١.
(٢) الضمير هنا يعود إلى عمارة والكلام له. انظر: المفيد ص٣٢١.
(٣) المفيد (المخطوط) لوحة: ١٢٦.
(٤) من شعراء المفيد (النسخة الموسعة).

شأوت الكرام السابقين إلى العلا   فأصبحت فيهم أولاً غير آخر

ومِنْ مدَّاحه أيضاً دجانة بن محمد الصَّنعاني فمن شعره فيه قوله:

قَسماً بمدحك أنه لمشيد   حقّاً وأنك في الزمان وحيد

فأقعد بِدَسْت الملك غير منازع   وألبس رداء العزِّ فهو جديد

وأفخر على أهل الزمان فإنَّهم   خَولٌ وإنَّك فيهم لعميد

ومنهم الشيخ محمد بن القاسم بن محمد، يَمْدحه ويُهنيه بعيد النحر سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة[1]:

ألوم وحَرُّ الوجد ما أتعتب   وهجر وتَعْذِيبي لَمَّا أتحبَّبُ

وأعجب شيء أن أبين صبابةً   لواعجها بين الحشا تتقلب

ومنهم الشيخ الأديب أحمد بن علي بن أحمد المعافري، فمن مديحه في الداعي محمد بن سبأ قوله:

شهدت بفضلك يَعرب العرباء   وَعَنت لك الأشباه والنظراء

وترفعت همم نراها فيك أن   يأتي على أوصافها الشعراء

وهي قصيدة طنانة في بابها، ومنهم الأديب أحمد بن محمد الخيار، فمن مختاره وأشعاره [في] مَدْح الداعي محمد بن سبأ قوله:

هي الدعوة الغرَّاء والعزّ والنصر   وطيب الثناء والفضل والمجد والفخر

لمن قوله فضل وباطنه حجى   وظاهره بشر ونائله غمر

ومنهم الأديب الأجل وزير الدولة الهَمْدانية ومميَّز الكتابة الإنشائيَّة عبد الله[2] بن أحمد الصنعاني فمن ذلك قوله يمدح الداعي محمد بن سبأ بقوله:

---

(١) المفيد (المخطوطة) لوحة: ١٣٢.

(٢) المفيد (المخطوطة) لوحة: ١٤٠.

لم يدر كيف يقول فيك المادح أم كيف ينصفك الثناء مدائح
يأبى امتناعاً أن ينالك واصفٌ أبداً كما امتنع السماك[١] الرامح[٢]

وكان موت الحرّة المتقدّم ذكرها بذي جبلة سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، وانتقل ما كان بيدها من الحصون والذخائر إلى منصور بن المفضل، فابتاع الداعي منه الحصون والبلاد، سنة [ست و][٣] أربعين مثل مدينة جبلة، والتعكر، وحَبْ وغيرهما من حصون المخلاف وسواه، وطلع الداعي محمد بن سبأ المخلاف، فسكن بذي جبلة، وكان موته سنة ستين وخمس مئة [ولم يزل الأمر في ذرّياتهم حتى نفاهم سيف الإسلام][٤].

وأمَّا صنعاء، فملكها بعد الداعي سبأ بن محمد الصليحي، رجلٌ من همدان من هبرة[٥] يُعرفُ بحاتم بن الغشم، وكان ناهضاً كافياً، وله ولد يُسمَّى محمد، لم يشاركه أحَدٌ في شجاعته وجوده، إلَّا أنَّه كانت فيه لوثة واختلال[٦] عقل، وكان إذا تزوج بامرأة وأحبَّها قتلها، فتحاماه الناس، ولم يزوجُه أحدٌ بعد ذلك [ثم إنه] خطب إلى بني الصليحي أهل قيضان[٧]، فأبوا زواجته، فألح عَلَيْهم، فقالوا: إذا ضَمن أبوك زوجنَّاك، فَلَمْ يزل بأبيه حتى ضَمن عليه، وقال أبوه: إن قتلتها قتلناك، فأقامت عنده مُدّة، فقتلها ولَحِقَ بحصن براش صنعاء، فَلَمْ يزل أبوه يخادعه

(١) السماك الرامح: أحد السماكين وهما نجمان نيران أحدهما في الجهة الشمالية أمامه كوكب صغير يقال له: راية السماك ورمحه، ولذلك يقال له: السماك الرامح، والآخر في الجهة الجنوبية يقال له: السماك الأعزل.
(٢) من هنا تنتهي الزيادة على (الكنز).
(٣) زيادة من (الكنز).
(٤) زيادة لا توجد في (الكنز).
(٥) هبرة: بطن من همدان من ولد هبرة بن مذكر بن يام.
(٦) (الكنز): «اختلاط».
(٧) قيضان: حصن خارب من جبل بني الحارث من بلاد بريم.

ويلاطفه حتى التقيا تحت المدرَّج، فوثب عليه والده فقتله، وقطع رأسَهُ ودخل به صنعاء على رُمْح، وكان لابنه مُحمَّد بنيَّة في بيت جدِّها، وقد سمعت بأنَّ جدَّها خرج ليأتي بأبيها، فلم يُفاجئها إلَّا رأس أبيها على الرُّمح، فماتت فجأة، وقال حاتم في قتل ولده[1]:

وارتعت رأس الأريحي محمّد من البيض مشحوذ العرانين صارما
وقد كان إن جشمته لملمّة من الخطب والهول المخوف تجشَّما

ومما يُحكى من شهامة هذا محمد وعُلُّو همتِّه: أن ركب يوماً بصنعاء، حتى إذا صار بالجنوب المقابل للجراف، صاح بهمدان، فخرج إليه من صنعاء، والمنظر، وشعوب، سبع مئة لابس، فقالوا: ما معك؟ قال: أريد غزو نجران. فقالوا: سمعاً وطاعةً، وإنَّما نتزوَّد ونستعد لذلك فالموضع بعيد، فأبى عليهم، فلم يزالوا به حتى أذن لهم في العود تلك الليلة ويوافونه بكرةً، وقال: صبُّوا دروعكم رهانة، فصبُّوا مئة درع، ولذلك الموضع يُعرف بمصبِّ الدروع إلى الآن، وغزا نجران على طريق مأرب والغيط، فأخذه واستباحه، فلمَّا مات حاتم بن الغشم، انتقل ملك صنعاء ومخاليفها إلى السُّلطان حاتم بن أحمد بن عمران اليامي، وذلك سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة، فكان حدَّ مُلكه من نقيل الغابرة[2] إلى اليمن، وإلى القبلة بركة حوث[3] المعروفة بالحبرة، وصَعْدة بيد الأشراف الهدويين من بعد الصليحي، والجوف بأيدي أهله، وقد ذكرنا ما جرى بين حاتم بن أحمد، والإمام أحمد بن سليمان من الوقائع والحروب في الباب الأول، وأخبار أهل البيت عليهم السلام[4].

---

(١) الأبيات في (الكنز): ص٨٦.
(٢) موضع بالقرب من حصن الكميم.
(٣) عبارة (الكنز): «إلى اليمن وإلى القبلة إلى حوث وصعدة... إلخ».
(٤) قلت: لم يذكر المؤلف شيئاً من هذه الوقائع، كما أن كتابه هذا غير مقسم على =

ومات حاتم بن أحمد سنة ست وخمس ومئة، فوَلي بعده ولده حميد الدولة علي بن حاتم، فخالفت عليه همدان، وقتلوا أخاه عمران، ثم استقاموا له واحتوى على ملك أبيه، واستقوت شوكته، ونزل اليمن الأسفل لقتال بني مهدي، فأوقع بهم في الحبالى[1]، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وذلك في ربيع سنة تسع وستين، وحطَّ في القاع خَلْف سوق الخميس، فَنُسب ذلك الموضع إليه إلى الآن، فقيل قاع همدان وعاد من الحبالي، فأوقع بأهل عدينة، فقتلهم.



تمام ذكر بني نجاح ملاح[2] زبيد

ولنعد إلى ذكر من ملك من آل نجاح بعد قتل الصليحي ورجوع المكرَّم بأمِّه من زبيد، وتوليته لها أسَعد بن شهاب، فلمَّا صار المكرَّم بصنعاء، وثب سعيد الأحول فَطَرد أسعد بن شهاب منها، فلحق بالمكرَّم، فَرَجعت زبيد والأعمال التهامية إلى الأحول، ثم إن الحرَّة السيِّدة أعملت الحيلة في قتل سعيد، وأمرت والي حصن الشعر، أن يكاتب سعيداً بأنَّه يُسَّلم جَبَل الشّعر، ومِنْهُ يستولي على الحرَّة وما بيدها من الأعمال، فَطمع في ذلك، واستعدوا[3] ليَوْمْ معلوم، وقد أمرت الحرَّة ملوك اليمن الأعلى بحشد عساكرهم ونُزُولهم من الجبال المطلَّة

= أبواب، وإنما قد نقل هذه العبارة بنصها من كتاب (كنز الأخيار) للشريف إدريس بن علي انظر (الكنز) (المطبوعة) ص٨٦، وقد جرّه النقل إلى إيراد هذه العبارة دون أن يتنبه إليها فليعلم.

(١) الحبالى: هي عزلة من ناحية السَّدَة ـ أعمال يريم، وفي (الكنز) (المطبوعة): «الجبال».

(٢) كذا في المخطوطة وأظنه تصحيف ملوك، والله أعلم.

(٣) في (الأصل): «واستعربه» وما أوردناه في (الكنز).

على زبيد، وأن يطووا المراحل خلف سَعيد، فَلمَّا صار [سعيد][١] تحت الشِعْر، أطبق عَلَيْه جيش الجمعين جَمْع العرب، وجَمْع الحُرَّة، فقتل في أكثر الجيش الذين معه، ولم يَذْكر[٢] هلاك[٣] سعيد على هذا الوجه إلَّا عمارة في مفيده[٤]، [وهو ضعيف][٥] قال: وذلك في سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة، فَوَلي بَعْده أخوه جيَّاش بن نجاح[٦].

ولنذكر نبذه من أخبارهم وسَفَره إلى الهند مع وزيره، وذلك بعد قتل أخيه سعيد الأحول.

سافر جيَّاش إلى الهند ومَعَه وزيره قَسِيم الملك أبو سعيد خلف بن أبي الطاهر الأموي من وَلد سليمان بن هشام بن عبد الملك، فقال جياش: تنكرَّت ودخلت إلى عدن ومعي الوزير خلف، ودخلنا إلى الهند في سنة إحدى وثمانين، فأقمنا بها ستة أشهر ورجَعنا إلى اليمن في تلك السنَة بعينها، قال: ومن أعجب ما رأيته في الهند: أن إنساناً قدم من سرنديب، ولم يبق أحد إلَّا فرح به، وزعموا بأنه عالم بأخبار المستقبلات، فسألناه عن حالنا فبشرنا [بأمور][٧] لم يُخرم قَوْله منها شيئاً، واشتريت جاريةً هنديةً، علقت منِّي بالهند، ودخلت بها إلى اليمن وهي في خمسة أشهر، وحين وصلنا إلى عَدَن، قدَّمت الوزير خَلَفاً إلى

---

(١) زيادة من (الكنز).

(٢) (الكنز) (المطبوعة): «ولم ينكر».

(٣) (الكنز): «هلكه».

(٤) المفيد ص١٤٤.

(٥) الزيادة من (الكنز)، وهي هنا ضرورية؛ لأن ذكر عمارة باسمه بِقصد انتقاد روايته، فيكون الشريف إدريس بن علي صاحب (الكنز) هو أول من تنبَّه إلى بعض أوهام عمارة في تاريخه فليعلم.

(٦) من هنا يختصر صاحب (الكنز) أخبار الأحباش فيرجع المؤلف إلى المفيد لعمارة ص٢٠٣، ط. حسن سليمان، وص١٦٣، ط. الأكوع.

(٧) ساقط من (الأصل) والزيادة من المفيد ص٢٠٤.

زبيد، على طريق السَّاحل، وأمَرْته أن يَشيع موتي في الهند، وأن يستأمن لنفسه، وأن يكشف[1] لي عن حقيقة أحوالها، ومن بقي من قومنا الحبشة في أعمالها، وصَعَدت إلى ذي جبلة، فكشفت عن أحوال المكرَّم بن علي، وما هو عليه من العُكوف في لذاته، واضطراب جسمه، وتفويض الأمور إلى زوجته لملكة السَّيدة ابنة أحمد، ثم انحدرت من الجبال إلى زبيد، فاجتمعت بالوزير، وأخبرني بأحوال طابت بها نفسي عن أوليائنا وبني عمَّنا وعبيدنا، وأنَّهم في البلاد كثير، وأنَّهم يعدمون رأساً يثورون معه. قال جيَّاش: وجَرَيْت[2] على عادة الهند، فأخذت شعر وجَهي وطوَّلت أظفاري وشعري، وسَترت عيني الواحدة بخرقةٍ سوداء، وكنت قريباً من الدَّار السلطانية، وإذا افترق النَّاس من الصباح قصدت مسطبة علي بن القُمَّ، وهو وزير الوالي من قبل المكرَّم بن علي، فسمعته يَوماً وهو يقول[3]: والله لو وجدت كلْباً من آل نجاح لأملكته زبيداً، وذلك لشرٍّ حدث بينهم[4]، وبين الوالي أسعد بن شهاب.

قال جيَّاش: وخرج الحسين بن علي القميّ الشاعر، وهو يومئذٍ رأس طبقة أهل زبيد في الشّطرنج، فقال لي: يا هندي تحسن تلعب بالشطرنج؟ فقلت: نعم، فتلاعبنا فغلبته، فكاد أن يسطوا عليَّ، ثم دَخَل على أبيه فقال له: غُلبت في الشطرنج، فقال له والده: ما هنا من يغلبك إلا جيَّاش بن نجاح، وقد مات بالهند، ثم خرج عليَّ والد الحسين، وهو طبقة عالية، فلعبت معه، فكرهت غلبه، فخرج الدسّت[5] مانعاً، فاغتبط بي وخلطني بنفسه، وهو يقول في كل يوم وليلة: عجلَّ الله علينا بكم يا

(١) في (الأصل): «يكشفوا»، والإصلاح من المفيد.

(٢) في (الأصل): «أجريت».

(٣) المفيد ط. الأكوع: ص١٦٤ يقلى (خطأ).

(٤) (المفيد): «بينه».

(٥) الدست: هو الذي يكون فيه الغالب في الشطرنج تقول الدست لي والدست علي.

آل نجاح، فإذا كان الليّل اجتمعت أنا والوزير خلف ثم نفترق في أثناء النهار، وأنا في أثناء ذلك أُكاتب الحبشة المتفرقين في الأعمال وآمرهم بالاستعداد، وحين حصلت حول[1] المدينة خمسة آلاف حربة متفرقة في الحارات [وداخل البلد]. قلت للوزير خَلَف: إنَّ لي عند عُمر بن شُحَيم[2] مالاً فخذ مِنْه عشرة آلاف دينار، وأنفق في الرجال فقد اجتمعوا، فَفَعل ذلك، ثم لقيت الوزير ليلةً، فقلت له: يا مولاي[3] القائد أبو عبد الله الحسين بن سلامة أتى في النَّوم، فقال لي: يعود إليك الأمر الذي تحاوله ليلة ولادة هذه الجارية الهندية. ثم التفت الحسين إلى جانبه الأيمن، فقال لرجل معه: أليس كذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ويَبْقى الأمر في ولد هذا المولود برهةً من الدهر.

قال جيَّاش: ولقد أذكر يوماً أن علي بن القُمَّ عاد من دار السُّلطان إلى داره وهو مغتاض، فلمَّا سكن غيظه، قال لي: اصْعَد يا هندي حتى ألعب مَعَك، فلمَّا لعبنا جاء الحسين إلى بيته، فضرب عبداً له بالسّوط، فنالني طَرَفه وأنا غافل، فاعتزيت، فكانت عادة لي أقولها عند كل مُهم يتعبني، فقلت: أنا أبو الطامي، فقال الشيخ: يا هندي ما اسمك؟ فقلت: اسمي بَحْر، فقال: بَحْرٌ والله يَصْلُح أن يُكنَّى أبا الطَّامي، فقال جيَّاش: وندمت عليها وساءت ظنوني بالقوم، فقال جيَّاش: فلمَّا أراد الله رجوع هذا الأمر إلينا، تلاعبت أنا والحسين ابن القُم الشَّاعر الشطرنج، ولَيس معنا إلا أبوه على سرير، وهو يعلِّم ولده، قال له أبوه: إنْ غلبت الهندي أوفدتك على المكرَّم وعلى السيّدة بارتفاع هذه السّنة، ودفعت لك بالوفادة التي يدفعونها لعامل تهامة، وهي ألوف من الدَّنانير، فتراخيت له

---

(١) (الأصل): «خلف».

(٢) في (المفيد): «سحيم السين المهملة».

(٣) (المفيد): «إن مولاي».

حتى غلبني، قصداً في التقرّب إلى قَلْب أبيه، وطاش الحسين بن علي من الفرح، فَسَفِه عَلَيَّ بلسانه فاحتملته لأبيه، فمدَّ يده إلى الخرقة التي كانت على وجهي فأحفظني، فقام أبوه فَقَبح عليه، وقُمت من الغيظ فعثرت[1] وقُلت: أنا جيَّاش بن نجاح على جاري عادتي، ولم يسمعني سُوى الشيخ فوثَبَ علي بن القُم حافياً من خلفي يجر رِداءه، حتى أدركني، فأمسكني، وأخرج المصحف فَحلفَ لي بما طابت به النفس فَحلَفْت له، وليْس مَعَنَا أحدٌ، ثم أمَرَ بإخلاء دار الأغرّ[2] بن الصليحي وفُرِشت وعُلقت ستورها، ونُقِلَتْ الجارية الهندية إليها، وحُمل إليها الوصائف والوصفان وماعون وأثاث[3]، وعاقَنَي عِنْده إلى أن أنسَى الليل، ثم أذن لي في الانصراف، فدخلت فوجدت الجارية قد وضعت بين المغرب والعشاء ولدي الفاتك.

ثم أتاني علي بن القُمّ ليلاً، وقال: خَبَرنا لا يخفى على أسعد بن شهاب. قلت: إن معي في البلد خمسة آلاف حربة. قال ابن القُم لجيَّاش: قد ملكت فاكشف أمرك. قال جيَّاش: فإني أكرَه قتل أسعد بن شهاب؛ لأنَّه طالما قدر على أهلينا وذَرارينا فخلَّى عنهم وأحسن إليهم. قال له ابن القُم: افعل ما تراه، فضرب جيَّاش الطبول والأبواق وثارت معه عامة المدينة، وخمسة آلاف حربة من الحبشة، وأسر ابن شهاب، فقال: ما يومنا منكم يا آل نجاح بواحد، والأيَّام سجالٌ بين الناس ومثلي لا يسأل العفو، فقال له جيَّاش: ومثلك لا يُقتل يا أبا حسَّان، ثم أحسن إليه جيَّاش وأولاه خيراً، وسَيره بجميع ما ملك من أهل ومال. قال جيَّاش: وسُلمت دار الإمارة بما فيها صبيحة الليلة التي وُلد فيها

---

(١) (المفيد): «فاعتزيت».
(٢) (المفيد): «الأعز».
(٣) (المفيد): «ماعوناً وأثاثاً».

فاتك، وصَحَّ ما كان الحسين بن سَلامة أخبرني به في النَّوم من رجوع الأمر إليَّ عند ولادة الحامل التي كانت عندي.

ثم لم يمض شهر حتى صرت أركب في عشرين ألف حَرْبَة من عبيدنا وبني عمِّنا الذين كانوا مستضعفين في البلاد، فسبحان المعز بَعْد الذلَّة، والمكثر بعد القلْة.

ولم يكن من المكرَّم بعد ذلك كثر نكاية في جياش، أكثر من غارات على أعمال زبيد، وفي هذه الحال يقول الحسين بن القُم الشاعر يخاطب جيَّاشاً حين قتل قاضي القضاة الحسن بن أبي عقامة:

تَـفـرّ إذا جـر الـمـكـرَّم رمـحـه   وتشجع فيمن ليس يحِلى ولا يمري

وفيه أيضاً من قصيدة يأتي ذكرها:

أخطأت يا جيَّاش في قتل الحسن   فـقـأت والله بـه عـيـن الـزمـن

ولم يزل جيَّاش بن نجاح مالكاً لتهامة من سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة إلى سنة ثمان وتسعين وأربع مئة، ثم مات في ذي الحجة منها، وترك من الأولاد الفاتك من الهنديَّة، ومنصور، وإبراهيم، وعبد الواحد، والذَّخيرة، ومعاركاً، وقيل: مات جَيَّاش سنة خمس مئة في رمضان منها، والأول أظهر.

وولَّى بعده ابنه الفاتك وخالف عليه أخوه إبراهيم بن جيَّاش، وكان إبراهيم بن جيَّاش، فارساً جواداً متأدباً فاضلاً، وخالف عليه أيضاً أخوه عبد الواحد بن جيَّاش، وكان العسكر تحبّه وتأمنه، وجرت بينهما وقائع وحروب، واقتسمت عبيد أبيهم عليهم، وآلت الحال إلى أن ظفر فاتك بن جيَّاش، [وأخيه عبد الواحد، فعفا عنه وأكرمه وأغناه وأرضاه، وأما إبراهيم بن جياش فنزل][1] بأسعد بن وائل بن عيسى الوحاظي، ففعل معه

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المفيد) ص٢٠٨ وفيها إلتباس.

من الإكرام ما لم يسبقه إليه أحد، ومات فاتك بن جياش سنة ثلاث وخمس مئة، وترك ولده المنصور بن فاتك بن جياش صغيراً دون البلوغ، فملَّكته عبيد أبيه، وحشد إبراهيم بن جَيَّاش بعد موت فاتك على أخيه وهَبَط إلى تهامة، فالتقى هو وعبيد فاتك [فتواقعوا على قرية يقال لها الهويب[1].

وحين خلت زبيد من عبيد فاتك][2] واشتغلوا بإبراهيم بن جياش. ثار عبد الواحد بن جيَّاش في زبيد، فملكها، وحاز دار الإمارة، وخرج الأستاذون والوصفان بمولاهم منصور فاتك، وأدلوه من سور البلد ليلاً، خوفاً عليه من عبد الواحد، ولحق المنصور بعبيد أبيه فاتك، وتسلَّل الناس عنه وعنهم إلى عبد الواحد بن جيَّاش حين ملك زبيداً، وكانت العساكر تُحبُّه[3]، ولمَّا رأى إبراهيم بن جيَّاش، أنَّ أخاه عبد الواحد قد سبقه إلى الأمر والحصول على زبيد، توجَّه إلى [الحسن][4] ابن أبي الحفاظ الحجوري، وهو يومئذٍ بالجريب[5]، وبنو أبي الحفاظ من بني حريث بن شراحيل وهم يعودون إلى همدان، وأمَّا عبيد فاتك، فإنَّهم نَزَلوا بالملك المفضَّل بن أبي البركات الحميري صاحب التعكر، وبالحرَّة السيدة الملكة بنت أحمد الصليحي بذي جبلة، فأكرما[6] مثواهم، ثم التزمت عبيد فاتك للمفضل بن أبي البركات بربع البلاد على نصرتهم من عبد الواحد بن جيَّاش، فأخرجه من زبيد، وملَّكها لهم، وهَمَّ المفضل أن يغدر بآل فاتك، ويملك البلاد عليهم، حتى بلغه أن

(١) الهويب: قرية من وادي رماع غربي جنوب الحسينية. معجم البلدان والقبائل اليمنية ص١٨٣٣.
(٢) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المفيد) ص٢٠٨.
(٣) (المفيد) و(المطبوعة) ص٢٠٨: «تحبه وملكه».
(٤) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المفيد).
(٥) الجريب: قرية من بلاد حجور الشام وهي مقر السلاطين بني الحفاظ الحجوري.
(٦) (المفيد): «أكرمت».

حصن التعكُّر قد ملكه جماعة من الفقهاء واستولوا منه على ملك لا ينبغي [لأحد][1] مثله، ففارق المفضَّل زبيد، يُريد الجبال لا يلوي على أحد، حتى كان ما قدَّمنا ذكره[2] من قتل [نفسه][3] بالسَّم لمَّا نَظَر إلى حظاياه بين الرجال، وهن في المصبّغات والطارات بأيديهن، وهن يغنِّين.

ثم إن الأمر في تهامة، استقر لمنصور بن فاتك ولعبيد أبيه، فمن أولاد فاتك الأمراء، ومن عبيده الوزراء، فأمَّا الأمراء، فمنهم المنصور بن فاتك، ثم فاتك بن المنصور، وهو من الحرّة الصالحة الحاجة[4]، ثم لمَّا مات فاتك ولدها من[5] المنصور، انتقل الأمر إلى ابن عمّه، واسمه [أيضاً][6] الفاتك بن محمد بن منصور بن فاتك بن جيَّاش، وانتقل الأمر إلى هذا فاتك بن محمد سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، وقتله عبيده سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة، وعنهم زالت الدولة إلى علي بن مهدي الخارج باليمن في رجب سنة أربع وخمسين وخمس مئة، ولم يكن لأولاد فاتك بن جيَّاش من الأمر، سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العبَّاس، والسكَّة، والركوب بالمظلة في الموسم، وعقد الآراء في مجالسهم، وأما الأمر والنَّهي، والتدبير، وإقامة الحدود، وإجازة الوفود، فلعبيدهم الوزراء، وهم عبيد فاتك بن جيَّاش، وعبيد منصور ابنه، وهُم وإن كانوا حبشة، فلم تكن ملوك العرب تفوقهم في

---

(١) ساقط من (المفيد).

(٢) وهذا سَهْو آخر يقع فيه المؤلف نتيجة اعتماده على النقل دون تمحيص؛ لأنّه لم يسبق أن ذكر قتل المفضل المذكور نفسه بالسم، بل لم يسبق له ذكر حادثة الفقهاء بالتعكر أصلاً، وإنما نقل كلام عمارة في مفيده ص٢٠٩ بالحرف الواحد، وقد كان عمارة سبق له ذكر فقهاء التعكر مع المفضل في صفحة ١٥٨ من تاريخه المذكور، فليعلم.

(٣) زيادة من (المفيد).

(٤) (المفيد): «الحجاجة».

(٥) (المفيد): «بن».

(٦) زيادة من المخطوطة على (المفيد).

الحسب إلا في النَّسب، وإلا فَلَهم الكرم الباهر والأمر[1] الطاهر، الجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة[2].



[ذكر وزراء آل نجاح][3]

وأول من وزر منهم أنيس الفاتِكي[4]، وكان من بطن في الحبشة، يُقال لهم: الجزليون، وملوك بني نجاح من هذا البطن، فكان أنيس هذا جباراً غشوماً، مهيباً شجاعاً، مشهوراً، جواداً، ولَه في العرب وقعات تحاموا تهامة من أجلها، ثم طغى أنيس هذا، وبنى داراً واسعةً أرضيةً، عرض كل قاعة منها ثلاثون ذراعاً، وعرض كل مجلس فيها أربعون ذراعاً، وهي قصور واسعة، وعمل لنفسه مظلَّة للركوب، وضَرَب السكّة باسمه، وهم أنْ يفتك بمولاهم[5] المنصور بن فاتك، فاشتهر الأمر وانتهى[6] التَّدْبير من ندمائه لعبيد فاتك، فدبَّروا عليه الرأي حتى عمل منصور بن فاتك مولاهم لهم وله وليمة في [قصر][7] الإمارة، واستدعى أنيساً إليه، فلمَّا حَصَل عندَه قطع رأسَه واستصفى أموالهم وحريمه، ومِمَّن صار إليه بالابتياع في ورثة[8] أنيس جارية حبشيةٌ، يقال لها: عَلَم،

(١) (المفيد): «العز».
(٢) (المفيد): «المأثور».
(٣) هذا العنوان زيادة من المؤلف على (المفيد).
(٤) في (الأصل): «الفازكي» بالزاي والإصلاح من (المفيد) ص٢٠٩، قلت: لعله كذا في الأصل المخطوط من (المفيد) بدليل تفسير المؤلف لهذا الاسم فيما بعد.
(٥) في (المفيد) ص١٠٢، ط. حسن سليمان: «مولاه».
(٦) (المفيد) ص١٠٢: «فاشتهر الأمر والنهي والتدبير»، وفي ط. الأكوع ص١٠: «فاشتهر الأمر من ندمائه بعبيد فاتك».
(٧) ساقط من (الأصل).
(٨) (الأصل): «وزارة» وأثبتناه من (المفيد).

وكانت مغنيَّة واستولدها المنصور ولداً يدعى فاتكاً وهي الحرَّة الصالحة[1] التي كانت تحجُّ بأهل اليمن براً وبحراً في خفارتها من الأخطار والمكوس.

ومن جملة الوزراء بعد أنيس هذا، الشّيخ أبو منصور مَنَّ الله الفاتكي، وهو الذي سوَّر زبيد بعد الحسين بن سلامة وأفعاله مستوسقة[2] له وعليه، فأمَّا الذي له، فالكرم الباهر، والشجاعة، والهيبة، وهو الذي كسر ابن نَجيب الدولة على باب زبيد، وقتل من أصحابه مئة من العرب، وثلاث مئة أرحبي[3] وخمس مئة أسود، وَلَه وقعَةٌ أخرى مع أسعد بن أبي الفتوح، قُتل فيها من العرب ما ينيف على الألف، وهو الذي تصدَّق على مدارس الفقهاء الحنفيّة والشافعية، ثم أغناهم عمَّن سواهم من الأراضي والمرافق والرباع، وكان يثيب على المدح ثواباً جزيلاً، حتى قال الفقيه أبو عبد الله بن محمد التهامي رحمه الله تعالى، وكان يؤدب أولاد الوزير منَّ الله قال: أذكر أني جلَّدت ممَّا مُدِّح به الوزير القائد عشرة أجزاء كبار من [شعر] المجيدين المشاهدين[4]، وهو الذي أخرج أحمد بن مسعود الجزلي ومُفلح الفاتكي، وكانا كبْشي الكتيبة، وصاحبي الحل والعقد بزبيد، فَشَردهما خوفه في الجبال كل مشرّد، وبخروجهما دانت له الدنيا وعلت كلمته.

وأمَّا الذي عليه من أفعاله، فإنَّه وَزَر بعْد قتل أنيس منصور بن

---

(١) هي المذكورة قبل قليل بالحاجة، وقد توسع عمارة في ذكرها في كتابه النكت العصرية.

(٢) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) ط. حسن سليمان: «مستوثقة»، وط. الأكوع ص٢١٠: «مقسومة».

(٣) كذا في (الأصل)، وفي طبعتي المفيد: «أرمني»، قلت: يحقق إذا كان للأرمن وجود باليمن.

(٤) كذا في (الأصل) والذي في (المفيد): «المشاهير».

فاتك بن جيَّاش سنة تسع عشرة وخمس مئة، فلم يقدم شيئاً[1] على أن قتل منصوراً مولاه بالسُّم، وملك ابنه فاتك بن منصور، وهو يومئذٍ[2] طِفْل صغير، ومات منصور بن فاتك، وأبوه فاتك بن المنصور، وجدّه فاتك بن جيَّاش وغيرهما من آل نجاح عن أكثر من ألف سرية، ما منهنّ أحد سَلَم من الوزير منّ الله إلا عشر نساء من حظايا منصور بن فاتك، منهن الحرَّة الملكة أم فاتك بن المنصور، فإنها اعتزلت القصر، وسكنت خارج المدينة، وبنت لها داراً لا يتطرّق الوزير إليها لعذر ولا سبب، هذا والملك لولدها، ولكنَّها حسمت المادة بالبُعد عن قصر ولدها، وكفلت كفالته إلى عبيد أبيه الأستاذين، ومنهنّ أم أبي الجيش وهي مولَّدة وكانت لها بنت من منصور بن فاتك وسُميت أم أبي الجيش، أيضاً الحرَّة بسبب هذه البنت، وكانت فائقة بالجمال وحسن الغنا، وتزوّج بنتها السلطان عبد الله بن أسعد بن وائل الأحاظي، التي كانت رزقتها من المنصور بن فاتك، ومنهنّ الحرَّة رياض، ومنهنّ أم أبيها، ومنهنّ جنان الكبرى، ومنهنّ تمنى، وما أدراك ما تمنى جمالاً وإجمالاً، ولم يكن لأم فاتك ضُرّة سواها.

ولمَّا أراد الله هلاك مَنَّ الله حاول بنت معارك بن جيَّاش وراودها، وكانت موصوفة بالجمال، فافتدت نفسها منه بأربعين بكراً من جواريها، فاتكاً[3] عليها فكشفت أمرها إلى عبيد عمّها فاتك، وعبيد عمّها منصور، فهابوه، ولم يقدروا على شيء، فقالت لهم الحرَّة أم أبي الجيش: أنا أكفيكم أمره، ثم استخرجت ابنة[4] معارك بن جيَّاش التي راودها الوزير

---

(١) في (الأصل): «أنيساً»، والإصلاح من (المفيد).

(٢) في (الأصل): «بزبيد»، والإصلاح من (المفيد).

(٣) كذا في (الأصل) وفي (المفيد): «فأبى».

(٤) في (الأصل): «امرية» والإصلاح من (المفيد).

من قصر الإمارة إلى قصرها، ثم أرسلت إلى منَّ الله تقول: إنَّك أسأت السمعة عليك وعَلينا فيما تقدَّم، ولو كنت أعلمتني خدمتك أتمَّ خدمة، ولم يَعْلم بك أحَدٌ، فَفَرح الوزير بذلك وتواترت الرسائل بينه وبينها حتى قال: فإني أزورك إلى دارك في هذه اليلة متنكراً، فقالت لرسوله: إن الله قد أجلَّ قدر الوزير عن ذلك، بَلْ أنا أزوره في داره، فلمَّا أمسى الليل جاءت إليه، فغنَّت له، فَشَرب، وطَرِب، ومكنته من نفسها، فوقع عليها، ومسَحَت ذكره عند الفراغ بخرقة فيها سُمٌّ قاتل، فتهرى ومات من ليلته، فَدفَنه ولده منصور في اصطبله، وسوَّى به الأرض، فَلا يُعرف له قَبرٌ إلى اليوم، وكانت وفاتَه ليلة السبت الخامس عشر من جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وخمس مئة.

ثُمَّ وزَرَ بعدَه لفاتك بن المنصور، زُريق الفاتكي، وكان شجاعاً كريماً. أمَّا شجاعته فقال لي يوماً محمد بن عبد الله اليافعي، ثم الحميري، وكان كاتب زريق، قال: رأيت زريقاً الفاتكي يوم الجشيعة[1]، وكان لمفلح على أهل زبيد، وقد اشتجرت فيه سبعة رماح، وهو مضاعف درعين، فحصَّل[2] أكثرها بسيفه، واندَّق فيه رُمْحان، وهو ثابت في سَرْجه، ومفْلح ينادي: اعقروا به الفرس وإلا فما يسقط الأرض، ثم حمل على مِفْلح [فضربه ضربة][3] وقعت في مقعد [الرديف من][4] فرس مِفْلح فقسمت الفرس نصفين، وسقط مفلح حتَّى ردَّت عليه بنو مشعل، وهم عَرَب.

---

(١) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) ط. الأكواع ص٢١٢: «يوم الجيعة»، وط. حسن سليمان ص١٠٥ : «يوم الجمعة».

(٢) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) ط. الأكوع: «فحصد»، وط. حسن سليمان: «فحص».

(٣) ساقط من (الأصل).

(٤) ما بين المعقوفتين لم يظهر في التصوير فأضفناه من (المفيد).

وأمَّا الكرم[1]، فَكَانَ أكثره على الشعراء، ولم يكن في زمانه من يقدر على ما يقدر عليه من الأكل، حتى كان يضرب به المثل، وكان له بنون ذكور[2]، وإناث، ثلاثون ولداً، وتناسخت[3] فريضاتهم وفريضة من مات من أولاده وأولادهم قبل القسمة، وانتشرت واتسعت، حتى لم يقدر أحد من العلماء أن يقْسمها، وكان الوزير مِفْلح، والوزير إقبال، والوزير مسعود الفاتكيون، أراد كل واحدٍ أن يبتاع من ورثة الوزير زريق أراض ورباعاً، فَلَمْ يصلوا إلى ذلك لعدم القدرة على [صحة][4] سهام كل وارث.

ولمَّا كان في سنة تسع وثلاثين، قال عمارة[5]: وجدت في عدن شيخاً من أهل حضرموت، يُسمَّى أحمد بن محمد الحاسِبْ، وكان حاسباً فرضيّاً، قد جاوز الثمانين وهو يُريد الحج وكان به صَرورة[6]، ولم يملك منذ خلقه الله تعالى، عشرة دنانير، ولا يُصدِّق من يقول رأيت ألف دينار؛ لأنَّه كان ناشئاً في بلاد كِنْدة مما يلي الرمل، فانكسر مركبٌ في ساحل البحر[7] المجاور لهم، فَوقَع منه إلى رَمْل كندة، رجل عالم، وهو شيخ هذا الحاسب. [قال][8]: فأخذت هذا الفقيه إلى منزلي بعدن [وكسوته، وأمرت من كان معي بإكرامه][9]، وإطعامه وتنظيفه من فضلات

---

(١) (المفيد): «كرمه».
(٢) في (المفيد): ط. حسن سليمان ص١٠٥، «بين»، وط. الأكوع ص٢١٢: «بنين».
(٣) التناسخ في الميراث: أن يموت ورثة بعد ورثة، وأصل الميراث قائم لم يقسم ثم لا يقسم إلا بعد أجيال.
(٤) ساقط من (الأصل).
(٥) في (المفيد) ص٢١٣.
(٦) حج الصرورة بالصاد المهملة: الرجل يحج عن الغير قبل أن يحج عن نفسه.
(٧) هذه اللفظة لم تظهر في نسختنا المصورة.
(٨) ساقط من مطبوعتي (المفيد).
(٩) ساقط من (الأصل).

[البدن، وخضاب لحيته، وأطرافه بالحناء][1].

فلمّا حسنت حالته عادلني في محمل من عدن إلى زبيد، ووعدَتْه أن أحجَّ به معي وأكْفيه كل مؤنة، ففرح بذلك ووثق بي وسكن إليَّ، وذاكرته ليلة ونحن على الجمل فريضة بني زريق، وهي إحدى وخمسون بطناً، فاندفع فيها؛ كأنه يحفظها غَيْباً حتى طلع الفجر، ولم يأخذني نوم لفرط المسرَّة بعلمه، ثم قال: إن شئت أن تترك السفر هذا اليوم وتقيم على هذا البئر ثم أصلي صلاة الظهر، إلَّا وقد صحَّت الفريضة، وعرَّفتك بسهام كل واحدٍ من الورثة على الانفراد، ففعلت ذلك، فناولني الفريضَة مكتوبة بخطِّه عند الغداء، ووالله لقد طال ما اجتمع عليها عثمان بن الصفَّار، ومحمد بن علي السهامي[2]، ونظراؤهما، وما منْهُم إلّا من يرى أن ابن اللبان[3] من أتباعه في علم الفرائض والوصايا[4]، والدور[5]، والجبر، والمقابلة، والزمان المتطاول يصْنَع الوزراء لهم الولائم في المنازل، ويوسِّعون لهم في الصلات ثم يفترقون فيها على غير شيء.

ولَمَّا وصلت إلى زبيد أسكنت الفقيه في آخر الدَّار، بحيث لا يراه

(١) ما بين المعقوفتين لم يظهر في التصوير.

(٢) الأخير ذكره ابن سمرة في طبقات فقهاء اليمن ص٢٤٣مكتفياً بالاسم فقط.

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن الحسن البصري الفرضي المعروف بابن اللبان إمام عصره في قسمة الفرائض والتركات توفي سنة ٤٠٢. طبقات الفقهاء للشيرازي ص١٢٠، ط. إحسان عباس وطبقات الشافعية للسبكي ص٦٤، والعبر ٢/٤٥١، وطبقات فقهاء اليمن لابن سمرة هامش ٨٤، وقد أخذ عنه الفرائض من أهل اليمن ببلده البصرة الفقيه محمد بن يحيى بن سراقة.

(٤) الوصايا: هي كالولاية على العاجز أو ما يوصى به بعد الموت من علم الفرائض.

(٥) الدور: في علم الفرائض هو الحاصل بالإقرار كأخ أقر بابن للميت ثبت نسبه، ولا يرث فإن توريثه يؤدي لعدم توريث الأخ. انظر: كليات أبي البقاء ٢/٣٣٤م. ط. دمشق.

أحَدٌ غيري، وكنت بالليل أقرأ عليه الفرائض، وبالنَّهار أقرأ عليه حرف أبي عمرو ابن العلاء في القرآن العظيم، وكان فيما يقرأه القرّاء السبعة، ثم أخذت أكرِّر المسألة التي لورثة زريق، إلى أنْ صرت أتحدَّث بها مع نفسي غيباً، ثم تقدَّمت إلى القائِد سرور الفاتكي، فادعيت عَنْده [معرفتها] وهو من أشدَّ الناس حِرْصاً على الابتياع من آل زريق، فقال: إن [صحت دعواك] دفعت إليك كذا وكذا مبلغاً قَدْ أنسيته، فلمَّا صحَّت [أحضر المال] فدفعه إلى الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي القاسم الآبار وهو [رأس الشافعية يومئذٍ بزبيد بل باليمن][1]، وعليه قَرَأت المذهب، ثم جَمَع الفقهاء إلى قاعات أرضية مفروشةً بحر الرمل، وجَلَس كل قوم يضربون في الرمل ناحيةً عن غيرهم، فإذا صحَّ لهم بطن نقلوه من الرمل إلى الأوراق، إلى أن صحَّت لهم الفريضَةُ جميعاً، ولم نَبْرح من هناك حتَّى قسَّم المال بين الفقهاء، وأجزل نصيبي منه، ورجعت إلى منزلي، فأحضرت المال إلى الفقيه الحضرمي، فقال: أستغفر الله يا ولدي، فقد كنت أكذِّب من قال: إنَّه رأى مئة دينار، ثُمَ دَفَع المال إليَّ، وقال: لا حاجة لي به، وأنت تكفيني، فحججت به ومَات رحمه الله بعد قضاء الحج.

ولمَّا همَّت الحبشة بقتلي[2] في أهل زبيد في سنَة خمسين، قال لهم القائِد سرور: أليس هو صاحب مسألة زريق، لا والله ما يُقتل.

وأمَّا زريق، فلم يكن له نفاذ في سياسته العسكرية، ولا خِبْرة في إقامة نواميس السلطنة، فَلم يلبث مدَّة حتى استقال من الوزارة، واستدعى لها الوزير أبا منصور مِفْلح الفاتكي، وكان غائباً في الجبال.

---

(١) سواقط من المصورة.

(٢) الضمير في قتلي يعود لعمارة انظر: (المفيد) ص١٧٢.

أمَّا جنسه فبطن من الحبشة، يقال لهم: سَحْرت، وكان يكنَّى أبا منصور، ومنصور ولدٌ له، وكان منصور هذا رشيداً من الأعيان، أهل الخبرة، والتفقُّه، والأدب، والصَّباحة، والسماحة، والشجاعة، والرئاسة الكاملة، وكان الناس يقولون: لو كان له نسبٌ من قريش كملت له شروط الخلافة، وكان عبيد فاتك وهم صغار ينبزون مفلحاً بالبغل؛ لأنه كان يدلي آلة مثل التي يُدليها البغل وكان مع ذلك عفيف الذيل لم يُعْرف له صبْوة[2] في صغر ولا كبر، قال: حمير[3]: ولقد ذكر يوماً من عفافه أنه دعاني، وهو وزير، فقال: قد تنكَّد عليَّ العيش، لما أسمعه كل حين من غناء وردة جارية الأمير عثمان العزِّي ويُوصَف لي من جمالها، ولقد انسدت عليَّ الحيلة في حصولها عندي. قلت له: إن كنت تريدها سفاحاً بذلت وسعي في خدمة الوزير، فقال: «والله ما عصيت الله تعالى بفرجي منذ خلقت» قلت: فبكم يشتريها الوزير؟ قال: بكل ما يقترح مولاها، وكان مولاها أميراً جليلاً، كبير القدر، وله وجاهة ومنزلة في الدولة، ثم هو مقدَّم الغز الذين استَدْعاهم الملك جيَّاش لمحاربة سبأ بن أحمد الصليحي، وعثمان أميرهم وشيخهم، وهم أربع مئة فارس رُماة، وبهم امتنعت دولة الحبشة عن العرب، وكان الملك جيَّاش استدعى منهم ثلاثة آلاف قوس، فلما فصلت منهم عن مكة ألفان إلى زبيد، ندم جياش على رأيه، وعلم أنَّهم يخرجونه من البلاد ويستولون عليها، فتقدَّم جيَّاش على ولاته الذين أمَّرهم[4] على

---

(١) يعني عمارة نفسه.
(٢) (المفيد) ط. الأكوع صبورة.
(٣) هو: حمير بن أسعد ذكره في (المفيد).
(٤) (المفيد): «تمرههم».

الغز بمكيدة[1] أن يطرحوا لهم السموم فيما يأكلون ويشربون، فمات منهم بشر كثير وخَلُص منهم إلى زبيد ألف فارس أو دونها، فجهّز منهم خمس مئة فارس إلى الجبال، ففتحوا منها ما وطيء الحافور[2].

ولَمَّا حصلوا في بون صنعاء دسَّ عليهم جيَّاش من قتلهم بالسُّمْ وفرّق كلمتهم بالحروب والأموال، وبقيت عندَه بتهامة أربع مئة وخمسون فارساً، فأقطعهم وادياً واسع الأعمال يقال له: ذؤال، ورعيته عك، والأشاعر، وعرضه يوم، وطوله من الجبل إلى البحر يومان أوْ دونها، وبينه وبين مدينة زبيد يوم واحد، ولم تزل الغُز يستعملون خراج هذا الوادي من سنة ست وثمانين وأربعة مئة إلى سنة أربع وعشرين وخمس مئة، فأثرت الغز وحسنت أحوالهم وتملّكوا، ورئاستهم تنتهي إلى شاور[3] وطيْطاس، وهذا عثمان، ثم مات الاثنان وبقي عثمان هذا، ولم يبق من الغز إلَّا مئة فارس شيوخ، وأمَّا أولادهم المولدون بزبيد، فلم يفلحوا ولا جاء منهم بأس يُتقى ولا معروف يُرتجى.

قال الشيخ ابن أسعد: ففكرت في حيلة أتوصَّل بها إلى غرض الوزير، فوجدتها، وهي أنِّي قُلت للوزير: تأمُره[4] بنقض قِسْمة الأعمال القديمة، فإن الرِّجال التي كانت تَنْفع قد ماتت، وبقيت الإقطاعات الجيدة في أيدي أولادهم الذين لا ينفعون، وتصلّب في ذلك، وتقدَّم على النَّاس بالحشود من الأعمال إلى زبيد، وتنقل قوماً إلى عمل آخرين. قال حمير: فلمَّا فعل ذلك الوزير ضاق الأمر على جماعة من أكابر الدّولة، ولا كضيقه عَلَى عثمان الغُزي، فإن أموال الغُز الذين ماتوا من رفاقته صارت إليه.

فلمَّا همَّ عثمان أن يخرج من زبيد فيمن معه من قومه ويشقُّ العصاء

---

(١) (المفيد): «بمكة».

(٢) (المفيد): «الحافور».

(٣) (المفيد): «ساولى».

(٤) في (الأصل): «تامر».

دخلت إليه وشربت عنده وغنَّت لي وردة وغيرها ممن عنده، ولم يكن أحد من أهل تهامة يحجب عن حمير مغنِّية ولا أم ولد، لأنَّ أكثر سراريهم ومغانيهم ممن هو تخريجه وتربية داره وتعليمه الغناء والطبخ وخياطة الثياب وعمل الطيب، ونادم وخدم جماعة من ملوك الجبال، ثم ترك تهامة فاختصّ بصحبة أحمد بن مسعود بن فرج المؤتمن صاحب حَيْس، ثم كتب بعده للشيخ منَّ الله الفاتكي، ثم كَتَبَ للشيخ أبي المنصور مفلح الفاتكي، ومن عند هذا أحمد يبتاع السُّم الذي تقتل به الملوك، لأنَّ له إخوةً وأعماماً في بلاد بكيل وحاشد ينبتون هذا الشجر في بقعة من الأرض ليست هنالك إلّا لهم، وهي بين حصونهم يحتفظون[1] بها ويحتفظون[2] عليها، كما يحتفظ بالدِّيار المصريّة بالشَّجر الذي منه دهن البلسان[3] وأوفى، وكلّ من مات بالسّم من ملوك بني نجاح ووزرائهم فمن عند حِمْير بن أسعد، حتى كانوا إذا نادموه قالوا له: يا أبا سبأ نأكل ونشرب ونحن حسبك[4]، فيضحك ويقول: نعم، وكان حلو المحاضرة، كثير المحفوظات، حسن البادرة، كثير البذل في ذات الله، وفي سبيل المعروف، يترسَّل بين الملوك من الحبشة، فيرفع الخلل، ويُهوِّن الجلل، ثم سكن الكدرا عند القائد إسحاق بن مرزوق السَّحرتي فأكرمه وخَلَطه بنفسه، وبها مات سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة وقد جاوز السَّبْعين، وكان ينزل عندي[5] إذا دَخل زبيد أو عند غيري من أصدقائه، ولم يكن بها أهله، وبهذا السَّبب يسترسل معنا[6] حمير.

---

(١) (المفيد): «تخزن».

(٢) (الأصل): «يشحنون»، و(المفيد) ط الأكوع: يشبحون، والإصلاح من ط المفيد حسن سليمان.

(٣) البلسان: شجر أبيض الزهر يستعمل في الأدوية.

(٤) بمعنى: الله حسيبك.

(٥) يعني المتكلم صاحب النص المنقول عنه، وهو عمارة، لأن المؤلف من أهل القرن الثامن وليس من أهل القرن السادس.

(٦) (المفيد): «معي».

فلمّا أخذت النَّشوة من عثمان مأخذها قال لي: كنت حريصاً على لقائك [طمعاً][1] في صَلَاح أحوالنا مع هذا العبد الطّاغي، وتركنا على أقطاعِنَا وأملاكنا الّتي لم نستفدها في أيّامه ولَا مِنْ إنعامه. قلت له: إنّه مع ما فيه من الإعجاب والتكبُّر حَسَن الباطن قريب الرّجوع، وأنا أجتهد في غدٍ إن شاء الله تعالى إذا عاد[2] من الصَّباح على مولانا أن يَصِلْ ضيفاً عندك، وأنا أعلم أنَّه إذا أكل من طعامك وشرب شرابك وغناء حريمك له، اسْتَحيا منك وخجل وعاد عما في نفسه، فكاد عثمان يطيرُ فرحاً ولم يُصدِّق أن الوزير يزوره، وأشرت على عثمان أن يتطفَّل في الليل ويركب إلى داره، ويقول: ضيف يشتهي أن يتشرَّف بالسماع والشراب. قال: فلمّا أمْسَينا ووصل عثمان إلينا أشرت على الوزير أن يُخْرج المغاني والوصائف الساقيات[3] علينا، ففعل ذلك وَوَعده أنّه في غدٍ ضيفه، فحمل لي عُثمان في تلك الليلة مالاً جزيلاً ووعدنا[4] بالرّكوب من دار مولانا إلى دار عثمان، [فلمّا حَصَل ذلك][5] وجدنا أسمطة واسعة عددت في واحد وثلاثين خروفاً مشوياً وثلاثين جاماً[6] من الحلاوة، وأمَّا الذي جَلَس الوزير عليه فكان في طول القاعة نحو البستان الذي لعثمان وهي خمسون ذراعاً، فلمَّا رأى الوزير ذلك امتعض حسداً لعثمان على هِمّته وسرعة ما يأتي به من ذلك[7] الأسمطة، وكانت أربعة، ثم فَرّق على حواشي الوزير ثلاثة أبهرة[8] سُكر وهي تسعة قناطير.

---

(١) ساقط من (الأصل).
(٢) (المفيد): «دعاني».
(٣) (الأصل): البنافتات، والإصلاح من (المفيد).
(٤) (المفيد): «وعدنا».
(٥) ساقط من (المفيد).
(٦) (الأصل): «حلياً».
(٧) (المفيد): «تلك».
(٨) جمع بهار: عدل فيه أربعمائة رطل قال أبو عبيدة: والبهار من كلامهم ثلاثمائة رطل وأحسبها غير عربية وأراها قبطية.

ثم انتقلنا إلى مجلس الشراب، وكنَّا سبعة، وأنا السَّاقي، فأسكرت الخمسة الذين حضروا، فلمَّا انصرفوا، قلت لعثمان: إنَّك بهيمة لا عقل لك، أترى الوزير إنَّما زارك لأكلة أو شربة؟ فما أقصر همتك وأعمى بصيرتك. قال: فدبِّرني، قلت: اعرض عليَّ ما عندك؟ فَذَكر الخيل، والعدد، والألطاف، والذخائر، فأظهرت له في كل شيء نقيصة، وقبَّحته عليه. قال: فما ترى؟ قلت: انظر هدية لا تخبأ في الخزائن ولا تغيب عن عينيه، فإن المقصود أن يذكرك بهديتك كلَّما نظر إليها. قال: ما عندي سوى وردة، وهي رُوحي، فإن كانت تصلح له نزلت عنها، وإنْ كنت أموت. قلت: إن قبلها فهي مما يَصْلُح. قال: فتحدَّث معه فيها، فإن قَبلها فلك عندي ألف دينار، ثم أمر بإحضارها عاشرة عشر، فقبَّلن يد الوزير، ثم اندفعن يغنين بين يديه مكشوفات الوجوه، وأوصيت الوزير أن يَعْرض عن وردة ويستحسِن غيرها، ففعل، فكان ذلك مما قَوّى عزيمة مولاها في قبولها منه.

فلمَّا سكر عثمان ونام، وسكرت النسوة إلَّا وردة، فإنِّي كنت أريد صحوها، فقمت إلى المستراح، واستدعيت وردة، فأعلمتها القصة، فقالت: لا أرغب إلَّا في مولاي، فاستدعيت الوزير إلى مجلس، ودخلت أنا ووردة [إليه][1] فوعدها ومنَّاها، وهممت بالخروج عَنْهما، فأمسكني، وقال: والله لا يكون هذا أبداً، ثم عدنا جميعاً إلى المجلس، ووالله ما ملأ عينه منها ولا مكَّنها من يده عند السَّلام، فلمَّا صَحا مولاها استأذنَّاه في الخروج، وكان ذلك عند العشاء الأخير، فلم يخرج إلَّا ووردة بين أيدينا، فأمَّا عثمان فأصبحت [2][فغدوت إليه للألف الذي كان وعدني به، وحجج لي بها إلى ضيعة ذؤال[3] التي له]، فأعدت إليه الألف

(١) ساقط من (الأصل).
(٢) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المفيد).
(٣) ذؤال: من أودية تهامة فيما بين وادي رمع ووادي سهام. الحجري: ص٣٥٠.

الدينار الذي دفعها إليَّ وسألته في ضيعة من ذؤال، فوقَّع لي بها، وأمّا الوزير فأحضرني ليلة[1]، وخَلَع عليَّ، وقال: إن بنتك وردة أقسمت عليَّ لا دنوت منها حتى ترضي حمير. قال: فما الذي يرضيك؟ قلت: ضيْعة العبادي. بما فيها من زرع ومالها من أنفار[2] فوقَّع لي بها، وهي الضيعة التي لا ضيعة على مالكها.

ونعود إلى أخبار الوزير مفلح، فمنها: ما حدَّث به الشَّيخ أبو الطامي جيَّاش بن إسماعيل البُوقا. قال: قَدم علينا إلى زبيد في أول وزارة الشيخ القائد مفلح أبو المعالي بن الحبَّاب من الديار المصريَّة، فابتاع وصيفاً حبشياً برسم الخدمة، ثم هرب الوصيف، وتعلّق بغلمان الوزير مفلح، فكتب أبو المعالي إلى الوزير بسبب غلامه بيتين من الشعر، وهما:

وأنت سحاب طبَّق الأرض صَوْبَه ... وعاقته عن سقيايَ إحدى العوائق[3]

فإن لم تجدني[4] هاطلات غمامه ... فلا تدن منِّي محرقات الصَّواعق

فلمَّا وقف منصور بن مفلح على البيتين، أعجب[5] بهما، وتنبَّه عن فضل أبي المعالي، واستدعى الغلام فَرَدَّه إليه خامِسَ خَمْسة من جِنْسِه، ثم استدعى أبا المعالي، وأمره أن يَمْدح الوزير بقصيدة، ففعل ذلك، فأحضره إليه حتى أنشده، ودَفَع إليه خمس مئة دينار، وَوَصله أيضاً منصور بن مفلح من عنده بثلاث مئة دينار، ثواباً على قصيدةٍ أخرى مَدَحه بها، وحَمله إلى مكّة حَرَسها الله تعالى.

وأمَّا أحوال مفلح مع[6] العسكر، فإن قصر الملك فاتك بن

---

(١) (المفيد): «إليه».

(٢) (المفيد): «وبما فيها من أبقار».

(٣) (المفيد): «عوائقه».

(٤) (المفيد) ط. الأكوع: «تجد لي، وحسن سليمان: تجد في».

(٥) (الأصل): «اعثر»، والإصلاح من (المفيد).

(٦) (المفيد): «على».

منصور، نشأت به رجال من عبيد الحرَّة الملكة أم فاتك بن منصور، وهم صواب، ويمن، ورَيْحان، وعز، ورَيْحان الأكبر، هؤلاء الأزمة[1] أعيان أكابرهم، ومن الفحول، إقبال، وبرهان، ومسرور، وبَارة، وسرور، وهو أمير الفريقين مكانة وغناء، وكان هؤلاء الجماعة هم الذين يتكلَّمون على لسان السُّلطان، وصار الوزير في أمور السلطان أجنبياً معهم، وعظم بهم[2] جانب الحرَّة، واستمالوا كثيراً من الفارس والراجل، ثم دبَّروا في حيلة يخرجون بها مفْلحاً من زبيد، فقال لهم سرور: ما عندكم حيلة أحسن من مخاطبته على حج مولاتنا إلى مكَّة وتجهيزها بثلاثين ألف دينار، فلمَّا أرسلوا في ذلك امتنع، وقال: صرف المال إلى محاربة أعداء الدولة أولى من هذه الخرافات، ولمولاتنا المغزل[3]، ولزمها كسْر بيتها شغل شاغل [ولم يزالوا يراجعونه][4] في ذلك، إلى أن قال لهم: إنَّ مولاتنا إلى غير الحج محتاجة فانْظروا فيه، فإنه يسلِّيها عن هذا. قالوا: وما هو؟ قال: شيء في طول [هذا][5] وقبض كفَّه ومدَّ ذراعه، فحدث في النفوس من هذه الكلمة شرٌّ لم يستدركه مفلح إلَّا بالإذن لها بالحج وتجهيزها بثلاثين ألف دينار، ومسير ولده منصور معها إلى مكة.

ثم كان من تَدْبير سرور على خروج مفلح مسيرَه إلى عدن لمحاربة سبأ بن أبي السُّعود، وعلي بن أبي الغارات الزريعيين، فلمَّا خرج مفلح من زبيد، ثار محمد بن فاتك في زبيد على الحرَّة وولدها، فقضى ذلك برجوع مفلح.

---

(١) الأزمة جمع زمام: لقب القائد العسكري يقال: «زمام عسكري أي قائد عسكري» معجم الألفاظ التاريخية ص٨٧.

(٢) (المفيد): «بها».

(٣) (الأصل): «المعول».

(٤) ساقط من (الأصل).

(٥) ساقط من (الأصل).

ثم دبَّر سرور على خروج مفلح، أنه كاتب [عرب][1] الزعلي[2]، والعمراني بالاتفاق[3] على أعمال المهجم [وفيها يومئذٍ القائد مسعود الكردي، فقضى ذلك خروج فلح إلى المهجم][4] وهو من أعمال زبيد على ثلاثة أيام، فما هو إلّا أن خرج مفلح مسيرة ليلة من البلد، حتى تسلّل الناس عنه ورجعوا إلى المدينة إلى أن بقي في خاصّته، وتوجّه إلى جبال برع، وملك حصن الكرش[5] وراوح تهامة وغاداها بالغارات، وعبيد فاتك تقاتله بالمراكز والأبدال[6]، ثمّ انتقل من الحصن وترك به حريمه إلى عرب المهجم، وهم مشعل، وعمران، وزعل، وهم الفرسان الأنجاد، فأسكنوه حصناً لهم، يقال له: دبسان[7]، وبينه وبين المهجم [نصف][8] يوم أوْ دُونه، فشنّ الغارات على أعمال المهجم، ثم كاتب الأمير الشريف غانم بن يحيى السليماني ثم الحسني، وهو يومئذٍ مالك مخلاف طريف[9]، واشترط مفلح للشريف ولبني عمِّه إسقاط الأتاوة عنهم المستقرة لصاحب زبيد على غانم في كُلِّ سنة، ومبلغها ستون ألفاً، وأنَّه يضيف إلى ذلك أعمال الواديين، وهي واسعة، فسار الشريف في ألف فارس، وعشرة آلاف راجل، ناصراً لمفلح على أهل زبيد، فلقيهم القائد سرور، وكَسَر مفلحاً، وكَسَر الأشراف، وكسَر

---

(١) ساقط من (الأصل).

(٢) في (الأصل): «العربي». والزعلية: قبيلة من عك في شرقي اللحية من تهامة ما بين وادي مور شمالاً ووادي سردد جنوباً. معجم البلدان والقبائل اليمنية ص٧٤٢.

(٣) (المفيد) و(المطبوعة): «بالنفاق».

(٤) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المفيد).

(٥) في (الأصل): «المكوبيين» والإصلاح من (المفيد)، وحصن الكرش: أعلى قمة جبل برع وهو الآن خراب. (المفيد ص٢٢١).

(٦) (المفيد): «الأموال».

(٧) دبسان: حصن يقع في الشرق الشمالي من المهجم في حزاز جبل ملحان. (المفيد ص٢٢٢).

(٨) زيادة من (الأصل) على (المفيد).

(٩) (المفيد): «ابن طرف».

العرب على المهجم، وخرج إليه من زبيد وهو مقيم بالمهجم تقليد بأعمال المهجم وما معها من الأعمال، وهي: مور، والواديان، فاستقرَّ سرور فيها.

وعاد مفلح إلى حصن الكرش، فمات سنة تسع وعشرين وخمس مئة.

فأمَّا ولده منصور، فناوشهم حروباً، وأذاقهم من الشرّ ضُروباً، ثمّ خَذَله أصحابه وتقلّلوا عنه [ففارقه][1] وسئم عض الحديد[2]، وفراق الأوطان، فاستأمن من منصور على يد القائد سرور، ودخل معه إلى زبيد والوزير بها يومئذٍ إقبال الفاتكي، فخلع على منصور، وأنزله دار أبيه، فَلَمَّا كان من الغد قبض عليه، وقُتل بها ليلاً بدار[3] الوزير إقبال، فأنكر الملك [فاتك][4] ذلك، فَهمَّ بإقبال، ثم أبقاه على دَخَن[5]. قال حمير بن أسعد: فابتاع منّي رسول الوزير إقبال سُمّاً، ووالله ما علمت لمن هُو، وتلطّف إقبال حتى سقاه مولاه فاتكاً، ولد الحرّة ذلك السُّمَّ سِرّاً، فمات فاتك بن منصور في شعبان سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة.

قالت وردة جارية الوزير مفلح: لمَّا مات مولاي في الجبال بحصن الكرش أو مكرَّش[6]، خطبني الوزير إقبال، والقائد سرور، والقائد إسحاق بن مرزوق، والقائد علي بن مسعود صاحب حَيْس، فوعدت كلّ واحدٍ مِنْهم وعداً جميلاً وشاورت منصور ابن مولاي في رسائل القوم، فأشار بسرور، وقال: استظهري بمشورة الشيخ حمير بن أسعد. قالت: فَاسْتدعيته من تهامة إلى الجبال واستشرته، فقال: أمَّا علي بن مسعُود، فعنده تسعون سرّية، وأربع زوجات، وأمَّا إقبال فَعنده عِشرون مغنّية، ثم

---

(١) زيادة من (الأصل).

(٢) في (الأصل): «الحدين».

(٣) (المفيد): «بيد».

(٤) ساقط من (الأصل).

(٥) دخن بالتحريك: فساد وخبث.

(٦) (المفيد): «المكرشة».

هو عَبْد تاجر، وتربية التجّار، وبخلها مصور[1] بين عينيه إلى هذه الغاية، وأمّا القائد إسحاق بن مرزوق، فعنده ابنة عُويد أم ولده فرج، وعنده ابنة عمه أحمد، ولا والله ما يمشي بأرض تهامة مثلها، ولكنّي أشير عليك بالقائد أبي أحمد سُرور الفاتكي، فإنّه ملك واسع الهمّة، ثم هو تربية الملك منصور بن فاتك، وتربية مولاتنا أم فاتك بن منصور. قالت: فتزوّجني القائد أبو أحمد سرور الفاتكي، فوجدت رجلاً مشغولاً عن الدنيا وعن النساء والتنعم بالنظر في معالي الأمور، فلم أزل به حتى ملكته[2]، ثم تدرَّجت في عشرته [حتى ملكته][3]، فكان على خشونته ويُبسه وانقباض جواريه منه، لا يخالفني فيما أراه، وإذا غضبت عليه كاد أن يفارق الحياة.

ودليل ذلك ما حَدَّث به الشيخ مسلم بن يشجب، وزير الأمير الشريف غانم بن يحيى، قال: قدمت من بلادي رسولاً إلى القائد سرور الفاتكي بالمهجم، في عقد هدنة بَيْننا وبينه، فقال لي وزيره عُبيد بن بحر: ليت قدومك تقدَّم أو تأخَّر، فإنَّك صادفت القائد مشغولاً خاطره، فأقمت يومين أو ثلاثة أيّام، ولم أجتمع بالقائد، ثم قدم علينا حِمْير بن أسعد، فقال لي عبيد بن بحر: الآن انحلَّت عُقدتك بعد قدوم حمير، قلت: كيف ذلك؟ قال: إنَّ أم عمرو[4] وردة ساخطة عليه، وأقسمت لا تُكلِّمه ولا تأذن له في الدخول عليها، حتى يأتي أبوها، وهو الشيخ حمير بن أسعد، قال مُسْلم: ولمَّا كان تلك الليلة دُعينا إلى مجلس فيه شرابٌ وغناءٌ وطيبٌ، فجلسنا وإذا القائد قد طلع علينا، فسلَّمنا عليه، ثم

---

(١) (الأصل): «وتخلصها من منصور».

(٢) (الأصل): «حللته».

(٣) زيادة من (الأصل).

(٤) (المفيد) ط. الأكوع: (المفيد): «عمر».

سمعنا من خلف الستارة جلبة وجَرَس حُلِّي لم يكن، وإذا هي وردة أصلح حِمْير بينها وبين القائد، فجاءت لتغنِّي، فَوَقَع في نفسي من تعجيز القائد سرور وضُعْف عزيمته بعض ما وَقَع، فكأنه تَوخَّى بما في نفسي فاقترح عليها قول الشاعر[1]:

نحن قوم تذيبنا الحدق النُّجْلُ ... على أنَّنا نذيب الحديدا

ومن عبيد فاتك، من جعلت ذكره ختامهم[2]، وأخرته، وإن كان إمامهم ومقدم عليهم، وهو القائد الأجل أبو محمد سرور الفاتكي، وجنسه من الحبشة أمحرة، وكل ما أورد عنه، فهو نقطة من بحر فضله ونيله، فمن مبادىء أمْره، أن منصور بن فاتك، لمَّا قتل الوزير أنيساً، وابتاع من ورثته الحرّة السيدة الصالحة حُرّة زبيد [الحاجة][3] واستولدها ولداً سمَّاه فاتِكاً بن منصور، ابتاعت لولدها من الحبشة وصفاناً[4] صغاراً كان هذا سرور أحدهم[5]، ورُبِّي في حجرها، ولم يلبث أن تَرعرع وبَرَع، وولَّته زمام الممالك[6]، وصرفت إليه الرئاسة على كُلٍّ من كان في القَصْر، فساد وسَدَّد، ولَيَّن وشَدَّد، ثم وُلِّي العرافة[7] على طائفة من الجند، فملكهم بالإحسان والصفح عنهم، ثم ترقت به الأحوال إلى أن وُلِّي الخطابة بين السلطان، والوزراء، والأكابر، واسْتُغني به عن الأزمة، وكان الزمام[8]

---

(١) من شعر عبد الله بن الحسين الخزاعي المتوفى سنة (٢٢٨هـ)، أورده ابن خلكان في الوفيات ٣/ ٨٥، ط. إحسان عباس مع أبيات أربعة أخرى، قال: وقيل: إنها لأصرم بن حميد ممدوح أبي تمام. والله أعلم.

(٢) في (الأصل): «ختامهم».

(٣) زيادة من (الأصل).

(٤) جمع وصيف. والوصيف: الغلام دون المراهقة والوصيفة: الجارية.

(٥) (المفيد) ط. الأكوع: «أقدمهم».

(٦) (المفيد): «المماليك».

(٧) منصب العريف هو المتولي لشؤون بعض الفئات.

(٨) منصب الزمام: هو الذي يتولى باب السلطان وغيره. (سبق ذكره).

الناظر يومئذٍ، هو الشيخ صواب، وكان يميل إلى الدين، والتَّخلِّي للعبادة، فإذا عُوتب على ذلك. قال: القائد أبو محمد سرور، هو صاحب الأمر والنَّهي عليَّ وعليكم وعلى مولاتنا، وليس شيء يخرج عن أمْرِه، وهو أهل أن يتقلَّد أمور النَّاس في الثواب والعقاب، والحلِّ والعقد، وترقَّت الأحوال بسرور، حتَّى أخرج مفلحاً من زبيد، ولم يزل سرور هذا يُحارب مفلحاً، حتى مات مفلح بالجبال، بعد أن جرت بينهم وقائع يموت في كل واحدة منها العدد الكثير من الفريقين، وكانت العاقبة والدولة لسرور.

وحدَّث الشيخ عبد المحسن بن إسماعيل [وكان][1] كاتب القائد سرور ووزيره، قال: أذكرُ وقد سار الأمير الشَّريف غانم بن يحيى الحسني في نصرة مفلح على سرور، ومع غانم ألف فارِس، ومن الرجل عشرة آلاف، وانضاف إلى ذلك عساكر مفلح، وانضمت إليها بنو مشعل، وهم أحلاس الخيل، وفرسان اللَّيل، وبنو عمران [وبنو زعل][2] وبنو حرام، والحكميون في طَمُوم، وزحفوا إلينا، ونحن في عدد يسير، وقد كتب القائد سرور إلى زبيد يستنفر النَّاس، وكانت الوقعة على المهجم، وبُعْدها من زبيد ثلاثة أيَّام. قال: فقلت للقائد: إنَّ هذا تهوَّر، وإنَّما نحنُ في هؤلاء كقطره في اليمِّ أو اللقمة في الفمّ. فقال: أمْسِك عليك، فوالله إن الموت عندي أهون من الهزيمة.

ثم التقى النَّاس، وكانت الدائرة على مفلح وغانم ومن مَعهُما، وتضاعف خطر[3] القائد سرور في نفس الموالف والمخالف، وقبل ذلك مما كان من خروج الوزير مفلح طالباً لعدن[4] إلى أن حَصَل [في

(١) ساقط من (المفيد).
(٢) زيادة من (الأصل).
(٣) (المفيد) ط. الأكوع: «خط».
(٤) كذا في (الأصل) و(المفيد) ط. الأكوع، وط. حسن سليمان: «العون».

زبيد][1] على نصف مرحلة، وثار محمد بن فاتك بن جيَّاش بن نجاح على الحرّة، وعلى ولدها فاتك بن منصور بن فاتك بن جيَّاش في زبيد، وحين خَلَت من العسكر، ومَلك هذا محمد بن فاتك بن جيَّاش دار الإمارة ليلاً، ووقف الأمراء بين يديه، وفاضت البلد عليه بالتهنئة، ووزر منصور بن الوزير منَّ الله الفاتكي، فاستعصمت الحرَّة وولدها بِعِلوُ الدار، ونما الخبر إلى القائد سرور، وهُو في ساقة العسكر فانثنى راجعاً، وتسوَّر الحصن ودَخَل المدينة، ونادى إلى مولاته من خلف دار الملك ارْموا إليَّ الحبال أنا فُلان، ورَفَعه الأستاذون، والنساء بالحبال، حتى وَصَل إلى مولاته ومولاه، فسلَّم عليهما وسكَّن رَوْعهما، وقال: هذه العساكر خلفي متواصلةً، ثُم أخذ مئة جارية وخمسين أستاذاً، فألبسهم زيَّ الرجال من الدروع والسُّلاح، وفتح الطبقات[2] وصاح الجميع: يا فاتك بن منصور، هذا محمد بن فاتك، جالس على سريره تحت طيقان الدار، وأنَّ القائد سرور، رَمَى بحجر فلم يخط وجْهَه محمد بن فاتك، فانهشمت أنفه عند تلك الصيحة العظيمة، فانْهزَم، هو ووزيره تلك الساعة، ومن معهما، وخرجوا من باب البلد ليلاً، ولم يصل العسكر إلى البلد، إلَّا في الظُّهر من صبيحة تلك الليلة، فهذه بعض المقدِّمات الموجبات لتقدُّم القائد سرور على جميع أهل الدولة، ثم ولي المهجم وهي كرسي ملك كبير.

ثم تشاغب العرب المشاعلة، وبنو عمران، وبنو زعل، وشاغب[3] الحكميَّة، وشاغب الأمير غانم بن يحيى الحسني ودولته ظاهرة، وكان هذا القائد مقيماً في زبيد من هلال ذي القعدة إلى آخر يوم من شعبان،

---

(١) ساقط من (الأصل).

(٢) كذا في (الأصل) وفي (المطبوعة) و(المفيد): «الطيقان».

(٣) في (الأصل): «شاعر».

ثم يخرج من زبيد، فيصوم رمضان في المهجم، ويُصلح أحوال تلك الأعمال، وتتسع نفقاته وصلاته في شهر رمضان. قال الشيخ عبيد بن بحر وزيره: كانت وظيفة مطبخه في شهر رمضان، كل يوم ألف دينار، وكنت أشاهده عدةً سنين، إذا جاء من المهجم يريد زبيد، احتفل الناس بالخروج للقائه على اختلاف طبقاتهم، ويقف للنّاس على تل عال، فأول طائفة تسلّم عليه، المالكية، والحنفية، والشافعية، وكان يترجّل لهم ولا يترجَّل لأحد قبلهم ولا بعدهم، ويجيء بعدهم التجار، فإذا انصرفوا، جاءت العسكرية أفواجاً أفواجاً، وإذا دخل المدينة، وقضى حقّ السلام على السلطان، مضى إلى دار مولاته الحرّة، فإذا دخل عليها انفضَّ الناس من عندها الصَّغير والكبير، ولا يبقى عندها إلّا غزال جاريتها، وهي أخت زوجته وجاريتنا منصور بن فاتك، وهؤلاء النسوة يمشون في الخير على منوالها ويتشبَّهن[1] بالصلاح بأفعالها، فإذا وصل إليها نزلت عن سريرها إلى الأرض، إكراماً له وتبجيلاً لقدره، وقالت له: أنت يا أبا محمد وزيرنا بلْ مولانا بل رجلنا الذي لا يحلّ لنا أن نخرج عن طاعتك في شيء، فيضجّ بالبكاء بين يديها، ويعفّر خدَّه في الأرض، إلى أن تتولى[2] رفعه بيدها عن الأرض، ثم تستأذن[3] النسوة الثلاث في طرف المجلس غير بعيد بحيث [يفضي إليها][4] بما يحسن عنده ممَّا يفعله من التدبير في تلك السنة، من ولاية، وعزل، وقتل، وإنعام، ولا يزال جالساً بين يديها، والنسوة الثلاث واقفات على رأسه، حتى يقوم إلى صلاة الظهر، فيعود إلى

(١) (المفيد): ط. الأكوع: «يتشبهان».
(٢) (الأصل): «أن يتوارى ثم تتوالى»، والإصلاح من (المفيد) ط. حسن سليمان.
(٣) (المفيد): «تستأخر».
(٤) ساقط من (الأصل).

مسجده، وهو على باب داره، فيجده لا يتسع من كثرة الناس [الذين] لا يستطيعون على الخروج في لقائه.



فصل

فيما رواه عمارة في مفيده[1]

قال: رأيت بخط كاتبه جريدة[2] الصدقات التي يدفعها عند دخوله إلى زبيد، وهي للفقهاء، والقضاة، والمتصدِّرين في الحديث، والنحو، واللغة، وعلم الكلام، والفروع، وهي اثنا عشر ألف دينار، في كل سنة، خارجاً عن الصلة العسكرية مع كثرتهم.

وحكى عبيد بن بحر: أنَّ الهدايا التي يدفعها في كل سنة برسم حواشي السُّلطان من الجاهات[3]، والأزمة[4]، والوصفان الخاص[5] عشرون ألف دينار هدية، وصِلَة خارجاً عن أرزاقهم المستقرة.

وحكى غيرهم: أنَّ المحمول من أعماله إلى بيت [مال][6] مولاه في كل سنة، ستون ألف دينار، وأنَّ المحمول إلى بيت مولاته الحرَّة وحاشيتها وترائبها ومن يلوذ بها على جهة الهدية، خمسة عشر ألف دينار.

---

(١) (المفيد) ص٢٢٧ ط. الأكوع، و١١٩ ط. حسن سليمان.

(٢) (الأصل): «جم هذا».

(٣) (المفيد): «الجهات». جمع جهة: لفظ سلجوقي تركي أطلق على زوجة الخليفة أو حظيته في ذلك الوقت ويراد بها أحياناً السيدة المتزوجة مطلقاً كما يراد بها المرأة الجليلة القدر. معجم الألفاظ التاريخية ص٥٥.

(٤) جمع زمام، سبق شرحه.

(٥) أطلق الخاص في العصر المملوكي على خزانة الدولة وحاصلاتها.

(٦) ساقط من (الأصل).

كان القائد أبو محمد سرور الفاتكي رحمه الله تعالى، يخرج إلى مسجده بعد نصف الليل أو ثُلثه، وكان أعلم الناس بالمنازل والأنواء، ويقول: أنا أخرج في هذا الوقت، لعلَّ أحداً من أهل البيوتات، وأرباب الستر، لا يقدر على الوصول إلى عندي بالنّهار، إمّا لكثرة الناس، أو لِفرط الحياء، فإذا صلَّى الصُّبح ركب إمّا إلى فقيه يزوره، أو مريض يعوده، أو ضجة[1] ميت يحضرها، أو وليمة أو عقد نكاح، وما يخصّ بذلك أكابر العلماء، والجند، والتجار دون أصاغرهم، وكان من دعاه أجابه، وكان المتظلم من الرعية يَجْفو عليه ويفحش له في القول، وهو آمن من حميته وغرته وغضبه، وكان يدعى إلى الحاكم فيحضر، ولا يوكِّل، ويقعد بين يدي الحاكم تواضعاً لأوضاعه، ودخولاً لأوامر الشرع تحت الطاعة، ثم يعود بعد ركوبه بالغداة، فيسلِّم على السلطان، ويستعمل[2] الأشغال بتدبير الأمور العسكرية إلى وقت الغداء، ثم يعود إلى المسجد في زوال الظلّ، فلا يشتغل بشيء سوى المسندات الصحيحة[3] عن رسول الله ﷺ إلى صلاة العصر، ثم يدخل داره، ويخرج قبل المغرب إلى المسجد، فإذا صلَّى المغرب، تناظر الفقهاء بين يديه إلى العشاء الأخير، وربَّما تظل[4] المناظرة في بعض الليالي [وربما][5] ركب حماراً وأخذ وصيفاً بين يديه، حتى يجتمع بالحرَّة الملكة للمشورة، ولم تزل هذه حالته من سنة

(١) كذا في (الأصل) وفي (المفيد): «صحبه».
(٢) كذا في (الأصل) و(المفيد) ط. حسن سليمان، وفي الأكوع: «يشتغل بتدبير».
(٣) أي: الأحاديث النبوية الصحيحة المسندة إلى النبي ﷺ.
(٤) (المفيد): «يطيل».
(٥) زيادة من (المفيد) ط. حسن سليمان.

سبع[1] وعشرين وخمس مئة، إلى أن قُتل في مسجده هذا بزبيد في الركعة الثَّالثة من صلاة عصر يوم الجمعة الثَّاني عشر من رجب[2] سنة إحدى وخمسين. قتله رجل يقال له: محرَم[3] من أصحاب علي بن المهدي، ثم قُتل قاتِلَه في تلك العشية، بعد أن قتل جماعة من الناس، ولم تلبث الدولة بعد قتله إلَّا يسيراً، حتى أزالها علي بن مهدي وملك زبيد وأعمالها في أربع وخمسين وخمس مئة [في آخر يوم من رجب][4].

وعلى ذكر ابن مهدي في اليمن، وفي هذا الفصل نشير إلى جمل من بدايته ونهايته[5]، وبالله التوفيق والإعانة وهو حسبي ونعم الوكيل.



دولة علي بن مهدي باليمن



أمّا نسبه فمن حمير، وأمّا اسمه فعلي بن مهدي من أهل قرية، يقال لها: العنبرة[6] من سواحل زبيد، كان [أبوه][7] رجلاً صالحاً، سليم القلب، ونشأ ولده مهدي هذا على طريقة أبيه، في العزلة، والتمسّك بالصلاح، ثم حجَّ وزار، ولقي حاج العراق وعلماءها ووعاظها، وتضلع من معارفهم، وعاد اليمن، فاعتزل وأظهر الوعظ، وإطلاق التَّحْذير من صحبة العسكر، وكان فصيحاً صبيحاً [أخضر اللون، ملوح الخدَّين ألحى

(١) (المفيد): «تسع بتقديم التاء».
(٢) كذا في (المفيد) ط. حسن سليمان و(الأصل) وفي (المفيد) ط. الأكوع: «صفر».
(٣) (المفيد) ط. حسن سليمان: «مجرم بالجيم».
(٤) زيادة من (الأصل).
(٥) (المفيد): «غايته».
(٦) قرية في غربي زبيد تبعد عن زبيد بعشرة أميال. المفيد ص٢٢٩.
(٧) ساقط من (المفيد) ط. الأكوع.

(أي: طويل اللحية)، طويل القامة، مخروط الجسم بين عينيه سجّادة[1]][2]، حسن، طيّب النغمة، حلو الإيراد، غزير المحفوظات، قائماً بالوعظ، والتفسير، وطريقة الصوفية، أتمّ قيام، وكان يتحدّث بشيء من أحوال المستقبلات، فيصدق، فكان ذلك من أقوى عدده في استمالة قلوب العالم، وظهر أمره بساحل زبيد، بقرية العنبرة، وقرية واسط[3]، وقرية القضيب[4]، والأهواب، والمعتفى، والفازة، وكان ينتقل بينهم، وكانت عبرته لا ترقأ على مرّ الأوقات. قال عمارة[5]: وكنت يومئذٍ ملازماً له، منقطعاً إليه في أكثر الأوقات مدّة سنة، ثم علم والدي أني تركت التفقّه ولزمت طريق النسك، فجاء من بلاده مسافراً، حتى أخذني من عنده، وأعادني إلى المدرسة بزبيد، وكنت أزوره في كل شهر زَوْرة، فلمّا استفحل أمره، انقطعت عنه خوفاً من أهل زبيد.

ولم يزل من سنة إحدى وثلاثين، يعظ النّاس في الوادي[6]، فإذا دنا موسم مكّة، خرج حاجّاً على نجيب إلى سنة ست وثلاثين ثم أطلقت الحرّة أم فاتك بن منصور له ولإخوته ولأصهاره ثُمّ من يلوذ به خراج أملاكهم، فلم تمض هنيهة حتّى أثروا[7]، واتسعت بهم الحال، وركبوا الخيل فكانوا كما قال [المتنبي][8]:

فكأنما نتجت قياماً تحتهم   وكأنما ولدوا على صهواتها

(١) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) ط. حسن سليمان.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (المفيد) ط. الأكوع، وأثبته في الهامش.

(٣) واسط قرية باليمن بساحل زبيد قرب العنبرة. مراصد الإطلاع ص١٤٢١.

(٤) مواضع هناك وكذا الأهواب والمقتفى وسيأتي بعضها.

(٥) (المفيد) ص.٢٣ قلت: كل هذا النقل جميعه من (المفيد).

(٦) (المفيد): «البوادي».

(٧) (الأصل): «أثاروا».

(٨) سقطت من (الأصل).

ثم أتى بقوم من الجبال حالفوه على النُّصرة، فخرج من تهامة إليهم سنة ثمان وثلاثين، وجمع جموعاً تبلغ أربعين ألفاً، فقصد بهم مدينة الكدرا، فلقيه القائد إسحاق بن مرزوق السحرتي في قومه، فهزموا أصحابه، وقتلوا خلقاً من جموعه، وعفوا عن أكثرهم وعاد ابن مهدي إلى الجبال، وأقام بها إلى سنة إحدى وأربعين، ثم كاتب الحرّة بزبيد، وسألها في ذمّة له ولمن يلوذ به ويعود إلى وطنه، ففعلت له الحرّة على كُره من أهل دولتها ومن فقهاء عصرها، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وأقام ابن مهدي سنين عدّة يشتغل بأملاكه، وهي مطلقة من الخراج، واجتمع من ذلك مال، وكان يقول في وعظه: أيّها الناس دنا الوقت، أزف الأمر كأنكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عياناً، فما هو إلّا أن ماتت الحرّة في سنة خمس وأربعين، حتى أصبح في الجبال في موضع يقال له: الدّاشر[1] من بلاد خولان، ثم ارتحل إلى حصن يقال له: الشرف[2]، وهو لبطن من خولان، يقال له: خيوان[3] بإسكان الياء وسمّاهم الأنصار، وسمّى كل من صَعَد معه من تهامة: المهاجرين.

ثم ساء ظنّه بكل أحدٍ ممن هو في صُحبته خوفاً منه على نفسه، فأقام للأنصار رجلاً من خولان يُسمّى سبأ [بن يوسف، وكنّاه شيخ الإسلام][4] وللمهاجرين رجلاً يُسمّى التويتي، لقّبه أيضاً شيخ الإسلام، وجعلهما نقيبين على الطائفتين، فلا يخالطه[5] ولا يصل إليه أحدٌ

---

(١) حصن بوصاب السافل، ويسمى اليوم: المصباح (المفيد) ص٢٣١، ومثله عند المقحفي ص١٥٤.

(٢) من حصون وصاب معروف.

(٣) كذا عند المؤلف نقلاً عن عمارة، والمعروف أن خيوان من ولد زيد بن مالك بن جشم بن حاشد فهو من حاشد وليس من خولان. انظر: المقحفي ص١٥٠.

(٤) ساقط من (المفيد) ط. الأكوع.

(٥) (المفيد): «يخاطبه».

سواهما، وربَّما احتجب فلا يرونه، وهم ينصرفون في الغزو، فلم [يزل][1] يغادي الغارات ويراوحها على تهامة حتى أخرب الحزوز[2] المضاهية[3] للجبال، والحبشة يومئذٍ تبعث الإبذال[4] في المراكز فلا يغنون شيئاً لوجوه كثيرة منها: أن الموضع الذي هو حصن الشرف حصن منيع بنفسه، وبكثرة خولان، ومنها أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى حصن الشرف، مشى في وادٍ ضيّق بين جبلين مسافة يوم كامل وبعض يوم، فإذا وَصَل إلى أصل الجبل الذي فيه الحصن احتاج في طلوع النَّقيل[5] إلى نصف يوم حتى يقطع العقبة، ومنها: أن الوادي يتصل مسيله من تهامة بحَراج[6] عظيمة إذا كمنت فيه الجيوش العظيمة الجرارة [شهرا][7] لم يعلم بها أحد، وكانت غوادي ابن مهدي إذا غارت على بعض أعمال تهامة ونهبت وأحرقت، وأدركها الفجر قبل نيل[8] الجبل تعدل الجبل إلى الوادي الذي فيه الحراج فكمنت فيه فلا يصل إليها أحدٌ ولا يقدر عليها.

ولم يزل ذلك من فعله مع أهل زبيد، إلى أن أخلى جميع البوادي، وقطع الحرث والقوافل، وكان يأمر أصحابه أن يسوقوا الأنعام والرَّقيق، وما عجز عن المسير عقروه، ففعلوا من ذلك، ما أرعب وأرهب، وقضى بخراب الأعمال، قال عمارة[9]: ثم إني لقيت هذا علي بن مهدي عند

---

(١) ساقط من (الأصل).
(٢) جمع حزة وهي منخفضات الجبال.
(٣) (المفيد): «المصاقبة».
(٤) (المفيد): ط. حسن سليمان: «الأموال».
(٥) العقبة.
(٦) جمع حرجة: وهي الأرض الملتفة بالأشجار، وفي (الأصل): «بحراج عظيم».
(٧) زيادة من (المفيد).
(٨) (المفيد): «ذيل».
(٩) (المفيد) ٢٣٣.

الدّاعي محمد بن سبأ صاحب عدن بمدينة ذي جبلة، سنة سبع[١] وأربعين، يستَنْجده على أهل زبيد، فلم يجبه الدّاعي إلى ذلك وعَرَض عليَّ صحبته، وعقد لي أن يقدّمني على كل أصحابه.

ولَمّا عاد ابن مهدي من ذي جبلة سنة سبع إلى حصن الشرف، دبّر على قتل القائد سرور الفاتكي، فقتل في شهر صفر في السادس سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، وكان ممّا أعان ابن مهدي على أهل زبيد اشتغال رؤسائها بالتنافس والتحاسد على رتبة القائد سرور، وانفتح على الدولة بعده أبواب الشرّ وانحلَّ عقدها المسدود، وفارق ابن مهدي حصن الشرف، فهبط إلى الدّاشر، وبينه وبين زبيد أقل من نصف يوم، وتقرَّب[٢] الرعايا إليه، وعمرت[٣] البلاد الذين هم كانوا رعايا الحبشة، وكان الرّجل من أصحاب ابن مهدي يلقى أخاه أو قريبه وهو مع الحبشة، إمّا مزارع، أو جمّال، أو راعي ماشية لهم، أو حارس ضيعة، فَيُفْسدَه، ولم يزل الأمر كذلك حتى زَحَفَ ابن مهدي لهم إلى باب مدينة زبيد في عوالم لا تُحصى.

وحَدّث غير واحد من أهل اليمن مِمّن أدركه الحصار بزبيد، قالوا: لم تصبر أمّة على الحصار والقتال ما صبر عليه أهل زبيد، وذلك أنَّهم قاتلوا ابن مهدي اثنين وثلاثين[٤] زحفاً، يقتل فيها منه مثل ما يُقتل مِنْهم، ونالهم الضّرّ والجوع، حتى أكلوا الميتة من شدّة الجهد والبلاء، ثم استنجدوا بالشريف الزيدي، ثم الرسي أحمد بن سليمان[٥] صاحب

---

(١) (المفيد): «تسع».

(٢) (المفيد): «نفرت».

(٣) (المفيد): «عرب».

(٤) (المفيد): «وسبعين».

(٥) هو: الإمام المتوكل أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر، مولده سنة (٥٠٠هـ) ودعوته سنة (٥٣٢هـ) وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة (٥٦٦هـ)، له سيرة مخطوطة. طبعت أخيراً، إتحاف المهتدين ص٥٥.

صعدة، فأنجدهم طمَعاً في الملك، وشرطوا له أن يملكوه عليهم، فقال الشريف: إن تقتلوا مولاكم حلفت لكم، فوثب عبيد فاتك بن محمد بن فاتك بن جيَّاش بن نجاح مولى مرجان، ومولى أبي عبد الله الحسين بن سلامة مرجان، والحسين بن سلامة مولى رشيد الزمام، ورشيد مولى زياد بن إبراهيم بن أبي الجيش إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد، فقتلوه في سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة، فعجز الشريف عن نصرتهم على ابن مهدي، وجَرَت بينهم وبين ابن مَهْدي مصاف، يتحصَّنون مِنْه بالمدينة، إلى أن كان فتحه لها، وزوال دولتهم، واستقراره بدار الملك في يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وخمسين وخمس مئة، وأقام بها علي بن مهدي بقية رجب وشعبان وشهر رمضان، ومات في شوّال من السنة، فكانت مدّة مملكته شهرين وواحد وعشرين يوماً، ثم انتقل الأمر إلى ولده المهدي، ثم ولده عبد النبي، ثم إلى ولده عبد الله، ثم عادت إلى عبد النبي، والأمر في اليمن بأسرِه إليه ما عدا عدن [فإن أهلها][1] هادنوه عليها بمال في كل سنة، واجتمع لعبد النبي هذا ملك الجبال والتهائم وانتقل إليه ملك جميع اليمن وذخائرها.

وحدَّث محمد بن علي من أهل ذي جبلة: أنّه حصل في خزائن ابن مهدي ملك خمس وعشرين دولة من دول أهل اليمن، فمنها أموال زبيد، وما من عبيد فاتك وجهاته وأعيان دولته إلّا من مات عن أموال من العين الجزيلة صارت إليه؛ لأنّه ملك الذَّراري والنِّساء، فأظهروا لهم كنوز مواليهم، وكذلك المسوغ[2] واللؤلؤ والجواهر، واليواقيت الفاخرة، والملابس الجليلة على اختلاف أصنافها، فكانوا كما قال الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ

---

(١) ساقط من (الأصل).

(٢) في (المفيد): «المصوغ» - بالصاد - وهو الصّواب.

﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٨]، وانتقل إليهم ملك [بني سليمان الشرفاء][1]، وانتقل إليهم ملك بني وائل[2] سلاطين وِحَاضة[3]، وهم أهل دولة جليلة، وكذلك معاقل من بقي من بني الصليحي، وكان معقل منها له أعمال واسعة وارتفاعات كثيرة، فأمّا مُلك الملك منصور بن المفضَّل بن أبي البركات بن الوليد الحميري، فإنه حاز جميع حصونه، وهي ما هي، وجميع ذخائره، وإنما هي ذخائر الدّاعي علي بن محمد الصليحي، وذخائر المكرَّم بن علي زوج الملكة السيدة، وذخائر الحرَّة الملكة زوجته، وذلك أنّ الجميع انتقل إلى الحرّة، فأودعته في حصن التعكر، وتغلب المفضّل بن أبي البركات على الحصن وعلى ما فيه، وانتقل التَّعكر وما فيه من الممالك بأسرِها إلى ولده منصور بن المفضَّل؛ لأنهم يزعمون أن الملك منصور بن المفضَّل عُمّر في الملك ثمانين سنة ومات في عشر المئة أو التسعين.

ومِمّا انتقل إلى ابن مهدي حصن الْمَجْمَعة[4] وأمواله، وحصن التعكّر وأمواله على ما قيل، ومدينة ذي جبلة وهي مقرّ الدَّعوة الفاطمية، وكرسي الملك لبني الصليحي، وكذلك مدينة الجند وأعمالها، وكذلك تالبة[5]، وشرياف[6]، وذِخَر[7] وأعمالها وليس ملك هذا علي بن محمد

---

(١) ساقط من (المفيد) ط. الأكوع.

(٢) بنو وائل قبيلة من حمير تنسب إلى وائل بن سدد بن زرعة بن حمير بن سبأ الأصغر. المقحفي ص٤٥٩.

(٣) وحاضة: بلدة في أعلى جبل حبيش في عزلة شبع شمال إب، ويقال لها أيضاً: إحاضة. المقحفي ص٤٦٠.

(٤) حصن في أعلى عزلة شعب يافع من مخلاف الشوافي في الشمال الغربي من مدينة إب بمسافة يسيرة. (المفيد) ص٢٣٥، والمقحفي ص٣٦٣.

(٥) تالبة: من أعمال قفر يريم. المقحفي ص٦٧ قلت: لعلها غير مذكورة.

(٦) شرياف: حصن في عزلة بني عيسى من جبل ذخر في الشمال الشرقي.

(٧) ذخر: هو الجبل المعروف بجبل حبشي من قضاء الحجرية. الحجري ص٣٤٠.

صاحب ذخر، دون [ملك][1] الملك منصور بن المفضَّل، [ثم ملك بني الزّر، ومدينة ذي أشرق، ومدينة إبْ، وحصون خولان وبلادهما، وحصون ربيعة، وهي عَزّان[2]، وحب[3]، والشماحي[4]، وأخذ الملك السلطان أبا النورين الفتح، وبقي حصن][5] السّوا لابن السَّبائي الخولاني، ثم استولى ابن مهدي على معاقل الداعي عمران بن محمد، التي صارت إليه، وهي حِصْن سَامِع، ومطران، وحِصْن يُمين، وهذه الحصون بإقليم المعافر، وانتقل إليه معقل اليمن التي ليس بعد التعكّر وحَبّ سواه، وهو حصن السَّمادان[6] وبه يضرب المثل، وهو الحصن الذي ليس لمخلوق عليه اقتدار، ما لم يعنه الخالق بماضيات الأقدار، وهذا الَّذي نسمِّيه[7] نقطة من بحر ما ملك ابن مهدي. هذا ولم نذكر بلاد بني المظفر سبأ بن أحمد الصليحي، ولا إقليم حراز، ولا برع، ولا بلاد بكيل، ولا حاشد، ولا حصونها وأعمالها، ولا حيلة[8]، ولا عَنّة[9]، ولا وادي زبيد، ولا غير ذلك من جبال وادي رَمَعْ [وريمة الأشاعر[10] وحصونها ومعاقلها وقُراها ومذيخرة وأعمالها] وهي مسيرة

---

(١) ساقط من (المفيد).

(٢) عزان: حصن خرب أعلى جبل ريمان المطل على مدينة إب من الجهة الشرقية. المقحفي ص٢٨٦.

(٣) حب: حصن من عزلة سير في بعدان. المقحفي ص١٠٤.

(٤) الشماحي: من عزلة المويه من بعدان. المقحفي ص٢٣٦.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (المفيد).

(٦) كذا في (الأصل): «وهو السمدان»: حصن شامخ من بلد الرجاعية من المعافر بالقرب من تربة ذبحان بمسافة ١٥كم. المقحفي ص٢١٢.

(٧) (المفيد): «سميته».

(٨) سبق ذكرها وهي بلدة من الكلاع ثم من الأشراف أعمال في السفال. المقحفي ص١٢٨.

(٩) عَنّة: واد مشهور في بلاد العدين غربي إب. السابق ص٢٢٩.

(١٠) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) ط. حسن سليمان: «والأشاعر». قلت: لعلها ريمة =

[ثلاثة][1] أيّام ودَمْت[2] ووادي نخلة.

فأمّا المذهب الذي كان عليه ابن مهدي يعتقده، فكان حنفي الفروع، ثم أضاف إلى عقيدته في الأصول التّكفير[3] بالمعاصي، والقتل بها، وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة، واستباحة الوطء لسباياهم، واسترقاق ذراريهم، وجعل دارهم دار حرب، يحكم فيهم حُكْمه في أهل دار الحرب.

وحُكي عنه ـ والعهدة على الحاكيين[4] ـ أنّه لم يثق بإيمان أحد من المهاجرين حتى يذبح وَلَده، أو أباه، أو أخاه، أو أمَّهُ، ويقرأ عليهم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. قال عمارة[5]: وأعرف مِنْهم صبياً كان جاراً لي، وكان يتفقه معي، راحت والدته إليه تَزُوره فَذبَحها.

وأمّا اعتقاد أصحابه فيه، فَفوق ما يعتقده النّاس في الأنبياء صلوات الله عليهم، وذلك أنّ الواحد من آل مهدي هؤلاء يحسن عنده أن يقتل جماعة من عسكره، ثُم إذا قدروا عليه لم يقتلوه ديناً وعقيدةً، وإذا

= الأشابط: من أشهر جبال اليمن يقع في الجنوب الشرقي من الحديدة بمسافة ٧٠كم وهو أحد الأقضية التابعة للواء صنعاء. المقحفي ص١٨٨.

(١) ساقط من (المفيد) ط. الأكوع.

(٢) دمت: ناحية من قضاء النّادرة التابع للواء إب.

(٣) وهو مذهب الخوارج قالوا: إن كل من أذنب ذنباً من أمّة محمد ﷺ، فهو كافر ويكون في النار خالداً مخلداً. إلا النجدات منهم فإنهم قالوا: إن الفاسق كافر على معنى الكفران لا الكفر.

(٤) يعني بهما الأول، وهو الذي حكى لعمارة هذه الرواية، والثاني عمارة نفسه، ونص عمارة في مفيده ص٢٣٦: «وحكي لي عنه والعهدة على الحاكي».

(٥) (المفيد): «٢٣٦».

غضب على رجل من أكابرهم وأعيانهم، حَبَس نفسه في الشمس، ولم يُطعم، ولم يشرب، ولم يصل إليه ولد ولا زوجة، ولا يقدر أحد أن يشفع فيه، حتى يرضى عنه ابتداءً من نفسه، ومن طاعَتهم له أن كل واحد يحمل ما تغزله زوجته وبناته إلى بيت المال، ويكون ابن مهدي، هو الذي يكسو الواحد منهم، ويكسو أهله من عنده، ولَيْس لأحد من العسكرية فَرَس يملكه ولا يرتبطه في داره، ولا عُدّة من سلاح ولا غيرها، بل الخيل في اصطبلاته والسّلاح في خزانته، فإذا عنَّ له أمر دفع لهم الخيل والعدَّة وما يحتاجون إليه.

ومن سيرته أن المنهزم من عسكره يُضرب عُنقه، ولا سَبيل إلى حياته، ومن سيرته قتل من شرب [المسكر][1] وقتل من سمع الغناء، وقتل من زَنى، وقتل من تأخّر عن صلاة الجماعة أو عن مجلس وعظه، وهما يوم الخميس ويوم الاثنين، وقتل من تأخّر فيهما عن زيارة أبيه مقبوراً، وهذه الرسوم، فإنّما هي على العسكرية، أما الرعايا فالأمر فيهم ألطف من أمر العسكرية[2].

واتصل بالسّلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي صاحب مصر، أن باليمن رجلاً يقال له: عبد النبي بن مهدي، وأنّه خارجيّ بها، وفي جملة ما يزعمه أن دولته تطبق الأرض، وأن مُلكه يسير مسير الشَّمس، فغضب من ذلك السُّلطان صلاح الدين، فجهَّز أخاه الملك المعظّم فخر الدين تُوران شاه إلى اليمن في عسكر جرّار.

وقبل الخوض في ذلك فلنذكر نبذة من تاريخ بني أيوب ونسبتهم وذكر والدهم نجم الدين.

---

(١) ساقط من (المفيد) ط. الأكوع.
(٢) من هنا ينتهي النقل من (المفيد) لعمارة.

ذكر قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في تاريخه[1] في حرف الهمزة: هو أيوب بن شاذي بن مروان، الملقب الأفضل، نجم الدين، والد السلطان صلاح الدين يوسف رحمه الله، كان في أول أمره متسلماً قلعة تكريت هو وأخوه أسد الدين شيركوه، يُدبران أحوالها، وينظران في أمورها، وتوفي والدهما شاذي بها، وهنالك قبره ظاهر معروف، وولد له بها السلطان صلاح الدين، ومولده هو بمدينة أذربيجان[2]، ثم انتقل إلى الموصل، وأقام بها مدّة، ثم اتصل بخدمة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام، وكان مقبلاً عليه مكرّماً له، ولَمّا ورد[3] ولده صلاح الدين للعاضد صاحب مصر، وذلك في سنة أربع وستين وخمس مئة كما هو مشهور، وتوجَّه إليه والده نجم الدين أيوب من الشام، ودخل القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين [وخمس مئة][4] وخرج العاضد للقائه، وسلك صلاح الدين معه من الآداب ما جرت به عادته، وألبسه الأمر كُلّه فأبى أن يَلبسه، وقال: يا ولدي ما اختارك الله لهذا الأمر إلّا وأنت كفؤ له، ولا ينبغي أن تغيّر موضع السعادة، فحكَّمه في الخزائن كُلّها، وكان كريماً يطلق فلا يُرد، ولم يزل عنده، حتى اشتغل صلاح الدين بملك الديار المصرية كما سيأتي في ترجمته[5]، فخرج نجم الدين يوماً في باب النصر، أحد أبواب القاهرة، فشبَّ به فرسه فألقاه في وسط

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ ط. إحسان عباس.

(٢) الوفيات بمدينة دوين من أعمال أذربيجان.

(٣) الوفيات: وزر وهو الصواب.

(٤) زيادة من (الوفيات).

(٥) هذه عبارة ابن خلكان في (الوفيات) وهو يشير إلى ترجمته في موضعها من الكتاب المذكور لكن المؤلف أورد النقل هنا كما جاء، وهو لم يترجم لصلاح الدين وإنما ذكر أخاه توران شاه، وقد جَرّه النقل إلى هذا السهو، دون أن يتنبَه إليه، كما وقع له في مواضع أخرى نبهنا عليها.

المحجة[1]، وذلك يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمس مئة، وحمل إلى داره متألماً إلى أن توفي يوم الأربعاء سابع عشرين الشهر المذكور، ودفن عند قبر أخيه أسد الدين شيركوه رحمهما الله تعالى، ثم بعد ذلك نقلاً إلى مدينة رسول الله ﷺ ودُفنا هنالك، ولَمّا توفي السُلطان الأفضل نجم الدين، وكان السلطان صلاح الدين غائباً في غزوة الكرك، وهي أول غزواته، فبلغه الخبر وهو راجع في الطريق، فشقّ عليه حيث لم يحضره، ولقد كان رجلاً مباركاً كثير الصلاح، مائلاً إلى أهل الخير، حسن النيّة جميل الطوية، لا يتوسَّط إلّا بالخير، وظهرت ثمرة بركته وحسن اعتقاده في أولاده، وذكر أنّه بنى بمدينة بعلبك خانجات[2] لطيفة حسنة الوصف كثيرة الأنس يقال لها: (النجميّة) وهي منسوبة إليه، وسُئل اهل البلد عن سبب بنايتها هنالك؟ فقالوا: كانت بعلبك إقطاعه يوم ذاك، والمسجد والحوض اللذان بظاهر القاهرة خارج باب النّصر عمارته أيضاً، ورؤي تاريخ بباب[3] الحوض في الحجر المركب أعلاه في سنة ست وستين، ولَمّا مات رثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة طويلة أوّلها[4]:

هي الصدمة الأولى فمن بان صبره   على هول ملقاه تضاعف أجره

ولنعد[5] إلى ذكر المعظم توران شاه بن أيوب، [6]دخل اليمن سنة

---

(١) مطبوعة (الوفيات): «اللّجة» خطأ.

(٢) كذا في (الأصل) وفي (الوفيات): «خانقاه»: وهي من اللفظة الفارسية (خانكاه) بمعنى بيت أو مسكن الدراويش والمرشدين حيث يجرون فيه مراسم تصوفهم. المعجم الذهبي ص٢٣٢.

(٣) (الوفيات): «بناء».

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٢٦١.

(٥) إلى هنا انتهى النقل من (وفيات الأعيان) وقد نقل الترجمة بنصها من صفحة ٢٦٠ إلى ٢٦١.

(٦) من هنا يعود المؤلف إلى النقل من (كنز الأخيار) ص٩١.

تسع وستين وخمس مئة، وافتتح زبيد يوم الاثنين التاسع من شوال، وقبض على عبد النبي بن مهدي، ومات في أسره، وقيل: شنقه وزالت دولة بني مهدي.



دولة بني أيوب

وسار المعظم إلى عدن فملكها [وقتل بلال بن ياسر[1] المحمَّدي نائِب آل زريع بعدن، وكان بلال بن ياسر من أجواد الأنجاد الممتدحين، ورَد إليه فضلاء الديار المصرية؛ كالرشيد بن الزبير الفاضل العالم، والأعز أبو الفتوح بن قلاقس الحميري[2]، وامتدحه بقصيدة منها[3]:

سافر إن حاولت أمراً[4] ... سار الهلال فصار بدراً

---

(١) في (المفيد): «بلال بن جرير».

(٢) كذا في (الأصل) ولم يذكر في نسب ابن قلاقس نسبته إلى حمير وإنما ينسب إلى لخم، قال في ترجمته صاحب (وفيات الأعيان): نصر بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي. الوفيات ٥/ ٣٨٥.

(٣) ديوان ابن قلاقس تحقيق الدكتور سهام الفريح ص٢٤١.

(٤) في الديوان ص٤٤١ وكتاب النصوص الصقلية من شعر ابن قلاقس للأستاذ الدكتور محمد زكريا عناني ص١٢٣، ورد موضع هذه اللفظة (قدراً) ومن أبياتها:

أما تراني شاحب الـ ... وجنات قد ألبست طمرا

فوقائع الأيام تخرج أهلها شعثاً وغبرا

مدّت إليّ الأربعون يداً وقد تهقرت عشرا

واستحدثت في لمتي ... نقطاً فهلاً كن حبرا

مرت على النائبا ... ت تذوقني فوجدت مرا

ومروعي بالبحر يحسب أنني ارتاع بحرا

أو ما درى أني بتسهيل المصاعب منه أدرى

يقول الدكتور عناني عن هذه القصيدة: والحق أنها قصيدة مفعمة بالحيوية والتعبير المتقن والمعاني الآسرة، انسابت أبياتها طوراً تعنف وتحتد وطوراً تلين وترق، إلخ...

قلت: أورد منها أيضاً ابن خلكان في وفياته ٥/ ٣٨٧.

وهي مشهورة في ديوانه، فأجازه الف دينار، ثم سافر إلى أن صار بالقرب من دهلك فغرق عند جزيرة الناموس، فعاد إليه فقيراً، وأنشده قصيدة أخرى أولها[1]:

وردنا[2] وقد ناد السماح بنا رُدّوا   وعدنا إلى مغناك والعود أحمد

وكان كاتبه الأديب أبو بكر بن العيدي[3] الأديب البليغ، وكان متمكناً عنده، ومن جملة تمكنه أن قال له بلال بن ياسر: يا أديب الدولة دولتك فاكتب[4] بما شئت ولمن شئت، ومن لطيف ما كان يصنعه الأديب، أنه يخرج إلى باب البر إذا سمع بوصول القوافل، ويتعرّض للواصلين، فمن كان شاعراً أكرمه وأهّله وأخذ له جائزة بلال، ومن لم يعرف، نحله شعراً من شعره، واستجاز له [وأخذ المعظّم خبر[5] بن بلال بن ياسر وخرج من عدن][6]، وتوجّه إلى صنعاء أول المحرّم سنة سبعين، فحطّ بالميدان وخرج إليه مشائخ أهل صنعاء ووجوه أهلها في زي حسن مضاهٍ لزي[7] أهل الإسكندرية، فأعجبه زيُّهم وأمر بإحضار جماعة من رؤسائهم، وحاورهم، وحدَّثهم، وجرت بينهم وبين وزيره

---

(١) ديوان ابن قلاقس ص٢٦٠.

(٢) في الديوان ونصوص صقلية ص١٢٢ (صدرنا)، وقد أورد من أبياتها قوله:

فيا أيها البحر الذي من هباته   أعدُّ فيما انتقي واعدد
أجرني من البحر الذي أنا صارم   أجرد من مالي به حيث أغمد
طواني بسحب الموج تحت سمائه   على أنني يا أيها الشمس فرقد... إلخ

(٣) هو: أبو بكر بن أحمد العيدي ترجم له عمارة في مفيده، وجعله خاتمة الشعراء. انظر: (المفيد) ص٣٢٦.

(٤) (المفيد) ص٢٢٨: «أجب من شئت وكيف شئت».

(٥) كذا في (الأصل).

(٦) ما بين المعكوفتين زيادة على (الكنز).

(٧) عبارة (الكنز): «لا يخرج فيه أهل الإسكندرية».

مراجعة نحويةً، فقال الوزير لأهل صنعاء: ما عندكم من كتب النحو؟ قالوا: كتب الصفار[1]، فأمر بإحضار كتاب منها، فوجد القول قول أهل صنعاء.

ولمَّا دخل صنعاء وملكها، بنى بها المباني، وكان معه من الأمراء الأعيان درباس[2]، وسيف الدولة المبارك بن منقذ، وأخوه ابن منقذ، وخطَّاب، وعثمان الزنجيلي، وياقوت التعزي، ومظفر الدين قايماز، وغيرهم ورتَّب في زبيد سيف الدولة بن منقذ، وفي تعز ياقوت التعزي، وفي عدن عثمان الزنجيلي، وفي جبله مظفر الدين قايماز، ولم تُعجب المعظم [توران] شاه اليمن فسار من صنعاء على طريق المدارة[3] إلى أن صار بالقرب من أشيح، خرجت عليه عربان كثيرة فنهبوا خزانته، وتوجّه إلى أخيه بمصر فوجده على حصار حلب، فاستنابه بدمشق، ثم توجه إلى الإسكندرية ومات بها مستهل صفر، وقيل: خامس صفر سنة ست وسبعين وخمس مئة، وسمع نوابه باليمن بموته فادَّعى كل منهم الملك لنفسه وضرب السكة باسمه، وكل واحد لا يتعامل بسكة أصحابه.

وأمَّا سيف الدولة بن منقذ، فإنّه مرض وبغض اليمن وسار إلى مولاه صلاح الدين، وخلَّف أخاه خَطَّاباً بزبيد، فضرب باسمه الدرهم، وأمَّا مظفر الدين قايماز، فإنّه ضعف أمره، ولم يتعد بلده، وأمَّا عثمان

---

(١) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بابن الصفار، ويعرف أيضاً بابن النحاس وفاته سنة (٣٣٧هـ)، وقد اشتهر كتابه الكافي في النحو، فكان مدرسة أهل اليمن.

(٢) انفرد بذكره كتابنا هذا وكتاب قرة العيون لابن الديبع ١/ ٣٨٢، و(العسجد) ص١٥٥.

(٣) كذا في كتابنا، وفي المصادر الأخرى عن طريق نقيل السّود من بلاد بني شهاب وسنحان. انظر: الأيوبيون في اليمن للدكتور محمد عبد العال ص٩٣، وغاية الأماني ص٣٢٤، والعسجد المسبوك ص١٥١، وفي قرة العيون ١/ ٢٨٣: عن طريق صنعاء، قلت: المدارة من قرى جهران أنس.

الزنجيلي، فإنه اشترى العقار من الدكاكين بعدن والدُّور، ووقفها على المسجد الحرام بمكة، ويقال: أنه وقفها على مدرسة أنشأها هنالك[1].

ولمَّا علم صلاح الدين بفساد ما اتفق أرسل المقدم خطلبا[2] إلى البحر إلى عثمان الزنجيلي، فلما وصل إليه قابله بالإجلال، واتفقا في المسير إلى خطان[3]، فلما سمع خطان بذلك، ارتفع إلى حصن قوارير، وأخلى زبيد، ودخل المقدَّم خطلبا الواصل من الملك صلاح الدين زبيداً ملكها في سنة أربع وسبعين وخمس مئة، وكان خطان يغير جماعة معه في بعض الأيام[4] ما بين الهويب[5]، والأهواب، وهو الرستاق[6] المتصل من جبل زبيد إلى البحر، ومرض خطلبا مرضاً شديداً أشفى منه على الموت، فَرَاسل خطان سراً، وقال: أنت أولى من عثمان الزنجيلي، فدخل زبيد خفيةً، فَسمِع عثمان ذلك، فَسار بجيشه إلى زبيد، وحاصرها سنة ست وسبعين وخمس مئة، فخذل ومات خطلبا واستمر خطان بزبيد إلى سنة سبع وسبعين.

ولما علم الملك صلاح الدين بما اتفق من الفساد، أرسل أخاه

---

(١) لعل الصواب هو القول الأخير، فقد ذكر هذه المدرسة المؤرخ تقي الدين الفاسي في العقد الثمين ٣٤/٦ وقال عند ترجمته للمذكور هنا: صاحب المدرسة بمكة عند باب العمرة المقابل لها، قال: وقفها سنة (٥٧٩هـ) وله سبيل خارج باب الشبيكة في صوب طريق التنعيم على يمين المار إلى العمرة.

(٢) في (الأصل): «خلطبا»، وهو صارم الدين خطلبا بن موسى ولي القاهرة، وكانت قد أضيف إليه ولاية الفيوم. انظر: المسبوك ص٦٤ و٧٣، قلت: لعلّ صحة تسميته خطل بغا فحرفها العوام، والله أعلم.

(٣) يرد في المخطوطة بخطان بالخاء المعجمة وآخره نون، ونحن نورده بالصورتين، حيث يرد ذكره في بعض كتب التاريخ اليمني بخطاب بالخاء والباء، وفي السمط الغالي الثمن ص٢٤: «حطان».

(٤) عبارة (المطبوعة) ص٧٧: «وكان خطاب يغير في بعض الأوقات».

(٥) الهويب، والأهواب، وهو المعروف بالبقعة غربي زبيد.

(٦) الرستاق: لفظة فارسية بمعنى: القرية.

الملك العزيز أبا الفوارس سيف الإسلام طغطكين بن أيوب، فدخل مكة، فوجد بها الشريف فليته بن مطاعن[1] الهاشمي، ودخلها في رمضان سنة تسع وسبعين، فطاف به وسَعَى به الشريف صاحب مكة، وخلع عليه خِلعة لم [ير][2] أحسن منها.

ذكر ابن جبير[3] المغربي في رحلته: أنّه صادف سيف الإسلام ذلك العام، ورأى طوافه وسعيه، وجملة ما معه من العسكر، ألف فارس، ومن الرجل خمس مئة راجل من الجبلية[4]، وأن الخلعة التي أفاضها على الشريف، تساوي ألف مثقال.

وتوجّه إلى اليمن، ولم يحج ذلك العام، فوصل زبيد آخر سنة تسع وسبعين، فخرج خَطان في لقائه، فخلع عليه وعلى عسكره[5]، وقال له: أنت أخي من بعد أخي، ودخلا جميعاً زبيد، فأقام مَعَه أيّاماً، ثم استأذن خطان سيف الإسلام في المسير إلى الشام فأذن له، فأخرج جميع ما كان في حوزه إلى الجنابذ[6]، وهي ظاهرة[7] بزبيد، فأمر بالحوطة عليه، والقبض، وخنق بعد ليال في حصن تعز.

وأمّا ياقوت فسلم له حصن تعز ومعاشره فأرجأ أمره.

---

(١) في (الأصل): «مطاعم» وكذا في بغية المستفيد ص٤٢.

(٢) سقط من (الأصل) فأثبتناه من (العسجد المسبوك) ص١٥٨.

(٣) رحلة ابن جبير ص١٢٦ ـ ١٣٠، ط. حسين نصار سنة ١٩٥٥م.

(٤) الجبلية: لفظ عربي الأصل استعمل للدلالة على أهالي المناطق الجبلية في بلاد الشام مثل جبل القدس أو الخليل أو نابلس. معجم الألفاظ التاريخية: ص٥١.

(٥) في (الأصل): «كسره»، والإصلاح من (المطبوعة) ص٧٨، و(العسجد) ص١٥٨.

(٦) الجنابذ توسع في ذكرها ابن المجاور في المستبصر ص٧٥ قال: هن ثلاث قباب فيهن قبور آل الصليحي، خارج بلد زبيد، وفي (العسجد) ص١٥٩: «هن قبالة باب سهام».

(٧) كذا في (الأصل) وفي (المطبوعة) ص٥٨: «فأخرج جميع أثقاله وأمواله إلى ظاهر زبيد».

وأمّا مظفَّر الدين قايماز، فتغلب على تلك البلاد، وهي جبلة ومخاليفها فأرسل إليه من أخذه.

وأمّا عثمان الزنجيلي، فعمر سُفناً عظميةً وشَحن فيها جميع ما يملكه من الصامت والناطق[(١)]، وتوجه بها إلى العراق[(٢)].

وملك سيف الإسلام اليمن كله وعره وسهله، ودخل أماكن ما دخلها أحدٌ من قبله بالسيف؛ كجبال قلحاح[(٣)]، ودِبْسان[(٤)]، وأصاب، وريمة، وحراز.

وجرت بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة عدة وقائع على صنعاء، وأقام مدة خمس سنين وصنعاء ليست في مملكته.

وفي سنة خمس وثمانين استولى على حصن كوكبان، وأولاده ولدان المعز إسماعيل والنّاصر أيوب، وكان حسن السيرة، وإذا رأى من يعرض له في موكبه أمسك رأس حصانه ولم ينصرف من مكانه حتى يكشف ظلامته، ودان له الأمر باليمن بكماله، وأزال[(٥)] ملك بني حاتم من صنعاء، ودخل الجوف وصعدة، وسوَّر زبيد سُوراً جديداً، وسوَّر صنعاء بعد أن أخرب دورها[(٦)]، ورمي النفط في دورها، ولما استتم له الأمر ودخل في خاطرة الموت سلطن مملوكه أبو زبا[(٧)]، وأرسله إلى

---

(١) الصامت من المال: الذّهب والفضّة، والناطق الإبل والغنم.

(٢) في (الأيوبيون) ص١٢٣: «الشام».

(٣) قلحاح: جبل قرب زبيد، وأظنه من شرف وصاب، والله أعلم.

(٤) كذا في (الأصل)، وأظنه: «ريشان جبل ملحان بالمحويت، وربما كان ديسان بالدال والياء، حصن في الشرق الشمالي من المهجم في حزاز جبل ملحان.

(٥) من هنا تبتدىء (المطبوعة من كنز الأخيار) ص٩٢.

(٦) (المطبوعة): «سورها».

(٧) كذا ورد على الحكاية، ومن حقه النصب، انظر: السمط الغالي الثمن ص٣٨، وفيه الهمام أبازبا، وفي قرة العيون أنوريا، و(الكنز) و(المطبوعة): «أباذبا بالذال المعجمة».

البلاد العليا، ومات في شهر شوال سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة بقرية المنصورة[1] بين الجند وجبلة، فأخفي موته إلى أن، طلع به رأس حصن[2]، وأرسلت النجب في طلب ولده المعز، وكان قد غضب على أبيه، وأراد اللحوق بأعمامه بمصر، فأدركته النجب على ساعد حرض، فعاد واستولى على الملك وتسلّم حصن تعز وغيره من البلاد، وقتل جمعاً كثيراً من غلمان أبيه.

ولما بلغه خبر أبيه جزّ شعره[3]، ولبس الأسود حزناً على أبيه، وصعد صنعاء فقبض على الهمام أبو زبا، وقتله في المحرّم سنة أربع وتسعين وعاد إلى اليمن.

وسَيّر الإمام المنصور الدعوة سنة أربع وتسعين، وانضم إليه جماعة من عسكر سيف الإسلام، ولمّا علم المعزّ بذلك، رجع من فوره إلى صنعاء، فصادفه الإمام على الحقل[4]، ومعه الأمير جكوا[5] في مئتي فارس، ولم يكن من رأي الإمام مصافّفته[6]، فلما ترائى الجمعان[7] نكّس أصحاب جكوا رماحهم، ودخلوا في صف المعز، وثبت جكوا ثباتاً حسناً إلى أن قُتل، وكُسر الإمام، ودخل المعزّ صنعاء وعاد منها إلى زبيد، وبنى المدرسة المعروفة بالميلين الآن، وكان فاضلاً شاعراً، وقفت له على ديوان شعر جميعه جيد بالنسبة إلى الملوك، وداخلته الخيلاء في

---

(١) في معجم المقحفي ص٤١٣: من قرى الصلو بالمعافر في القرب الشمالي من حصن الدملوة.

(٢) كذا في (الأصل).

(٣) انظر: هذا الخبر بتوسع في السمط الغالي الثمن ص٤٤.

(٤) لعله: حقل البون شمالي صنعاء.

(٥) كذا يرد اسمه تارة بالجيم وأخرى بالحاء المهملة، وفي السمط الغالي الثمن ص٤٥: «حكو» بالحاء المهملة وفيه: «حكو بن محمد الكردي».

(٦) كذا في (الأصل) و(كنز الأخيار)، وفي (المطبوعة من الكنز): «مصادمته».

(٧) عبارة (الكنز): «فلما التقى الناس نكس الغز».

عقله، وادعى لخلافة وانتمى إلى بني أمية، ووصلت كُتب أعمامه من مصر، ينكرون عليه غاية الإنكار، ثم إنه أخاف مماليك أبيه، فهرب منهم الأتابك [سنقر][1] في طائفة عظيمة من المماليك، وبقي أكثر من معه من الأكراد.

ولما تفاحش أمره بدعوى الخلافة، قتله الأكراد على باب زبيد سنة ثمان وتسعين وخمس مئة، ونهب الأكراد زبيداً نهباً شنيعاً، وكان ولايته ست سنين، ولما علم الأتابك سيف الدين [سنقر][2] بموته، وكان بحصون حجةً هارباً من المعز وَصَل إلى تهامة، وتلقّاه الأكراد والعسكر، وجعلوه أتابكاً للملك الناصر [أيوب][3] بن سيف الإسلام، وكان بيد الأتابك عدن ومخلاف جعفر ومخلاف تعز وصنعاء وأعمالها ونائبه فيها، وفي حرب الإمام المنصور علم الدين وردشار، ونزل الأتابك إلى تهامة، فقتل الأكراد قتلاً عظيماً بقرية الزريبة وهزمهم إلى زبيد، ودخلها الأتابك ونَهبها نهباً عظيماً، وتمّ الدست للأتابك، وأمر بغلق مدرسة المعز، وأخرج الفقهاء الشافعية منها، وأخرج وقفها، ويقال: إنه أوقفه على إمام مقام أصحاب أبي حنيفة[4]، وبنى مدرسة كبيرة بزبيد عقد فيها أواوين[5]، وهي الآن تعرف بمدرسة ابن دحمان، وبنى بالدملوة مناظراً ومباني وكتب اسْمَه على أبوابها، وعمر المقدّم من مسجد الجند.

وفي أيّامه: وقع في زبيد ونواحيها رماد أبيض من السماء يوماً وليلة وظلمة شديدة، وخاف الناس الهلاك، وظهر بعد ذلك رماد أسود

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة، من (المطبوعة) و(الكنز).
(٢) ساقط من (الأصل).
(٣) ساقط من (الأصل).
(٤) بالحرم الشريف زيادة من (العسجد) ص١٧٦.
(٥) جمع إيوان معروف من اللفظة الفارسية.

وحصلت أراجيف وزلازل[1].

ولم تزل أحوال الأتابك مستقيمة إلى سنة ثمان وست مئة وهو والد بنت جوزه[2].

وفي هذه السنة مات بحصن تعز، وقام الملك الناصر أيوب بالأمر، وَوَزر له غازي بن جبريل، وتجهّز للطلوع إلى صنعاء في جيوش عظيمة، وأموال جمة، فلما استقر بصنعاء سمّه أستاذ داره[3] غازي بن جبريل، في المحرم أول سنة إحدى عشرة وست مئة، وادّعى الملك لنفسه، وضرب السكة باسمه، وخطب له، فلما أن صار بالسحول، وثب عليه مماليك الملك النّاصر فقتلوه، ورجع المنصور[4] الزيدي إلى صنعاء، بعد أن كان قد أخرجه الملك الناصر منها.

ثُم إن سليمان بن موسى الحمزي وصل ذمار بعسكر جرار فَمرّ على طريق بني حبيش[5] فغزا لحجاً، فأخذها وأقام بالرَّعارع أيّاماً، وعاد، فافتقر أهل اليمن إلى من يسلطنه[6]، فوجدوا سليمان الصُّوفي من بني أيوب[7] بتعز في زي الصوفية، فملكوه وأطلعوه حصن تعز، وقام بالملك آخر سنة إحدى عشر وست مئة، وكانت أموره ضعيفة، وأحوال سلطنته سقيمة.

---

(١) انظر: هذه الحادثة الطبيعية بتوسع في السمط الغالي الثمن ص١١٠.

(٢) في (الأصل) و(المطبوعة): «حوزى».

(٣) الأستاذدار: لفظ فارس يطلق على الذي يتولّى شؤون مسكن السلطان أو الأمير ومصروفاته وتنفذ فيه أوامره.

(٤) في (الكنز): «وعادت عساكر الإمام المنصور إلى صنعاء».

(٥) بنو حبيش: ناحية من أعمال إب.

(٦) (الكنز): «يسلطنونه» و(المطبوعة): «بسلطان».

(٧) في (المطبوعة): «سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وأظنه من المحقق». انظر: أخباره بتوسع في السمط الغالي الثمن ص١٥٨ ـ ١٦٧.

وقد بلغ بني أيوب ما جرى باليمن، فجهز الملك العادل ابن ابنه الملك المسعود صلاح[1] الدين يوسف بن الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب، وهو يومئذٍ بسن البلوغ في جيوش عظيمة وأموال جليلة ورجالة كثيرة، وأتابكه[2] ومدبر ملكه جمال الدين فليت، فدخل الملك المسعود زبيداً في المحرّم سنة اثنتي عشرة وست مئة، وطلع حصن تعز فتسلّمه وقبض على سليمان الصوفي في صفر من السنة وتزوّج بنت جوزى[3] وشغف بها، وخرج الإمام المنصور من صنعاء إلى كوكبان في ربيع، ووصلها الأتابك فليت في جمادى من السنة، ونزلت عساكره فحطت بطرف الضلع، وحطّ الإمام بموضع يُسمى اللطية[4]، وقامت الفتنة بينهما مدّة طويلة، وجهز الإمام ولده عز الدين إلى جبل كنن[5]، وهو يومئذٍ في اثنتين وعشرين سنة، وقد اجتمعت سَنْحان على الخلاف معه فمال لحرْبه طائفة من العسكر الذين مع فليت، وكانت بينه وبينهم عدّة وقائع له وعليه، ومات الإمام ﷺ بكوكبان في المحرم سنة أربع عشرة وست مئة فَدُفن به ثم نقل إلى بكر[6] في تابوته، ثم حُمِل إلى مشهده بظفار.

وتوفي الأتابك فليت بعده بصنعاء في ربيع الأول من السنة،

---

(١) في (المطبوعة): «اقسيس».

(٢) الأتابك: لفظ تركي بمعنى أب الأمير، وهو لقب يطلق على الذي يتولى الوصاية والرعاية على الأمير أو السلطان إذا كان قاصراً.

(٣) كذا في (الأصل) و(المطبوعة): «جوزا»، ويرد ذكرها أحياناً بجوزة بهاء التأنيث وهي ابنة الأتابك سيف الدين سنقر السابق الذكر.

(٤) موضع بجبل الضلع.

(٥) كَنِن: بفتح الكاف وكسر النون من حصون خولان العالية وسنحان. المقحفي ص٣٥٢.

(٦) في (المطبوعة): «ثم نقل إلى مشهده بظافر»، وبكر بضم الباء والكاف حصن يحاذي جبل كوكبان ويطل على مركز الطويلة. المقحفي ص٥٥.

ووصل الملك المسعود من اليمن إلى محطة كَنن في جمادى الأولى من السنة، وتم الصلح بينه وبين عز الدين بن الإمام على تسليم كوكبان، ولحق عز الدين ببلاده وتسلّم المسعود حصن براش صنعاء من الهروش[(١)] في جمادى الآخرة، وعاد إلى اليمن في رجب وطَلَع [صنعاء][(٢)] مرة أخرى في ربيع الأول سنة خمس عشرة، وعاد إلى اليمن في ربيع الآخر، وعاد إلى صنعاء ثالثة في رمضان من السنة وعاد عنها، ورجع إليها مرة رابعة في رجب سنة سبع عشرة، فحط على حصن بكر، وهو بيد عماد الدين يحيى بن حمزة وبه من أولاد الإمام وأمهات أولاده طائفة، فأقام عليها سبعة[(٣)] أشهر وأنفق أموالاً جليلة، وجمع عز الدين جموعاً عظيمةً، واراد قصد تهامة لينفس على أهل بكر، فخالف عليه علم الدين سليمان بن موسى الحمزي، ووصل محطة بكر فتلقاه المسعود بالإنصاف العظيم والعطايا الجليلة، وجهز معه جيشاً لحرب عز الدين، وكانت بينهما بالجوف حروب عظيمة، وتسلم المسعود حصن بكر في ربيع الأول سنة ثماني عشرة.

وسار إلى مكة حرسها الله تعالى قاصداً لقتال حسن بن قتادة، فدخلها قهراً بالسَّيف، وذلك في ربيع سنة تسع عشرة وسبع مئة[(٤)] [وعاد إلى اليمن.

وخرج المسعود من تعز زائراً أهله بمصر في رمضان سنة ٦٢٠هـ][(٥)] واستخلف على اليمن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي، وهو يومئذٍ أتابكه، وصاحب عسكره وسائر الأمور بيده.

---

(١) كذا في (الأصل) و(الكنز) وسيأتي في الهامش.
(٢) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز).
(٣) (الكنز): «تسعة بتقديم التاء»، وكذا في (المطبوعة).
(٤) السمط الغالي الثمن ص١٧٥، وإتحاف الورى ٣/ ٣٤.
(٥) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز).

وأقام مُرغم[1] الصوفي الفتنة في الحقل وبلاد زَبيد، وسارت إليه عساكر الملك المنصور نور الدين، وفيها راشد بن مظفر بن الهرش، فَهزمهم [مرغم][2] وقتل راشداً سنة اثنتين وعشرين.

وكانت وقعة عَصُر[3] بين الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول، وهو مقطع صنعاء وأعمالها يومئذٍ وبين الأمير عز الدين بن الإمام، يوم الأربعاء السّادس والعشرين من رجب سنة ثلاث وعشرين وست مئة، وعاد الملك المسعود من الديار المصرية، وقبض على بدر الدين حسن بن علي بن رسول وإخوته سنة ست وعشرين وسيّرهم مقيدين إلى مصر، وسار الملك المسعود إلى مكة حرسها الله تعالى قصده الديار المصرية، واستخلف الملك المنصور [نور الدين عمر بن علي][4] على اليمن، فأدركت المسعود منيّته بمكة حرسها الله تعالى في ربيع الأول سنة ست وعشرين وست مئة رحمه الله تعالى.



ومن ها هنا: ابتدأ أمر الدولة الرسولية

ستولى مولانا الملك المنصور عمر بن علي بن رسول بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى[5] من ولد جبلة بن الأيهم[6] بن جبلة بن الحارث بن

---

(١) للتوسع انظر: السمط الغالي الثمن ص١٧٦.
(٢) زيادة من (الكنز).
(٣) عصر: ـ بالتحريك ـ قرية غربي صنعاء، أسفل جبل عصر.
(٤) ساقط من (الأصل) و(المطبوعة) والزيادة من (الكنز).
(٥) يرد هذا الاسم في المصادر بعدة صور، فتارة يوجى وتارة نوحى وأخرى يوحى وقد حلل هذا الاسم ونسبة بني رسول مؤرخ الدّولة الرسولية في العصر الحديث، الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه بنو رسول وبنو طاهر ص٣٩ ـ ٥٣ فانظره.
(٦) زاد النويري في اختصاره للكتاب لفظة: (كما زعموا) وذلك بعد اسم جبلة مما يدل على شكه في هذه النسبة. والله أعلم.

أبي جَبيلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن[١] جفنة بن عمر بن مزيقياء[٢] عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس[٣] البهلول بن ثعلبة الضيم[٤] بن مازن السراج[٥] بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن عبد شمس[٦] سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود عليه السلام[٧]:

نسب كأن عليه من شمس الضُّحى ... نوراً ومن فلق الصباح عمودا
باق على مَرّ الزمان وإنما ... خلق المناسب ما يكون جديدا

استولى الملك المنصور على الأعمال التهامية جميعاً، وأقام بها حتى قرَّر قواعدها، وسار من زبيد في شوال، فحطّ على حصن تعز، وتسلم التعكر سنة سبع وعشرين، وفيها استولى على الأعمال الصنعانية، فأقطعها ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن بدر الدين، وتسلَّم حصني بيت عز، وحب، سنة ثمان وعشرين، وفيها طلع صنعاء، فأمر بالمحاط على براش، واتفق بالأمير شمس الدين بن الإمام، وعمة عماد الدين يحيى بن حمزة، وعقدوا صلحاً عاماً بينهم، وتمّ على أحسن الوجوه[٨] بحيث لم يجر بينهم حرب إلى أيّام أحمد بن الحسين سنة ست وأربعين إلا مرة واحدة في سبب نذكره إن شاء الله تعالى. ثم عادوا إلى صلحهم.

---

(١) في (الأصل) بزيادة عليه، والإصلاح من طرفة الأصحاب ص٥٦ ط. دار الكلمة.
(٢) في (الأصل): «نقياس»، والإصلاح من الطرفة ص٥٦.
(٣) زيادة من (العسجد) ص١٩٠: «ابن الغطريف بن ثعلبة».
(٤) لا يوجد هذا في (العسجد) وفي (الطرفة) ص١٠٠: «ثعلبة البطريق يسمى أيضاً العنقا».
(٥) كذا في (الأصل) وفي (العسجد): «السفر»، وفي (الطرفة): «زاد السفر».
(٦) كذا عند المؤلف بزيادة عبد شمس، وإنما في نسبه كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظر: جمهرة أنساب العرب ص٢٣٠.
(٧) من أبيات مشهورة لأبي تمام. انظر ديوانه.
(٨) (الكنز): «على ما يريد».

وطَلَع الملك المنصور إلى صنعاء مرة أخرى سنة تسع وعشرين، فتسلم بكر، وكوكبان، وحصن براش[1]، واستولى على بلد علوان الجحدري وحصونه في سنة ثلاثين، وتسلم حصون حجة والمخلافة ومخاليفهما في سنة أربع وثلاثين، وسبب ذلك أن تاج الدين بن عماد الدين، نزل إليه فانصفه[2] وعظّمه وأقطعه المحالب[3]، وطَلَع منه، فسولت له نفس السوء أخذ كوكبان، ولقد باع غالياً برخيص، فعمل[4] فيه ودخله وأصحابه، ولم يبق من أخذه شيء، فلم ينصر، وخرجت رتبة الخيل من الدار فهزمتهم وأخرجتهم من الحصن، ومات أكثرهم برداً باقي جنوده[5]، فغضب لذلك الملك منصور غضباً شديداً، وسار نحو[6] حجةَ والمخلافة، ومن جملة عسكره ستون ألف راجل، فاستولى على حجة والمخلافة وحصونهما، في يوم واحد، اتفاق لم يجر لأحد، وعاد، وقد كان أمر عند مسيره إلى حجة والمخلافة الأمير أسد الدين فحطّ بالجنّات[7]، وشمس الدين بالطرف، وجرى بينهما يوم[8] قارن[9]، وهو من مشاهير الأيّام العظيمة.

[ثُم إن عماد الدين وأولاده بعد ذلك اعتذروا للملك المنصور واعترفوا بالخطأ، فأعاد عليهم حجة والمخلافة وحصونهما، وهكذا

---

(١) براش: حصن في الجهة الغربية الجنوبية من صنعاء على ٦كم، وهو من أعمال الطويلة.

(٢) (الكنز): «فلاطفه».

(٣) المحالب: قرية من تهامة خربة تقع في وادي مور على مقربة من الزهرة.

(٤) (الكنز): «فعامل».

(٥) كذا في (الأصل) وعبارة (الكنز): «ومات أكثر عسكره تردِّيا في الحيد».

(٦) هنا سقط في (الكنز).

(٧) الجنات: بلدة عامرة بالشمال من مدينة عمران بمسافة ٣ كم.

(٨) (الكنز) و(المطبوعة): «مارب» خطأ.

(٩) قارن: «قرية في البون الأعلا تتبع إدارياً جبل عيال يزيد بالشمال الغربي من عمران».

يكون الملوك يأخذون قهراً ويعيدون عفواً][1]، وطلع الملك المنصور مرّة ثالثة صنعاء سنة سَبْع وثلاثين، فتسلم حصن الكميم[2]، وأتاه وهو بصنعاء خبر قتل نجم الدين بن أبي زكريا[3] بحضرموت، وتسلّم جبل حفاش[4] وهو من معاقل اليمن المشهورة في الجاهلية والإسلام سنة إحدى وأربعين، واستولى على جبال العوادر[5] وحصونهم سنة خمس وأربعين، وبلَغه عن الأمير أسد الدين ابن أخيه أموراً لم تعجبه، فاستدعاه، فأتاه وهو بالجؤة[6]، فَتَخوف الأمير أسد الدين، فسار هارباً حتى إذا بلغ السحول، وجد الأمر قد سبق بحفظ الأمير[7]، فدلّه الورد بن ناجي طريق القفر، وتجهّز الملك المنصور لطلوع صنعاء وحربه، فمال[8] في خلال ذلك الإمام أحمد بن الحسين القاسمي الحسني في صفر سنة ست وأربعين وست مئة، فخلع[9] السلطان، فكان طلوعه لحربه، فلقيه ابن أخيه أسد الدين إلى ذمار، فرضي عليه، وسار بين يديه حتى حطّ بحوشان[10] القاع الذي تحت ثلا، والإمام يومئذٍ بثلا في جموع عظيمة، فجرت بينهما حروب، منها اليوم المعروف بيوم العقاب، قتل فيه من

---

(١) زيادة لا توجد في (الكنز) مما يدل على أن النسخة الموجودة بالمتحف البريطاني فيها حذف واختصار.

(٢) (الأصل): «الكمين».

(٣) (المطبوعة): «زكرى». وانظر: الخبر بتوسع في السمط الغالي الثمن ص٢١٨، وتاريخ حضرموت لشنبل ص١١٥.

(٤) حفاش: ـ بالحاء المهملة ـ جبل بالقرب من صنعاء بمسافة ١٤١كم جوار جبل ملحان. انظر: المقحفي ص١٢٤.

(٥) العوادر: قبيلة من حمير، ثم من شرعب.

(٦) الجؤة: مدينة خربة في جبل الصلو تحت قلعة الدملوة.

(٧) (الكنز): «قد سبقه لحفظ النقيل».

(٨) كذا في (الأصل) و(الكنز): «فقام»، وهو الصواب.

(٩) كذا في (الأصل) وفي (الكنز): «فجعل»، وهو الصواب.

(١٠) حوشان: هو القاع الفسيح فيما بين شبام كوكبان ومدينتي ثلا وجبلة.

عسكر الإمام سبعون رجلاً بالنشاب، وعاد إلى صنعاء في رمضان من السنة، وخرج منها في المحرّم سنة سبع وأربعين وست مئة إلى حضور بني شهاب، وقد اجتمع للإمام في قرية داعر[1] عساكر عظيمة عليهم عبد الملك[2] بن الحسن، فقاتلتهم عساكر الإمام قتالاً شديداً، وكان يوماً مشهوداً، ورجع الملك المنصور من صنعاء في ربيع سنة سبع وأربعين.

وكان قد اتفق قبل طلوعه إلى صنعاء أن ولدي الأمير بدر الدين حسن، أخو السُّلطان الملك المنصور، أسد الدين محمد، وفخر الدين أبو بكر عاملاً مماليك الملك المنصور على قتل سَيّدهم، وبذلا لهم الأموال الجمّة، وتكفلا لهم بالمواعيد الحسنة، وإنما فعل أسد الدين ذلك وساعده عليه أخوه فخر الدين؛ لأنه لهم غرض[3] السلطان الملك المنصور، وعزله من صنعاء، وهو إذ ذاك مقطع بها، وأن غرض الملك المنصور يقطعها ولده السلطان الملك المظفَّر، فعزَّ ذلك على أسد الدين، وتورط كما ذكرناه آنفاً، فأمر السلطان الملك المنصور، ناجياً صاحب السحول، أن يمنعه نقيل صيد، فلما صار أسد الدين بالسّحول، أشرف ناجي على الأمير أسد الدين من طاقة بيته وقال: ارجع إلى عمك، فوالله لامكننك تطلع النقيل، ولا سبيل لك إليه البتَّة، فخالف[4] أسد الدين من غائِلته، فاسترفق رجلاً من بني ناجي يدله على طريق غير النقيل، فطلع به من مغارب ذمار، وناجي المذكور من وزراء الدولة المنصورية ونصحائها، وممن كان يرجع فيها إلى قوله.

---

(١) قرية من ناحية البستان. الحجري ص٣٢٥.

(٢) كذا في (الأصل) وهو خطأ صوابه ما في (الكنز): «عليهم جدّي بدر الدين عبد الله بن الحسن». يعني: جد مؤلف (كنز الأخيار) الذي ينقل عنه المؤلف.

(٣) كذا في (الأصل).

(٤) كذا لعل صوابه: «فخاف».

ولما استقر أسد الدين بذمار، راسل الإمام أحمد بن الحسين الزيدي فأجابه إلى غرضه، وأقام فتنة على عمّه، فاقتضى ذلك توجّه المنصور إلى صنعاء لإخماد فتنة ما ثار سنة كاملة، وكان غرض مماليكه الوقوع به في صنعاء، فقال بعضهم: لا يمكن ذلك بصنعاء اصبروا عليه إلى أن ينزل اليمن ويرى أهله وأولاده فقد صار لهم عنه سنة، والمواعيد الأسدية بلغت بمماليكه، والأماني التي ألقاها إليهم تقدمهم مرة وتؤخرهم أخرى، فلما رجع من صنعاء إلى موطن مملكته ونزل قصر الجَنَد وثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه.

وكان قد استكثر من المماليك، حتى أنه قيل: أن بحريته ثمان مئة فارس يحسنون من الفروسية والرمي ما لا يحسنه بحرية مصر، والمماليك الصغار قريب منهم في العدد، غير حلقته، وعساكر أمرائه، وكان ملكاً كريماً حازماً سريع النَّهْضة عند الحادثة، وأعظم الدلائل لى ذلك غير ما قدمنا: أن الملك الكامل صاحب مصر والشام جَهَّز إلى اليمن ألفي فارس من خيار عسكره وشجعانهم، وجعل عليهم الأمير المعروف بالأسد جفريل، فجاءته كتب الشَّريف راجح بن قتادة الحسني صاحب مكة، وكان ناصحاً له منتمياً إلى خدمته تعرفه بذلك، وتقرب جفريل إلى مكة، فسار الملك المنصور يطوي المراحل نحوه حتى جاوز حلي، فتلقته كتب الشريف بهروب جفريل حين[1] بلغه قرب السلطان، وأنه رجع إلى مصر يطوي المنازل، فصدَّر للشريف بأموال عظيمة، وكساء نفيسٍ،وعاد نحو اليمن، ويقال: إنه كتب كتباً أجوبة للأمراء الذين كانوا مع الأسد جفريل، وإن جفريلاً عثر عليها، وتوهم فساد العسكر فرجع قافلاً، ويقال: إنّ من جملة من عاد من الأمراء غير جفريل إلى اليمن من

(١) في (الأصل): «حتى»، والإصلاح من (الكنز).

أرها الطبلخانات[1] ابن برطاس، وفيروز جد هؤلاء الأمراء الآن في إب والله سبحانه أعلم.

ابتداء الدولة الغرّاء، والمملكة المعظَّمة الزهراء، المتَّصلة بالخلافة العباسية المستعصمية، دولة مولانا السُّلطان وخليفة الزمان أبي المنصور، الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف بن عمر

قتل[2] الملك المنصور، وولده السلطان الملك المظفر في إقطاعه بالمهجم، وهو غير طيب النفس من والده، حتى قيل: إنه كان يهم تلك السنة بالمسير إلى الخليفة ببغداد، وذلك حيث قدم عليه إخوته، الملك المفضَّل، والملك الفائز ابني بنت جوزة[3]، فلمَّا بلغه خبر والده، سار من المهجم يطلب الملك بجدّ وجَد وتوفيق، وسعد اليُمْن طائره، والنصر مسايره، ولم يخرج [من المهجم][4] إلَّا بحلقته، وكلَّما مرَّ من العرب بقوم استصحبهم معه فارسهم والراجل، وكان من المماليك لَمَّا قتلوا السلطان الملك المنصور، أصبحوا في الجَنَد كغنم بلا راعٍ وخافوا أولاد السطان، فَلَم يقصدوا واحداً منهم، فسلطنوا الأمير فخر الدين أبا بكر بن بدر الدين حسن بن علي، ولقَّبوه بالملك المعظَّم، وساروا به نحو تهامة، وكانت الملكة الشمسية، كريمة السلطان الملك المظفر بزبيد، وزمَّام دارها الطواشي تاج الدين بدر [الصغير][5] في السجن، فحين بلغها قتل

(١) كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق، والطبلخانة أيضاً: المكان المخصص من حواصل السلطان لطبول الفرق وأبواقها ويحكم ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم يقف عليها عند ضربها. التعريف ص٢٢٨.
(٢) من هاهنا يعود المؤلف إلى النقل عن (كنز الأخيار) ص١٠٠.
(٣) (الكنز): «حوزة» (سبق).
(٤) زيادة على (الكنز).
(٥) انفرد به في (الكنز).

والدها، أخرجت الخادم من السجن واستولت على المدينة، وأنفقت على من بها من العسكر والعوارين[1] وهم بمنزلة الحرافيش بمصر مع العسكرية، فجاء فخر الدين والمماليك والمدينة قد حفظت عنهم، فحطَّ على باب المجرى، ووصل السلطان الملك المظفَّر، فحطَّ بالأقواز[2] وراء المماليك، وتخلَّف فخر الدين، فإن ليس فيه للملك آلة، ومع ذلك راسلهم السلطان الملك المظفر ولاطفهم، وقيل: كان من كلامه لهم: لا تجمعوا علينا بين قتل أبينا وخروج الملك منَّا، فأجابوه ودخلوا عى فخر الدين وهو في الخيمة فقطعوا طنباً[3] من أطنابها فكتَّفوه، وساروا بأجمعهم إلى مولاهم ابن مولاهم فقبض على فخر الدين، ودخل زبيد ي موكب عظيم وعليه جلالة المُلك وأُبهة السلطنة، فلَمَّا قَعَد على السماط، أنشده الفقيه سراج الدين بن دعَّاس[4]، وكان حضيضاً[5] به منتسباً إليه قصيدتَهُ المشهورة وأولها:

إن غاب نور الملك عن أفق العلا فانظر ضياء الشمس قد ملأ الملا

أو كان جفن الدهر أمسى أرْمدا فاليوم اصبح بالمظفر أكحلا

لا تجزع الدنيا لفقد مليكها رزئت برضوى واستعاضت يذبلا[6]

[حتى قال:][7]

---

(١) هذا التعريف المهم ينفرد به كتابنا، والحرافيش فئة متدنية من المجتمع كانوا يعيشون في الغالب على النهب والسرقة.

(٢) جمع قوز: وهو المستدير من الرمل والكثب، وفي (المطبوعة) و(الكنز): «بالأفواه زوراً» (خطأ).

(٣) الطنب: حبل طويل يشد به الخيمة ونحوها.

(٤) هو: سراج الدين أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دعاس الفارسي كان أديباً شاعراً وفاته سنة (٦٦٧هـ)؛ العقود اللؤلؤية ١/ ١٥٥.

(٥) كذا في (الأصل): صوابه: «حظياً».

(٦) رضوى ويذبل: جبلان معروفان.

(٧) زيادة من (الكنز).

لم ترض غيرك يا أبا عمرٍ لها   فاستجلها إن العرائس تجتلى
أو ما تراها في زبيد تزدهي   وتميس في حلل المفاخر والحلا
قُل للذي رام التملّك جاهلاً   وسَعَى فضَلّ عن الطريق وضَلّلا
ما أنت والملك الذي لا سِرّه   بادٍ عليك ولست فيه مؤهّلا
ارجع إلى كأس الطلاء وذر[1] العُلا   للمغمد الأسياف في هام العدى[2]
ولصاحب الجيش الذي سدَّ الفضا   وفلا بحدِّ السيف ناصية الفلا
وأعاد ريحك حين هبت أزيباً[3]   نكباً بريح منه هبت شمألا
هي دولتي وأنا الذي أمّلتها   والله يُعطي سؤله من أمَّلا



ذِكْر ما تسلّمه السلطان المظفّر سنة ثمان واربعين وست مئة



لمّا استولى على زبيد وكافة الأعمال التهامية، سار نحو عدن طريق الساحل، فاستولى عليها، وعلى لحج، وأبين في صفر من السنة، وطلع الجبال فاستولى على بلد المعافر وحصونها في سفر أيضاً، وحطَّ على تعز وبه [الخدام][4] والأمير علم الدين سنجر الشعبي، في ربيع الأول، وتسلَّمه في جمادى الأولى، وتسلَّم حصن حبّ، وطَلَع صنعاء في ذي الحجة آخر السنة، وقد كان الأمير شمس الدين ابن الإمام، اتفق هو والإمام أحمد بن الحسين، وقَصَدا أسد الدين إلى صنعاء فأخرجوه منها إلى حصن براش، وقاتلته عساكر الأشراف بالمدرج[5]، فكانت هنالك وقائع مشهورة، فلَمّا قارب السلطان صنعاء، خرج منها

---

(١) (الكنز) و(العقود اللؤلؤية): «دع».
(٢) (العقود اللؤلؤية): «الطلا».
(٣) الريح الجنوبية يخشاها الناس.
(٤) زيادة من عند المؤلف.
(٥) وهو حصن الجبر من مخلاف الشرف التابع للواء حجة.

الإمام إلى سناع[١].

وترك السيد الحسن بن وهّاس الحمزي رتبة في ضبوة[٢]، فقصده الأمير أسد الدين بعساكر السلطان، فأسَرَه وجماعة من أصحابه، وعاد السلطان إلى اليمن، فاستولى على حصن التعكر سنة تسع. فوصل[٣] الأمير بدر الدين حسن بن علي من الديار المصرية في سَلْخ المحرَّم سنة تسع، فلقيه إلى حَيس، وقبض عليه وحمله إلى حصن تعز، فأودعه دار الأدب، وقد صار بها فخر الدين، وكان الاتفاق بين الإمام أحمد بن الحسين، وأسد الدين في سنة خمسين، ودخل أسد الدين في طاعته، وباع عليه حصن براش صنعاء بمئتي[٤] ألف درهم، وسيَّره بعساكره وعساكر من قِبله عليهم الشريف هبة بن الفضل العلوي إلى ذمار، واستولى الطواشي ياقوت المظفري على حصن الدملوة، وهو بيد بنت جوزة وخدَّامها، تاسع عشر القَعدة سنة خمسين، فسار إليه السلطان فطلعه[٥] من فوره، وكانت بنت جوزة وولداها المفضَّل والفائز في معقل الدملوة، وكان معهم أربع مئة فارس، تغزو إلى الحوبان[٦]، وتعب الملك المظفّر من ذلك فهادنها ورَهَن ولده الأشرف معها ولالته[٧]

---

(١) سناع: قرية شرقي حدة على بعد ٨ كم من صنعاء (معروفة هناك).

(٢) في (الكنز): «رتبه على صنعاء»، وفي (المطبوعة): «صفوة»، قلت: ضَبوة: بلد وواد من ظاهر بلد سنحان. المقحفي ص٢٦٧.

(٣) (الكنز): «ووصل»، وهو الصواب.

(٤) (الكنز): «خمسين ألف دينار». قلت: لعله كذا صرف المئتي ألف درهم في ذلك الوقت.

(٥) عبارة (الكنز): «فطلع في آخر ذي القعدة».

(٦) الحوبان: ـ بالحاء المهملة ـ قاع من ضواحي شرقي مدينة تعز.

(٧) من الألفاظ الفارسية المستعملة في العصر المملوكي، وهو بمعنى: المربّي. معجم الألفاظ التاريخية ص١٣٣.

الخادم ياقوت، وكان حزماً[1]، فعامل[2] الرُّتبة وباع الحصن منه، فلمّا علم بحوز الحصن أمر من قال لها: يا مولاتنا البقرة والفلانية ولدت عجلاً برأسين بالجوّة، فلمّا نزلت قبض على الحصن، وأوقد النّار بأعلاه، كانت تلك إشارة بينه وبين أستاذه، فركب الملك المظفر للوقت والفور، وسَيَّر الطواشي ياقوت المظفري على حِصْن الدملوة وهو بيد بنت جوزة وخدّامها تاسع عشر القعدة سنة خمسين، فسار إليه السُّلطان فطلعه من فوره وبعث تاج الدين بدر إلى ذمار، فنفى[3] عنها أسد الدين، وهِبَة بن الفضل، ثم عاد أسد الدين إلى طاعة السلطان فأكرَمَه.

وسار أسد الدين بين يديه ماشياً فسبقه، فلَمّا دخلوا على السماط خالفَه السُّلطان فأبى وخَدَم، وقال: هذا مكاني، ومكان أبي، وذاك مكانك ومكان أبيك، فأعطاه أموالاً جليلةً وأمدّه بعساكر، فعاد إلى صنعاء، فخرج منها الإمام.

وهذا أسد الدين بقوّته يُضرب المثل، كان يقبض الركاب الْحَديد فيطبق بعضه على بعض، ورمي[4] بدبوس هلال مأذنة صنعاء فأخذ قصصيها[5]، واقتنى المماليك الأنجاد، وكتب في سجن ابن عمّه كتباً كثيرةً للفقهاء، وأكثرها مصاحف، ووقفها وورقها من عنده.

وطلع السُّلطان إلى صنعاء، فحطَّ بدرب عبد الله، وأخرب ضياعاً وشيئاً من بساتينها، وعاد إلى اليمن في رجب سنة إحدى وخمسين،

---

(١) (المطبوعة): «حازماً».

(٢) في (المطبوعة): «فغافل أهل الحصن».

(٣) (المطبوعة): «ففر».

(٤) في (الأصل): «ويرمي»، وفي (العقود) ص١٧٩: «وهو الذي رمى الهلال الذي على منارة صنعاء بدبوس من حديد فأسقطه عن مستقره».

(٥) كذا في (الأصل) ولعله قصها: «الجص» (معروف).

واختلف الأمير شمس الدين بن الإمام وأصحابه والإمام، فانتصروا بالسلطان فأمر أسد الدين بمناصرتهم، فخرج إليهم إلى البون[1]، وتسلَّم السُّلطان حصني براش[2] والزّاهر، وسار شمس الدين وأسد الدين إلى الإمام إلى صنعاء[3]، فخرج منها وترك بها السيد الحسن بن وهّاس، فَدَخلا عليه قهراً بالسَّيف فأسراه، وعاد أسد الدين إلى صنعاء، وشمس الدين إلى الظاهر، ثم طلبه الأمير شمس الدين، فخرج إليه، فقصدا الإمام بالطرف من بلد بني شاور، فالتقوا بِحِلمْلِم[4]، فكسر الإمام، وقتل من عَسْكره طائفة، فمنهم الفقيه حسام الدين حميد بن أحمد المحلّي[5] من علماء الزيدية وفضلائها، وله من التَّصانيف الجامعة، والرسائل المفردة إلى الملوك والعلماء ما ليس لأحد، وأسر شمس الدين أحمد بن يحيى بن حمزة، وكان بعسكره مع الإمام مخالفاً على أصحابه الحمزيين، وذلك في رمضان سنة اثنتين وخمسين.

وجهز[6] السلطان مبارز الدين برطاس إلى مكّة في شوال سنة اثنتين[7] أيضاً، فجرت الوقعة المشهورة بينه وبين الشريفين أبي نمي وإدريس بن قتادة، وكان أول اليوم له، وآخره عليه، فكسر وقتل بعض عسكره، وأخذ ما كان مَعَهم.

---

(١) (المطبوعة): «اليوت» خطأ.

(٢) (المطبوعة): «براقش» خطأ.

(٣) كذا في (الأصل) وهو خطأ بين، صوابه ما في (الكنز) (المطبوعة) ص٩١: «صعدة».

(٤) حلملم: قريتان من عزلة الأشمور، وأعمال عمران وهي بكسر الحاء وفتح اللام وإسكان الميم.

(٥) هو: المعروف بحميد الشهيد صاحب المؤلفات الكثيرة، من أشهرها: الحدائق الوردية. انظر: مؤلفاته وترجمته ومصادره في كتابنا. مصادر الفكر الإسلامي ص١٠٧.

(٦) انظر: هذا الخبر بتوسع في: السمط الغالي الثمن ص٣١٧، وإتحاف الورى ٣/ ٧٦.

(٧) يعني سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

ولـمَّـا ضـعـف الأمـيـر شـمـس الـديـن بـن الإمـام عـن مـنـاوأة الإمـام أحمد بن الحسين، قصد الأبواب الكريمة السلطانية المظفرية بأصحابه الحمزيّين، والسلطان يومئذٍ بزبيد، فَلقيه وأنصفَه وأكرمه وأعطاه أموالاً جليلةً وإقطاع مدينة القحمة، وعاد منه على أحوال حسنة قَويّ الظهر ماضي العزيمة، وذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين، فسكن في صنعاء.

وكان احتراق الحرم الشريف النبوي صلوات الله على ساكنه في رمضان سنة أربع وخمسين، وكذلك خروج النَّار بالحجاز بالقرب من مدينة رسول الله ﷺ، فأقامت مدة يعلو لهبها ودخانها وترمي بالحجار الكبار والصّغار ليلاً ونهاراً وترى على مسافة أيَّام[1].

ثم إنّ علماء الزيدية، ورأسهم الشيخ أحمد بن محمد الرصَّاص، طعنوا على الإمام في شيء من سيرته، وأنكروا على ولاته، فأمر بإخافتهم[2]، فلحقوا بالمغرب[3] بلد صفي الدين[4]، وجرت بينهم مكاتبة، فأمر[5] إليهم السيد الحسن بن وهَّاس ليسمع ما عابوا عليه، وقد قال له خواصه: لا تُرْسلْه إليهم، فإنَّهم يستميلوه فلم يُساعد، فلمَّا وَصَلهم ناظروه فاستمالوه وصار رأسهم، فكاتبهم الأمير شمس الدين يطلب منهم الاتفاق[6] على الإمام فأجابوه إلى ذلك، فسُرّ به سروراً عظيماً، وخرج من صنعاء، وطلعوا من المغرب، فالتقوا في البون، فصارت كلمتهم

(١) انظر: هذا الخبر بتوسع في: وفاء الوفاء للسمهودي ٢/ ٥٩٨.
(٢) في (الكنز): «صاح بإهدارهم».
(٣) عبارة العقود ١/ ١١٥: «فأمر بإخافتهم فلحقوا بالمغارب وقيل: خرجوا من حوث على وجه الغضب إلى بلاد صفي الدين».
(٤) يعني الحسن بن وهاس الآتي ذكره.
(٥) (الكنز) (المطبوعة): «فأمر».
(٦) (الكنز): «النصرة».

واحدة على حرب الإمام بعد أن سألوه المناظرة فيما عابوه من سيرته فأبى، فكتب الأمير شمس الدين إلى السلطان يُعلمه بميل الشيعة عن الإمام ويستمدّه بالمال، فبعث إليه بمئة ألف درهم مع علم الدين حمزة بن الحسين[١]، فوافاهم قبل الوقعة بساعة، وكان في سنة خمس وخمسين قحطٌ عظيم وغلاء في السّعر، فمات أكثر الناس جوعاً، ولم يكن في بلد الأشراف زرع إلّا في شؤابة[٢]، فجمع الإمام جموعه، وصدَّر بعساكره من صعدة والجوف وغيرهما من البلدان المستولى عليها، فسار من مُدَع[٣] نحو شؤابة، وساروا من البون للدَّفع عن زرعهم، فالتقوا طلوع الشمس يوم الأربعاء سلخ صفر سنة ست وخمسين وست مئة، وكانت عساكر الإمام تقارب ثلاث مئة فارس وفوق ألفي راجل، وعساكر الأمراء الحمزيون ثمانون فارساً[٤]، وأربع مئة راجل، فأجْلت الوقعة [عن قتل][٥] الإمام في نفر يسير.

ودعا السيد الحسن بن وهّاس إلى نفسه بالإمامة يوم الجمعة ثالث الوقعة وبايعته الشِّيعة الأشراف، وتم[٦] إلى صَعْدة، واقتسم هو والأمير شمس الدين الحصون والبلاد التي كانت بيد الإمام نصفين، فلم يلبث الأمير شمس الدين أن مات في ربيع الآخر من السنة بصعدة، فقام بالأمر بعده الأمير نجم الدين موسى بن الإمام، فلم يلبث أن مات، فقام بالأمر بعدهما صنوهما الأمير [المنتصر بالله][٧] صارم الدين داود بن الإمام،

---

(١) (الكنز): «الحسن».

(٢) شؤابة: واد من أعمال ذي بين في بلاد بكيل «نسبت إليه القرية المذكورة».

(٣) مُدَع: جبل وحصن منيع يطل على مدينة ثلا من الغرب الشمالي.

(٤) عبارة (الكنز): «دون المئة الفارس».

(٥) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز).

(٦) (الكنز) و(المطبوعة): «وسار».

(٧) زيادة من (الكنز) قلت: لم أجد هذه الكنية في إتحاف المهتدين ص٦١.

فاتفق هو والإمام الحسن[1] مُدة، وخالف عليهما محمد بن سليمان بن موسى، وجمع إليه مخاليف أبيه، فسار إليه الأمير صارم الدين بعسكره، وعلم الدين عليٍ بن وهَّاس بعسكر أخيه، وقد استولى محمد على الجوف وهو مقيم بسوق دعام[2]، فقاتلهم فكسروه، ودخلوا عليه الدرب قهراً، فالتجأ إلى دارٍ فيه، فدخل عليه الحسن[3] بن محمد الجحَّافي، فقتله وابنه أحمد، والشريف حمزة بن علي من أهل ذيبين، وثور[4] بأبيه محمد بن جحاف، وكان سليمان بن مُوسى، أسر في جماعة من أصحابه، ثم ضرب أعناقهم صبراً، وكان جملة القتلى في هذه الوقعة مئة رجل.

ولم يلبث الأمير صارم الدين والإمام الحسن أن افترقا، وصار ما بينهما متباعداً أشد التباعد، وآل الأمر إلى أن قصده الإمام الحسن ليحاربه على ظفار، وكان الأمير أسد الدين يومئذٍ بظفار، حين استولى السلطان الملك المظفر على صنعاء ونفى أسد الدين عنها، فخرج الأمير صارم الدين لحرب الإمام، وخرج معه الأمير أسد الدين بمن بقي من مماليكه، وأمَّا أكثرهم فقد كان لحق بالسلطان فالتقوا بعصافر[5]، فانهزم عسكر الإمام، فثبت ثباتاً حسناً [وقاتل قتالاً شديداً، وكانت تلك عادته في كل معركة شهدها، وكذلك أسر ثلاث دفعات هذه آخرها، في كلها يحضر الأمير أسد الدين، فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب][6]، فأقام بسجن الأمير صارم الدين بظفار عشر سنين، ثم أخرجه على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) يعني به الأمير حسن بن وهاس بن أبي وهاس. إتحاف ص٦٠.
(٢) من (الجوف).
(٣) في (الكنز): «الخضر بن محمد» وفي (العقود اللؤلؤية) ١/ ١٢١: «حصن». وهو كذا في السمط الغالي الثمن ص٣٣٩.
(٤) (الكنز) و(المطبوعة): «واستثار».
(٥) بلد من حاشد.
(٦) ساقط من (الكنز).

فلمَّا قتل الإمام أحمد بن الحسين، طلع شمس الدين علي بن يحيى، فحطَّ على الكميم بعسكر السلطان، وتسلَّم حصن أشيح في الحجة آخر سنة ست وخمسين، والكميم وهداد[١] سنة سبع وخمسين، وطَلَع نحو رداع فأخذ براش[٢] العرش قهراً بالسيف، واستأسر منه ولد أسد الدين في جماعة كثيرة، وقصد السلطان صنعاء في المحرَّم، فدخلها سنة ثمان، وقد خرج منها أسد الدين، فصار إلى ذمرمر[٣]، فأقام السلطان بصنعاء أيَّاماً ورتب على حصن براش[٤] الشريف أحمد بن محمد العلوي، وكان ولّاه الإمام أحمد بن الحسين، فبقي في يده، وعاد السلطان إلى اليمن، وقد رتب جيشاً بصنعاء، فلم يلبث أسد الدين أن جمع جمعاً وحطَّ بالمدورة[٥] عند الحمراء[٦]، وكانت له حروب مع عسكر صنعاء قتل في بعضها أفوش[٧] الألفي رَمَاه الأشقر أحد مماليك أسد الدين، وقد صار في جملة العسكر السلطاني، وكان الألفي أحد الأمراء المماليك المشهورين بالشجاعة والكرم][٨]، وبلغ السلطان ما كان من أسد الدين، فجهَّز الأمير علم الدين سنجر الشعبي مغيراً إلى صنعاء، فارتحل[٩] أسد الدين من محطَّته ولحق بلاد الأشراف، ولم تقم له راية بعد ذلك.

---

(١) هداد: حصن في بلاد حجة.

(٢) هو: براش رداع حصن بالجنوب من رداع بمسافة ٨ كم. المقحفي ص٤٦.

(٣) حصن بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٨كم، يُعَدُّ مركزاً لوادي السرّ. المقحفي ص١٦٨.

(٤) هنا هو براش الباقر السابق ذكره على بعد ٦كم من صنعاء، وهو حصن منيع من أعمال الطويلة. والله أعلم.

(٥) المدورة: من قرى جبل ملحان في بلاد المحويت.

(٦) (الكنز) (المطبوعة): «وفك عن براش المحاط».

(٧) في (الكنز): «آقوش»، والسمط الغالي الثمن ص٣٣٥ (آقوس) الألفي وهو الصواب.

(٨) من زيادات الأصل على (الكنز).

(٩) في (الكنز): «وأعاد المحاط».

وعاد الأمير علم الدين المحاط على براش، وبقي أسد الدين يتردد من ظفار إلى ظفر[1]، ونزل الجوف، وكانت له وقعة عظيمة مع همرب، قتل فيها طوق بن حميدان من آل راشد بن منيف، ثم لحقته مضرّة شديدة، حتى باع ثيابه، وأحرق منها ما كان مزركشاً[2] ثم كتب إلى السلطان[3]:

إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي وإلا فادركني ولمّا أمزّق

ثم سار إلى زبيد في شوال سنة ثمان وخمسين، فقبض عليه، وعلى شمس الدين [علي بن يحيى][4] وصدر بهما إلى تعز، فلمَّا دخل أسد الدين على أبيه وأخيه لاماه وتخاصما، فقال: لانكن مثل أهل جهنَّم. يريد به قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أو يريد به قوله: تخاصم أهل النار.

وفي رجب سنة تسع وخمسين: تسلَّم السلطان حصن براش[5] من الشريف أحمد بن محمد، وعوَّضه بالمصنعة وعزَّان من بلاد حمير عنه وبمالٍ أعطاه إيَّاه.

وفيها في شوَّال: سار السلطان إلى مكة طالباً الحجَّ، فاتفق له أحسن الحج وأطيبه، وعاد إلى تعز في صفر سنة ستين، وكان قد قبض علم الدين الشعبي، على السيد يحيى بن محمد السِّراجي[6]، وكحله في

---

(١) ظفر: بلد من حجة.

(٢) يعني: ما كان مزركشاً بالحلي لاستخراج الذهب والفضة منها وبيعه.

(٣) من شعر الممزق العبدي وبه لقب.

(٤) زيادة من (الكنز) وهو الأمير علي بن يحيى العنسي. انظر: أخباره بتوسع في العقود اللؤلؤية ص١٤٠ ـ ١٩١. طبعتنا سنة (١٤٣٠هـ).

(٥) هو براش صنعاء (سبق).

(٦) هو: الإمام الداعي يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسن سراج الدين بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن =

الحجة سنة ستين[1].

وفي سنة إحدى وستِّين: تسلَّم السلطان حصن الجاهلي وحجةَ وشراه من الشريف أحمد بن قاسم القاسمي بمال، وفيها حطَّت عساكره على ذَمَرمر.

وفي سنة اثنتين وستين: تسلَّم حصن مُدَع من بني وهيب، وعوَّضهم حصن بيت أنعم، ودراهم اشترطوها.

وفيها: دخلت عساكره صَعْدَة.

وفي سنة ثلاث [وستين]: قبض على محمد الوشاح الشهابي، وقبض حصن بيت برام، وصوايب[2].

وفيها في شعبان: تسلَّم حصن ذَمَرمر وبعده الفصّ الكبير.

وفي سنة أربع [وستين] خرج الشعبي فحطَّ على حصن ذيفان[3] وهو للأمير شجاع الدين يحيى بن الحسين، فتسلَّمه في جمادى من السنة، وفيها: تسلَّم السلطان الفصَّ الصغير، وفيها: حطَّ بكتمر القلَّاب[4] على الشريف أحمد بن محمد بالمصنعة وعزَّان، فتسلَّمهما، واعتاض بهما حصناً بالجدم[5]

= القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو المعروف بالسراجي دعا في بلاد مسور سنة (٦٥٩هـ)، وقيل: سنة (٦٥٧هـ)، وأسر في حضور سنة (٦٦٠هـ) فكحله والي صنعاء سنجر المذكور هنا، ثم اشتغل بالعلم إلى أن توفي سنة (٦٩٦هـ). إتحاف المهتدين ص٦٢.

(١) (الكنز): «وخمسين خطأ».

(٢) كذا في (الأصل) و(المطبوعة) والذي في (الكنز): «بيت ردم في حضور» كذا يقرى وبيت برام وبيت ردم من حضور، وصوائب لا شك في تصحيفها، وفي السمط الغالي الثمن ص٣٦٣، «حصن يرام وصوليت» قال في معجم المقحفي ص٩٢٦ : «صوليت: قرية أثرية في بني قيس من بني مطر».

(٣) ذيفان: قرية في ناحية ريدة من قضاء عمران.

(٤) السمط الغالي الثمن ص٣٦٢، وفيه «فخر الدين بكتمر القلاب».

(٥) الجدم: بضم الجيم والدال من حجة.

ومالاً، وفيها: تسلَّم السُّلطان حصن بيت ردم، وحصن اللجام[1] شراه من الأشراف أولاد سليمان بن موسى.

وفي شعبان سنة خمس [وستين]: تجهَّز بكتمر القلَّاب بعسكر السلطان لعمارة الزّاهر في الجوف، فقصده الأشراف الحمزيُّون فقتلوه في بعض عسكره، وانحاز الباقي إلى براقش، وفيها: تسلَّم السُّلطان حصن مَبْيَن بحجة، وتسلَّم الموقر[2]، وحصونه والمخلافة من الشَّريف أحمد بن قاسم القاسمي، وأعطاه مالاً جزيلاً.

وفي المحرَّم سنة ست وستين: تسلَّم السلطان حصن العرايس[3] وبلادها من علوان الجحدري، وفيها: قصد علم الدين الشعبي الأشراف الحمزيين بصعدة، فصفوا له في نقيل العجلة، فهزموهم، وقتل الأمير علم الدين حمزة بن الحسن بن حمزة، وكان فارس بني حمزة غير مدافع.

وفي سنة سبع [وستين]: تسلَّم السلطان حصن براش صعدة من عز الدين بن شمس الدين، وكان في سجنه، فاستحال[4] نفسه فيه، وفيها: في ربيع حطَّ علم الدين سنجر على ثلاء وأخذ التعبرة[5] ورتَّب فيها.

وفيها: سار موسى بن الرسول[6]، ومغلطاي أحد المماليك البحرية في عسكر السلطان مع عز الدين بن شمس الدين للمحطّة على تلمّص[7]، فلَمَّا اشتد الحصار على ثلاء وتلمص، اجتمع الأشراف والعلماء عَلى

---

(١) اللجام: حصن من حجة أيضاً.
(٢) الموقر: من جهات حجة حصن هناك يتبع المخلافة.
(٣) كذا في (الأصل) و(الكنز) وقد نقلته عنه كل المصادر التي أرخت لهذه الحادثة وفي السمط الغالي الثمن ص٣٧٣، ذكر هذا الخبر دون الإشارة إلى اسم الحصن، وأظنه اسماً آخر لحصن العروسين في عزلة الفجرة من مخلاف العود وأعمال النادرة.
(٤) في (الكنز): «فاستمال نفسه بالحصن».
(٥) كأنها بالقرب من ثلا.
(٦) ابن الرسول ومغلطاي انظرهما في السمط الغالي الثمن ص٣٧٩.
(٧) تلمص: حصن مشهور في بلاد سحار من أعمال صعدة. المقحفي ص٢٧١.

صارم الدين داود بن الأمام على إخراج الإمام الحسن بن وهَّاس للنصرة به على دفع هاتين المحطتين، فأخرجه على كره منه، [فخرج به الشريف علي بن عبد الله معه من ظفار إلى حصنه الميْقاع[1]، فلَمَّا][2] اجتمعت عساكرهم، وقد كاتبه عز الدين بالرجوع إليه، فقصدوا صعدة وقينوا[3] المحطة، فانهزم مغلطاي بالمماليك وأكثر العساكر إلى فلله، فأجارتهم خولان وساروا بهم طريق تهامة. وأمَّا موسى بن الرسول فتخفّر بقوم من العرب يريدون نجران، وبلغ الأشراف فلحقوه وأدركوه معهم ببطنة[4] صَعدة، [فعاد][5] فقتلوه ورجع الأشراف من صعدة، فجمعوا جموعاً عظيمة، وقصدوا علم الدين الشعبي إلى ثلا، فانهزمَ من المحطة، وتركها بما فيها [وكان القتل من العسكر قليلاً، فاستولوا الأشراف على المحطة][6]، وانحاز علم الدين إلى شبام وسار منها إلى صنعاء، وذلك في رمضان سنة سبع وستين، ثم تجهّز إلى صعده فدخلها في صفر ثمان وستين، وعاد منها، ثم عاود المحاط على ثلا مرة ثانية في المحرَّم سنة سبعين، وتسلَّم حضور المصانع في ربيع من السنة.

وكان قيام الإمام إبراهيم بن تاج الدين في شهر ذي الحجة سنة سبعين وست مئة، وسيَّر الشريف جمال الدين علي بن عبد الله، أول سنة إحدى وسبعين إلى حضور، وبلد بني شهاب، وبلد بني الرّاعي فتلّقوه بالطاعة، وكان دخوله في سبعة أنفار وصلّى بالناس أول جمعة في سبعة

---

(١) في الأصول المنقاع بالنون: من حصون سحار المذكور.

(٢) ساقط من (الكنز) و(المطبوعة).

(٣) كذا في (الأصل)، وفي (الكنز): «فنهبوا».

(٤) في (الكنز): «سمرة بصعدة فعاد فقتلوه». وفي (المطبوعة من الكنز): «بنهرة صعدة».

(٥) زيادة من (الكنز).

(٦) ساقط من (الكنز).

آلاف، وخالف الأشراف إلى سليمان بن موسى مع الإمام، وكانوا مقطعين من السلطان بنواحي ذمار [من][1] يوم تسلم منها اللجّام، وقامت معهم علماء الزيدية بتلك الناحية، فَسَاروا في جموع عظيمة نحو ذمار، فدخلوها قهراً، فقتلوا جماعة، وخفروا[2] الباقين وأخربوها، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين.

وفيها في جُمادى الآخرة: سار السلطان[3] إلى إبراهيم، والإمام صارم الدين، وعز الدين بن شمس الدين، وسائر الأشراف يريدون حدّه وسناع، فمروا على السَّبحة[4]، فلم يكن في صنعاء إلَّا ابن نجاح[5] في مئة فارس من عسكر اليمن، والشعبي[6] بعسكره في محطَّته بالجنات خوفاً على رتب ثلا، فَصرف[7] من صنعاء وهم الأشراف بمعاودة القتال عليهم اليوم الثاني، فلمَّا كان آخر الليل، دخلها الأسدية الذين كانوا في محطة الشعبي من نجران، في بقية عسكره، فمرَّ على المحاط بثلاء فقوَّاها، وسار إلى شبام ومنها إلى صنعاء، وكانت بين عساكره والأشراف [قتالات مشهورة مثل الصافية وسواه وجمع الأشراف][8] جمعاً سار بهم الشريف علي بن عبد الله، فرفع المحاط التي على ثلا، وأخرج القصر التي كانت فيه، وقوّى الرتب، وتمّ بعسكريه قاصداً

---

(١) زيادة من (الكنز).

(٢) (الكنز): «وأخذوا».

(٣) كذا في (الأصل) وفي (الكنز): «سار الإمام والأمير المنتصر بالله وعز الدين بن شمس الدين. . . إلخ».

(٤) من صنعاء مما يلي بستان السلطان.

(٥) هو: الأمير محمد بن نجاح أحد أمراء الدولة المظفرية الرسولية. توفي سنة (٦٨١هـ). السمط الغالي الثمن ص٣٩٥، العقود اللؤلؤية ١/ ٢٧٩. (تحقيقنا).

(٦) يعني: علم الدين سنجر الشعبي السابق ذكره.

(٧) (الكنز): «فانصرف».

(٨) ساقط من (الأصل) وأثبتناه من (الكنز).

الذروة[1] [وبها الورد بن ناجي، ولم تكتمل عمارتها فهجم عليه ليلاً، وانحاز إلى حقيْل[2] بعسكره فأخربها][3]، وعاد إلى أصحابه بسناع، وطلع السلطان فمر بذمار.

وفي شعبان من السنة: قام[4] بعمارة دربها، وقَصد صنعاء فحطَّ في درب عبد الله، وانحاز الأشراف إلى بيت حنبص[5]، وطلع علم الدين الشعبي عليهم، فكان وقعة بيت النَّاهم[6] قتل فيها بنو صفي الدين، وجماعة من عسكر الأشراف [ودخل السلطان صنعاء في المحرم سنة اثنتين وسبعين وقام إلى ربيع أول من السنة وقصد بيت حنبص فأخذه قهراً وتميل الأشراف][7] من حدة، وسناع، فأخربها السلطان خراباً عظيماً، وقطع أشجارها في ربيع الآخر، وفيها أمر بعمارة ظفار المعروف بقرن[8] عنتر، وعاد إلى محطته الصَّافية فأقام بها مُدَّة، ونزل اليمن في جمادى الآخرة، وكان قتل علي بن مظفَّر العبيدي[9] في شعبان من السَّنة، وصالحَ السلطان الأشراف مدّة،وراح مِنْهُم كل إلى بلدة وبَقَي الشريف علي[10] بن عبد الله في حضور وبني شهاب، وبني

---

(١) الذروة: حصن منيع يطل على ذي بين من بلد حاشد.

(٢) في (الأصل): «حفنل» وهو كذا في غاية الأماني ص٢٦٤.

(٣) ساقط من (الكنز).

(٤) (الكنز): «فأمر بعمارة».

(٥) بلدة غربي صنعاء ظاهر جبل عيان فوق حدة.

(٦) في (الأصل): «الباهم» بالباء موضع بالقرب من القرية المذكورة. غاية الأماني ص٤٥٧، وفي السمط الغالي الثمن ص٤٢٠: «بيت الناهم» بالنون، وفي (الكنز): «بيت الفاهم» بالفاء. قال في معجم المقحفي ص١٤٠٣: قبيلة معروفة في جبل حضور غربي مدينة صنعاء.

(٧) ساقط من (الأصل).

(٨) قرن عنتر: هو المعروف بظفار حصن في حازة صنعاء. المقحفي ص٢٦٩.

(٩) (الكنز): «العبدي».

(١٠) في (الكنز): «والدي» لأنه والد مؤلف الكتاب المذكور.

الراعي ومغاربها، وهي مضافة إليه، وكان الأشراف تخرج إلى نجران عقيب صلح السلطان، وقتل فيه الأمير علي بن وهاس قتله يام.

وكان في سنة ثلاث وسبعين قحط شديد [ومات من النّاس عالم وأكلوا الميتة، وفي ربيع الآخر: أخذ كوكبان جماعة من بني خوال واستولوا عليه][1] واتفق أن علم الدّين الشعبي كان في مخلاف ذمار لقبض الحقوق، وقد ترك الأسدية جميعهم رتبه بصنعاء مع ابن قلّاب[2]، ومنهم رجل كان وقع بينه وبين مملوكه المعروف بالداوي خصمة على شراب، فقتله الداوي في مَسير[3] الشَّعْبي عند عراس، وهرب إليها، وبلغ الأسدية فقاموا وقعدوا، وكانوا قد خرجوا من حدِّ الْمَعْقول، فأعجبتهم نفوسهم، فخالوا على السلطان، واستولوا على صنعاء، وقبضوا [على] موجود الشَّعبي، وذلك في الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وست مئة، وكاتبوا الأشراف الوصول إليهم، فوصلهم الشَّريف[4] علي بن عبد الله، وكان في جبل حضور يوم السبت السابع والعشرين في سَبْعة آلاف راجل، فسكن القصر، وجاء[5] الإمام والأمير صارم الدين داود، وعز الدين، وسائر الأشراف خامس جمادى الأولى، فأقاموا بصنعاء إلى نصف الشَّهر، وخرجوا متوجِّهين نحو ذمار لقصد الشّعبي، وعندهم أن السلطان لا يبادر تلك المبادرة، وكانت طريقهم خدار، فلمَّا وصلوا جهران أتاهم الخبر الحقيقي بطلوع السلطان [فانضربوا[6] غاية الانضراب وهمَّوا

---

(١) زيادة لا توجد في (الكنز) و(المطبوعة).

(٢) في (العقود) ١/ ١٦٨: «العلاب» (المطبوعة): «الغلاب» بالغين المعجم. ثم صححناه في الطبعة الأخيرة من العقود اللؤلؤية ١/ ١٩٦: «وهو فخر الدين ابن بكتمر الغلاب». وانظر: السمط الغالي الثمن ص٣٦٢.

(٣) (الأصل): «سيرة»، والإصلاح من (العقود).

(٤) (الكنز): «والدي الناصر» لأن المذكور والد مؤلف (كنز الأخيار).

(٥) في (الأصل): «وجلى»، والإصلاح من (الكنز).

(٦) كذا في (الأصل) صوابه: «فاضطربوا غاية الاضطراب».

بالرجوع فاستقبحوه][1]، فانحازوا إلى أفق[2]، فسار السلطان إليهم يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى، فكان يوم أفق المشهور [انهزم الأشراف][3] بعد قتال يسير، وكان الإمام منحازاً في الحصن، فقبضت عليه العساكر السلطانية [فلمّا صار عنده أعني عند السلطان أنَّبه وهمَّ جماعة من المماليك بقتله، فزجرهم وشتمهم وأركبه بغلة، وكان سار[4] به بينه وبين الصَّاحب بهاء الدين حتى دخل حصن تعز][5].

وعاد السلطان من ذمار، وأمدَّ علم الدين بمال، فَسَار إلى صنعاء، وكانت طريق الأشراف المغارب، فلحقتهم مشقةٌ [وطلعوا من عند دايان[6] بلد بني شهاب][7] فساروا إلى حصن رَدْمان المعروف بالجوالس[8]، وهو في بلد الشَّريف[9] علي بن عبد الله، فأقاموا به مدَّة، ووصلهم الإمام المطهَّر[10] إلى هنالك، فدعا إلى نفسه بالإمامة، وأقاموا الأشراف مدَّة في بلد بني شهاب على غير قاعدة، ثم توجَّه كلاً إلى بلده وبقي الشَّريف علي بن عبد الله في الحصون الحضورية وهي إليه، وخرج علم الدين الشَّعْبي، فحطَّ عليها [وهي القاهرة، وعزَّان وذلك في سنة ست وسبعين][11]، فاستمد الشريف علي بن عبد الله بالأشراف، فلم

(١) زيادة لا توجد في (الكنز).
(٢) قرية من ناحية معبر جهران وأعمال آنس.
(٣) زيادة من (الكنز).
(٤) كذا وفي (المطبوعة): «سامره».
(٥) زيادة لا توجد في (الكنز).
(٦) عزلة من ناحية بني مطر.
(٧) زيادة على (الكنز).
(٨) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) الحواليين.
(٩) عبارة (الكنز): «وهو في يد والدي».
(١٠) في (الكنز): «الإمام المتوكل على الله المطهر».
(١١) زيادة في (الأصل) لا توجد في (الكنز)، مما يدل على أن النسخة الموجودة من =

يمدَّه أحد، إلّا الإمام المطهَّر، فجمع جمعاً عظيماً، وقَصَد الشَّعْبي [إلى محطته وهي بالوعلا، وطلعا عليه الجبل حتى إذا وصلت عساكره القاهرة عجزوا عن قصد علم الدين إلى المحطة][1]، فلَمَّا تيقن ذلك الشريف علي بن عبد الله [أنه لا يمكن التنفيس على الحصون][2] أصلح علم الدين بوساطة بني حاتم [على تسليم الحصون الحضورية، وتسليم ردمان أيضاً، وعَلَى خروج من فيها من الأشراف ومال يسير][3] وعاد إلى الظاهر، والمطهَّر إلى المغارب.

وكانت وفاة الأمير أسد الدين[4] محمد بن حسن [بدار الأدب][5] بحصن تعز، ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وسبعين.

وأغارت شواني سالم بن إدريس الحبوظي على ثغر عدن [فكان كما يقال: كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفّه][6]، فاغتاظ السُّلطان من ذلك، وغضب أشدَ الغضب ونزل إلى عدن، فجهَّز الجيوش، وملأ البَرَّ والبحر، خيلاً، ورجلاً، وأموالاً، وما يحتاجون إليه، وسارت العساكر ثلاث قطع، قطعةٌ في البحر، وهم معظم الرجَّالة ومعهم الأزواد، وقطعة أخرى فيها أربع مئة فارس نقاوه مع شمس الدين أزدمر المظفريَّ أستاذ داره، وطريقهم على الساحل معارضين لسفنهم، والقطعة الثالثة، فيها الشيخان عبد الله بن عمرو

= (كنز الأخيار) إنما هي نسخة مختصرة عن الأصل والله أعلم.

(١) ساقط من (الكنز): «كسابقه».

(٢) ساقط من (الأصل) وأثبتناه من (الكنز).

(٣) ساقط من (الكنز) (المطبوعة).

(٤) يعني الأمير أسد الدين محمد بن الحسن الرسولي. انظر: أخباره بتوسع في العقود اللؤلؤية ص١٤٦ ـ ١٧٥. (طبعتنا).

(٥) زيادة من (الكنز).

(٦) زيادة لا توجد في (الكنز) و(المطبوعة).

الحيد، وشهوان[1] بن منصور العبيدي [وهم مئتا فارس من فرسان العرب][2]، وكانت طريقهم حضرموت، فاتَّفقت العساكر السلطانية الثلاثة قريباً من ظفار، وساروا قاصدين سالماً، فلمَّا قاربوا المدينة، وعندهم أنَّه يطاولهم، فأخرجه حينئذٍ حينه، فصفَّ لهم على بعد من المدينة، فحملت عليه العساكر السلطانية، فطحنوه وأصحابه طحن الرَّحى، وأجْلَت المعركة عن قتله في جماعة كثيرة من عسكره، وذلك يوم السَّبت السابع والعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين[3].

ودخلت الأعلام المظفرية المدينة الثامن والعشرين، ودخل شمس الدين أزدمر[4]، والعساكر سلخ الشهر، واختطب للسلطان في أول جمعة واستمرَّ ملكه لها، ورتب بها أزدمر، وسنقر البرنجلي[5]، والحسام التوريزي[6] [ومن مشائخ العرب مقدَّمي الرّجل][7]، وعاد إلى اليمن ظافراً منصوراً، وتسلَّم حصن حضرموت ومدينة شبام، وهذا السُّلطان حقيق بأن يُسمَّى التَّبع[8] الأكبر؛ لأنَّه ملك حضرموت، وحصون حجَّة وصعدة،

---

(١) انفرد بذكره كتابنا هذا وصاحب (الكنز)، ولم يرد ذكره في السمط الغالي الثمن ص٥١٣.

(٢) زيادة على (الكنز).

(٣) للتوسع في حملة الملك المظفر على ظفار. انظر: السمط الغالي الثمن ص٥١٠ ـ ٥٢٩.

(٤) من أمراء الدولة الرسولية. انظر: أخباره في السمط الغالي الثمن ص٤٤٩ ـ ٥٢٦، والعقود اللؤلؤية ص٢٣٢ ـ ٢٣٨. (تحقيقنا).

(٥) يرد أحيانا ذكره بالترنجلي (بالتاء المثناة من فوق) وهو شمس الدين علي بن سنجر البرنجلي. انظر: أخباره في السمط الغالي الثمن ص٥١١ ـ ٥٢٣، والعقود اللؤلؤية ص٢٦٣ (تحقيقنا).

(٦) هو: حسام الدين لؤلؤ التوريزي من أمراء الدولة الرسولية. انظر: أخباره في السمط الغالي الثمن ص٥١٢، والعقود اللؤلؤية ص٢٦٠.

(٧) زيادة على (الكنز).

(٨) لقب تبع الأعلى لا يطلق إلَّا على من تملك اليمن وحضرموت.

وحصن تعزَّ، وبراش صَعْدَة، وما سبقه أحدٌ من ملوك اليمن على هذه المواضع، ولقد غفل أهل وقته عن عمل سيرة له[١]، ولو وضعت لكان بها الغريب والبديع من الفتوحات والوقائع، التي هي طراز سيَر الملوك، ومن سعادته نجابة بيته خصوصاً مولانا السُّلطان الملك المؤيد.

واستعاد مولانا السلطان الملك المظفر كوكبان من الحواليين وحصن ردمان ومال يسير[٢]، وذلك في ربيع سنة سبع وسبعين.

وفيها: تسلَّم حصن حضرموت ومدينة شبام، وكان الأمير صارم الدين داود بن الأمير لمَّا أمن من جناب السُّلطان حين أوجده[٣]، أنه ما بقي يحاربه، وثب على ابن أخيه الأمير عز الدين، وعلي[٤] بن عبد الله، فقبض بلدهما منهما من غير موجب، إلَّا الحسد والبغي، فأقامَا على ذلك مدّة، ثم قصد السُّلطان، وكان وصول الشَّريف علي بن عبد الله إليه على يد الملك الأشرف[٥] فوَصله عند رجوعه من عدن، وتجهيز جيوشه إلى ظفار، فأقام معه مدَّةً لم يوجده[٦] النُّصْرة، ولا آيسَه منها، وهو متطلِّع إلى ما يتطلَّع إليه من أخبار ظفار وأهله، فأقام على بابه مدَّة، وطَلَع على غير قضاء حاجة.

---

(١) قلت: ينقل صاحب العقود اللؤلؤية ص٧٨ وص٢٦٣ (تحقيقنا) عن كتاب يسمى السيرة المظفرية وهو في سيرة الملك المذكور من الكتب المفقودة مجهول المؤلف.

(٢) كذا في (الأصل) والذي في (المطبوعة): «استعاد المظفر حصن كوكبان من الحواليين بحصن ردمان ومال يسير»، وفي (العقود) ١/١٨٩: «بحصن ردمان واثنين وعشرين الفاً».

(٣) كذا في (الأصل) والذي في (الكنز): «عاد» وهو الصواب.

(٤) (الكنز): «والدي».

(٥) يعني: الملك الأشرف عمر بن يوسف الرسولي الذي تولى الحكم بعد والده الملك المظفر وسيأتي ذكره.

(٦) كذا والذي في (الكنز): «ولم يعده».

ثم نَزَل هو وعزّ الدين لحضور الفرحة بزبيد سنة تسع وسبعين أو سنة ثمان، وأقاما بعدها مدَّة لم تقض لهما حاجة [وكأنه أراد اختبارهما بذلك، وكان بينه وبين الأمير صارم الدين كلام وجرت فيه أشياء][1]، فطلع الصَّاحب بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني، محاكماً للأمير صارم الدين [في أشياء جرت منه][2] فحطّ بالجنات من البون، والأمير صارم الدين بالمصنعة الجبل المطلّ عليها، فكانا يلتقيان على الثَّالث والرابع أيَّاماً [وعلم الدّين الشعبي بصنعاء، قد شرط الأمير صارم الدين أن لا يحضر مع الصَّاحب][3]، فلم يتم بينهما أمْر، ورأى الصَّاحب من تَعجْرفهم وإدلالهم بكثرة عساكرهم وسُوء معاملتهم له ما أغاضه وأزعجه [فاذم سنة][4]، ونزل ونزل معه الشَّريف علي بن عبد الله، وترك ولده الشريف إدريس رهينة في صنعاء[5] مع الأمير علم الدين الشعبي، وأقام الشَّريف علي بن عبد الله بالباب السلطاني، حتى انقضت تلك السَّنة، وعز الدين معهم في بعضها، وانفصل حديثهم على تسليم حصنيهما الميقاع وتعز[6] صعدة، فقبضهما ولاة السلطان في المحرّم سنة إحدى وثمانين.

وطلع الشريف علي بن عبد الله، أولاً لحرب تاج الدين، فحاربه في بلاده مدَّة، ثم خرج علم الدين بعساكره فلقيه الشَّريف عليَّ بن عبد الله إلى القصور[7]، وساروا جميعاً إلى الظاهر، فحطَّ الشَّعبي عند الكولة،

---

(١) من زيادات كتابنا هذا على مطبوعة (الكنز).

(٢) ساقط من (الأصل).

(٣) من زيادات (الأصل) على (الكنز).

(٤) زيادة من (الكنز).

(٥) عبارة صاحب (الكنز): «ونزل ومعه والدي وتركني رهينة في صنعاء».

(٦) من قرى صعدة سميت على اسم المدينة المشهورة.

(٧) في (الكنز): «القصور من بلد بني شاور».

وشرع في عمارتها، ومعه عز الدين، وجرت غوائر إلى جبل ظفاير[1] وقتل فيها الأمير أحمد بن عز الدين بنشابة[2]، وحطَّ الشريف علي بن عبد الله [على][3] حصني كحل وأشيح [بالظاهر الأعلى][4]، وقد كان الأمير صارم الدين عمرها مضاررة[5] للشريف علي بن عبد الله ورماها بالمَنْجنيق، فأخذهما في أقرب مدّة، وعاد إلى علم الدين إلى محطته بالكولة، وقد رتَّب البرحصة[6]، والحبسين[7]، وذروة بقي في عساكر مجيدة، ثم رتَّب الشَّريف علي بن عبد الله بالكولة في مئة فارس وألف راجل، وأضاف سائر الرتب إليه، ونزل هو وعز الدين نحو شأبه[8]، وعَمر دربها وجَعَل حرب ظفار وحصاره ممَّا يلي الجوف إلى عز الدين، وعاد [الشعبي][9] إلى صنعاء، فلم يلبث أن سقط عليه القصر، فمات ومات معه تحت الهدم الأمير علم الدين، علي بن حاتم، وصهره محمد بن بدر الجحافي، وجماعة من مماليكه وكتَّابه، وسلم القاضي عمر بن سعيد والأمير[10] محمد بن حاتم، وذلك في الثامن عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين[11]، وطَمِع الأمير صارم الدين داؤد، في

---

(١) كذا في (الأصل) والذي في (الكنز): «ظفار».
(٢) في (الكنز): «أصيب بنشابة».
(٣) ساقط من (الكنز) و(المطبوعة).
(٤) ساقط من (الكنز).
(٥) (الكنز) و(المطبوعة): «مضانة».
(٦) كذا في (الأصل) والذي في (الكنز) الدحضة بالدال المهملة والحاء المهملة أيضاً ثم ضاد معجمة.
(٧) في (الأصل): «الجيشين» وفي (الكنز): «الحنين».
(٨) لم أقف على هذه البلدة والذي في (الكنز): «شؤابة» وهو الصواب.
(٩) زيادة من (الكنز).
(١٠) في (الكنز): «السلطان».
(١١) انظر: خبر تهدم القصر بالشعبي وجماعته في صنعاء في السمط الغالي الثمن ص٥٣٨، والعقود اللؤلؤية ص٢٨٠. (تحقيقنا).

رفع المحاط وإزاحة الشريف[1] علي بن عبد الله من الظاهر [وخرج إلى حُوْث][2]، وكان يطلع كُلّ يوم إلى قاع عصافر، ويسير الشريف علي بن عبد الله من الكولة نحوه، فيتحاجز[3] الناس، ويعود كل إلى موضعه، فلمَّا لم ير له مطمعاً عاد إلى ظفار.

ولَمَّا مات علم الدين، طمع بنو القلاب ومن بقي مع الأمير صارم الدين من الأسدِّية في الرجوع إلى الخدم السلطانية، [وقالوا: لم يكن يحول بيننا وبين عفوه إلَّا الشعبي والساعة مات وظهرت مِنْهم أكاليم][4]، فوثب عليهم الأمير صارم الدين، فلزمهم وقَيَّدهم، واستولى على ما وجَدَ في بيوتهم، ولم يعجب ذلك أكثر الناس لطول إقامتهم معه وسط البلد في ظفار، وكانت عساكر الأمير صارم من يوم طلع الشعبي إلى أن لزم بني القلَّاب ثمانين فارساً وألف راجل، واستمرت المحاط على ظفار[5]، وانتقل الشريف علي بن عبد الله من الكولة فعمر المنقل، وأقام فيه مدَّة، ثم طَلَع المنارة فعمرها، وأقام بها مدَّة، وهجم عليه الأمير صارم الدين إليها ليلةً في أول عمارتها، فلم يظفر بشيء فدخل في نفس عز الدين حسد عظيم للشَّريف علي بن عبد الله حيث رآه صاحب الحرب وإليه ترتفع الخزائن وليس عليه فيها مشارف[6]، ولا كاتب، فكتب إلى السلطان في ذلك، فأجابه: إنَّا قد عرضنا عليك فأبيته، وقلت: أنت

---

(١) في (الكنز): «والذي».

(٢) هذه الجملة زائدة على (الكنز).

(٣) (الكنز): «فيتقاوم».

(٤) زيادة على (الكنز).

(٥) في (الأصل): «ظهار» خطأ.

(٦) المشارف وظيفة يكون صاحبها عمله طلب التفاصيل الكاملة عن أية جهة من الجهات الضريبية التي تقع في دائرة عمله ويدخل في عهدته جميع المتحصلات المالية بعد ختمها. مصطلحات القلقشندي ص٣١٢.

صاحب سهلٍ ما أنت صاحب جبل. ثم نزل عز الدين إلى السُلطان، وعاد إلى صعدة، ولم يلبث أن مات.

وطَلَع الملك الواثق نور الدين إبراهيم ابن السُلطان الملك المظفر مقطعاً لصنعاء [فدخلها في الثاني والعشرين من][1] ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين، وتسلَّم حصن براش، وقبض على دويدار الأمير سيف الدين بلبان العلمي، وقد ظهرت منه أفعال توجب ذلك.

وتوفي الإمام إبراهيم بن تاج الدين بتعز أسيراً، في ربيع سنة ثلاث وثمانين، والإمام الحسن بن وهاس في الحجة.

ولمَّا تضايقت الأحوال بالأمير صارم الدين، عرض على حسن بن وهاس ودعاه للقيام معه، فأبى عليه، وعَرَضه أيضاً على المطهَّر، فأبى عليه [لما يعلمون من قُبح سيرته مع الأئمة ومخالفته لهم][2]، فَعَمَد إلى ابن أخيه، وهو إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم ابن الإمام [وقد قرأ شيئاً من العلم وليس بكامل للإمامة ولا لغيرها][3]، فأقامه إماماً، وأخرجه إلى ثلا، ولبَّس به على[4] العامة، فاجتمع معه عسكر كثير، وقاد الأمير قواداً[5] جيداً من جبل الجوف من بني عبيدة وسواهم، وخرج إلى ثلا فسار بإبراهيم إلى الظاهر، فانحاز منهم الشريف[6] علي بن عبد الله إلى جبل الميقاع، فقاتلوا على الكولة والحبسين، فلم يظفروا بهما ولا منهما بشيء، فقصدوا المنقل والمنارة [وكانت ولاتهما قد سَهَّلوا في رجال الرتبة][7] فأخذوهما قهراً.

---

(١) ساقط من (الكنز).

(٢) ساقط من مطبوعة (الكنز).

(٣) زيادة على (الكنز).

(٤) (الكنز): «واستمال به العوام».

(٥) في (الكنز): «واستبقى رفوداً».

(٦) (الكنز): «والدي».

(٧) ساقط من (الكنز).

كل ذلك والشريف جمال الدين علي بن عبد الله منتظر لمادَّة من صنعاء [لأنه لم يكن مَعَه إلَّا عسكره الأول وهم دون عسكر الأشراف لكثرتهم][1]، فلمَّا وصلته المادّة توجَّه نحوهم، فأدركهم خارجين من المنارة، وأراد الأمير صارم الدين صرف الحرب عن ظفار وجهاته، فسار بإبراهيم وبتلك العساكر التي اجتمعت له إلى صعدة مدَّة [وسار والدي بعده فتراكزوا][2] شهرين، هذا تحت حصنه تلمَّص، وهذا تحت حصن السلطان تعز[3]، وكان الخيلان[4] من الجانبين في أول الأمر إلى سبع مئة فارس، وجهَّز[5] السّلطان الأموال [قبل وقت استحقاقها][6]، فعجز الإمام صارم الدين عن مقاومة العساكر السلطانية، فخرج هارباً على جبل بني عوير[7]، ثم سواد عِذَر[8]، ثم الخموس[9]، ثم على شظب[10] حتى دخل ثلا والشريف علي بن عبد الله معارض له، إلى أن حطَّ الجنَّات وحطَّ البلكي[11] بعسكر صنعاء في المنقب، وحصروه في ثلا، فتداركه الشيخ ابن الحيد بصلح حسَّنه[12] للسلطان فَقَبله، واتفق ذلك سنة أربع

---

(١) ساقط من (الكنز).
(٢) زيادة من (الكنز).
(٣) (الكنز) (المطبوعة): «بعر» خطأ، وقد سبق ذكر تعز المذكورة هنا.
(٤) كذا في (الأصل) والذي في (الكنز): «وكانت الخيل من الجانبين تناهز ثمان مئة».
(٥) (الكنز) و(المطبوعة): «وغرف».
(٦) ساقط من (الكنز).
(٧) من سحار.
(٨) في (العقود) ١/٢٠٢: «غربان وعذر من همدان».
(٩) الخموس: من بلاد الأهنوم. غاية الأماني ص٣٥٠.
(١٠) شظب بالظاء المعجمة جبل واسع يطل على السودة من عمران.
(١١) هو: الأميرعز الدين البلكي أستاذ دار الملك الواثق صاحب صنعاء في ذلك الوقت. السمط الغالي الثمن ص٥٤٤.
(١٢) (الكنز) (المطبوعة): «وحسب».

وثمانين، وعاد [الأمير صارم الدين][1] إلى ظفار.

وأقام الشَّريف علي بن عبد الله [يتردَّد في الظاهر من حصن ذروة إلى حصن العبادي في حوث إلى سنة خمس وثمانين][2]، ونزل الباب السلطاني[3]، فتلقاه الملك المسعود[4]، والصاحب بهاء الدين إلى الحوبان[5]، وحضر على الفور، وأمر ولده الشَّريف عماد الدين إدريس بن علي برواية أبيات، قد كان عملها في الطَّريق، فقام بها ولده المذكور، وأقام مدة، ثم شال له الطبلخاناه، خمسة أحمال وخمسة أعلام، وزاده مع البونين[6] الخشب[7]، والخارد[8]، ومطرة[9]، وحصن ذيفان، فقال من قصيدة يَمدحه ويذكر الأعلام[10]:

وأعلمت بالأعلام يوسف[11] أنني ... صفى وأني عند حادثة ذخر

وحركت بالكوسات[12] ما كان ساكناً ... ولكن به من سَمْع تحريكها وقر

ثم إن الأمير نجم الدين [موسى بن أحمد][13] وعلماء الزيدية،

---

(١) زيادة من (الكنز).

(٢) زيادة لا توجد في (الكنز).

(٣) يقول صاحب (الكنز): «وأنا معه يومئذٍ غلام ابن اثنتي عشرة سنة». وانظر السمط الغالي الثمن ص٥٦٣، والعقود اللؤلؤية ص٢٩٤.

(٤) في السمط الغالي الثمن ص٥٦٣، «الملك العادل صلاح الدين أبو بكر بن عمر بن يوسف بن عمر» يعني الرسولي وسيأتي ذكره في الكتاب في سنة وفاته سنة ٧٠٢هـ.

(٥) الحوبان: قاع من ضواحي تعز. الحجري ٢/٢٩٩.

(٦) في (الأصل): «البرش»، والإصلاح من (الكنز).

(٧) الخشب: أرض واسعة تبعد حوالي مرحلة إلى الشمال من صنعاء الحجري ٢/٣٠٨.

(٨) من أشهر أودية الجوف.

(٩) مطرة: من بلد نهم وارحب. معجم البلدان والقبائل اليمنية ص٦٣٤.

(١٠) انظر البيتين في الكنز ص١١٦.

(١١) يعني: الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي. وفي الكنز «داود» يحقق.

(١٢) جمع كوسة: وهو صنج من نحاس تُشبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر وفسرها بعضهم بالطبول (معجم الألفاظ التاريخية ص١٣٢).

(١٣) زيادة من (الكنز).

حملوا الإمام المطهر على الخروج من دروان[1] بحجة، فخرج، وقصد الرتبة بصعدة في جموع عظيمة، وجاءته خولان، فقاتل على الدّرب، فأخذه قهراً وقتل من فيه، وهم ثمانون رجلاً، [وسَلِمَ[2] الواليَ غلّاب][3]، وقتل من عسكر المطهّر، خمسة وثلثون رمياً بالنشاب، وسار ومعه الأمير نجم الدين إلى الجوف، فأخذوا حصن الفجرة وسواقة[4]، وطلعوا الظّاهر، فخربوا الكولة والدّحضة، وجاءت الشريف[5] علي بن عبد الله إمداد صنعاء، فتميّل من الظاهر، ونزلوا الجوف مرّة ثانية، ولم يقم المطهّر لإشارة الأمير صارم الدين ورأيه؛ لأنه قد كان عدل حصن القفل في الصلح الأول في مقابلة خروج ولده وندم عليه، وعلم أنه لا يرجع له إلا في حرب، ومع إمام مخالف ونقض صلحه[6]، ووصل المطهّر إلى وَرْوَرْ، واتفقوا فحطّوا بشرع[7]، وحطّ الشريف علي بن عبد الله تحت حصن ذيفان، مقابلاً لهم، ثم طلع الملك الأشرف فحطّ بالمَيْدان بصنعاء ثم دخلها وسار منها إلى محطة ذَيْفان في سنة ست وثمانين، ثم طلع الظاهر وأمر بعمارة الكولة، ورَتَّب الشَّريف علي بن عبد الله بها، وعاد فأقام في صنعاء مدّة، ونزل صنو الملك، الملك الواثق معزولاً من صنعاء، ثم جرى حديث الصلح، فأصلح الأمير صارم الدين [بعد استيلائه على حِصْن القفل، وأصلح][8] الإمام [المطهر][9] وقد كان انتقل إلى تنعم

---

(1) في (الأصل): «دوار».
(2) (المفود) ١/ ٢١٠: «أسروا».
(3) زيادة على (الكنز).
(4) كذا في (الأصل) و(الكنز) وفي (المقود): «شوابة».
(5) (الكنز) «والدي»
(6) كذا وعبارة (الكنز) و(المطوعة): «فنقض الصلح».
(7) بلد وواد في مخلاف ريدان بني زهير من أرحب.
(8) ساقط من (الكنز)
(9) زيادة من (الكنز)

بمشرق صنعاء، ونزل الملك الأشرف ومعه الشريف علي بن عبد الله، وأرسل للإمام والأمير صارم الدين لتمام الإصْلاح، وذلك في رجب سنة سبع وثمانين [فأقطع السلطان ولده الملك المؤيد][1] صنعاء وأعمالها وطلعها آخر سنة سبع وثمانين، فأقام بها برداع مدّة، وطلع الشَّريف علي بن عبد الله بَعدَه بأيَّام [فمرَّ عليه برداع ودخل معه ذمار، واستأذنه في التقدم لتيجهز للقائه إلى صنعاء، فسار معه ولقيه][2]، وكان دخول [المؤيد][3] صنعاء رابع عشر من ذي القعدة، ودغم[4] المرتبون بحصن براش[5] في رجب سنة ثمان وثمانين، فسار إليهم المؤيّد فأخذه عليهم قهراً.

وفي [ثامن][6] صفر سنة تسع وثمانين: توفي الامير صارم الدين داود بن الإمام.

وفيها: نزل السُّلطان الملك المؤيد، والشريف علي بن عبد الله، والأمير نجم الدين موسى بن أحمد، فكان ذلك سبباً لقوة إمارة الأمير همام الدين[7] سليمان بن القاسمي، بعد [موت][8] عمّه صارم الدين، وملكه لحصون ظفار ومسيره إلى تلمص بصعدة فقَبَضه، ولو بقي هؤلاء في البلاد ما أمكنه ذلك، وانتق الصلح بين السُّلطان الخليفة والإمام، فخرج السلطان الملك المؤيّد من صنعاء، ومعه الشريف علي بن عبد الله، والأمير محمد بن حاتم، فأخرب المشرق وقاتل عسكر الإمام بحواز

---

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز).
(٢) زيادة على (الكنز).
(٣) زيادة من (الكنز).
(٤) كذا في (الأصل) و(الكنز) وفي (العقود) ١/٢١٢: «رغم».
(٥) (الكنز): «يريش».
(٦) زيادة من (الكنز).
(٧) كذا في (الأصل) والذي في (الكنز): «المتوكل على الله سليمان بن القاسم».
(٨) زيادة من (الكنز).

الجبال مراراً، ثُم قَصَد إلى جبل اللوز، وقد صار المطهَّر فيه [ورتب ابن عمّه الشَّريف أسعد بتنعم[1]، وفيه حريمه وأولاده، فقاتَلَهُ الملك أيَّاماً على الجبل، ثم طَلَّعه عليه قهراً، وذلك خامس المحرَّم أول سنة تسعين، فقتل جماعة من عسكر][2] الإمام ويمَّم هارباً طرقاً متوعرَّة وشُعوباً لم تسلك قبل ذلك، وخرج على بلد بني وهَّاس، ثم على الظَّاهر، حتى صار بقوبان[3]، وهو يومئذٍ لبني القاسم، فأقام فيه مدةً وعاود إلى حِصْنه ذروان][4]، وعاد الملك المؤيد من جبل اللوز إلى تنعم، فحطَّ عليها يومين، وتسلمها ورفق حريم الإمام فلحقوا به، وأخرَبها خراباً عظيماً وعاد إلى صنعاء ظافراً مسروراً، وأقطع السلطان الخليفة ولده الملك الواثق ظفار الحبوظي، فركب البحر من عدن في رمضان سنة اثنتين وتسعين وست مئة.

ثم إنَّ الشريف علي بن عبد الله استوحش من السلطان الملك المؤيد، وكان أكثر الأسباب في ذلك سعاية أهل بابه[5]، وأنَّه من جملة أصحاب الملك الأشرف[6]، وينتمي إليه، فترك الوصول إليه [ونَمَى ذلك إلى الخليفة، فكتب إلى الشَّريف علي بن عبد الله بسببه، فقال في جوابه: إن ابنك ملك قادرٌ شاب، وأخشى منه بادرةً فأكثر ما تقول: أخطأ داود، فعاد جوابه يقول: معاذ الله أن يفعل ذلك وأن يخالف أباه، فلم تطب

(١) «بنعم»: والذي في (العقود): نعم، قلت تنعم قرية من خولان العالية.
(٢) ساقط من (الكنز).
(٣) كذا في (الأصل) وقد وقفنا طويلاً عند هذه الكلمة فلم نقف عليها، وفي (الكنز) (المطبوعة): «بفربان».
(٤) زيادة لا توجد في (الكنز).
(٥) أي: المقربون عنده
(٦) هو: عمر بن يوسف تولى سنة (٦٩٤هـ)، وتوفي سنة (٦٩٦هـ)، وكان ينافسه على الملك أخوه المؤيد داود بن يوسف، واستقر الأمر للأخير حين توفي الأول.

نفسه بذلك][1]، واستمر على الامتناع، ثم أخرج قاسم بن محمد الأبرش الرهينة من صنعاء، فتأكدت الوحشة، وآل الأمر إلى قبض شيء من بلده، فكان سبب خلافه، واستَدْعَاه[2] الإمام المطهَّر، فوصل إليه من ذروان إلى حصن براش والمغرب، وسارا جميعاً إلى حوث، ثُم قصدا الكولة فحطَّا عليها وقاتلا على دربهما، وفيها أسد الدين محمد بن يحيى بن حسين في مئة فارس وألف رجال، وذلك سنة اثنتين وتسعين، ثم أقاما بذروة مدة، والأمير هُمام[3] الدين، مؤانس لهما بماله ورأيه، وهو تام على صلحه حتى قبض الأمير نجم الدين موسى بن أحمد بلده بصعدة، فجعلَه عذراً للخلاف، واستدعاهما إلى ظفار، فوصلاه وذلك في رجب من السنة، وكان خلاف الصَّارم بن يوسف بن منصور ودعمته[4] في حصون حجة والمخلافة في المحرَّم سنة إحدى وتسعين.

فلمَّا صارت كلمة الأشراف واحدة، خرج الملك المؤيد فحطَّ بالماجلين[5]، فأقام بالكولة أيَّاماً، ونَزَل فحطَّ السبيع[6]، ثم قصد الأشراف [إلى ماجل الصعدي، فقاموا هناك، ووقع قتال عظيم وولَّت خيل الأشراف][7]، ورجلها حتى صاروا بالأكمة الحمراء [فوق الماجل][8]، فاتفق خلاف بني شهاب وأهل حضور إليهم وردوا على الناس ردَّة صادقة فهزموهم من الماجل، وقتلوا خمسة أنفار، فعاد الملك

---

(١) زيادة في (الأصل) على (الكنز).

(٢) في (الأصل): «استدعى»، والإصلاح من (الكنز).

(٣) (الكنز): «المتوكل على الله سليمان بن القاسم».

(٤) كذا وفي (الكنز): «وأخذه لحصون حجة... إلخ».

(٥) من بني صريم الظاهر الأعلا. قرة ٢/٤٦.

(٦) قرية من ناحية خمر. المقحفي ٢٠٠.

(٧) زيادة من (الكنز).

(٨) زيادة من (الكنز).

المؤيد إلى محطته بالسبيع، ثم عاد منها إلى صنعاء، وخرج الأشراف فحطّوا على الكولة وضايقوا أهلها، فاستمدّوا من السلطان وقد رتبْ مع الأمير ابن وهّاس بشرع منتي فارس، وألفي رجال، فأمرهم بالطلوع ليرحل الأشراف فاعتذر، فصدّر أسد الدين محمد بن يحيى بن حسن، وبدر الدين حَسَن بن بهرام، فَطَلَعا بذلك الجيش الذي كان مع ابن وهّاس وزيادة عليه إلى الظاهر، وبلغ الأشراف فساروا من محطتهم، فالتقوا بموضع يُقال له المعسكر، يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين بعد الظهر، فاقتتلوا إلى [أن] رؤى النشاب توري النار في الحجارة بعد المغرب، وكان يوماً عظيماً مشهوراً، وكاد الناس أن يتلازموا بالأيدي، وضاق المكان[1] فكان كما قال المتنبي:

وثنايا بحيث لا يجد الرِّيح[2] مداراً ولا الحصان مجالا

وكان للشريف علي بن عبد الله ما يشهد به الغز[3] وأصحابه، حتى قال قائل الفريقين: قد رأينا هذا الشّريف يقاتل مراراً فما رأيناه فعل ما فعل هذا اليوم على الجملة، فهو الذي حمل القتال وصليه بنفسه، وكان بالقرب إليه أولاده خاصة وخاصّته، ولقد شقَ هذا منه ما لم يكن يظن أنْ فارساً واحداً يفعله، وافترق النّاس بعد المغرب، فيمم العسكر السلطاني إلى جبل الحصين[4]، ورجع الأشراف إلى ظفار، وتجهز الشّريف علي بن عبد الله، والإمام [المطهر][5] للمسير إلى بلد بني شهاب [وحضور، فَخرجا من ظفار سابع الحجة فأدركهما العيد بثلا، فعيّدا هنالك وسارَا،

---

(١) عبارة (الكبر) وهي الأصح: «وكاد الناس أن يتلازموا لضيق المكان».

(٢) الديوان ولضيق حيث لا يجد الريح.

(٣) الرسوليون

(٤) (الكبر) «الحصين»

(٥) ساقطة من (الكبر)

فأقام الشريف علي بن عبد الله بحضور يحارب على القاهر، ويَمَّم الإمام فأقام بسناع من بلد بني شهاب][1]، وتجهز الملك المؤيّد لحربهما، فخرج فلمَّا صار بالفقه[2] من مخلاف صُدَا، سعى القاضي ابن الذَّماري، بأن يتفق الشَّريف علي بن عبد الله بالفقيه شرف الدين ابن الحيد [فاتفقوا وانفصل لقاؤهما من عقد ذمة يكون الصُلح في خلالها بظَفَار][3] وعاد السّلطان إلى صنعاء، وسار الشَّريف علي بن عبد الله إلى ظفار، والإمام مقيم في بلد بني شهاب، وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين [فوصل إليه الفقيه شَرَف الدِّين إلى ظفار][4]، وخالف ابن وهَّاس والأمير نجم الدين موسى ابن أحمد عَلى السلطان، ودخلا ظفار والفقيه شرف الدين بها، وخرج الفقيه شرف الدين إلى صنعاء لما وفت ذمته[5]، فسار الشريف علي بن عبد الله إلى حافد[6]، فأقام به جماديين وأرسل ولده داود بن علي، وابن أخيه قاسم بن الأبرش، فعمرا حصن نقيح[7] في المشرق، وجبوا شيئاً[8] من قطعته، وخرج الملك المؤيد من صنعاء فحطَّ سهمان، ووصل الأمير تاج الدين مادة إلى الشَّريف علي بن عبد الله، فكان الإمام[9] يحاربهما تارة في رهقة[10]، وتَارة في جبل حضور، وصَبّح بيت

---

(١) ساقط من (الكنز).

(٢) الفقه قرية من رداع.

(٣) زيادة على (الكنز).

(٤) ساقط من (الكنز).

(٥) في (الكنز): «فلم يتفق حال في الصلح».

(٦) حافد: هو المعروف ببيت محفد حزاز جبل عيبان في الشرق الشمالي من بيت حنبص.

(٧) لم أجدها، وفي (الكنز) و(المطبوعة): «يقبح».

(٨) في (الأصل): «وحساساً»، والإصلاح من (الكنز).

(٩) كذا في (الأصل) وفي (الكنز): «المؤيد».

(١٠) حصن في جبل ملحان. الحجري ص٢٧٣.

شعيب[1]، فأخذه قهراً بالسّيف، وقتل أهله، ثم عاد إلى بلد ابن وهاسَ [فأخذ مصنعة بني القديم، وأخرب البلاد، فخرج الأمير همام الدين سليمان بن قاسم][2]، وركز مع ابن وهاس في بلاده، وجهز خيلاً إلى الشريف علي بن عبد الله، فَسَرَتْ[3] فيها إليه، فعاود[4] صنعاء مراراً، وعاد السُّلطان [المؤيد] إلى صنعاء في شَعْبان، فسار الشريف علي بن عبد الله إلى المشرق، وطلع داود بن محمد بن دحروج بذمة، ونزل الملك المؤيد إلى اليمن[5]، وطلع الملك الأشرف إلى صنعاء للصلح، فدخل إليه الشريف علي بن عبد الله، وانعقد الصلح الأعم بين الناس كافة، وذلك أول المحرَّم سنة أربع وتسعين.

ونزل السلطان الملك الأشرف اليمن، وولاه والده الخليفة أمر المملكة بإقليم اليمن جميعه، وأسكنه حصن تعز، وأقام بشعبات[6]، وتوجّه السلطان الملك المؤيد جهة المشرق: الشّحر وحضرموت [وفي نفسه شيء لمّا خصَّ الملك الأشرف باليمن، وسارت][7] معه عمته الملكة الشمسية[8].

وكانت وفاة السُّلطان الملك المظفر آخر نهار الثلاثاء، ثالث عشر رمضان سنة أربع وتسعين وست مئة، وهو ابن أربع وسبعين سنة وثمانية

---

(١) بيت شعيب: قرية على الجانب الشرقي من جبل حضور.
(٢) زيادة في (الأصل) لا توجد في (الكنز).
(٣) هذا مما سها عنه المؤلف أيضاً؛ لأن العبارة في (الأصل) لمؤلف (الكنز)، وهو ممن شارك في الأحداث مباشرة، ويقول: وجهزت خيلاً إلى والدي (يعني: الشريف علي بن عبد الله المذكور) سرت فيها وعاودنا إلخ... فالضمير في سرت يعود إلى مؤلف الكنز.
(٤) (الكنز) و(المطبوعة): «فعاودنا».
(٥) (الكنز) (المطبوعة): «صنعاء».
(٦) شعبات: من تعز.
(٧) زيادة من (الأصل).
(٨) هي المعروفة بالدار الشمسي ابنة عمر بن علي الرسولي. (معجم النساء اليمنيات ص٧٢).

أشهر، وعشرة أيّام [وعشر ساعات][1]، ومدة ملكه ست وأربعون سنة، وعشرة أشهر، وأحَدَ عشر يوماً [وإيَّاه عنا أمير المؤمنين في ملحمة تخص أهل اليمن: «ثم يملكهم المظفر فيسوسهم ثلاثين وسبعة عشر»][2].

وكان ملكاً جواداً كريماً، بذّالاً للأموال في الحروب خاصةً، وأعطي من السياسة والتدبير للملك توجّه حسن، وما لم يُعط سواه من الملوك [ولقد سُمع الإمام المطهر حين أتى خبر وفاته يقول: مات تبع الأكبر، مات معاوية الزمان، مات من كانت أقلامه تكسر سيوفنا وسلاحنا][3]، وأقام السلطان الملك الأشرف بعده بأمر الملك، واستولى على الحصون والبلاد بالمخاليف كلّها.

ولمّا بلغ الملك السُلطان المؤيد موت والده، أقبل من الشَّحر طالباً للملك، فسار خلد الله ملكه من الأعمال الشحرية قاصداً أخاه يرجو صِدْقه فيما عاهده به ووفاه، ولمّا قرب من اليمن ووصل إليه كتاب من أخيه الملك المنصور[4] يعرفه أنه قد بلغه وصُولُه، ويحذّره من التقدم إلى جهة اليمن. وعَرَض عليه حصن السُّمدان، وكان إذ ذاك بيده، ولم يقع بينه وبين الأشرف اتفاق، وبذل الطاعة لأخيه السلطان الملك المؤيد فشكر له هذا الصنيع.

وبقي السُلطان متردداً في هذا الحال، وعمّا قليل وصله كتاب ثانٍ من القاضي موفّق الدّين علي بن محمد[5] الوزير الآتي ذكره يقول له: قد

---

(١) زيادة في (الأصل) لا توجد في (الكنز).
(٢) زيادة لا توجد في (الكنز).
(٣) زيادة في (الأصل) لا توجد في (الكنز).
(٤) يعني: الملك المنصور أيوب بن المظفر يوسف بن عمر الرسولي المتوفى سنة (٧٢٣هـ). العقود اللؤلؤية ص٥٢٢ (تحقيقنا).
(٥) في مطبوعة (العقود) ١/ ٢٣٩ علي بن يحيى البحيوي وهو كما ورد في كتابنا ورد في =

شاع في اليمن أنك واصل إلى جهتنا، وبلغني من المحقق للحال أن الملك الأشرف صدَّر نفرين من الفداوية فالحزم الحزم واحترز على نفسك، فبقي السُّلطان في أشد من ذلك التردد، ولمَّا وصل إلى أبين، وكان بها عسكر من جهة السلطان الملك الأشرف هرب المقدَّم الذي بها إلى جهة اليمن، ووقف جماعه مالوا إلى خدمة السلطان الملك المؤيد وجهته، وبقي مستوحشاً من أخيه فطلب منه النجدة إلى الشحر فلم يصله وبلغه علم الفداوية، فازداد لذلك وحشةً، ورأى أن الصَّواب أن يجهز حريمه وأثقاله إلى حصن السَّمدان، فصدرهم، وجهَّز العسكر صحبتهم، فوصلوا بالسلامة، وقوي عزمه في أخذ عدن لينظر أين يبلغ مع أخيه، فتوجَّه إليها وتأملها وتأمل دروبها الحصينة وما أمكنه أن يُسرع في المحاربة حتى يتحقَّق من أين تؤخذ البلد ومعه من الجحافل[1]، والعُربان كل طماع، وبقي متردد الخاطر، ورأى في بعض نواحيها درباً ركيكاً متسعاً[2] إذا طلع وأحرب أخذت البلد، وإذا أخذت البلد عنوةً دخلت الجحافل والطماعة فأهلكت المسلمين، وما استحل مثل ذلك، ثم تأمَّل ثانياً جبل عدن فرآه جبلاً واسعاً لا رتبة فيه ولا حفظة، فطلب صيَّاداً من الصيادين الذين يصيدون حول الجبل وسأله عن الجبل وعن طرقه، وهل هو سهل الطلوع؟ وهل فيه طريق يفضي إلى باب عدن؟ فأجاب الصياد: أن به طريقاً يصل الإنسان منها إلى باب البلد، فقال: تقدر أن تأخذ

= العقود اللؤلؤية طبعة أولى ١/ ٢٨٤، وبهجة الزمن ط. أولى ١٠٠، وهو لا محالة خطأ في طبعة (العقود) الثانية المشار إليها آنفاً، قلت: وهذا الوزير هو المعروف بالصاحب توسع في ذكره الخزرجي في عقوده، وذكر وفاته سنة (٧١٢هـ). انظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٣٣٠.

(١) الجحافل قبيلة من مذحج، منهم في عصر المؤلف أربع فخائذ. انظر: طرفة الأصحاب للملك الأشرف عمر بن يوسف الرسولي ص١٣٦ ط. ثانية.

(٢) كذا في (الأصل) وفي (العقود) ١/ ٢٣٩: (متشعثاً).

معك عسكراً وتصل بهم إلى الموضع الذي ذكرت؟ قال: نعم، فكتم السلطان الحديث وأخذه معه إلى اللخبة[1].

ولما كان المغرب أمر معه من المفردين الأجواد ثلاث مئة مفرد[2]، وقال: اطلع بهم، وأوصاهم أنهم إن مكنْوا الجبل، وصل منهم رجل يعرِّف الخاطر الشريف السلطاني بذلك، وأوصى المفردين أن لا يُظهرون أنفسهم حتى يرون السّلطان بالقرب من باب عدن، فجمع الوالي حينئذٍ عسكره للحفظ، فلمَّا قرب السلطان من الباب خرج المفردون وصاحوا من رأس الجبل ونزلوا فملكوا الباب، فهرب الوالي والتجار إلى البلد وصاحوا الأمان الأمان، فأذمّ السُّلطان عليهم وخرج الوالي والنَّاظر وأعيان البلد التجار وصدور البلد رغبةً ورهبةً، واستولى السلطان الملك المؤيد على عدن، ولم ينلها من المتحفظة ولا من المتحرّمة[3] شيء، وساسها سياسة مثله، وفتح الباب، فكان سيفه المنصور مفتاحاً لقفله، ورجع إلى اللخبة، وهو في تردّد عظيم، وما كان ظنّه أنه يفتح عدن في هذه المدة القريبة، فلم يشعر إلا بكتاب من القاضي موفق الدين وهو يقول: وصلني ولد الأزبلي[4]، وذكر أن جماعة من البحرية[5] عددهم تسعون فارساً، وأن أحمد بن عمران العنابي[6]،

---

(١) قرية خربة كانت بظاهر عدن وضواحيها.

(٢) العقود اللؤلؤية: ص٣٣٧ (تحقيقنا): راجل، والمفارده قال في معجم الألفاظ التاريخية ص١٤٢: «الحرس الأفراد المتفرقون في نواح كثيرة لحماية مبيت السلطان».

(٣) عبارة (العقود) ص٣٣٨: «أرباب الطمع».

(٤) في (العقود): «الأربلي» بالراء المهملة، ولعله الصواب.

(٥) يتردد ذكرهم هنا، وهم في مصر خلال ذلك العصر طائفة من الأجناد السلطانية عملهم المبيت بالقلعة وحول دهليز السلطان في السفر كالحرس. انظر: مصطلحات القلشقندي ص٦١.

(٦) (العقود): «العياني».

والفهد بن عامر الحجاجي مقدّمي رجال مذحج، عاهدوه على الميلة والخلاف، وعدّه أمراً كبيراً وبشارة عظيمة وإقبال، فقال السلطان الملك المؤيد: إذا صحَّ مثل هذه الأقاويل فهذا عنوان الفتح وقوي جأشه وتمثّل بقول القائل[1]:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً　　فلا رأي للمضطّر إلا ركوبها

وتقدم إلى لحج واثقاً بما قالته الجماعة، وتكرّرت إليهم الكتب والرّسل، ولم يظهر منهم إلا الوعد والتّعْليل، ولمّا سمع الملك الأشرف بذلك، وأن الناس مالوا إليه ميلان الحديد إلى المغناطيس، جهز ولده الملك النّاصر في ثلاث مئة فارس، فلحقوا بجيوش صنعاء، وهم في جملة العسكر، الأمير جمال الدين علي بن عبد الله الحمزي وولدي أزدمر نجم الدين[2]، وبدر الدين[3]، والسلطان الملك المؤيد، وولداه الملك المظفر، والملك الظافر ليس معه سوى عسكره الذين وصل بهم من الشّحر، وجماعة من الجحافل، مقدمهم عمر بن سَهْل، فلمّا كثر الجمع وتألبت الفرسان، وقربت الخيام من الخيام، وصافحت السّهام السهام، ولم يبق إلا أن يظهر المقدَّم المقدام، برز مولانا السلطان الملك المؤيد بنفسه في جحفل لجب، يرى أن أولئك الجمع فرائس له ولشبليه[4]، والتقى الجيشان وحصلت بينهما حروب عظيمة، فَكُسر الملك المؤيد، والتجأ إلى درب الدعيس[5]، ونهبت خزانته

---

(١) من أبيات مشهورة للكميت.

(٢) هو نجم الدين أحمد أزدمر أحد أمراء اليمن في العصر الرسولي كان له سعي في حفظ الدولة في زمن المجاهد العقود اللؤلؤية ص٥٢٠.

(٣) هو أخو المذكور اعتقله المجاهد سنة (٧٢١هـ) ثم أفرج عنه مع أخيه. العقود اللؤلؤية ص٥٠٨.

(٤) في (الأصل) «فراس ولسبليه».

(٥) قرية في وادي لحج

وتقدَّم لطلب الذمة له من الملك الناصر [بواسطة] قتادة بن إبراهيم، فأعطاه الملك الناصر[1] منديلاً، وأحاطت الجيوش بدرب الدّعيس، ودخل عليه أمير جاندار[2]، وقيده وولداه، وساروا بهم إلى الملك الأشرف إلى الجؤة، فلمَّا علم بتقييدهم، بكى بكاءً شديداً، وأمر بإكرامهم، وأمر بهم إلى حصن تعز، فأسكنوا[3] دار الإمامة[4] تحت الروشن[5]، وأمر بترتيب الأطعمة والأشربة، وجعل عليهم خادماً يسمَّى كافور البتولي، وكان إذ ذاك مقدماً على المماليك، وكان فيما يقال يفتش عليه الزبادي[6]، والخبز يكسره[7]، وحكى الملك المؤيد أنه وجد رقعة بخط الفقيه رضى الدين أبي بكر بن محمد اليحيوي[8]، وكان شَيْخاً له ويرى[9] به، والرقعة مكتوب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ١ ـ ٣] وهنأ الملك الأشرف شعراً بمسك أخيه، ولقد أحسن

---

(١) الملك الناصر جلال الدين محمد بن الملك الأشرف. انظر: أخباره في العقود اللؤلؤية ص٥٣٦.

(٢) أمير جاندار: لفظة مكونة من (جان): بمعنى سلاح، و(دار): بمعنى ممسك وهي وظيفة يكون صاحبها بواباً يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان. مصطلحات القلقشندي ص٨٢.

(٣) في (الأصل): «فأسكنوه»، والإصلاح من عندنا.

(٤) قلت: لعلها الدار نفسها التي اعتقل فيها الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين.

(٥) الروشن من الفارسي هي: الكوة، أو ما يعرف عند بعضهم بالمشربية. معجم الألفاظ التاريخية ص٨٤.

(٦) الزبادي: جمع زبدية وعاء يصنع غالباً من الفخار أو الزجاج. انظر: صناعته في العصر الرسولي في كتاب نور المعارف ص٤٨.

(٧) خشية أن يدس فيه شيئاً من السم.

(٨) في (الأصل) النحوي بالنون، وهو ممن تقرب إليه السلطان المؤيد، قال الخزرجي في (العقود) ١/ ٣٢٠: «اعتقد فيه السلطان اعتقاداً جاوز الحد، وكان مظهراً لإقامة المعروف والنهي عن المنكر»، توفي سنة (٧٠٩هـ).

(٩) أي: يعتقده.

تاج الدين موسى الموصلي[1] فيما كتب به إلى الملك الأشرف في هذا المعنى فقال:

ولولا أن ضدك منك قلنا مقالاً منه تنفلق الصخور
ولكنّا نرجى السخط منكم يعود رضى وتَنْجبر الأمور

ولمّا دخلت سنة ست وتسعين توفي السلطان الملك الأشرف لسبعة أيّام من المحرّم، وكانت أيّام دولته حلمت بها الأيّام، ومدّة انتهت في القصر إلى حدٍ يطول منه ظل الإبهام، وأولاد الملك الأشرف مفرّقون إذ ذاك، والملك الناصر جلال الدين بالقحمة[2]، والعادل صلاح الدين بصنعاء لأمر أراده الله تعالى، فأجمع آراء من بالحصن من الخاصة والعامة والسُتور[3] المصوّنة، على إبراز شمس الوجود، وإطلاع بدر الجود، وأن يزأر الليث في غابه، وأن يستقر الحق في نصابه، وأن تسوس الدولة نعمانها[4]، ويتسلم الحكم الإلهية لقمانها[5].

ولما كان سحر تلك الليلة زال ذلك القطع بالوصل التام، وتسلّم سلطاننا دام زمانه بيده الإمامة، فكان الإمام، ولكل وقت سلطان، ولكل ملك زمان، والأمر لا بد له من غاية، والشيء يرجى كشفَه عن النهاية، وتقدمت الطواشية[6]، والخدم إلى السُلطان الملك المؤيد، فأخبروه

---

(١) هو: موسى بن حسن الموصلي كاتب الإنشاء قدم إلى اليمن سنة (٦٦٠هـ)، وتوفي نحو سنة (٧٠٠هـ). الدرر الكامنة ٤/ ٣٧٤، والأعلام ٧/ ٢٢٢.

(٢) القحمة: قرية تهامية خربة بالقرب من جبل القحمة على وادي ذؤال في الشمال الشرقي من زبيد بين بيت الفقيه والمنصورية. المقحفي ص٣٢٤.

(٣) جمع ستارة: لقب للمرأة المجللة استعمل في ذلك الوقت خاص في الغالب لزوجات الملوك والأمراء. ومن ألقابهن في ذلك الوقت (الجهة) و(الدار) و(الستارة الشريفة) و(الستارة الكريمة) ونحوه.

(٤) نسبة إلى أحد ملوك الغساسنة النعمان بن الأيهم، ذكره في العقود اللؤلؤية.

(٥) نسبة إلى لقمان الحكيم (معروف).

(٦) جمع طواشي: غلام للخدمة يكون في الغالب مخصياً واللفظة (تركية)، وحول =

بانتقال السلطان الملك الأشرف إلى رحمة الله تعالى، فنالَه ما نَالَه من الأسف، وأنجزته ما وعدته الأيَّام، وتهلَّل به فرحاً محيًّا الدين وطلعة الإسلام، وداخل المسلمين من الفرح والسرور، ما يقتل ويذهب بالنفس، ومن فرح النفس ما يقتل، ولَمَّا خرج من داره، إلى مكان استقراره، طلب من الوالي للحصن سَيْفاً ليكون بيده على عادته، فأحضر سيوفاً ثلاثة له، ولولديه، فلمَّا دخل منزل الملك وَمحلَّ السّلطنة، أنشده لسان الحال:

ولو أن مشتاقاً تكلَّف فوق ما   في وسعه لسعى إليك المنبر[1]

ولَمَّا تيقن حال أخيه، وانتقاله إلى عفو الله وغفرانه، بكى بكاءً عنيفاً، وتأسَّف تأسفاً شديداً على فقده له، وصَبّح ذلك اليوم، أعلن نواب[2] الحصن بالرَّحْمة على السُّلطان الملك الأشرف، والصباح الجاري للسُّلطان الملك المؤيد، وكادت دور المغربة وعدينة[3] تصيح بالفرح، وغطاريف النسوة من كل مكان وناحية، وكان يوم الزينة[4] دونه، وكانت حاشية السلطان الملك المؤيد متفرِّده في نواحي عدينة والمغربة، فأعلن المنادي برأس الحصن بجمعهم تلك الليلة، فاجتمعوا من خادم، وزمام، وغلام، ومملوك، وحملوا بالمكاتل[5]، والحبال، فلمَّا وثِقَ بمن معه من غلمانه وحاشيته، أمر والي الحصن بفتح أبواب الحصن، فكان أول من صعد إلى مبايعته وإجابة دعوته، الصاحب حسام الدين حسّان بن محمد العمراني، وزير أخيه الملك الأشرف،

= معاشات الطواشية ومرتباتهم في العصر الرسولي. انظر: نور المعارف ١/ ٤٠٤.

(١) من أبيات قالها البحتري في المتوكل.

(٢) (الأصل): «نوابه».

(٣) من تعز.

(٤) أي: يوم العيد.

(٥) كأنه: أدلوا من رؤوس الحصون. والله أعلم.

فاجتمع به وحَلف له الأيمان المغلظة، واستَحْلف له الجند، والأمراء، وأعيان الدولة، ورغب النّاس إلى ملكه رغبةً ما عليها من مزيد.

وكتب تاج الدين الموصلي في ذلك اليوم كتباً كثيرةً، إلى بلاد التهايم بأجمعها، وإلى بلاد الجبال بأجمعها، وإلى جهة صنعاء والأشراف، فدخل النّاس في دين الله أفواجاً، وامتثل الأمر السلطاني، فأجاه[1]، وقضى له الطالع إذ ذاك ببلوغ المسرّات، وجرت على أحكامه الأحكام والعادات، وما أحقهُ بقول منشىء هذه السيرة[2]:

يقضي له الفلك المحيط بكل ما ... يختار حتى صار من خدّامه

وتراه يسعى بالذي يبغيه من ... كيوانه سعداً ومن بهرامه[3]

وأمر بتجهيز أخيه وتنفيذ وصيته، وفي من يغسّله صبيحة اليوم المقدّم ذكره، وخرج به من الحصن، وأمامه ولداه الملك المظفّر، والظافر، وأعيان دولته، ودفن بمدرسته التي أنشأها بمغربة تعز، وأقام العزاء عليه أيّاماً، كما يفعله الملوك، وعما قليل أتته رسل الأشراف للتهنئة بالملك ولعقد الصّلح، وقد كانوا عقيب موت الملك الأشرف، استولوا على جماعة من الحصون، وعلى صَعْدَة، فأصلحوا لمّا علموا أنَّ هذا السّلطان لا يخالف أمره إنسان، فكان المطهّر[4] حاطاً على كحلان الشرف. فطلب الأشراف أن يدخل معهم في الصلح، وأن يرفع المحطة ففعل ذلك.

ولم يتأخر من الحصون مما هو بقرب تعز، إلّا حصن الدملوة فإنه كان بيد الطواشي فاخر الأشرفي؛ لأن الملك الأشرف ولّاه وفوّض إليه

---

(١) كذا في الأصل

(٢) يعني المؤلف نفسه

(٣) كيوان وسعد السعود وبهرام من أسماء النجوم الفلكية.

(٤) يعني الإمام المتوكل المطهر بن يحيى السابق ذكره.

أمره وجعل نيابة له، ونقل إلى الحصن ماله الذي كان بالتعكّر، فامتنع الخادم من التَّسليم، خوفاً على ذهاب المال الذي كان بالتعكّر، ونقل إليه، وراسله مولانا السلطان الملك المؤيد مراراً فَلَم يجب، فجهّز إليه العسكر من الخيل والرجل، ومقدَّمهم شمس الدين الطنبا أمير جاندار، فنازل الحصن المذكور، وأحاط به العسكر السلطاني إحاطة الهالة بالبدر، والكمام بالزهر، وهذا الحصن من أجل حصون الممالك إذ به يأمن السلاك في المسالك، قد لاث من غَمامه عِمامة، ويُرى الهلال من تحته قلامه، شَيَّد به سيف الإسلام[1] مبانياً، وجعلها لنزهته، وحفظ ذخائره مغانياً[2]، وكره الخادم أن لا يسلم حصن الدملوة، حتى يصله أمر أولاد سيده الملك الناصر، والملك العادل، فكتب السّلطان إليهما يطلب منهما التّسليم، فكتب الملك الناصر بذلك إلى الخادم، وأمره بالتسليم، وكذلك أخوه الملك العادل، فقال الخادم: لا أقبل الكتب حتى يصلني ثقتهما وعيّن الثقتين، فثقة الملك الناصر خادمه منسك[3]، وكان عنده مكيناً، وثقة الملك العادل أنيس، وكان كذلك، فبادر الملكان المذكوران بإرسال خادميهما إلى الدّملوة، وأعطيا الخادم المذكور بها الكتب، وشافهاه بالرّسالة، فقال الخادم: المال الذي طلع من التعكر ينزل صحبة أولاد سيدي، وكان فيه من أولاد الملك الأشرف، أربع خواتّين[4]، صان الله ستورهم، فأنعم مولانا السُّلطان لهم بنقل ما كان من التَّعْكر، ونزلوا به صحبتهم، واقتسمه الورثة الأشرفية، ولم يكن فيه

---

(١) يعني: سيف الإسلام طغتكين بن أيوب السابق ذكره.

(٢) يقول الجَنَدي في وصفها: الدملوة: بيت ذخائر الملوك وما لهم منذ زمن متقدم. انظر: مقالنا المنشور في مجلة العرب شوال سنة (١٤٠٦هـ).

(٣) في (المطبوعة): «مسك»، ولعله الصّواب.

(٤) جمع خاتون: المرأة الشريفة واللفظة أعجمية. قصد السبيل ٤٤٦/١.

من النَّقد شيء، غير ثياب مثمَّنة مختلفة الألوان، وأقمشة نفيسة تصلح أن تكون ذخائر الملوك، فنزل الخادم من الحصن المذكور، وزوّج[1] أولاده الظافر[2]، والمظفر[3] اثنتين من الخواتين المذكورات، واستقرت الممالك كلها تحت قبضته، والصَّاحب[4] حسام الدين، مستمر الوزارة ببابه، وفي خاطر السلطان منه ومن إخوته أمور متقدمة وقضايا محكمة.

وهذا السُّلطان أخذ من كل فنٍ من العلم بنصيب وقرطس[5] بسهمه فيها، فكان الرائش[6] المصيب، حفظ مقدّمة أبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابَشاذ النحوي[7] غيباً، وكفاية المتحفظ[8] في اللغة غيباً، وبحث الجمل للزّجاجي[9] قراءة وبحثاً، وبحث التَّنبيه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي[10] في الفقه بحثاً شافياً، وطالع الكتب المبسوطة في كل فن، وسمع الحديث النَّبوي من الشيوخ الموثوق بهم، ممَّن على سنده، وأجازه الشيخ الفقيه المحدِّث محب الدين أبو العباس أحمد بن محمد

---

(١) الضمير هنا يعود إلى الملك المؤيد.

(٢) هو الظافر عيسى بن الملك المؤيد سيأتي ذكره.

(٣) هو: المظفر حسن بن داود. انظر: العقود اللؤلؤية ص٣٧٢.

(٤) يعني: الوزير حسام الدين حسان بن محمد العمراني السابق الذكر.

(٥) قرطس: أي أصاب القرطاس بسهمه.

(٦) أي: سهم له ريش.

(٧) هو: شيخ النحاة في عصره عاش بمصر وتوفي سنة (٤٦٩هـ)، ومقدمة ابن بابشاذ. انظر: شروحها في كتابنا جامع الشروح ص٢١١١.

(٨) كتاب من تأليف القاضي شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الخوئي المتوفى سنة (٦٩٣هـ)، وكفاية المتحفظ أيضاً كتاب آخر في اللغة من تأليف إبراهيم بن إسماعيل بن الأجدابي المتوفى سنة (٤٧٠هـ)، وهو المعني هنا. انظر: شروحه في جامع الشروح: ص١٧٢١.

(٩) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة (٣٣٩هـ)، وكتابه معروف انظر شروحه في كتابنا جامع الشروح: ٩٧٢ ـ ٩٨٢، ط. ثالثة.

(١٠) هو إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة (٤٧٦هـ).

الطبري[1] شيخ السنة بالحرم الشَّريف في الترمذي والبخاري، وناوله صحيح مسلم، وأجازه في باقي الأمهات على حكم روايته من الكتب التي سمعها واستَجازها، وما صنَّفه في كل فنْ، وما وجد له من نظم ونثر، واختصر كتاب «الجمهرة»[2] في البيزرة، وبيّن فيها ما لم يبنه صاحب الجمهرة من عمل التدنيق ووصل الجناح، وشرح طريدة[3] أبي فراس شرحاً شافياً، والطردية المعروفة التي أولها[4]:

ما العمر ما طالت به الدهور   العمر ما تم به السرور

ونقل جانباً من أشعار الجاهلية، والمخضرمين، والمحدثين، والمولدين، وله معرفة بارعة بالأدب، وجمع من مصنفات العلوم على اختلاف أنواعها من علم قراءتها، وقرآنها، وحديثها، وفقهها، وأصولها، وحقيقتها، وأدبها، وعلم معانيها، وبديعها، ومعرفة أيَّام عَربها، ومن تاريخها، ونسبها، وأشعارها، على اختلاف طبقاتها، ومن العلوم الحكمية كالإلهي[5]، والرياضي، على اختلاف أنواعه؛ وكعلم الهيئة والاختبارات، والأزياج القديمة والحديثة، والمواقيت، والمواليد، والمساحات؛ كالمجصطى[6] والأنماطيقي[7]، وما يتعلق به، من الجبر، والمقابلة، والأوفاق، ومراتب الأعداد والرمل، حتى جمعت خزانته على ما يقال من جهة التقريب ما ينيف على مئة ألف مجلد. هذا وببابه العالي

(١) هو: شيخ الحديث في عصره توفي سنة (٦٩٤هـ).
(٢) في (الأصل): «الجمهور»، وكتاب الجمهرة في البيزرة تأليف عيسى بن علي الأسدي منه مخطوطة بالمتحف البريطاني.
(٣) كذا في (الأصل)، صوابه: «طردية».
(٤) لأبي فراس الحمداني أيضاً انظر ديوانه.
(٥) في (الأصل): «اللاهي»، والإصلاح من عندنا.
(٦) اسم كتاب في علم الهيئة من تأليف بطليموس، ذكر فيه القواعد التي يتوصل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية.
(٧) كذا في (الأصل) صوابه: «الأرتماطيقي» وهو علم يبحث فيه عن خواص العدد.

فيه من النسّاخ، ما ينيف على عشرة بذالون في الكتابة، ويُرْفع ما ينسخ إلى خزانته العالية بعد المقابلة لها بالضَّبط الحسن، وما ملك من ملوك الإسلام نال هذه الرتبة والغاية من الطلب، ولا امتدَّ سببه كامتداد هذا السبب.



ذكر الوزارة

وكان السلطان الملك المؤيد منذ نشأ محبّاً للخير، ومثابراً على زيارة الصالحين، وكان بينه وبين الفقيه رضي الدين أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي[1] محبةً أكيدةً ومودةً مديدة، وكان راعياً لما يقوله، ويعتمد آراءه فيما يشير إليه، وكان الفقيه المذكور من فقهاء عصره وعلماء زمانه، ولمّا حَصَل ما اتّفق ذِكْره من قضيّة الدّعيس، لم يستطع الإقامة بتعز تأسفاً لما حصل، ولما[2] بلغه عن السلطان الملك الأشرف، أن أناساً نقلوا إليه أن قصده المخالفة أو ما هذا معناه، فكتب الفقيه المذكور إلى السلطان الملك الأشرف قصيدة هي[3]:

تبغون قتلي ومالي فيكم غرض	غير النجاة على مجموع أحوالي
إذ يزعمون[4] جميع الجن طوع يدي	هل تقهر الجنّ إلّا بالملا العالي
مهلاً فهذي عصى موسى وحربته	وتاج مبطظر[5] معها تاج عطكال
وذو الهياكل والأجراس أجمعها	وذو البنود مع المزراق يا عالي
وذو حراب أولى الأفلاك كلهم	ما ينثني حدها عن هتك أحبالي

(١) يرد ذكره في (الأصل) بالنحوي ـ بالنون الموحدة ـ.
(٢) في (الأصل): «ولمن».
(٣) القصيدة في العقود اللؤلؤية ١/ ٢٥٣.
(٤) (العقود) «وتزعمون».
(٥) كذا في (الأصل) وفي (العقود): «منظر».

وذو الأكاليل لو أومي بها استبقت أرضوك تندك منها لا لإمهال[1]
ولست أغوى[2] على شيء بلا أدب وقد تمسكت من طه بأذيال
وخاتم الرسل لم يدعُ على نفرٍ آذوه جهلاً ولم يعبأ بجهال
وفارق الدار والأهلين مرتحلاً إلى المدينة حسب الأمر لا قال
[فقام بالأمر فيها غير مكترثٍ لفوت نفس ولا أهل ولا مال][3]
وقام من بعده الصِّديق محتسباً حتى قضى نحبه في سُمّ مغتالى
وصفوة الآل والأصحاب أجمعهم ساروا كما سار كل غير محتال
أبو حسين مضى وأبناه كلهم سُمّاً وقتلاً بأسياف لأضلالِ
[وظل عثمان بعد القتل مطرحاً على الزبالة وهو الطاهر الغالي
من ذاك منهم ترى لم يدر كيف أتى بعرش بلقيس داعي الله في الحال][4]
كذا ابن أدهم لم يدعُ وقد عتبوا وصبَّ بالرأس منه بول بَوَّال
وشبهوا لحية منه وقد كرمت على المهيمن علجاً غير ذي بال
فلم أحول وما حالوا وما عجلوا ما ثمّ أمر بَدَا يقضي بأعجال
هل يحرق السجن من مولاه أدبه إلّا أخو الجهل بالآتي وبالحال
[ما سجن صاحبنا عارُ فقد سُجن الصديق يوسف هذا الحال كالحال
أبحت داري وآلي قلت ينصرفوا ما الدار داري وآلي ما هُم آلي][5]
فكلما ترتضوا مني وتنتقموا ما القول قولي ولا الأفعال أفعالي
فاحكم بما شئت إن صبراً وإن عجلاً فالأمر أقرب من نقل على بال[6]

---

(١) ساقط من مطبوعة العقود.
(٢) (العقود): «ولست أدعو».
(٣) ساقط من (العقود).
(٤) ساقط من (العقود).
(٥) ساقط من (العقود).
(٦) في (العقود): «من فعل على بال».

فليس عامان[1] مما يقتضي عجلاً ... وليس آخرها تقضي بأكمال
عشرين شهراً توالي لا تجاوزها ... إن كنت تسمع فانظر صدق أقوالي
ويدخل الدار من لا ترتضيه لها ... فصائح منكم يدعو بأشكال
لم تنكروا النصَّ والتنزيل ويحكم ... ووعد ربي ما هذا بأجمال
اسمع لما قلته وأرقبه مصطبراً ... ولا تعرِّج على قيلٍ ولا قال
وخذه بالجدّ لا هزلاً ولا كذباً ... فليس ذا القول من أقوال هزّال

وإذا وقف العارف على هذه الأبيات، علم تمكّن الشيخ العارف من علم المعارف والإشارات المتقدِّمة، من ذكر عصى موسى، ومن تاج مبطظر، ومن ذكره الهياكل، والأجراس، والبنود، والمزارق، وحراب أولى الأفلاك، والأكاليل الموجودة في الحافية[2]، وهي خدام اسم الله الأعظم[3]، ولم يتعرض بها إلّا وقد علم فعلها وانفعالها، وفي ذلك كفاية لمن تأمل.

وتوجّه بعد ذلك إلى جهة أصاب، وأقام بها، ولمّا علم باستيلاء مولانا السّلطان على المملكة رجع إلى تعز، واجتمع بمولانا السُّلطان الملك المؤيد، وفَرِح به فرحاً شديداً، واستوزر أخاه القاضي الصَّاحب موفق الدين علي بن محمد في جمادى الأولى سنة ست وتسعين، ووضع [له] ما يوضع للوزراء من رفع الدواة وعقد الطيلسان، واستعفى السلطان من لِبْس الدلكش[4]، ولِبْس الخلع الحرير، من العتاب[5]

---

(١) (المفرد) «شهران».

(٢) كذا. لعل صوابه القافية.

(٣) ما ذكره المؤلف من عبارات أهل الطلاسم والأوفاق البدعية التي لم يرد بها أثر صحيح من الكتاب والسنة فلا يؤخذ بقوله.

(٤) كذا في (الأصل) وفي (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري: قطعة مستلة ص٥٢. «الدلكس». وهي أصناف من القماش الحرير الأطلس.

(٥) في (الأصل) دون إعجام. وهو العتابي ذكره في المصدر السابق، وفي كتاب الملابس =

أدعى[1] للخيل، ولم يلبس المحرَّمات؛ لأنها صوف، وفوَض إليه قضاء الأقضية، وكان ذا بيان في أموره، ليس عنده من الطيش والعجلة شيء، ونفَّذ أمرَه وأمر أخيه رضي الدين، وأظهر الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وأقام منار الشَّرع المطهَّر ما لم يُسمع بمثله، والسلطان الملك المؤيد مساعدهم على ذلك، وتقدَّم الوزير عند السّلطان تقدُّماً ما سُمِع بمثله، وقارنه التَّوفيق في حلِّه وعقده، ومنذ وزَر لم يجتمع بأخيه رضي الدين؛ لأن أخاه كره وزارته.



ذكر[2] الأمراء الذين ظاهرهم خلاف باطنهم

وكان في خاطر السلطان رحمه الله من ولدي ازدمر، نجم الدين، ونور الدين، وابن الهكاري إساءات ليس مقابلتها إلَّا الأدب، فأمر بالحوطة عليهم، وأن يُرسل بهم إلى حصن الدملؤة، وأن يستقرُّوا بمكان يعرف فيها بدار الأدب، وعمَّا قليل قبض الأمير جاندار الطنبا عليهم، وجعل ذكر[3] القبض على الوزاره العمْرانيين[4]، ولمَّا استوزر السلطان الوزير القاضي موفق الدين، أمر الوزير حسان وإخوته أنْ يسكنوا سهفنة على الإعزاز والإجلال، ولم يغيّر عليهم حالاً، ثم بلغ السُّلطان من ابن أخيه الملك النَّاصر على جهة النصح: أن عبداً للقاضي حسان طَلَع غلى جهة عومان[5] ووجد جارية مُعتقة من الأشرفية[6]، وكانت تحت أخيهم

= المملوكية لماير ص١٠٧: «نوع من الخلع».

(١) كذا، لعل صوابه: «إذ هي».

(٢) كلمة لم تَّضح لنا.

(٣) كذا في (الأصل) وفي (المطبوع): «ثم قبض على الوزراء العمرانيين».

(٤) يعني: حسان وأخوته الآتي ذكرهم.

(٥) تقع في الشمال الغربي من جبلة.

(٦) أي: من مماليك الأشرف.

القاضي بهاء الدين[1]، وزير الملك المظفر، فتحدَّث معها العبد بحديث أسرَّها[2] أن معه قارورة من سيده، وأن غرضه أن يتلطَّف بحديث يصل إلى ولد الملك الأشرف، ويسقيه ما في القارورة من السُّم، وأسرَّ العبد إلى الجارية أنَّ قصد مواليه هلاك بني الرَّسول، وبلَغ الحديث إلى الملك النَّاصر ممَّن اطَّلع على حديثهما، فكتب لعمه معرِّفاً له بما وقع وحذَّره، فعند ذلك غضب السُّلطان، وقال: تركناهم فلم يتركونا، وأمر بطلبهم، فلمَّا حضروا قيل لهم: أنتم قضاة القضاة وبأيديكم أموال الأيتام ودفاترها وبصائر الأوقاف، فأنكروا، وقالوا: لا نَعلم شيئاً منها، وراجعهم مراراً فلم يأت منهم صورة، فهجم منازلهم فوجد جملة من الصَّناديق فارغة، فقال[3]: ما كان بها؟ قالوا: أثاث وهداد، فقيل لهم: أين ذهبتهم بها؟ فلم يقروا بها، فأمر بهم إلى عدن، فبنى لهم سجناً منفرداً على باب دار الولاية استكفاء لما سمعه من شرهم، وأنشد لسان الحال[4]:

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت   على عينه حتى يرى صدقها كذبا



ذكر من مَدَحه ابتداء دولته بتهنئة الملك



ولقد ظفرت بقصيدة امتدحه الأديب سابق الدين العنسي[5] أحد شعراء دولته ودولة أبيه، ابتدأها بديع الاستهلال في قالب، وهي هذه[6]:

القوس[7] موترة في كفّ باريها   فليعلم الناس قاصيها ودانيها

---

(١) يعني القاضي بهاء الدين محمد بن أسعد.

(٢) (المفود) «أسرّه إليها»

(٣) في (الأصل) «فقالوا». وفي (المطبوعة): «فسئلوا عما كان فيها».

(٤) من أبيات لأبي نواس

(٥) هو يوسف بن محمد العنسي. لم أجد ترجمته.

(٦) نقلها عنه الخزرجي في «العقود» ١/ ٢٥١.

(٧) في (الأصل) «أو قوس»

وليلبس الكل منهم درع مسكنة ... كي يصبحوا في أمان من مراميها

وكل نعمة قوم من يدي ملك ... فالبغي سالبها والذلّ كاسيها

يهنأ المؤيد بل تهنأ خلافته ... إني أهنيه منها ما أهنّيها

خليفة الله من بعد الخليفة يا ... ملك الملوك جميعاً لا يخاشيها

إنّ الخلافة ما قرّت ولا هدأت ... حتى رمت نفسها في سوح[1] حاميها

أضحت محجلة الأيام مذ وقعت ... في كف داؤدها غزاً لياليها

[ليحبون[2] على الدنيا بأجمعها الملك ... المؤيد قاريها وماديها][3]

ومنها:

إن الرعية في أمن وفي دعة ... وفي بُلَهْنية[4] إذا أنت راعيها

[وذاك أن بقوم الظلم قد منيت ... مثل العدات بصاليها وكاويها

.ن كان قد وقعت في كف مهلكها ... فاليوم قد وقعت في كف مُحييها[5]

وكم يد لهزبر الدين قد حملت ... لغير طالبا منها وراجيها

ملاك غسان ما انفكت دعائمها ... لما أتت من معاليه عواليها[6]

أم ترى الملك في عرس لوالده ... سقاه وبل أياديه وهاميها

وللشيخ عفيف الدين عبد الله بن جعفر[7] في هذا المعنى:

أملك داود أم ملك ابن داود ... ما إن أقيس بكنعان ونمرود

---

(١) (العقود): «حتى رمت نفسها في كف حاميها».

(٢) كذا في (الأصل).

(٣) هذا البيت ساقط من (العقود) وكأنه حذفه لما فيه من خلل، والله أعلم.

(٤) بلهنية: رخاء وسعة عيش، قال المعلم بطرس: والنون زائدة. محيط المحيط ص٥٥.

(٥) ساقط من (الأصل).

(٦) (العقود): «معاليها».

(٧) هو: الأديب عبد الله بن علي بن جعفر شاعر الدولة الرسولية توفّي سنة (٧١٤هـ). انظر: كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص٣٢٢.

أفي الرواق هزبر تحت غابته | أم الهزبر هزبر البأس والجود
بين السماء وبين الأرض مزدحم | من الظّبا والقنا والشزّب القود
ومن ذوائب رايات إذا نشرت | حسبتها طاردات بعد مطرود
تدافع الريح أن تجتاز ساحتها | طوراً وتمكن طوراً في الأماليد
كأن أمواج بحر الهند من زرد | تفيض ما بين موضون ومسرود

ومنها:

[مؤيدٌ ذلت الأرقاب منه على | ما أنزل الله من نَصْر وتأييد
لبّى الخلافة إذ نادته ضارعةً | كأنها السقب[1] إذ يتكو على القود[2]
كأنها فلك نوح يوم دافعها | طوفانها فاستوت [قدماً] على الجودي][3]
لله من طود ملك في السماء سَما | وَظُل أمن على الآفاق ممدود
ورثت دولة غسّان كما ورثت | آباؤك الغلب من أجدادك الصّيد
[ما غاب يوسف إذ أنت الكفيل بها | ولا ثرى وهو مفقود بموجود][4]
نامت جفون البرايا في حماك وفي | أجفان سيفك عَنّا أي تَسْهيد
والأرض مشرقة والسحب مغدقة | والنبت ما بين مخضود ومنضود
ولي مواعيد من نعماك سابقة | ومنك يعرف إنجاز المواعيد
كم أنعم منك أيّام الخليفة لي | قد كان أول مسقيّ بها عودي

ولعل من مدحه في هذا المعنى كالتاج ابن الموصلّي ومن سنه[5].

---

(١) ولد الناقة.
(٢) البعير الذلول.
(٣) ساقط من (المفقود).
(٤) ساقط من (المفقود): «وكأنه تركه لسقمه»، ونحن أوردناه كما جاء في (الأصل).
(٥) كذا في (الأصل): ولم يتضح لنا هذا السطر.



ذكر وصول أولاد الملك الأشرف



ولَمّا علم الملك الناصر محمد باستيلاء السّلطان على المملكة، بادر إلى باب عمّه ممتثلاً ما وقع من رسمه، فلمّا وصل إليه، أقبل عليه وأجلّه، وأحلَّه من العزِّ محله، وكان إذ ذاك مقطعاً بالقحمة، ووصل إليه أيضاً أخوه الملك العادل صلاح الدين، وكان بصنعاء مقطعاً بها، فعامل الثّاني معاملة الأول، وحصل عليهما منه حنو وإشفاق، وعلى الذّرية الأشرفية، إرفاد وإرفاق، وزوج أولاده ببناته، والله يؤتي ملكه [من يشاء][1]، وعرض عليهما قدّس الله روحه الاستمرار على الإقطاع، فاستعفى الملك الناصر عن الآمريّة، وقال: [لا][2] أحبّ الخدمة بعد أبي[3] غير أنّي أقف تحت ظلال الدولة وشفقاتها وحمل إحسانها وحسناتها، وقال أخوه الملك العادل بمثل مقالته، ولازم الملك النّاصر الفقيه السيّد رضي الدين[4] المقدم ذكره على ذلك، وكان بين الفقيه وبينه محبَّة وصحبة أكيدة، فتوسَّط بينه وبين السّلطان على ما أراد، وأخذ له من السّلطان عَهْداً وثيقاً أنّه على شفقته هو وخدمه وغلمانه، فأعطاه السّلطان العهد، وأخذ الفقيه من الملك الناصر عهداً، أنّه لا منازعة له ولا يرضى للسلطان إلّا بما يرتضيه لنفسه.



ذكر توجّه الرّكاب الشريف إلى زبيد

توجه إليها في جمادى الأخرى من السنة المذكورة، بعد أن عقد الألوية لولديه المظفر والظافر، فأقطع المظفر صنعاء، والظافر القحرية،

---

(١) زيادة من عندنا.
(٢) ساقط من (الأصل) والزيادة من (العقود).
(٣) في (الأصل): «والي».
(٤) يعني: رضي الدين أبا بكر بن محمد البحيري.

والحازتين[1]، وفرح به أهل زبيد فرحاً لم يُر مثله، وتوجّه الملك المظفر إلى صنعاء في رجب واستعاد حصن ودّ[2] من بني الحارث في سفيان، بعد أن رماه بالمنجنيق، ورجع السلطان قافلاً من زبيد إلى تعز في شعبان.

وفي آخر السنة المذكورة: أخذ الحصون الحجيّة[3] والمخلافية، من الأمير صارم الدين بن يوسف، وكانت في يده من سنة إحدى وتسعين وست مئة إلى تلك الغاية، واشترط الأمير صارم بشروط منها إقطاع مورع، ونصف حيس، والذمة الأكيدة عمّا جناه.



ذكر خلاف الملك المسعود

ولمّا ولي الملك المؤيد كان أخوه الملك المسعود مقطعاً للأعمال السرددية من جهة أخيه الملك الأشرف، فعزّ عليه لمّا أن أفضت دولة الملك الأشرف إلى الملك المؤيد، واستمع كلام وشاة انعكس مقصودهم، فأظهر الفتنة، وأول أسبابها أن الأمير الصّارم بن يوسف كان متوحشاً في الحصون الحجيّة، ولمّا استقرّ الملك للسلطان كتب يسأل الأمان وأنّه يُسلّم الحصون على شروط الذّمم الأكيدة والإقطاع المقدّم ذكره، فطلب أن يكون التسليم إلى السّلطان الملك المنصور[4]، والقاضي موفق الدين، وأن يصلا به محمولاً على الذّمة الشريفة، فأمر الملك المؤيد أخاه ووزيره لذلك، فوشى من لا خير فيه ولا مروءة ولا يختار الوفاق أن هذه القصة المتعلقة بحجة أحبولة نصب ومكيدة

---

(١) الحازة مدينة في وادي زبيد قرب حرض
(٢) حصن يطل على قرية القحل أسفل وادي ضهر
(٣) نسبة إلى حجة (معروفة)
(٤) هو [illegible] يوسف أخو المؤيد (العطايا السنية ص١٥٢).

أظهرت، وليس الغرض إلّا لزمك، وأخذ المهجم منك، فاستوحش لذلك، فكتب إلى أخيه الملك المنصور قدّس الله روحَه معرِّفاً له أنّه لا يصل إلى جهة المهجم، وليس بينه وبينه إلّا السيف، وليس له مرور على بلده، وكتب إلى السلطان يستعطفه ويترفق له ويُعرِّفه أنه خائِف، ويقول له: لا فرق بيني وبين الملك المنصور فمرني بقبض الحصون الحجيّة، فبرزت الإجابة السلطانية إليه: «لم يطلب إبراهيم إلّا صنونا الملك المنصور والوزير، ولو طلبك لفعلنا، فاتركهما يمرّان الطريق، ولا يكن لك إليهما سبيل اعتراض، فلم يأت منه صورة، فكتب إليه السلطان ثانياً ذمة شريفة بأنّه باق على ما بينه وبينه، وأن ليس القصد في تجهيز العسكر إلّا أخذ الحصون الحجية، وإذا كرهت أخاك لا يصل المهجم أمرناه بطريق الحازة فلا يصل إليك، فلم يتركه الذين حوله، وغلبوا على رأيه، فأمر مولانا السلطان الملك المنصور بعد ذاك أن يسلك طرق الحازة، ولا يصل إلى طريق المهجم، فلمّا صار مولانا السلطان الملك المنصور بالفخرية، خرج الملك المسعود بقصد المحالب[1]، وثمّ إلى حرض وأقام الفتنة.

وأمر مولانا السلطان الملك المنصور والوزير، فطلعا إلى جهة حجة. وقبضا الحصون الحجية.

وأمّا الملك المسعود فاستمر على إقامة الفتنة، وجمع العربان في كل ناحية وفجّ. فوصلت إليه المتخطّفة والمتجرّمة، وألّب عرباناً ليس عنيهم إلّا الشجاعة مزايا، وكان عقيد رأيه ومدبر جيشه والمصغي لما يقول، علي بن محمد بن إبراهيم، وكان مقدّماً لحرض في الدولة الأشرفية، هذا بعد أن وصّل ولده أسد الإسلام[2] إلى المقام الشريف

---

(١) المحالب: قرية تهامية خربة تقع على وادي مور على مقربة من الزهرة.

(٢) هو: ابن المسعود المذكور هنا.

السلطاني، فأكرمه وأجلّه، وأبقى أباه على إقطاع المهجم ووعده بكل وعدٍ جميل، يبلغ المنى، ويزيل العناء، فلم يعرج هو ولا أبوه على ذلك الوعد، وداخله حبّ السّلطنة لأمر يريده الله تعالى.

ولمّا علم مولانا بغرضه الذي هو غير صالح، جَهّزَ الجيش الأجش، والعسكر اللهّام، صحبة ولده الملك الظّافر عيسى، وأمر مولانا السلطان الملك المنصور، والصّاحب موفق الدين أن يكونا مع ولده، وفوّض تَدْبير الحرب إليهم، ففاجؤوه بعسكر يموج عيراناً[1]، ويلتهب نيراناً، ونداه من ردّده عقياناً، ويحسد من فوارسِه عقباناً، وأرسل صحبته ثلاثة من الأنيال، لابسة عددها باعثة إلى أعداء ملكه مددها، فكل فيل نراه وقد اطلع من نابه صبحين، يخالها الرائي من البعد فَلْعين[2]، ولمّا تراءى الجمعان، وتهيأ للمحاربة الفريقان، رأى الملك المسعود أنّه مغلوب لا محالة، قطع عَمّا كان بصدده من طلب الملك آماله، ورأى أن الجمع الذين معه ما يجمعه الحاطب في ليلة، يجمعهم صوت، وتُفرّقهم عَصا، دخل في الطاعة السلطانية هو وولده[3]:

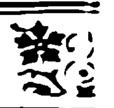
وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

وقبض العسكر السلطاني على المسعود، وولده أسد الإسلام، في المحرّم سنة سبع وتسعين وست مئة، وكانت الوقعة فيما بين حرض والمَحالِب. وسار الملك المسعود، وولده إلى الحرم الشّريف السلطاني، حنا عليهما، وأحلّهما دار الأدب، فأقاما فيه دون السنة، وأمر

(١) جمع عير وهو هنا الطبل
(٢) أي سيفين
(٣) من أبيات مشهورة لأبي تمام

بإطلاقهما، وأسكنهما حيس، وقرَّر لهما الجامكية الجيدة الحاملة لهما ولغلمانها[١].

مكارم توسع الجانب بنائِلها وتورث الضدّ عزاً بعد إذلال



ذكر ما كان وما اتفق في السنة المذكورة

وفي ربيع الأول منها: قتل علم الدين سليمان بن محمد بن سليمان بن موسى، قتلته عبيده بالوادي الحار[٢].

وفي ربيع الآخر: طلع الأمير سيف الدين طغريل[٣] الخازن دار[٤] للمحطة على حصن شخب[٥]، فرتب عليه، ولزم جماعة من مشائخ مذحج.

وفي السنة المذكورة في جمادى الآخرة: توجّه الملك المظفر من صنعاء إلى حرم أبيه متبرناً من الأعمال الصنعانية.

وفي جمادى الآخرة من السنة: وقع مطر شديد عظيم، لم يُر مثله عمّ القطر اليماني بكامله، وذلك على مضي نصف اللّيل، وبه من الرّعد والرّيح الشديدة الباردة ما لا يكاد أن يعبر [عنه] ومعظمه بتهامة، وأنها أخرجت سفناً من الأهواب وساحل الشّرجة بما فيها إلى البرّ، وكسّرت بعضها ببعض، وهدمت حصوناً شامخة، واقتلعت أشجاراً كباراً

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٢٣ والعقود اللؤلؤية ص٣٦٢ (نقلاً عن كتابنا هذا).

(٢) الحار: بالحاء المهملة عزلة من ناحية عنس بذمار، والحار وادٍ بالشرق من باجل فيحقق موضع المذكور هنا.

(٣) (كنز الأخيار) ص١٢٣ والعقود اللؤلؤية ص٣٦٢.

(٤) الخازن دار: هو الذي يتولى أعمال خزانة السلطان أو الأمير، وفي عهدته ما بها من أموال وغلال. (معجم الألفاظ التاريخية ص٦٨).

(٥) حصن عال منيف في جبل عمار من ناحية النادرة، وعلى مقربة من مصنعة كهال.

باصولها[١].

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من رمضان المعظّم من السنة المذكورة: توفي الشريف المطهّر بن يحيى بن حمزة[٢] بحصنه ذروان[٣].

وفي هذه السنة[٤]: طلع الملك المظفر، ضرغام الدين إلى صنعاء، وحطّ على غراس، وهو حصن حصين فأخذه بالسيف قهراً، ثم انتقل بعسكره إلى حصن أرياب بالقرب من نقيل صيد فحاربه حرباً أذن بقوته وعلو همته، فاستولى على الحصن المذكور وطلع إلى جهة صنعاء مقطعاً بها.

وفي شعبان المبارك سار جمال الدين علي بن همام[٥] أحد أمراء الدولة إلى مأرب، فمر الحزمة[٦]، وأعاد أمورها كما كانت على أحسن قاعدة ملوكية.

وفي شعبان المبارك[٧]: تجهّز العسكر السلطاني إلى جهة حجة، ومقدمه أستاذ داره الأمير بدر الدين محمد بن عمر بن [ميكائيل، والفقيه شرف الدين أحمد بن علي الجنيد للمحطة على ابن الصليحي بيمين[٨]،

---

(١) يقول الخزرجي ص٣٦٣: ولقد نقل هذا الخبر من كتابنا أظنها المطرة التي تسمى مطرة السبت.

(٢) كذا عند المؤلف، صوابه: الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى بن المرتضى بن مطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن الحسين.

(٣) بلدة بحجة.

(٤) (كنز الأخيار) ص١٢٣

(٥) كذا في (الأصل) وفي (كنز الأخيار) ص١٢٣ و(العقود) ص٣٦٣: «علي بن بهرام».

(٦) في (الأصل) بالمهملات وفي (الكنز): «الحزمة» - بالزاي المعجمة -.

(٧) (كنز الأخيار) ص١٢٣. و(العقود اللؤلؤية) ص٣٦٣.

(٨) (الكنز) «ميمن» و(المخطوطة) «بيمن»

وعلى عمر بن][1] يوسف، فظفر[2]، وأخذ منهما الحصنين ونزلا على الذمة.

وفي السنة المذكورة: توجه الرّكاب الشريف السّلطاني إلى البلاد العلياء وذلك عند امتناع الأشراف من الصلح، ودخل صنعاء لخمسة أيّام من ذي القعدة، فطلع الظّاهر من طَريق حَمْدة[3] رابع عشر ذي الحجة، وكان طلوعه في اليوم المسفر عن ليلة الخسوف القمري[4]:

مع السعادة ما للنجم من أثر   فلا يضرك مريخ ولا زحل

وأخبر الأمير عماد الدين إدريس بن علي فيما كتبه من تاريخه[5]: أن والده استفهم السلطان رحمه الله بعد أن وقع الصلح بينهما بأن قال له: كيف توجه الركاب الشريف ليلة الكسوف؟ فقال مجيباً له: الأمور بيد الله. وأخبر السلطان عن الشريف شكر أنه واجهه بمثل هذه المقالة، وأن السلطان أجابه بأن قال: نحن على سفر، وما تقول في أهل البحر، وإن الكسوف قد يوافيهم وهم مستمرون في سيرهم، فأجابه الشريف شكر[6] بأن المسيِّر هنالك الله. قال له السلطان: وفي البرّ أيضاً، وأخبر عن السلطان أن والده الخليفة كان ينهى أولاده عن التعلّق بالتقويم، ونهاهم عن الاعتقاد بما فيه. وأخبرهم أنّه منعه أكثر راحات الدنيا وكان إذا طلبه يقول:

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (الأصل) أثبتناه من (العقود) ١/ ٢٦٠.
(٢) في (العقود): «بالظفر».
(٣) حمدة: مدينة قديمة من ناحية عيال سريح في الغرب من عمران.
(٤) شبهه زهير.
(٥) هذا النقل بتمامه عن (كنز الأخيار)، سقط من مطبوعة (الكنز) مما يدل على أن النسخة التي طبعت ليست إلا مختصره عن الأصل. قلت: لعل صاحب (كنز الأخيار) أخبر المؤلف بهذه الواقعة شفاها لأنه من المعاصرين له والله أعلم.
(٦) هو: شكر بن علي القاسمي له ذكر.

أحضروا التعويج[1]. قلت: وهذه سيرة من تعلّق من الكتاب والسنّة بأحكامها وعضّ عليها بالنواجذ[2]، ولَمّا استقر السلطان في مخيمه، سار يوم الاثنين نحو الميقاع بعساكره، فقاتل عليه، وعاد إلى محطّته، وفي خلال ذلك وصل الأمير ابن وهاس والشيخ قاسم بن منصور[3] صاحب ثلا، خالفاً على أصحابها الأشراف، ووصلا [إلى][4] السلطان قبل طلوعه الظّاهر، وصدّر مع أولاد الشيخ قاسم بن منصور صاحب ثلا، علم الدين قاسم بن حمزة والأمير إبراهيم بن يوسف في عسكر إلى بلاد حمير [والطرف][5] لحرب تاج الدين، وأقام السلطان بالعسكر ثمانية عشر يوماً، وفي عرضها دخلت عساكره صعدة مع جمال الدين ابن بهرام، والأمير أسد الدين محمد بن أحمد بن عز الدين، فراكز[6] لهم نجم الدين موسى بن أحمد، والأمير أحمد بن علي، والشريف بن الهادي، ولَمّا افترقت عساكرهم، نزل الأمير موسى إلى حصنه عزّان، فخرب العساكر داره وبستانه.



ذكر ما اتفق في سنة ثمان وتسعين وست مئة

وفي يوم الخميس أول يوم من المحرّم[7]: نهض السلطان من محطته من المعسكر طالباً للظاهر لخراب الأعناب، فوقف بها ثمانية أيّام، ثم

---

(١) أي: عكس التقويم زراية به.

(٢) ولما ورد في السّنة المطهّرة من النّهي عن التعلق بالنجوم والكهان قال ﷺ: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» أخرجه أحمد بن حنبل والحاكم عن أبي هريرة.

(٣) في (كنز الأخبار) (المطبوعة) ص١٢٣: «ابن الظهيرة».

(٤) ساقط من (الأصل) والزيادة من (العقود)، و(كنز الأخبار).

(٥) ساقط من (الأصل) والزيادة من (العقود).

(٦) في (الأصل) «مذكر»، والإصلاح من (العقود).

(٧) (كنز الأخبار) ص١٢٤، والعقود اللؤلؤية ص٣٦٧.

نهض إلى الجراف[1]، فوقف بها ثمانية أيّام، وحطَّ بالظاهر الأسفل، وكان قد أخرب دار الأمير همام الدين وبستاناً له، وسار نحو جبل ظفار، فتأهب الأشراف للحرب وأخرب ما حوله من الأعناب[2].

ونهض السلطان يوم الاثنين من صفر ثالث الشهر من محطته بالسبيع فبات بالكولة، ثم سار منها وحطّ على الميقاع[3]، وهو إذ ذاك بيد الأمير جمال الدين علي بن عبد الله، فملأ البقاع جيوشاً عديدة وعساكر مديدة[4]:

إذا حلّ في أرض بناها مدائناً وإن سار في أرض ثوت وهي بلقع

وما أحقّه بقول كاتب هذه السيرة:

«إذا نازل حصناً من حصون أعاديه بلغ منه المنا

أو نزل عسكره الجرار بأرض أنبتت من ساعتها فنا»

ونصب المنجنيق يوم السّبت حصاراً على الحصن المذكور، وبالحصن الأمير عماد الدين إدريس بن علي قائماً بالحرب[5]، وزحفت العساكر المنصورة على الحصن أيّاماً متوالية، وكان الطعام بالحصن قليلاً، وكانت الجمال والدواب تختلف من طريق أحدثها الأمير علي بن عبد الله، وأهل المحطة ينظرون إليهم ولا يمكنهم منعهم لعسر الطريق، وحصلت مراجعات بين الأشراف وبين علي بن عبد الله، مثل علي بن

(١) في (الأصل): «حمدان»، والإصلاح من (العقود)، وهي قرية في بلاد حاشد على مقربة من خمر، وهي ليست جراف صنعاء المعروفة، قلت: عبارة (الكنز): «أقام بالجراف ثم منه إلى حمران».

(٢) (كنز الأخيار): «الابنية».

(٣) في (العقود): «فحط على القصر عند أشيح».

(٤) لابن هاني الأندلسي.

(٥) عبارة صاحب (كنز الأخيار): ١٢٤ وهو المذكور هنا: «وصدرني والدي الميقاع قمت بأمر الحرب».

محمد الأبرش، والشَّريف شكر[١]، وأحمد بن عمران المذحجي، بسبب الصلح، واستقر الحال: على أن الأمير جمال الدين علي بن عبد الله يتَّفق بالصَّاحب موفق الدين، وبمولانا الملك المنصور[٢]، وبالملك المظفر[٣]، فاتفق بهم في السَّابع والعشرين من صفر في السنة المذكورة، وأبرم معهم أحاديث، وأبرموا معه قضايا، وسار معهم إلى المقام الشَّريف السلطاني، فلمّا علم به السُّلطان وأنّه بالقرب من مخيمه، ركب رحمه الله للقائه وإكرامه وإنصافه وإعظامه، وانعقد الصلح بينهم، وانضاف إلى جملته، وانتظم في سلك مملكته، فأخذ لأصحابه الأشراف ذمة سبعة أشهر، ودخلت الأعلام المنصورة الميقاع، وخفقت ذوائبها بمشمخر الحصنين[٤]، إظهاراً للطاعة، وما أجدره بقول ابن هانىء[٥]:

من كان بالسمر العوالي خاطباً ... جلبت له بيض الحصون عرائسا

وللشيخ ابن جعفر قصيدة يمدح فيها السلطان رحمه الله في أخذ العظيمة[٦]، والميقاع وهي[٧]:

إرث الخلافة في يديك مشاع ... وشباء[٨] سيفك شاهد قطّاع

(١) في (الكنز) ص١٢٤: «شكر البرافشي».
(٢) يعني: المنصور أيوب بن يوسف شقيق الملك المؤيد سبق ذكره.
(٣) هو: المظفر حسن بن داود ابن الملك المؤيد (سبق).
(٤) يعني: حصني الميقاع والعظيمة.
(٥) الصواب: إنها لابن خطيب سوسة قالها في مدح الأمير تميم بن المعز لما فتح مدينة قابس من قصيدة أولها:

ضحك الزمان وكان يدعى عابسا ... لما فتحت بحد عزمك قابسا

انظر: ابن خلكان ٣/٣٢٣.
(٦) العظيمة: حصن في بلاد حاشد على مقربة من خمر.
(٧) نقلها عن كتابنا هذا الخزرجي في العقود اللؤلؤية ص٣٦٩ (تحقيقنا).
(٨) (العقود): «غرار»، والشبا من السيف: القدر الذي يقطع به.

العدى

[منع النصيب من العدا نَصْب الفناء وحمى القراع من السيوف قراع][1]

شمس رأت غلب الملوك شعاعها فقلوبها منها تطير شعاع

تبع التبابع في عناصر حمير وإلى المناقب هُمْ له أتباع

عمرو[2] وعمرو ذو الجناح[3] ومنذر[4] والأيهمان[5] وفائش[6] وكلاع[7]

ماء السماء سقى منابت أصله رياً فأورق عِرْقه النزّاع

فلقد أعاض بيوسف يقظان لا وكل ولا تكل ولا مجزاع

أسرى إلى الشرف القصي بشارة[8] خطواتها نحو المغار سِراع

والشمس من لمع الحديد كليلة والجو من سمر اليراع يُراع

وفيالق سالت هوادي خيلها سيل الأتيّ[9] تداولته تلاع

تسري ومن زرق الأسنة فوقها نارٌ ومن أسل الوشيج[10] سماع

غسلت مياه سيوفها ثوب الدجى فتشابه الأصباح والأهزاع[11]

ينحو بها مَبْدا النجوم طوالعاً ملك مطيع للإله مطاع

ليس (العظيمة) بالعظيمة عند من لسيوفه ميقاعها (ميقاع)

لم يشق وافدهم لديه وهل يرى يشقى امرؤ وجليسه القعقاع[12]

---

(١) ساقط من (العقود).

(٢) هو: عمرو بن جفنة أحد ملوك الغساسنة.

(٣) أظنه: عمر بن عامر الملقب بمزيقيا.

(٤) هو: المنذر بن امرىء القيس أحد ملوكهم عرف بابن ماء السماء: أمه.

(٥) هما الأيهم بن جبلة وجبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة والأيهم الأول من أجدادهم.

(٦) من حمير أحد ملوكهم.

(٧) الكلاع من حمير. انظرهم جميعاً في (شرح قصيدة نشوان).

(٨) (العقود) ١/ ٢٦٤: «بشزّب» وهو الصواب.

(٩) السّيل الغريب.

(١٠) تشابك الرماح.

(١١) جمع هزيع: آخر الليل.

(١٢) هو: القعقاع بن شور الذهلي من بني بكر، كان في عصر معاوية، يضرب به المثل في =

فَغَنِمْت أدعية بأفواه لهم ... فيهن من ثدي البتول[1] رضاع
وحفظت [حقّاً] للنبيّ محمد ... فيهم ولست بما حفظت تضاع
أمؤيد الإسلام داؤد الذي ... في العالمين بفضله إجماع
[ما قام في الإسلام سيف ساطع ... إلّا ورمحك في الثنا سطّاع][2]
ما يلتقي شرق البلاد وغربها ... إلّا إذا ما امتد منك الباع
أهويت بالسَّيف العُداة كما هوى ... ودّ لسيف محمد وسواع[3]
الله أعطاك السعادة كلّها ... من ذا يَضُر وربّك النفّاع

وهي عيون القصيد، وهي بديعة في بابها، وأقبل مولانا السلطان كَثَلَلهُ على الأمير جمال الدين[4] يوجه الأنعام والبرّ المتوفّر الأقسام، وزال ما كان في الخواطر، وتواتر الأنعام السلطاني عليه، وأمر له برفع الطبلخاناه، وحمل معها من الأموال والكسوات والخلع شيئاً كثيراً، وخرج من الميقاع لابساً خلعة الرضاء مزفوفاً بالطبلخاناه تحت خوافق الأعلام الهزبريّة[5]، وأعاد عليه بلاده التي كانت بيده، ولمّا كان بكرة أول ربيع الأول سار مخيمه قاصداً صنعاء في جحفل لجب، وما أحقّه بقول أبي الطيب:

في فيلق من حديد لو قدمت به ... صرف الزمان لما دارت دوائره

ولما استقر السلطان بصنعاء، وصلته الأمراء الأشراف، ومشائخ العربان، ووصل في جملتهم الأمير أحمد بن علي بن موسى لتمام صُلْح

= حسن المجاورة، قيل: كان يجعل لمن يجالسه نصيباً من ماله، قال الشاعر:
وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

(١) فاطمة الزهراء رضي الله عنها.
(٢) ساقطة من (العقود) ط. دار الهلال سنة ١٩١٢م.
(٣) ود وسواع، من أصنام الجاهلية.
(٤) هو: الأمير علي بن عبد الله، والد المؤرخ إدريس صاحب (كنز الأخيار).
(٥) نسبة إلى هزبر الدين لقب الملك المؤيد داود بن يوسف.

الأشراف، فتم على تسليم اللجام ونعمان وصعدة، وقسمت بلاد مدع، كما كانت زمان الخليفة[1]، وكان دخوله صنعاء دخولاً لم يُعهد بمثله، ولا شاهدت مُقْلة بشر بهجة شكله، وسارت بشائر ما استولى عليه في اليمن، وفاق بما أوتيه من الممالك أسعد الكامل وابن ذي يزن.

وتوجَّه الرّكاب السُّلطاني طالباً ما فيه من العزّ إلى تعز في عسكره اللهَّام، وقد جمع الضرغام في فوارسه والهمام، وصحبه الأمير جمال الدين علي بن عبد الله، والأمير أحمد بن علي، والأمير ابن وهَّاس، وأمراء العرب، وقد دانت له البلاد والعباد، ودخل تعزاً دخولاً أذن ببلوغ المراد، وولد له الولد الملك السعيد من الجِهَة المصونة ابنة الأمير أسد الدين ابن جده[2]، وكانت له فرحة عظيمة، ولم يلبث بعد ذلك إلّا مدة لطيفة وطلع طلوع الأهلّة[3]، وما أحقّه بقول ابن التهامي:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسحار

وتوجَّه السُّلطان إلى زبيد في جمادى الآخرة، وصحبته الأشراف والأمراء، ودخل بجيشه الْجَرَّار، وحلّها حلول البدر في أسعد منازله، والشّجاع[4] في أعزّ معاقله، والذي نال الأمير علي بن عبد الله في خروجه من الميقاع إلى رجوعه إلى بلاده من الإحسان السلطاني ما ينيف على سبعين ألف دينار، كل دينار أربعة دراهم، كل درهم عشرة قراريط[5]:

---

(١) (المطبوعة): «كما كانت زمان الملك المظفر»، وكذا في (كنز الأخيار) ص١٢٥.
(٢) يعني علي بن عمر بن رسول؛ لأن أسد الدِّين هو محمد بن الحسن بن علي... إلخ.
(٣) في العقود اللؤلؤية ص٣٧١: «إن هذا المولود توفي بعد أيام قلائل».
(٤) الرجل الجريء المقدام، وهو أيضاً من ألقاب الحية.
(٥) شطر بيت مشهور يتنازع في نسبته النابغة الجعدي وأمية بن أبي الصلت وغيرهما.

هذي المكارم لا قعبان من لبن

وطلع السُّلطان من زبيد آخر شعبان، فلمّا كان عيد الفطر ودَّعه الأمير جمال الدين على السماط[1]، وتوجّه إلى البلاد العليا.

وفي شهر شوال من السنة المذكورة: تقدمت العساكر السلطانية إلى صوب عدن، فأقام بها إلى آخر الحجة، وكان سماط القدوم بحُقَّات[2] تحت المنظر السُّلطاني على شاطىء البحر، والمكان المذكور متسع لا يرى من به إذا وقف في أحد طرفيه، وقام به الشُّعراء بأنواع الممادح، وتعذّر وصول شاعر دولته العفيف بن جعفر، فأرسل بقصيدة صحبة الشيخ جمال الدين محمد بن خَطَّاب، فأنشدت على السّماط، وهي لعمري غريبة في الْمَعْنَى وهي[3]:

أعلمت من قاد الجبال خيولاً ... وأفاض من لمع السيوف سيولا

وأماج بحراً من دلاص[4] سابغ ... جرَّت أسود الغاب منه ذيولا

وتزاحمت سمر القنا فتعانقت ... قرباً كما يلقى الخليل خليلا

ومن القسيِّ أهلة ما ينقضي ... منها الخضاب على النصول نصولا

فالغيث لا يلقى الطريق إلى الثرى ... والريح فيها لا تطيق دخولا

سُحب سرت فيها السيّوف بوارقاً ... وتجاوبت فيها الرّعود صهولا[5]

طلعت أسنتها نجوماً في السماء ... فتبادرت عنها النجوم أفولا

تركت ديار الملحدين طلولاً ... مما يبيح بها دماً مطلولا

والأرض ترجف تحتها من أفكل[6] ... والجو تحسب شلوه مأكولا

(١) غامضة في (الأصل) فأوردناها من (الكنز).

(٢) حقات: ضاحية من عدن على ساحل البحر.

(٣) انظرها في أعيان العصر للصفدي ٢/ ٦٧٢ ونقلها عن كتابنا هذا الخزرجي في العقود اللؤلؤية ص٣٧٢.

(٤) دلاص: دروع مَلْساء لينة.

(٥) (العقود): «صهيلاً».

(٦) أفكل: رعدة.

حطمت جحافلها الجحافل حَطمةً تدع[1] الحمام من القتيل قتيلا
طلبوا الفرار فمدّ أشطان القنا فأعاد معقلهم بها معقولا
عرفوا الذي جهلوا فكل غضنفر في الناس عاد نعامة أجفيلا
أين الفرار ولا فرار وبعدهم من ليس يترك للفرار سبيلا
ملك إذا هاجت هوائج بأسه جعل العزيز من الملوك ذليلاً
يقفو المظفر والشَّهيد مآثراً وعلاً وفخراً في الملوك أثيلا
وَافى إلى عدن كمقدم جدّه سيف بن ذي يزن الكريم أصولا
بحرٌ إلى بحرٍ يسير بمثله والملح[2] أحقر أن يكون مثيلا
فتطايرت أمواج لجته إلى عند أم بيدر[3] دجلة والنيلا
فاستقبلت عدن جبينك والتقت في ملتقاه سعادة وقبولا
والشمس تحسد تأجك المعقود والأكليل يحسد ذلك الأكليلا
لو يستطيع الثغر كان مقبلاً بالثغر منه ركابكم تقبيلا
إن جاوزت هذه الشمائل بحره جعلت مذاق الماء منه شمولا
أنت الذي الدنيا ميسَّرةً به والناس ينتظرون جيلاً جيلا
فاليوم قد وهب الإله لخلقه ظلًا على الأقطار منه ظليلا
وأتى لهم بدر السماء بذمةٍ مكتوبةٍ (لا يظلمون فتيلا)
أهزبر غسَّان بن قحطان الذي يدعوه في النسب القبيل قبيلا
في كلّ يوم لا برحت مقابلا فتحاً من الملك الجليل جليلا
في حيث ما رفعت بنودك نزلت آيات نصرك فوقها تنزيلا
[سور من الفتح المبين مبينةً قُرِئت عليك فَرُتِّلت ترتيلا][4]

---

(١) (الأصل): «فدعوا».
(٢) كذا، وفي (العقود): «البحر».
(٣) (العقود): «عيذاب ينذر دجلة والنيلا».
(٤) ساقط من (العقود).

لولا العلائق والعوائق لم أغب　　عن ظلِّ بابك بكرةً وأصيلا
ومن التكرّم والتفضّل لم يزل　　عذري إلى شفقاتكم[1] مقبولا
لا زال توفيق الإله مقارناً　　لك حيث كنت إقامةً ورحيلا

ورأى عظمة سلطانه، وما آتاه الله من واضح برهانه، النَّواخيذ[2]، والمترددون إلى الثغر المحروس، ومن سائر بلاد الهند، وشاهد السلطان موسم الخيل[3] من الدار الطَّويلة، وسارت التجّار الكارميَّة[4] ناشين لواء عدله في أمصارهم، وقدّم التجّار المقيمون في الثغر المحروس التَّقادم النفيسة على عوائد الملوك، فردّها وأمر بإفاضة[5] الخلع عليهم، والتشاريف، والمراكيب النفيسة، من البغال المختارة بالعُدد الكاملة من السّروج المذهّبة والزَّنانير[6] المنوّعة، بَعْد أن أشرف نواخيذ الهند على جاري عوائدهم من ديوانه السَّعيد، وابتسم الثَّغر عن معاليه، وأمر بإكرام النَّواخيذ والتجّار والمترددة، وأبطل ضمان[7] بيت الخلّ، وأقام بعدله موسم الفصل[8]، وأقام بعدن إلى ثاني يوم من ذي الحجة، وعيّد عيد النحر بقوز[9]، وقام الشعراء على خوان[10] العيد بالقصائد النفيسة على

(١) (العقود): «صدقاتكم».
(٢) جمع ناخوذاه: وهو ربّان السفينة (من الفارسية). (القاموس الهجري ص١٢٨).
(٣) انظر: ضريبة موسم الخيل في ميناء عدن في العصر الرسولي في نور المعارف ص١٨٩.
(٤) هم تجار الكارم، وهو البهار والتوابل يصدرونه إلى بلاد الغرب.
(٥) في (الأصل): «نواصة»، والإصلاح من (العقود).
(٦) جمع زنار: نوع من الأجلال، جمع: جل، لباس الدابة، ويكون مفتوحاً فوق صدر الحصان ومسدلاً على الكفل بحيث لا يرى الذيل. وانظر: أنواعها وأثمانها خلال ذلك العصر في نور المعارف ص٢٠٤.
(٧) أي: ضريبة بيت الخل. وانظر: خبر هذه الضريبة في نور المعارف ص٥٥٢.
(٨) في (العقود): «وأقام بفضله موسم العدل».
(٩) اللفظة في الأصل بدون إعجام.
(١٠) (العقود): «سماط».

جاري عادته وعادة أسلافه، وعاد قافلاً إلى تعز في آخر ذي الحجة.



ذكر ما اتفق في سنة ست وتسعين وست مئة



وفي السنة المذكورة: توفي الأمير جمال الدين علي بن عبد الله المقدّم الذكر، وكان من كبار الأشراف وأعيانهم ورؤسائهم وصدورهم، وقد أناف على السبعين، وتمثل ابنه عماد الدين إدريس[1] عند موته بقول زياد الأعجم[2]:

مات المغيرة بعد طول تعرض ... للقتل بين أسنة وصِفاح

ولمّا مات أجمع أهله على تقدم ـ ولده عماد الدين[3]، كاتب السُّلطان وعرَّف خاطره الشَّريف، أنه ثمرة شجرة غرسها إنعامه، ودوحة مجد سقاها إكرامه، ومال إلى جهة السُّلطان، واتفق هو وشرف الدين شكر بن علي القاسمي، فجرت بينه وبينه أحاديث، وتقدَّم الشريف شكر إلى جهة الباب الشريف، وقرَّر مع السلطان في أمره قواعد، وكاتبه بأن يصل إلى الأبواب العالية، فطلب الشريف إدريس ذمةً، فكتب له، وتقدَّم إلى صوب الباب السُّلطاني، فوافاه في شهر ذي القعدة، وخلال المواقف الشريفة السُّلطانية مقيم بثعبات، فأحضر إلى دار السلام للسَّلام، فتلقَّاه السُّلطان بالإجلال والإكرام والتَّرحيب التَّام، ووافى عيد النحر، فتقدَّم المرسوم السُّلطاني إلى أتابك العساكر المنصورة: ألّا يستفتح الميدان إلَّا الأمير المذكور، مقدَّماً على أعيان الأمراء، ووجوه الدولة، فكان كما رسم، ولما كان بعد العيد جرت أحاديث في تسليم الحصون التي تحت

---

(١) انظر: (كنز الأخيار) للمذكور ص١٢٥.

(٢) هو: زياد بن سليمان العبدي شاعر من الدولة الأموية توفي نحو سنة (١٠٠هـ).

(٣) عبارة صاحب (الكنز) ص١٢٦، وهو المعنى به هنا «ولما مات أجمع الكل من الأهل على تقدمي في حفظ الحصون فحلفوا لي على ذلك بالسمع والطاعة... إلخ».

يده، وهما العظيمة والمِيْقاع، فرأى أن تسليمهما عنوان السَّلامة، ومقام يحلّه دار المقامة.

وفي السنة المذكورة: حطَّ الملك المظفر على أشيح[1]، وفي شعبان أخذ حصن عراس[2] بالقهر، وقبله حصن إرياب[3]، وأقيم بسبب ذلك بصنعاء فرحة عظيمة، وكسوا جامعها أنواع الملابس، وأمر أمير البلد أن تزيّن الدكاكين والحوانيت.



ذكر ما اتفق في سنة سبع مئة

وفي السنة المذكورة: تسلَّم نوّاب السُّلطان الحصون التي كانت تحت يد الشَّريف إدريس، وأمر أن يجري على عادة أبيه مع رفع الطبلخاناة له، فَرَفع له عشرة أحمال، وأصحبها ثمانية وعشرين ألف درهم، وتُحفاً سنية وملابس، ومماليك، وخيولاً، وبغالاً، وركب معه الأمراء والأجناد إلى الخدمة الشريفة تحت خوافق الأعلام السُّلطانية، فلمَّا وصل إلى الأبواب الشريفة، فعل ما يفعله المقطعون من تقبيل عقب العلم المنصور، وانثنى إلى داره، وحوله الأمراء والأجناد، ودخلوا على سماط جليل الشَّأن، جمع مختلفات الطعام والألوان، فيه ما تمتد إليه اليد واليدان[4] أمر بعمله السلطان، وقبض المنشور المكتوب له بإقطاع القحمة، والأمير المذكور من علماء الناس وفضلائهم، وبلغائهم، له في الشعر باع مديد في الطويل منه والمديد[5]، مع شجاعة بارعة، وهمّة لأنواع الشهامة جامعة، ونظم قصيدة

---

(١) أشيح: حصن شهير في بني سويد من بلاد آنس ويعرف الآن بحصن ظفار.
(٢) عزلة من أعمال يريم جنوب المدينة.
(٣) عزلة واسعة في بلاد يريم تشمل عدة قرى.
(٤) أي: يتناول باليدين لثقله.
(٥) الطويل والمديد من بحور الشعر.

بديعة البيان، سارت لفصاحتها الرُّكبان، ناطقة بمناقب السُّلطان، وهي[1]:

عوجا عَلى الربع من سلمى بذي قار ... واستوقفا العيس لي في ساحة الدار
وسائلاها عسى تنبئكما خبراً ... يشفي فؤادي ويقضي بعض أوطاري

والمخلص منها:

يا راكباً بلغن عني بني حسن ... وخصّ حمزة قومي عصمة الجار
إن المؤيد أسماني وقرَّبني ... واختارني وهو حقّاً خير مختار
أعطى وأمضى[2] وأسدى كل عارفة ... يقصّر الشكر عنها كلّ إقصار
واختصني بولاء فزت منه به ... فأصبح الزند مني أيمّاً واري
فلست أخشى لريب الدُّهر من حدث ... ولا أبالي بأهوالٍ وأخطارِ
وكيف خوفي لدهر بعدما علقت ... كفّي بملك شديد البطش جَبَّار
الأروع الأغلب الغلاب والأسد الـ ... ـليث الهصور الهزبر الضَّيغم الضاري
بمن إذا خفقت راياته خضعت ... لها الملوك وخافت حكمه الجاري
وقابلته بما يهواه باذلةً ... ما يرتضي من أقاليم وأمصار

وفي هذه السنة: تحرك الركاب الشريف إلى زبيد، ودخلها في صفر، وأقام بها إلى أيَّام في ربيع الأول، ثم خرج قاصداً للأعمال السرّددية[3]، فدخلها في ألف فارس من خيله، غير ما تبع ذلك من الحواشي والغلمان، وكان دخوله المهجم دخولاً لا يعهد نظيره، وهنأه شعراء دولته بالقدوم، فمن ذلك قصيدة امتدحه بها الشّيخ عفيف الدين بن جعفر وهي هذه[4]:

لو كان يقدر أن يكون الزائرا ... لك سردد لمشى إليك مبادرا

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٢٦، والعقود اللؤلؤية ص٣٨٠.
(٢) (العقود): «أمطي».
(٣) نسبة إلى سردد واد ينبع من الهضبة الفاصلة بين جبال الحيمة الداخلية وبلاد الطويلة ثم يلتقي مع مصبات جبل حفاش وملحان وينتهي في البحر بعد أن يسقي أجزاء من أرض الزيدية والضحى والمنيرة في تهامة.
(٤) العقود اللؤلؤية ص٣٨١.

منع الجماد جموده أن يعتري   عتبات بابك وارداً أو صادرا
[لو تفتق الأرواح في جسم الربى   لرأيت غائبها ببابك حاضرا][1]
وتميزت[2] أرضاً على الأرض التي   فيها مقامك أوجها ومحاجرا
شرَّفت مهجم سردد فتشرفت   ورفعتها فوق النجوم مفاخرا
بحراً إذا ما الريح سارت فوقه   جعلت لمسلكها البنود قناطرا
شرعت صدور الخيل في حافاته   حتى حسبت الفلك فيه مواخرا
أذكرته مغدى أبيك بمكة   وأنابة منه فأصبح ذاكرا
وكفاه فخراً أن يَمسّ قساطلا   لركابكم ومناسماً[3] وحوافرا
حظ يكون به تراب بلاده   مسكاً ويرْمعه[4] يعود جواهرا
عجبا لحلمك في الخلائق عادةً   ولحكم كفك في الخزائن جائرا
ولحد سيفك أين غاية حده   إذ ليس يبرح في الرقاب مسافرا
ناراً بقبضه راحة فيَّاضة   كالبرق يصطحب الغمام الماطرا
ولقد تعدَّى في الطلا أفعاله   ضرباً فكنَّ لها الفتوح مصادرا
ثبتت أصول الملك بين بيوتكم   فسقيتموها سؤدداً أو مآثرا
فحكت أواخركم بذاك أوائلا   وحكت أوائلكم بذاك أواخرا
أنجَبَتْ من جرثومة ملكية   حسن المظفر ثم عيسى[5] الظافرا
أعْجَزْتَ ألسنة الخلائق كلها   مدحا فكيف أكون وحدي قادرا
فبقيت يا ركن الخليفة دائما   أبداً وكان لك المهيمن ناصرا

وانثنى قافلاً ﷺ من الأعمال المهجمية إلى زبيد في آخر جمادى الأولى.

---

(١) ساقط من (العقود).
(٢) مطبوعة (العقود): «انمرغت».
(٣) جمع منسم: جف البعير أو باطن حافره.
(٤) حجارة بيضاء رخوة.
(٥) يعني بهما حسن وعيسى أبناء الملك المؤيد ممدوح الشاعر.

وفي هذه السنة: تقدَّمت[1] العساكر المنصورة إلى بلاد المعازبة لفساد ظهر منهم، فسالت العساكر المنصورة الأباطح، وسَرَ إلى أعداد دولته خيول في اليقظة وخيال في المطارح، وتتبعوا المفسدين حيث كانوا من البحر إلى الجبل، وقتل منهم جمع كثير، وأخذت لهم أموال وأنعام ومواشي، ودخل بها إلى زبيد، وأخذت منهم الرهائن الموثوق بهم، وتقدم الرِّكاب السلطاني إلى جهة النخل والبحر في أوائل رجب، وأقام بها أيَّاماً.

وفي السنة المذكورة: توجَّه الملك الظافر عيسى مقطعاً بصنعاء، وأعمالها، وتلقَّته القيائِل[2]، والقبائل، والعشائر، إلى نقيل صيد، فلزم أهل منقذه[3] خاصةً، وأخذ خيلهم لموجب فعلوه، وسار إلى رداع، ثم ذمار، ودخل صنعاء في العشر الأواخر من رمضان، وسار السلطان نحو تعز فدخلها في رابع عشر.

وفي السنة المذكورة: أخذ الأمير صارم الدين داؤد بن علي حصن الجميمة بجبال شظب، والأمير علي بن أحمد حصن العجر بشظب برضاء من فيها.

وفي آخر هذه السنة: جرى[4] بين السلطان وبين الأشراف مكاتبات ومراجعات، بسبب حوادث اتفقت من الأمير محمد بن أحمد بن موسى أحمد، وتاج الدين[5] يحيى، وتحرك الركاب العالي إلى الجَنَد، ووصلت إليه المناخات السَّعيدة من التهايم، وتقدم الأمير سيف الدين

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٢٦.

(٢) القيائل: جمع قيل (معروف).

(٣) منقذة: زلة من عنس وأعمال ذمار.

(٤) العقود اللؤلؤية ص٣٨٣.

(٥) كذا في (الأصل) وفي (العقود): «محمد بن أحمد بن يحيى».

طغريل الخازندار إلى ذمار، وكتب السُلطان إلى الأمير عماد الدين إدريس المقدم ذكره، كتاباً مضمونه: أنَّه جدَّ عزمنا إلى البلاد العليا، فإن أمكنتك العودة وإلا فاغذ السير تلقى عسكرنا بالظاهر، وفي عقب ذلك نزل القاضي الذماري بما يرضي السُلطان من رهائِن الأشراف والتَّمام على ذلك.



ذكر ما اتفق في سنة إحدى وسبع مئة

وفي السنة المذكورة سار السُلطان من الجند إلى الدملوة، فأقام بها عشرين يوماً، وسالت مواهبه ومكارمه على غلمانه بوافر كرمه ومنشرح إحسانه من الخلع والإحسان، على قدر مراتب الغلمان.

وفي السنة المذكورة: خالف الأشراف السُليمانيون، وقتلوا المقدم خطلباً، وكان مقدَّماً بالرَّاحة[1]، وأخذوا من خيله أربعين فرساً، وتقدَّم المرسوم السُلطاني إلى الأمير إدريس بالتوجه إلى الراحة، وأضاف إليه عسكراً من الحَلَقة المنصورة، وأمر الأمير شهاب الدين الخرتبرتي شاد[2] تهامة، وأمر متوَلّي[3] حرض، فسار العسكر بكماله، ودخلوا الراحة وأعدموا من بها الراحة، وأحرقت بلاد المفسدين وتتبعوا إلى قريب اللؤلؤة، فطلبوا الصلح، وأعادوا الخيل التي أخذوها من عسكر السلطان، وتسلَّم نائِب السُلطان، وهو الشريف علي بن سليمان بن علي الراحة وبلادها، وانثنى العسكر قافلاً إلى الحرم السلطاني.

وفي السنة المذكورة: أوقع الأمير سيف الدين طغريل، وهو إذ ذاك

---

(١) الراحة: بلدة خاربة شمال وادي بيش.

(٢) الشاد المشد: قائم بالتفتيش والنيابة.

(٣) في (العقود): «والأمير المتولي».

مقطع لحج بالجحافل والعجالم، وقتل منهم ما ينيف على سبعين رجلاً.

وفي السنة المذكورة: توفي الأمير نجم الدين أبو نمي[1] محمد بن أبي سعيد بن علي بن قتادة الحسني صاحب مكة حرسها الله تعالى، وكان أميراً كبيراً زعيماً ذا بحث وحَظّ في الأمر، يرغب إلى الأدب وسماعه، وله الإجازات السنيَّة للشعراء الوافدين عليه، من إطلاق الخيل الأصايد[2]، في قبالة القصائد، ولمّا وافاه أمير المحمل السَّعيد والعلم المنصور السلطاني وهو القائِد بن زاكي في السنة التي أفضت نوبة الملك إلى السّلطان، تلقاه بالإجلال والإكرام، وخفقت ذوائِب العلم المنصور بجبل التعريف[3]، وأعلن مؤذن قبة زمزم بمناقب السلطان على رؤوس الأشهاد، فسمع تلك الأوصاف من ضمَّه الحَطِيم وزمزم، وحلف للسلطان الأيمان المغلّظة وكتب على قميصه بمقتضى ما جرت به العادة، ووصل إلى الشريف ما اقتضته المواهب السلطانية، مما كان قرّره والده الخليفة من العين والغلة والكساوي والطّيب، من المسك، والعود، والعنبر، والصندل، والثياب الملونة، والخلع النفيسَة، فمبلغ العين ثمانون ألف درهم، ومبلغ الغلَّة أربع مئة مدّ بمال جسيم، ولم تزل هذه مستمرة الحكم، واستمرت إمرته على مكة ونواحيها، ما ينيف على خمسين سنة، وأولد عشرين ولداً، واختلف الأشراف والقوّاد بعد موته على أولاده، فطائِفةٌ مالت إلى رميثَةَ وحميضة على إخواتهما، فلزما وأقاما في الحبس مدةً، ثُم احْتَالا، فخرجا وركنا إلى بعض الأشراف والقوَّاد، فمعوا منهما، ولمَّا وصل الحاج المصري تلقاهم أبو الغيث فمالوا إليه[4].

---

(١) ترجمته بتوسع في العقد الثمين للفاسي ١/ ٤٥٦. وانظر: إتحاف الورى ١/ ١٣٤.
(٢) الخيول المائلة الأعناق.
(٣) يعني جبل عرفات.
(٤) العقود اللؤلؤية ص٣٨٩.

ولمَّا[١] انفصل الموسم، لزم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير حميضة ورميثة، وسار بهما إلى مِصْر مقيدين، وأمرَّ بمكة أبا الغيث ومحمد بن إدريس وحلفهما صاحب مِصْر، فأقام أبو الغيث أيَّاماً، وأخرجه من مكة محمد بن إدريس، واستبد[٢] بالأمر، وجرى بينهما حروبٌ كثرةٌ، وقُتل فيها جماعة من الأشراف، وكاتب أبو الغيث السلطان، وبذل الخدمة والنصيحة والرهيْنةَ، فقبل ذلك منه[٣].

وفي السنة المذكورة: توّجه الركاب السّلطاني إلى جهة البلاد العليا في شهر رمضان، فأقام بالجند أيَّاماً وبصنعاء أيَّاماً، وبالموسعة[٤] أيَّاماً، ثم خرج من صنعاء إلى الظاهر، وطلع من نقيل عجيب، والموجب لطلوعه ما جرى بين الأمير تاج الدين محمد بن أحمد يحيى، وبين الشيخ قاسم بن منصور الضّريوة صاحب ثلا، وتشاجرا على البلاد العليا التي بينهما، فأخرب تاج الدين علي ابن الشيخ قاسم بعض بلاده، وكان الشيخ المذكور من محالفي السلطان رحمه الله، فالتقت الأشراف حينئذٍ إلى ظفار، وهم الأمير همام الدين سليمان بن القاسم، والأمير تاج الدين من الأشراف، والقيام معه لمحاربة صاحب ثلا، فذكروا لَه أنَّه حليف السلطان رحمه الله، ولا يمكن حربه إلا بمحاربة السلطان؛ لأن السلطان لا يضيِّع حليفه، ولا ينكر أليفه، فأجمع رأيهم على محاربة السلطان، ورأوا خراب القبّة[٥]، وحصن تعز ظفار من المصلحة، وأنهم يصدرون القاضي أحمد بن محمد الذماري إلى الباب الشريف، لينظر لهم الأمور، ويتحقق رأي السلطان في هذا المعنى من حرب صاحب ثلا،

---

(١) إتحاف الورى ١/ ١٣٥ (نقلاً عن كتابنا هذا).

(٢) (الأصل): «واشتد».

(٣) في العقد الثمين ١/ ٤٦٤: «والذي يصل لصاحب مكة من صاحب اليمن نحو ربع ذلك أو أقل ومبلغ الطعام المذكور بكيل مكة ألف غرارة ومئتي غرارة مكية وذلك في عصرنا».

(٤) الموسعة: مكان في أعلا الحيل غربي ثعبات من تعز.

(٥) بلد من ريدة.

فلمَّا صدَّروا القاضي المذكور عاد كلٌّ منهم إلى بلاده.

فأمَّا الأمير موسى بن أحمد، فإنَّه لمَّا وصل صعدة قبض بعض بلاد الأمير سليمان بن القاسم وكتب إلى الشريف شرف الدين شكر بن علي يستدعيه إلى صعدة، فوصل إليه وحلَّفه للسّلطان، وقبض منه رهينته، وسيَّر منه ابنه علم الدين موسى إلى الباب الشريف، فلمَّا وصل صنعاء ترك الرهينة في حصن ذهبان عند الأمير محمد بن أحمد الحاتمي الهمداني، وتقدَّم صحبته إلى الباب الشريف، فوصلا والسلطان على الحركة إلى البلاد العليا، فقابله السلطان بالإنعام التام والجود المتوفر الأقسام، وسار تحت ركابه العالي إلى الموسعة، ومن هنالك تقدَّم إلى صوب أابيه، وأمَّا الأمير تاج الدين، فإنه تقدَّم إلى الجهات المغربية، وأوقد نار الحرب في بلاد الموقر[1]، والعارضة[2] وما بينهما من بلاد السلطان، ومال إليه بنو شاور وجماعة من قبائل العرب، وأمَّا القاضي الذَّماري، فإنَّه رجع من الباب الشريف (بخفيَّ حنين) ودخل السّلطان صنعاء في موكبه الأعظم على عادة سلطنته بكتائِب كَتَب الإله لها[3] فتحاً ونصراً، ووقف بها أيَّاماً، ثم سار إلى البون، وطلع الظَّاهر من نقيل عجيب، ولقيه الأمير نجم الدين موسى بن أحمد إلى هنالك، والأمير عبد الله بن وهاس، وطلع السُّلطان إلى القنّة من طريق جبل صبيح[4]، وتسلَّم سعده القنة، فنزل فيها بجمع عساكره، وأشرف ظفرة على ظفار، وذلك يوم العيد من الجهة التي تلي القاهرة من غربيّها، ولم يبق إلا أخذها، وعاد السّلطان إلى القنة، وأقام بها ثمانية أيَّام، وشرع في

(١) الموقر: حصن في حجة.

(٢) العارضة: قرية من جبل كوكبان تشرف على مدينة شبام.

(٣) (الأصل): «أمها».

(٤) في (العقود) ١/٢٧٦: «صبح».

عمارتها وسَمَّاها المنصورة، ولحق العسكر فيها مضرة شديدة من عدم الماء والطعام والعلف، وبلغت القربة عشرة دراهم، والزبدي الدّقيق، عشرة دراهم.

ولمَّا رأى السلطان مضَّرة العسكر أمر بضرب مخيمه بِوَزْوَر، ورتَّب في القنة الأمير نجم الدين موسى بن أحمد، ورتَّب في تعز[1]، وهو الحصن القديم الذي أخربه سليمان بن قاسم، والحسام بن مسعود بن طاهر، وأمر بعمارة الموضعين ونصب في تعز منجنيقين كان أحدهما أكبر من الآخر، وكان المنجنيق يرمي إلى ظفار وإلى المدينة، فأضرَّ بهم المنجنيق غاية الضرر، وناهيك بمنجنيق هدر نازله، وهتم ثغر تلك الأبنية، فأضرَّ بهم المنجنيق فأزله[2]، ونصب لخفض ما رفعوه من مبانيهم، وأظلَّ عليهم غماماً تمطرهم حجارةً تذهب بمغَانيهم، وعَيَّد السلطان عيد الأضحى في محطة وَزْوَر، وتخلَّف الشعراء عن الوصول لبعد المسافة وارتكاب تلك المجاهل، ولم يحضر منهم هنالك إلَّا الأديب سابق الدين يوسف العنَسِي، فقام على السماط بقصيدة وهي هذه[3]:

الملك ليس تنام منه عيون	حتى تسيل من الدّماء عيونُ
لولا أدالتك المصون من العدى	ما بات وجه الملك[4]، وهو مصونُ
ضمنت لك الملك السيوف وكلما	ضمن السيوف فإنّه مضمونُ
وافيته بكتائب أعلامها	النَّصر والتأييد والتمكين
من كل أرعن مكفهر أصبحت	منه سهول الأرض وهي حزون

(١) سبق وهو تعز ظفار.
(٢) كذا في (الأصل).
(٣) انظرها في العقود اللؤلؤية ص٣٨٧.
(٤) (العقود): «الدهر».

لو شئت تورد بعضه جيحون ما أرواه جيحون ولا سيحون
كم ليل نقع قد دجى من رَكْضِهِ فَجَلاه سَرْد دروعه الموضون
ضاقت لكثرته البسيطة كلُّها فمقامها في الشرق أين يكون
فدع الحصون بلاقعاً من أهلها فلقد أضلّتهم عليك حصون
ملَّو السكون بها وظنّي أنه قد ملَّهم أيضاً كذاك سكون
فاطحنهم طحن الرحى بكتائب هي للطغاة جميعهم طاحون
والأرض أرضك[1] كلها من تُبَع فأعقل حديثي فالحديث شجون
غمدان قصركم القديم وقصركم درواح[2] كان وقصركم بينون[3]
أظهرت بالجيش العرمرم كلَّما أخفت ظهور منهم وبطون
خرَّب ظفار ولا تدع كحلان تا ج الدين فهو لملكهم قانون
فاقبض ظفار ولا تدعه معجَّلا يابن الملوك ففوقه لك دون
أنت المؤيد بالإله فلا تخف ممّن يكيدك جاهداً ويخون
هذي الخلافة سعدها بك طالع في حيث كنت ووجهها ميمون
لولاك للإسلام يا ملك الورى لتَنَكَّرَ المفروض والمسنون
وبقيت للأعياد يا ملك الورى[4] كهفاً يلوذ بظلّه المسكين

وأرسل العفيف[5] بقصيدة وهي هذه[6]:

فعلت بمهجته النوى أفعالها لَمَّا حَدَتْ تلك الحداة جِمَالها
متحمِّلاً ثقل الهوى لمّا رأى عيسَ الأحبة حمَّلت أثقالها

---

(١) (العقود): «ارثك».
(٢) (العقود): «صرواح».
(٣) بينون: حصن أثري شرقي مدينة زراجة من بلد الحدا.
(٤) ورد هذا الشطر في العقود هكذا. (وبقيت للإسلام ما سطع الضحى).
(٥) هو: الشاعر عبد الله بن جعفر السابق الذكر.
(٦) أوردها في العقود اللؤلؤية ص٣٨٨.

[ولقد سرى سقيمها في حبكم حتى ترى أبلالها[1] أبلى لها
كيف السبيل لقبّة في حجبها شمس تُزِيْنُ حجولها[2] أحجالها
نزلوا على ماء العقيق وأشرعوا دون القباب من القنا عَسَّالها
وحموا طَروق النوم جفني غيرة من أن أرى عند المنام خيالها][3]
يا منصبي البكرات[4] في طلب الغنى ما إن تراقب أينها وكلالها[5]
إن لم يُشدّ ركابها يوماً إلى سوح الهِزَبْرِفلا يشدّ رحالها
ساد الملوك ولا يكون مثاله أبد الزمان ولا يكون مثالها
ودعت بداؤد[6] الهداية حيثما عثرت فقال لهالعاً[7] وأقالها
وحوى الخلافة لم تكن إلّا له دون الأنام ولم يكن إلّا لها
ملك إذا شدّ الجياد لغارة جعل الخدود من الملوك نعالها
وتذكّروا بالمنجنيق عليهم يوم القيامة إذ رأوى أهوالها[8]
فرموا إليها بالحصون مخافةً من رميها ومن القسي أنشابها
لو لم تطعك ظفارها وتعزّها وسماء قبتها نسفت[9] جبالها
وغللت منها في الشمال يمنيها وغللت منها في اليمين شمالها
يابن المظفر يا هِزَبْرَ الدين يا داؤد منتخب الورى مفضالها
لا زلت تقسم للمرجّى رزقه من راحتيك وللعدى آجالها

(١) جمع بل وهو الشفاء.
(٢) شدة بياض المرأة.
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من العقود.
(٤) جمع بكرة بنت الناقة.
(٥) الأين والكلال: التعب والنصب.
(٦) هو: داؤد الملك المؤيد الممدوح.
(٧) دعاء له بالسلامة.
(٨) في (الأصل): «يوم القيام إذ أوحى يا هولها» وما أثبتناه في (العقود).
(٩) في (الأصل): «بسفت» والإصلاح من العقود (طبعتنا).

ثم صعد السلطان إلى تعز[1] ليشاهد العمارة، ويشاهد رَمي المنجنيق، فرمي بحجارة كثيرة، هَمَّت أن تصير أحجار ظفار كظفر الإبهام، وأن تسبب[2] من حوى شناناً لا يوذن بانتظام، وخفقت السَّناجق[3] السُّلطانية، فأشبهت البروق اللَّوامع، ودقَّت الكُوْسات الهِزَبْرية، فأصمَّت من العداء كل سامع، وعلم الأمير علم الدين سليمان بن قاسم صاحب ظفار، أنَّه إن دام هذا الأمر أدَّى إلى خراب بلده، فأعمل الحيلة والمكر، وأخرج بني أخيه وجماعةً من الأشراف إلى خارج درب ظفار عند باب حمير، ومعهم وزيره علي بن دحروج، وصاح بأعلى صوته: أن الأمير والأشراف قصدهم أن يخدموا السُّلطان، وسألوا أن يرق عليهم، فأشرف عليهم، فخدموا بأجمعهم، وصاحت الحاشية لهم، وقالوا: نحن غلمان السُّلطان، وهذه المواضع مواضعه، وأشار إليهم ابن دحروج أن معه خطاباً يفضي إلى المصلحة، وسمع السُّلطان كلامه، فتقدَّم إلى المخيَّم المنصور، فأجاب الشيخ ابن حدروج إلى ذلك، وسأل أن يرهن[4] به الفقيه شرف الدين إلى صوتهم، ونزل الشيخ المذكور، ومَثَل بالمقام الشَّريف السلطاني، وجرى الحديث والخطاب بين السلطان وبينه بحضور الوزير القاضي موفق الدين علي بن محمد اليحيوي، واستقر الأمر على أن الأمير سليمان بن قاسم، يبيع السلطان حصن تلَّمص بما مبلغه خمسون ألف دينار، ويرهن ولدي أخيه محمد وداؤد ووزيره علي بن دحروج، وأن يخرب السُّلطان تعزّ المعمور على ظفار والقنّة، فقال من حول السلطان: هذه مصلحة عظيمة، وتملَّك

(١) يعني: تعز ظفار.

(٢) كذا في (الأصل).

(٣) السنجق: العلم لفظة تركية.

(٤) كذا في (الأصل) و(المطبوع).

السلطان صعده بغير شريك، والرهائن توثقة لمن صدق، فركن السلطان إلى ذلك وقبض الرهائن بعد أن صاح لهم بالطيّب، ونزل الفقيه شرف الدين أحمد بن علي من ظفار، وتسلَّم السّلطان الرهائِن، وأطلعَ لهم المال المشروط، وأمر السلطان الفقيه شرف الدين أحمد بن علي بعسكر لقبض تلّمص، وصدَّر الشريف سليمان بن قاسم ثقةً منه، وتقدَّم الجميع إلى جهة صعدة وتوجَّه الركاب السلطاني من محطة وَرْوَرْ والرهائِن صحبته، وجاء طريقه تحت ظفار طريقاً مولدة قاصداً صنعاء، وذلك يوم الجمعة نصف ذي الحجة، فحطَّ الجيش ونهض يوم السبت فحطَّ الماجلين، وأصبح يوم الأحد سابع عشر الشهر سائراً فحطَّ في بركة اليامين تحت جبل ظين[1]، م زحف على جربان[2] اليوم الثاني فقاتل العسكر قتالاً عظيماً، وبلغ الشفاليت[3] باب الحصن، ووقع عنده الضرب والطَّعن وَنزَّل للشفاليت الكسوة[4]، فأخرب أهل الحصن المحمولة[5]، وعادوا[6] الشَّفاليت فوجدوها خراباً، وكان قد تجمَّع إليه خلق كثير من هَمْدَان، وبني سريح، وبني الزّواحي، وغيرهم فنصب السلطان الْمَنْجنيق، وأقام ثمانية أيَّام على جَرَبان، ثم توّجه الركاب السلطاني إلى صنعاء، وتولّى الحصار الأمير شمس الدين عباس بن محمد، والأمير عماد الدين إدريس، والأمير محمد بن حاتم ومحمد بن أحمد بن عمرو.

---

(١) في (الأصل): «صنين» والإصلاح من عندنا، وظين جبل في الشمال الغربي من صنعاء.

(٢) جربان بالتحريك قرية من بلاد همدان بالشمال من صنعاء بمسافة ١٨ كم.

(٣) جمع شفلوت طائفة من العسكر غير النظاميين واللفظة من العامية.

(٤) في (المطبوعة): «الكولة» و(العقود): «الكسورة» وما أثبتناه في (الأصل).

(٥) كذا في (الأصل) و(العقود) ١/٢٧٩، وفي (المطبوعة): «من البهجة المحمول».

(٦) كذا على لغة «أكلوني البراغيث» وهي رديئة.

رحل الركاب السلطاني قافلاً من ظفار في المحرَّم من السنة المذكورة إلى صنعاء.

وأمَّا ما كان من سليمان بن قاسم صاحب ظفار، فإنّه لَمَّا نظر إلى المال عنده، وهو مئتا ألف درهم، وخلعٌ نفيسة، لم ير مثلها، وقد أخربت القنَّة وتعز، وارتفعت العساكر السلطانية عنها، نَوَى الغَدْر والمكر، وزهد في الرهائن التي وثقها، فكتب إلى الذي بتلَّمص، وأشار إليه أنَّه لا يسلِّم تلمصاً بل يسلِّمه إلى الشريف أبي سلطان، فامتثل الذي في الحصن رأيه، وكتب سليمان بن قاسم إلى السلطان أنّه غلب على تلّمصَّ أبو سلطان، وأنّه قد صار في حُرْزه[1]، وانتقض الحديث الذي كان قد تقرّر، وقيل: إن ذلك بمشورة جماعة، منهم عز الدين محمد بن أحمد، وشكر بن علي القاسمي، ومحمد بن حاتم الهمداني، وجميع من يريد الغيار على الدولة الشَّريفة، فحينئذٍ أمر السلطان شكر بن علي المذكور، إلى صاحب ظفار يعرّفه أنه زعم أنّه غلب على الحصن، وأنَّه فات من يده، فإذا كان كذلك أعاد المال، وقبض الرهائِن، فأجاب بأعذار غير مقبولة، وزعم من زعم أن شكر بن علي أشار عليه أن يبادر بعمارة تعز الذي قد كان أخربه، وأقل رأيه[2] على ضياعه، وفي غرض إقامة شكر بظفار، عمر الأمير سليمان تعز وأكد بناه واعتمد مغالطة السلطان بالكتب، وأمَّا الفقيه شرف الدين أحمد بن علي الجنيد والعسكر المتقدمون لقبض تلَمص، أيسوا منه، وعادوا إلى الحرم السّلطاني، وبقي الحديث بين السلطان وبين صاحب ظفار على إعادة المال، وقبض

---

(١) في (الأصل): «حوزة».
(٢) كذا في (الأصل).

رهائنهم، فشرع في المغالطات، وطمع في المال، فهدده السُّلطان بإشهار الرهائن والنكال، وإشهار توبة[1]، فلم يلتفت إلى ذلك، ورجع منه شكر بن علي بغير تسلّم مال، ثم سار الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة إلى الباب السُّلطاني بصنعاء، قبل أصحابه الذين نظروا للصلح، فوقف أيّاماً وعاد على غير شيء، وجهَّز السلطان الأمير علي بن محمد الأبرش للمحطة على الصرارة[2]، فحاصرا وضيّق على أهلها.

وفي رجب: وقع بمخلاف صنعاء والظاهر أمطار عظيمة، والسّعر على حاله في الغلاء، وهلك الناس، وبيع الطين[3] بأرخص ثمن، وعمَّ القحط اليمن جميعه، ودخل ظفار بغير قضاء حاجة[4]، فطال المطال من الأمير سليمان بن قاسم، عن رجوع المال، ولم يحتفل بالرهائن، وتقدَّم السلطان بإشهار ولديه، وتوبه، ودغمه، ونعاه بالعيب؛ كعادة العرب في الغادرين لعدم الوفاء.

ولَمّا نظر الشيخ علي بن محمد دحروج أن الشهرة[5] لاحقةً له لا محالة، بذل للسلطان الخدمة والنصيحة، وقال: اعذروني فوالله لأفعلنّ بقضاء فعلهم، ووثّق السلطان من نفسه فاستحلفه، فعندها أبرز وجوه مضرَّتهم وروى حديث استئصال شأفتهم، وصدَّره السلطان صحبه سيف الدين طغريل بعد إقطاعه صنعاء، وذلك يوم الاثنين رابع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعمائة بالعساكر إلى عمارة المنصورة وهي القنة، وكان عند الأشراف أن العسكر لا يطلعون إليها ولا يعمروها، فطلعوها قهراً، وتسلّموا القنه، كان لله في انتصار العسكر السلطاني المنّة،

---

(١) أحد موالي الأمير سليمان بن قاسم.

(٢) قرية في جبل عيال يزيد شمالي عمران.

(٣) الطين هنا كناية عن الأرض.

(٤) كذا وفي الكنز «حين دخل ظفار الماء».

(٥) الشهرة ظهور الشيء في شناعة.

وعمرت المنصورة، واستمرت العمارة بها واستمرّت العمارة بوَرْور، ولحق الناس قحط شديد، وبلغ الزبدي في ورور أربعة دنانير وأكثر من ذلك، فخلا كثير من البلاد عن أهلها، واستمر الأمير أبو سلطان في تلّمص، وخالف الأمراء آل عز الدين، وعاد أهل صنعاء من فللة[1]، فسيَّر السلطان الأمير موسى بن أحمد إلى صعدة لصلاح أمرها، وخرج الأمير عبَّاس بعسكر إلى بلاد الأمير تاج الدين لحربه، ولزم الأشراف القاضي الذماري وأخذ ما وجد في بيته، وابن بهرام والشريف شكر محاصران لتلّمص بمن معهما من العسكر.

ولمّا كان بواقي أيَّام في رجب، تداعى الناس إلى الصلح، وذلك على ردِّ المال المسلَّم في تلَّمص، فسلَّموا منه نقداً ستة عشر ألف دينار، وحريراً، وحلياً باثني عشر ألف دينار، وبقيت ثمانية رهنوا فيها ولدَى الأمير أحمد بن قاسم، وحصر الصرارة[2] على يد الأمير ابن وهاس إلى عشرة أيَّام في شوّال، والقنة للسلطان، ومن القبائل المرقان، وبنو أسد [الصيد][3] وبنو خير[4]، ومخلاف تلَّمص، وبنو دحروج إلى جنبة السُّلطان، وما كان إليهم من مال وغيره، وأخرجوا حريمهم من ظفار وسكنوا بها في صنعاء، وتسلَّم الأمير تاج الدين الحدّة[5]، وخرَّب شريْب[6]، ورهن ولده مع رهينة الأمير همام الدين سليمان بن قاسم، وانعقد الصلح بين السلطان وبين أصحاب ظفار، وتاج الدين على أن

---

(١) فللة: هجرة من بني جماعة من صعدة.

(٢) في مطبوعة (العقود) ١/ ٢٨٢: «حصن المدارة».

(٣) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المطبوعة).

(٤) (المطبوعة): «بنو حسن».

(٥) في مطبوعة (العقود): «الحدود» و(المطبوعة): «من البهجة الجدة»، وما أوردناه في (الأصل) و(الكنز).

(٦) شريب: أحد جبلي كوكبان. صفة ١/ ١٣٤.

السلطان يحارب تلّمص، ويعمل فيها ما شاء ولا عتب[1].

ولمّا استقر ذلك تقدَّم الركاب العالي السلطاني إلى اليمن المحروس باليُمن السعيد، والنَّصر الذي ما عليه من مزيد، وذلك في الثامن عشر من شعبان المبارك، وكان طلوعه إلى تخت مملكته حصن تعز غرّة رمضان المعظّم، وفي عيد الفطر، قام العفيف بن جعفر على خوانه بقصيدة، يذكر فيها أهل ظفار والقنة والتعريض بابن دحروج، وهي هذه:

أثمار هذا القضيب الرطب أفنان ... كَـرْم وطَـلْـع وتـفّـاح ورُمَّـان

أهكذا الفضة البيضاء قد نبتت ... غصن وزهرتها في الخد عقيان

ظـبـي مـبـاسـمـه در وريـقـتـه ... خـمـر وأنـفـاسـه رَوْح ورَيْـحـان

قد صح منشور إقطاع القلوب له ... ونون حاجبه في اللحظ[2] عنوان

وأضرم الحسن في أمواه وجنته ... نـاراً لـهـا مُـهَـجِ الأكـبـاد قُـرْبَـان

عجبت إذ نبت المرجان في فمه ... وَقَبْلها لم يكن في العذب مرجان

تصوير شخصك [في عينيّ ممتنع][3] ... أن يلتقي لي فوق النوم أجفان

هذي دموعي بوجدي فيك شاهدة ... تنبيك بالشّأن ما يجري به الشأن

ما اختص ناظرك السّاجي لأنفسنا ... بـفـتـنـة كـل شـيء مـنـك فَـتَّـان

لا تمش بالصب في طُرْقِ الهوى مَرِحاً ... وأقصد كما قال في نجواه لقمان

أيستبيح جباراً[4] قتل أنفسنا ... والأرض فيها هِزَبْرِ الدّين سلطان

سيف من الله لولا حدُّه عبدت ... كـأول الـدَّهـر أصـنـام وأوثـان

مـلـك مـكـارمـه غـيـث ونَـجْـدَتـه ... غـوث وأيـامـه يُـمْـنٌ وإيـمـان

---

(١) العقود اللؤلؤية ص٣٩٤.

(٢) (العقود): «الخد».

(٣) ساقط من (الأصل) والزيادة في (العقود).

(٤) في (العقود): «جهاراً»: والجبار عند الفقهاء: ما لا قود عليه.

في حكمه[1] لشديد الناس مَدْرأة ... يرضى الإله وحدَّ السيف غَضْبَان
مستحسنات صفات الناس قد جمعت ... فيه فدعهم كأن الناس[2] إنسان
لم لا ويوسف شمس الدين منبته[3] ... ومنبت الأصل قابوس ونعمان
وتُبع الأكبر السَّامي وذو يزن ... عَمّ وبيتك صرواح وغمدان
إذ كان في فرع صَنْعاء بناؤهم ... قد استضيء سمرقند وحلوان
تلك العباهل[4] من قحطان إن عدموا ... فبالمؤيد عادوا مثلما كانوا
كأنما الشهب في ظلمائه قِنصُ ... تَخَطَّفتُهُ من الرايات عقبان
كأنْ روس رماح فوقه رفعت ... منها على الجو أحواض[5] وغدران
فيه القنا شهب والنّزك ملتهب ... والسّيف مختضب والقوس مرْنان
كأن حصن ظفار تحت لجتها ... من الهلاك ابن نوح وهي طوفان
حتى يظنوا بأن الأرض قد طويت ... وأن موضعها خيل وفرسان
يمدّها من دواهي الحرب ماثلة ... تمخّضت بحجار وهي عمدان
مطاعة كلَّما نادت برفع يد ... تبادرت نَحْوها دور وحيطان
حتى إذا طَحَنَتْهُمْ تحت كلكها ... شهبَاء منها يطيش الإنس والجان
تَشَفَّعوا بكتاب الله وارتفعت ... أمامه صحف فيهن قرآن
فَردَّ عنهم حياء من كرامتها ... زاكي الأصول كريم الخيْم يقظان
ومنَّ داوْد في الأسرى فأطلقهم ... جوداً وإن هِزَبْرِ الدّين مَنَّان
وأوثق القُنَّةَ الشماء مشرفةً ... على ظفار بها جيش وبنيان
كمثل حية ثور[6] الأرض تحرسه ... من أن تميل له بالأرض أركان

---

(١) في (العقود): «سلمه».
(٢) (العقود): «فأهل الأرض إنسان».
(٣) في (الأصل): «كمنه»، والإصلاح من (العقود).
(٤) في (العقود): «المعاهد»، والعباهل: جمع عبهل الأقيال المقرون على الملك.
(٥) في (الأصل): «الجواض» وأصلحناه من (العقود).
(٦) (العقود): «جنة نون» وفي البيت إشارة إلى قولهم: أن الأرض بين قرني ثور.

ما ضرَّ داوٌد مال ظل يَنْفقه　　داؤد بحرٌ به المرجان مَجَّان
ما ضاع من ضيّعوه من رفاقتهم　　لقد وقفت لهم في حيث ما خانوا[1]
واستحسنوا الغصب في أمواله فأبى　　[سيف][2] بكفك تحمي فيه جيران
[أوصاف شخصك تحويها دفاترهم　　بها سبقن تواريخ وأزمان][3]
أنت المليك الذي في عصره أمنت　　من عصرهن عناقيد وقنوان
وطهّر الله أرضاً أنت مالكها　　من أن يكون بها كفر وعصيان
جددت في مشترى عتقي لكم ثمناً　　وللعبيد من المعروف أثمان
سقيت غرسي بإحسان تجدده　　وفي سجَاياك للإحسان إحسان
هنيت يا ملك الدنيا [ابن مالكها][4]　　ثلاثة هنّ للأفراح صنوان
نصر وحسن[5] قدوم جاء بعدهما　　عيد بوجهك من داؤد مزدان
وفي الليالي فنون من سعادتكم　　إن الليالي لما تهواه خُزّان
فلا برحت على مَرِّ الزمان كذا　　ولا خَلَتْ منك أوقات وأحيان

وفي السَّنة المذكورة: توفِّي الملك العادل صلاح الدين أبو بكر بن الملك الأشرف، ودفن أول من رمضان في ضراس[6].

وفي السنة المذكورة: توفي الأمير نجم الدين موسى بن شمس الدين بنواحي صعدة.

وفي السنة المذكورة: أمر السلطان الملك المؤيد بإنْشاء مدرسة عالية البنيان[7] شامخة الأركان، لحفظ نظام الأديان، ورتب فيها

---

(١) (العقود): «كانوا».
(٢) ساقط من (العقود). (الطبعة الأولى).
(٣) ساقط من (العقود).
(٤) ساقط من (الأصل) والزيادة من (العقود).
(٥) (العقود): «جيش».
(٦) ضراس: قرية من ناحية السياني وأعمال ذي السفال.
(٧) هي المعروفة بالمؤيدية في مغربة تعز. العقود ١/ ٢٨٥.

مدرساً، ومعيداً، وعشرة من الطلبة يشتغلون الفقه على مذهب الإمام الشافعي المطّلبي، ورتّب فيها مقرئاً يقرىء القرآن العظيم بالسبعة الأحرف، ومعلماً يقرىء القرآن على جماعة من الأيتام، وإماماً يصلّي بها الخمس الصَّلوات، وأجرى لهم المعلوم التَّام، من الأوقاف التي وقفها من الأراضي والكروم، ومما يجري ثواب ذلك في الصحائف المكرمة، مضافاً إلى أجوره المتقدمة، وجاءت زاهية المغاني، بديعة المعاني، حسن أن يقال فيها «مباني الملوك ملوك المباني» ووقف فيها خزانة من الكتب النفيسة، مشتملة على مصنفات غريبة المعاني، من التَّفسيْر، والفقه، والحديث، واللغة، والنحو، والتصريف، وبها أمهات الكتب من كل فن غريب، وبها تفسير القرآن العظيم للإمام فخر الدين المسمَّى بمفتاح الغيوب[1]، وهو نادر للوقوع، قال مؤلف هذه السيرة: ولقد أقمت بمدينة دمشق بضع سنين على ما بها من الخزائن الموقوفة، فلم يكن بها من تفسير الإمام فخر الدين إلا نسختان، نسخة بالخانقاه السميساطية[2]، ونسخة عند قاضي القضاة نجم الدين بن صصري[3]، وبها نهاية المطلب[4] لإمام الحرمين، وما بقي من الكتب فعظيم الشَّأن نادر في بابه، والله تعالى أعلم.

---

(١) كذا والمعروف أنه المسمى بمفاتيح الغيب طبع في ثمانية مجلدات كبيرة وهو من تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرَّازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ).

(٢) من خوانق دمشق ذكرها النعيمي في الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ١٥١.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن سالم المعروف بابن صَصْري ولي القضاء سنة (٧٠٢هـ)، وعمل في دار الإنشاء توفي سنة (٧٢٣هـ). الأعلام ١/ ٢٢٢.

(٤) هو: كتاب نهاية المطلب في دراية المذهب تأليف عبد الملك بن عبد الله الجويني المعروف بإمام الحرمين المتوفى سنة (٤٧٨هـ). طبع أخيراً.

وفي السنة المذكورة في العشرين من المحرَّم: انتقل الملك الظَّافر قطب الدين عيسى بن السلطان إلى جنان الله وغفرانه وإلى ما ادخر له من فسيح جنانه، وكانت وفاته بحصن تعز. مصرع عظم عند الملك موقعه، وخطب تَرَكَ الأمم سكارى لما ظهر بين الخلائق مصرعه، وخرج به من الحصن، وأمامه الأمم من حاشية أبيه وغلمانه وفي جملتهم مولانا الملك المنصور، وأخوه الملك المظفَّر شعر[1]:

خرجوا به ولكلٍّ باك حوله ... صعقات موسى يوم دُكَّ الطور

كفل الإله له برد حياته ... لما انطوى فكأنه منشور

حتى أتوا جدثاً كأنَّ ضريحه ... في قلب كل موحّد محفور

ودفن بمدرسة أبيه السلطان الملك المؤيد التي أنشأها بمغربة تعز المتقدمة الذِّكر، وكان ملكاً ذا همة بارعة، وعزيمة لأبكار المعاني قارعة، حوى في ريعان الشَّبيبة ما ناله كهول الملوك من الحلم والأناة من حسن السلوك، رحم الله تلك الرّوح، وفتح لها أبواب الجنان، فهو آخر ما يرجوه من الفتوح، ورتب السُّلطان على قبره قُرَّاء، ورتّب لهم معلوماً جارياً[2] عليهم، ونال السلطان عليه من الأسف ما نال، وصبر صبر مثله عند تعاظم الأحزان، وأمر بذبح خيله لئلا يمتطي صهوتها غيره[3]، وتصدَّق بلحمها حالة حُمِل على الرِّقاب سريره، وما أحقه بقول القائل[4]:

---

(١) من شعر المتنبي، ديوانه ص٦٦.

(٢) وردت في (الأصل) مطموسة.

(٣) عادة ذبح الخيل عند قبر الميت عادة جاهلية عرفت عند بني رسول.

(٤) من قصيدة طويلة لابن أبي الحصين في رثاء مقلد بن نصر أولها:

ألا كل حي مقصدات مقاتله ... وآجل ما يخشى من الدهر عاجله =

يمرّ على الوادي فتثنى رماله   عليه وبالنَّادي فتبكي أرامله

وأقام العزاء عليه أيَّاماً كما تفعل الملوك في سائر مملكته، وصرف ما يجب صرفه من الصَّدقات المبرُورة والقربات المشكورة، صان الله هذه الدُّوحة الشَّريفة السُّلطانية من كلّ شائبة، وحمى الحوزة الهَزْبرية من كل نائبة، ورثاه الشُّعراء وممن رثاه العفيف بن جعفر بقصيدة وهذه هي[١]:

يحقُّ لكلّ قلب أن يذوبا   من الحزن الذي صَدَعَ القلوبا
على قطب رسوليٍّ جواد   أصيب به الورى لمّا أصيبا
وبدر شبيبة في الملك لَمَّا   تكامل حسنه ولَّى غرُوبا
لقد بسطت أناملها الليالي   فنالت ذلك الغصن الرَّطيبا
وأودت بالصَّميم النَّدب حتى   بِكُلِّ حشاشة أمست تذوبا
أعيسى ابن المؤيد أي يوم   يُرَجَّى من رحيلك أن تؤوبا
أبلدان غزوت من الأعادي   فتسأل عن قساطلك الجنوبا
يعزّ عليَّ أن يد المنايا   تعاطت ذلك الحسن العجيبا
ولو برز الحِمَامُ إليه شخصاً   لعاد ورمحه منه خضيبا
وقبل رفوع ذاك الجنب منه   تظل جياده تطأ الْجُنُوبا[٢]
قضى نحباً فَجُرْدِ الخيل أمسى   عليه صهيل شن[٣] بها نحيبا
ولا أدري دموعاً للقنا أم   بباقي طعنة دميت لعوبا
وكانت خيله تعريق[٤] تروى   وتسحب في سياسته السبيبا[٥]

= انظر: وفيات الأعيان ٥/ ٢٧٠.

(١) انفرد كتابنا بإيراد هذه القصيدة.

(٢) بالضم جمع جنب.

(٣) الغارة من الخيل.

(٤) من أسماء خيل المتوفى، لم يذكره أخوه علي بن داؤد في كتابه الأقوال الكافية ط. دار الغرب.

(٥) شعر الذنب من الفرس.

ولكن المنية عاجلته مخافة　　أن يعاجلها وثوبا
وغادره الحمام يخاف منه　　يغادره طعينا أو ضريبا
أراه الدَّهر أعجبه إلى أن　　تندم أن يكون [له][1] وهوبا
وما سمحت لنا فيه الليالي　　ومن هذا الذي يهب الحبيبا
نشق قلوبنا حزناً عليه　　أما من معشرٍ شقوا الجيوبا
إذا ما نُحْتُ من جزع عليه　　بكى إحسانه حولي مجيبا
بعيد أن تراه العين لكن　　بإحسان له حولي قريبا
وخذ من دمع عيني مستمداً　　أسقِّي دورها دمعاً صبيبا
وَعَزِّ إلى الخليفة من تعزٍّ　　هِزَبْرِ الدين أزكى الناس طيبا
تقيك النفس يا داؤد من أن　　تبيت لوقع معظمة كئيبا
بها رغّبت عنه أن أراه　　وكانت راحة لي أن أغيبا
ويأباه الفؤاد فكل يوم　　يكون حزناً فهو يؤبا
فمنَّ على الزمان بحسن صَفْح　　فقد أمسى بفعلته مريبا
كأن مصاب قطب الدين فيء　　فكل آخذ منه نصيبا
وأنت أجَلُّ حلماً أن تعزّى　　وحكمك يقطع السَّيف الحسيبا

وفي السَّنة المذكورة: توفي الأمير أبو سلطان المستولي على تلمص المقدم ذكره، وقد اتفق هو والأمير جمال الدين ابن بهرام على تسليم الحصن للسّلطان، فغلب المرتَّبون بعد موته على تمام الحديث، وباعوه على الأمير علي بن موسى بن شمس الدين، فسار نحوه بشحنة من الطعام آخر الليل، فلمَّا حطَّ الحمال الطَّعام شعرت بهم الرُّتبة، فخرج ابن بهرام إلى صعدة فتلاحقوا في الرّوية[2]، ووقع بينهم قتال شديد، تلازم فيه الأميران علي بن موسى، وابن بهرام، ويقال: أن الشحنة ما

---
(١) ساقط من (الأصل).
(٢) الروية هو المعروف الآن بوادي السر.

جهزت إلّا برأي حسن[1] والشريف شكر بن علي، وهما المقدّمان للعسكر المنصور، وبعد طلوع الطَّعام إلى تلَّمص، وصل شمس الدين المؤيد بن أحمد من بني الهادي، وكان من علماء الزيدية وفضلائها، وأقام معهم أيّاماً في محطتهم تحت حصون الأمير موسى[2]، وقد كان السلطان أرسل الأمير علي بن موسى لصلاح صعدة، وأرسل الأمير عيَّاش[3] بن محمد بن عبد الجليل، بعسكر إلى بلاد تاج الدين لمحاربته.

وفي خلال ذلك: وصل محمد بن مطهر من حصن ظليمة[4] قاصداً صعدة، فلقيه الأمير المؤيد إلى جبل بني عوير[5]، ثم سار إلى علاف[6]، نوصلهم الأشراف إلى هنالك بجمع يريدون تلمصاً، فركب العسكر السُلطاني من صعدة وعارضوهم في صحن الرّوية، وحصل بين العسكر وبين الأشراف قتال شديد، ومقدَّم العسكر السلطاني الأمير حسن بن هرام المقدَّم ذكره، والشريف شرف الدين شكر القاسمي، ومقدَّمون آخرون بعسكر كثير ورجل عديد، فلمَّا تقارَبَ النَّاس للقتال والتقت الجناحان لإثارة النقع، نزل الشريف شكر، وسأل لقاء الأمير علي بن موسى، فالتقيا وخاضا في حديث يفضي إلى الذِّمة، فلم يتم بينهم حديث، فتحرك الأشراف للحملة وانهزمت العسكر في ميمنة عسكر السلطان وميسرته، وكان أجل العسكر من بني عبيدة، وآل جحَّاف، وآل دَعَّام، ودُهْمة، وبقي العسكر في القلب ولم يمكنهم الاستقرار بعد انهزام الجيش فتموا بعدهم، وقُتِل أيبك الحجازي الأشرفي من مقدَّمي الممالك، وثلاثة فرسان وأربعة

(١) يعني حسن بن بهرام السابق ذكره.

(٢) يعني موسى بن أحمد السابق ذكره.

(٣) في (العقود): «عبَّاس».

(٤) ظليمة: ناحية من قضاء شهارة بالشمال الغربي من حجة.

(٥) من قبائل سحار في الجنوب الغربي من صعدة، وفي (الأصل): «بني غوير» بالغين المعجمة.

(٦) واد بالقرب من صعدة بمسافة ٢٠كم.

رجال، وسار الأشراف من فورهم إلى مدينة صعدة، وذلك في النِّصف الأخير من شعبان في السنة المذكورة، وخافت العرب من العساكر السلطانية، فهربوا منهم، وأقام الأشراف بالمدينة أيَّاماً لم يجدوا فيها قتالاً، إلَّا أن خيلاً للأشراف أغارت ورجلاً كثيراً خرج عليهم كمين العسكر، قتلوا من رَجَّالة الأشراف، وحمل المهدي بن عز الدين أسفل الجبل، فعثر وأخذ حصانه. ثم تكاتبوا بالصُّلح، فانعقدت بينهم الذمة إلى سلخ الحجة على إخلاء صعدة من الفئتين، ونزل الشَّريف شكر [إلى] الباب السلطاني في تمام ذلك، ومعه الأمير داؤد بن عزّ الدين، فلم ينصف، فعاد غاضباً إلى أصحابه، فعملوا على تمام الذِّمّة، وتقدَّم الأمر السُّلطاني بإرسال جيش مقدّمة الأمير شمس الدين عباس بن محمد، ومقدمين من مذحِج، فدخل صعدة في آخر ذي القعدة، وتراسلوا في الصّلح على تمام الذِّمة الأولى (ودخلت سنة أربع وسبع مئة)[1].

ففي المحرّم توجّه الأمير جمال الدين نور من حرض، مدداً لعبَّاس وابن بهرام، فأخرب الأمير شمس الدين زرع الأشراف بصعدة ومخاليفها، ودخل علاف وحريم[2] ورتَّب ثلاثين فارساً في ثَغْر صعدة، وثلاث مئة راجل، ونزل الجوف، ثم وصلا صنعاء فتوجه عباس إلى اليمن، فلمَّا خلت صعدة من العساكر، جمع آل شمس الدين عسكرهم ونزلوا بالجوف.

ومن تمام ما وقع في سنة ثلاث وسبع مئة في شهر شعبان: وصول الأمير بدر الدين بكتوت[3] الْمَرْقَني سفيراً من الديار المصرية، ليخبر بانتصار عسكر المسلمين على عسكر التتار بمرج الصفر[4] بقرية تعرف

---

(١) كذا في (الأصل)، وسيأتي ذكر هذه السنة فيما بعد.
(٢) في (العقود): «امجز».
(٣) في (العقود): «مكتوب المرقبي».
(٤) من قرى دمشق.

بشقحب[1] بينها وبين دمشق مسيرة ليلة، ومعه ثلاثة أسراء من التتار، وطبل من طبولهم، فأسلم الثلاثة على يد السُّلطان، فأمر باستخدامهم وأضافهم إلى جنده، والسلطان إذ ذاك بالدِّيار المصرية الملك الناصر محمد بن قلاون، ومدبِّراً أمر دولته الأميران سيف الدين سلّار نائب السّلطنة، والأمير ركن الدين بيبرس الْجَاشنكير الملقب بالملك المظفّر، لمَّا توجه الملك النَّاصر إلى صوب الكرك مخادعة لهما، ومع السَّفير كتاب مضمونه: أن العصابة الإسلامية انتصرت على العساكر التَّتارية، واحتفل السُّلطان برسولهم الوارد إليه، ودقَّت البشائر، وأعلن بالسُّرور، وتلقّى السَّفير أعيان الدّولة الشريفة وأمراؤها، ودخل المقام الشَّريف السُّلطاني بحصن تعز، وأدّى الرِّسالة، ورأى بالملك الرَّسولي من جلالة، وفي هذا المعنى يقول الشريف إدريس[2]:

لم تأتك الرسل من مصر وساكنها	إلَّا مؤديةً حقّاً لكم يجب
وحين لاحت قصور الحصن لاح لهم	من نور وجهك ما لا تستر الحجب
واستقبل العسكر المنصور فانصدعت	قلوبهم فهي في أجوافهم تجب
كتائب مثل ضوء الشمس قسطلها	غيم فساروا بليل والقنا شهب
حفت بهم فرأوا أسداً ضراغمة	عاداتهم في الوغى[3] إن غُولِبوا غَلَبوا
وكيف لا والأمين الروح يقدمهم	في كل روع وحيزوم[4] به يثب
وعاينوا منك وجهاً طالما سجدت	له الملوك وقامت باسمه الخطب

وأمر السلطان رحمه الله بإنزال السفير مكاناً يناسب حالته، وأفيض عليه الإنعام التام، وكتب له معنى ما جاء به، وعاد قافلاً إلى مخدومه بنزه

(١) في (الأصل): «سفحت» والإصلاح من عندنا.
(٢) هو: إدريس بن علي صاحب (كنز الأخيار) السابق ذكره.
(٣) (العقود): «الورى».
(٤) اسم فرس من خيل الملائكة.

مطرفة، منشورة ومختومة، وهذه الوقائع العظيمة والإشارات الجسيمة، وكان عِدّة القتلى من التّتار من الوقعة إلى الفرات مئة ألف وعشرين ألف قتيل، وكان العسكر المصري قبل ذلك جريحاً من كسرته ضئيلاً فيما وقع عليه من استئصال شافتة، فلو عادوا والعياذ بالله مكسوري الجناح، خائضاً في البطاح، لما عاد للعصابة الإسلامية انتصار، ولملكت المملكة الشامية التتار[1]، واتتقت هذه الوقعة ومؤلف السيرة بعدن، ووصلت قصيدة من الديار المصرية ناظمها الأديب شهاب[2] الدين البزاغي أوّلها[3]:

دنا من زروع الكفر حصد المناجل	وقامت عليهم نائحات الثواكل
وهَبَّت بهم ريح البوار فألحقت	أعالي ما قد دبّروا بالأسافل
وحامت عليهم للحمام حمائم	مغردة بين الظبا والذوابل
وَغنَّى ذباب السيف بين جموعهم	ففرق ما بين الطلا والكواهل
وصبّت عليهم للحتوف سحائب	صواعقها موصولة بالزلازل
ألا قُل لغازان اللعين لقد هوت	عليكم نجوم بختها غير آفل
تسميت محموداً[4] وذَمّك واقع	عليك بخزي لأعاديك شامل
طغيت وللطّاغي وإن طال عمره	مصارع حتف حافيات النوازل
أقول بكم إذ هبت الريح فوقه	فألقته في بحر بعيد السواحل
كأنهم كانوا فراشاً فأتبعت	أواخرها نار الوغى بالأوائل
هنياً لمن قد راح يُدعى برامح	لنصرة حرب المؤمنين ونائل
ففي رمضان كانت الوقعة التي	بلي بها جند الضحى والأصائل[5]

(١) انظر: أخبار وقعة التار مع المسلمين في معركة شقحب في البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٥.
(٢) هو: شهاب الدين أحمد بن خليل البزاغي التاجر له ديوان شعر، وكان كثير الأسفار توفي سنة (٧٢٥هـ)، وقد قارب المائة. أعيان العصر ١/ ٢١٥، والدرر الكامنة ١/ ١٣٠.
(٣) لم ترد هذه القصيدة إلا في كتابنا هذا وقد بيض الصفدي لأشعاره ولم يورد منها شيئاً في كتابه. أعيان العصر السابق الذكر.
(٤) يعني: محمود غازان قائد التار. انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٩.
(٥) كذا في (الأصل) وفيه انكسار.

مشاهد ماسلار[1] عنها بغائب ... ولا ابن موسى الفارس ابن الحلاحل
لقد منعوا أجفانهم لذّة الكرى ... وأنفسهم عن طيبات المآكل
إلى أن أعزّ الله بالنصر دينه ... ومَحصّ قوماً بعد قطع المراحِل
وما قلت فيما قلت إلّا رواية ... ولم أنقل الأخبار عن غير ناقل
لقد نُصِرَ الإسلام بعد تخاذل ... كذا مضت الأيّام بين التداول
وأضحت رياض الشام بالأمن دوحها ... مجلجلة أشجارها بالجداول[2]

هذه عيون القصيدة، فعارضه مصنف[3] هذه السيرة وهو إذ ذاك بثغر عدن المحروس وعمره ثلاث وعشرون سنة بقصيدة حصرت عيونها وهي هذه:

أحاديث هذا النصر بلّت بلالي ... لأن شفا ركن الهدى غير مائل
لقد بوّأ الدين الحنيف منازلاً ... على قمة الجوزاء أعلى المنازل
أزال غمام الغم إذ جاء مخبراً ... بعزّة هذا النصر أكرم واصل
وفضّ مناشيراً حوى طيّ نشرها ... أحاديث نشر نشرها كالحمائل
لقد رقمت أندى التواريخ وقعة ... غريبة شكل لا ترى في الأوائل
لعمري لقد وافى إلينا بتحفةٍ ... تناشدها السمّار وسط المحافل
وأخبر عن حال التتار وما جرى ... بصفّين من حرب شديد الزلازل
وكيف أتى غازان يغزو كنانة ... فحُفّت به منها بسهم النوازل
يقود جيوشاً كالغمام فلا يرى ... به بارق إلّا وميض النواصل
يرومون مصراً إذ أتوا بجموعهم ... وأين الثريّا من يد المتطاول
ووافوا يحاكون القطا في مسيرهم ... ففرقهم هزماً صراخ الأجادل
ولَمّا التقى الجمعان واستعر الوغى ... وألحقهم ليلاً لواء القساطل

---

(١) الأصل: سلان وأثبتناه من أعيان العصر ٢/ ٢٨٩ وسيأتي ذكره.
(٢) في (الأصل): «بالجلاول».
(٣) في (الأصل): «مصحف».

وأطلعت الخرصان[1] فيه كواكباً ... وأوقدت البيضاء شبه المشاعل
وغنّى حديد الهند فيهم بضربة ... وجاوبه الخَطّى شبه المراسل
فلم يستمع إلّا مطارق بيضهم ... على من [أتى من][2] طالع ثم نازل
فيا لكها من وقعة ما أتى لها ... مثال ولا يؤتى لها بمماثل
ومزّقهم أيدي سبا وهو ملحق ... أواخرهم مذ دبَّروا بالأوائل
غزاهم بخيل كالثريّا جباهها ... وفي رسغها الجوزا شبه الخلاخل
وفرسانها الأتراك من آل يافث ... إذا دار قطب الحرب شبه الشواغل
رهابين يوم السلم فأعجب لأمرهم ... شياطين يوم الحرب شبه الجحافل
لقد قسّمت أيدي المنون[3] جموعهم ... كقسمة رَبّ الفرض إرث الحلائل
فنصفهم ألقته في الأرض ميتاً ... ونصفهم [الثاني] غدا في السلاسل
فتبّاً لغازان اللعين أما دَرى ... بأن هلال الدين ليس بآفل
وويلاً لتوليه[4] وما جاء فاعلاً ... فأصبح مفعولاً بحرف العوامل
أتى ناصباً أشراكه لمكيدة ... فأوقعه المقدور وسط الحبائل
وسُعْداً لسلارِ الأمير فإنه أمير ... حَمَىْ دين الهدى بالمناصل
أتى يقدم الجرار من جيش ملكه ... حليفاً لِسيف[5] الدين قمع البواطل
وقَفجاق[6] الكرار وسط جموعهم ... بحدّ الظبا والصافنات الصواهل
ونجل مهنا الورد القضب منهم ... على ظمأ ماء الطلا والكواهل
فيا لك من قوم حموا الدين والهدى ... بجري المذاكي واستحار العوامل
لقد سرَّ مولانا الهزبر حديثهم ... وما فعلوا بالماضيات الفواضل

---

(١) الرماح اللّطيفة.

(٢) زيادة من عندنا ليستقيم الوزن.

(٣) (الأصل): «المؤمنين».

(٤) من أسماء التتار في ذلك الوقت.

(٥) يعني سيف الدين سلار نائب مصر المذكور.

(٦) أحد القواد.

به اليَمَن المحروس أصبح زاهياً　　بما شاع من مصر عديم المماثل
خليق بداؤد المليك استماعه　　غداة أتى يرويه أصدق قائل
فلا زال دين الله يحفظ دائماً　　بأملاكه من خافيات النوازل

وفي السنة المذكورة: تواترت الأخبار بوصول عسكر جَرَّار من الديار المصرية إلى مكة حرسها الله بالإيمان، فأخذ السّلطان بالحزم، وتوجَّه من تعز إلى زبيد في آخر ذي القعدة، وصدَّر جيشاً إلى البِرْك[1] لعمارته، ولَمّا قضى الحج اتصلت الأخبار بأن الأمير سيف الدين سلّار نائب السَّلطنة، حج بأمراء كثيرين وأنّه أحسن في الحرمين ما شاء الله من الإحسان، وتصدّق بصدقات عظيمة، قال مؤلف هذه السيرة: ولقد سمعت وأنا إذ ذاك بمصر أن صدقته التي صرفها على مجاوري الحرمين الشريفين، ومن به من الصَّعاليك، والفقراء، والمدنّيين ما ينيف على ست مئة ألف درهم، ومن الغلّة الجيّدة المحمولة في البحر من جهة القصير إلى جدّة عشرة آلاف إردب، وأنّه لم يترك بالحجاز في تلك السّنة من عليه دين، حتّى أن الصَّغير من الرجال والنساء إذا عثر قال: يا سلّار وقاك الله حرَّ النار، لِمَا دخل في قلوبهم من محبّته، وذلك لتصديق قوله ﷺ: «جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها»[2].

وهذا الأمير من أكبر أمراء الدولة الناصرية بلغني أن دَخْل إقطاعه وضمانه ومستأجراته، وأجرة عقاره بمصر والشّام في كل يوم مئة ألف درهم خاصاً لخزانته، خارجاً عن كلفته المختصَّة بحاشيته، فقبض عليه الملك النَّاصر[3]، لَمّا عاد قافلاً من الكرك إلى تخت مملكته منتصراً على

---

(١) ناحية بين ذهبان وحلي وهو نصف الطريق بين حلي ومكة (ياقوت).
(٢) أخرجه ابن عدي وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود ورجح البيهقي وقفه.
(٣) هو: ناصر الدّين محمد، حكمه من سنة (٦٩٣هـ) إلى سنة (٧٤١هـ). انظر: أخباره =

من ناوأه في سنة تسع وسبعين وست مئة، وأودعه مكاناً وحماه عن الْمَطْعم والمشرب[1]، وسمعت فيما سمعت في حاله: لَمّا دخل عليه وجد في فمه شَرْموزة[2] عاضّاً عليها من الجوع[3]، فسبحان من هذا تصريفه في خلقه، فكان كما قال تبارك وتعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨﴾ [المسد].

وفي هذه السنة: وصل رجل من التّجار من بلاد الخطا[4] من مدينة يقال لها: النساء[5] على طريق الصين، وركب من ساحل الزيتون[6] في مراكب الزوالي[7] وكولم[8]، التاجر المذكور يقال له: عز الدين عبد العزيز بن منصور الحلبي ورد عدن بمال يعظم شأنه، وصل صحبته من الحرير على اختلاف أنواعه ثلاث مئة بهار، البهار ثلاث مئة رطل بالبغدادي، ومن المسك المفرَّغ في أواني الرّصاص أربع مئة رطل وخمسون رطلاً، ومن الفخار الصِّيني جملة مستكثرة، ومن الأواني اليشم[9] المطعَّمة بالذهب من الصحون الكبار جملة جَيّدة، ومن الثياب المختلفة الألوان مثل ذلك، ومن المماليك والجواري جملة أخرى، ومن

= في كتاب: النجوم الزاهرة ٨/ ١١٥ ـ ٢٣١.

(١) قلت: التعذيب بالجوع من أفظع ما عرف عن المماليك في مصر بجانب جرائم أخرى أعاذنا الله من ذلك.

(٢) شرموزة أو سرموزة: ـ بالسين ـ هو خف يصنع عادة من جلد ملون. انظر: الملابس المملوكية ص١٢٩.

(٣) انظر: هذه الحادثة المؤلمة في السلوك للمقريزي ٣/ ٩٤٨.

(٤) الخطا: قبائل آسيوية موطنها الأصلي شمال الصين ثم نزحت في القرن السادس الهجري من بلادها فاستقرت غرب إقليم تركستان حيث كوّنوا دولة في كاشغر. المغول في التاريخ ص٢٩.

(٥) كذا ولم يتضح لنا اسم هذه البلدة.

(٦) بلد في الصين لها ذكر في العصر الرسولي. انظر: نور المعارف ص٣٩.

(٧) لعلها مراكب الصوليان بلد في الهند لها ذكر في نور المعارف ص٤٩٦.

(٨) بلد من مليبار أول ما يوالى بلاد الصين ذكرها ابن بطوطة في رحلته ٥/ ٩٣.

(٩) في (الأصل): «البشم» بالباء صوابه بالياء المثناة من تحت، ويقال له أيضاً: «اليشب»: حجر قريب من الزبرجد لكنه أكثر شفافية وهو أخضر وأبيض.

الفضة الماس أرطال جمَّة زعم أنها صدقة للحرمين على يديه من تجار تلك النَّاحية. تقرّر عشور ما جاء به إلى ثغر عدن المحروس، ثلاث مئة ألف درهم، ولَمّا استقرَّ بعدن، توجَّه إلى الأبواب الشريفة السلطانية المؤيدية، فتلقَّاه الكرم الهزبري بأنواع الإنعام، ودخل دار السَّلام عند السلام، وقدَّم بين يدي نجواه هدايا عيَّنها وتحفاً استحسنها، فتقدَّم المرسوم بقبولها بين مَشْدودها ومحلولها، وأفاض عليه السُّلطان خِلَعاً نفيسة، وأمطاه المراكب السنيّة، وكتب له بالعوض عَمّا قدَّمه بأضعاف ذلك، وتقدَّم المرسوم الشريف إلى نُوّاب الثغر المحروس بإجلاله واحترامه، وخَيّره بين الظَّعْن والإقامة، وإنزاله في إقامته دار المقامة، فاختار الرحلة إلى صَوْب مصر ونواحيها، ليجدّد عَهْداً بأهله هنالك، وصادف مقدمه عدن، والناس في شدّة القحط وضيق الحال، فَصَرف في تلك الأزْمة أموالاً جمّة، سمعت المحقق للحال: أنّها تنيف على مئة ألف درهم، وكان كثير التّواضع حسن البشاشة، طَلْق المحيّا، سخيّ اليد؛ لأنّه من بَرّ واتقى، وبلغني أنّه بنى مدرسة بالإسكندرية، ووقف عليها أوقافاً سنيّة، ورتَّب بها مدرسين، مدرساً للشافعية، ومدرساً للمالكية، وبلغني أنه لم يعهد في زمن من الأزمان على تعاقب وصول التُجار من البلدان، أنّه طرق الثَّغر[1] مثل هذا التاجر المعين، لكنّ سعادة هذا السلطان تسوق إلى ممالكه الشريفة ركائب الخيرات الحسان، وكم له من سعادة قرَّبت القاصي واستنزلت العصم من الصياصي[2].

وفي هذه السنة[3]: اتفق للشريف عماد الدين إدريس وقعة عظيمة

---

(١) يعني: ثغر عدن.

(٢) القلاع والحصون.

(٣) انظر: هذا الخبر لصاحب الواقعة نفسها الشريف عماد الدين إدريس في كتابه (كنز الأخيار) ص١٣٢ ذكرها في حوادث سنة (٧٠٣هـ).

بينه وبين الجحافل، أبانَ فيها عن همة علوية وشهامة حسنيّة، كان جملة من اجتمع فيها من الجحافل ثمان مئة رجل، وخمسة وثلاثون فارساً، كلها لوابس للحرب عوابس، وعسكر الشريف مئتا رجل، وأربعون فارساً، حصلت المحاربة بينهم، وحملت الجحافل على أصحاب الشَّريف حملات كثيرة، كادوا أن يفرقوا شَمْلهم، وتناطحت جباه الخيل وتطاعنت الفرسان من قُرب، والتقت الميمنة بالميسرة، واتفق أن الشريف المذكور أحاطت به الرّجالة والخيل، فوقع في رقبة حصانه أربع صوائب طعنتان وضربتان، فوقع الحصان على ركبتيه، حتى بلغت قدم الشَّريف قائماً، وركض الجماعة الذين كانوا قد تعلَّقوا به، وحمل الشَّريف حملات مختلفة، ووقعت في ركبته طعنة، وكانت الواقعة وقعة عظيمة سالت فيها مئة وعشر نفوس في ساعة واحدة، وسلم الشَّريف من هذا الأمر الخطير، وكرَّ على بقايا الجحافل، واستأصل منهم جماعة تخلَّفوا، وأراد أن ينقذ ابن عمّه حالت إحاطة الجحافل به، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وللشَّريف المذكور قصيدة طويلة من جملتها[1]:

ولو لم تخنّي[2] عند صنوي كبْوة ... من الأحمر[3] الخطّ ما فات مطلب

ولكن خرصان الرماح تشاجرت ... هنالك حتى كاد يؤدى ويعطب

ولو كان فيمن أدركته رماحنا ... صريع لنا ثار يُعدّ ويُحسب

فقد صرعت حوليه سبعين أغلبا ... تهاداهم[4] في القفر ذئب وثعلب

ولولا سعادة مخدومه السلطان، لأمسى شلو الطّعان، تنوشه عوامل الخرصان، لكن فسح الله في أجله، ومَدَّ له في سبب أمله.

---

(١) كنز الأخيار ص١٣٣.

(٢) (الكنز) و(المطبوعة): (يجي) خطأ.

(٣) الأحمر في اللغة من لا سلاح له، والأحمر أيضاً الموت.

(٤) (الكنز) و(المطبوعة): «نهارابهم» خطأ.



ذكر ما اتفق في سنة أربع وسبع مئة(١)

وفي المحرَّم منها: توجّه الأمير جمال الدين نور بن حسن من الأعمال الرحبانية(٢) مدداً للأمير شمس الدين عباس بن محمد، وجمال الدين حسن بن بهرام، لَمّا كانا على صعدة، فأخرب الأمير شمس الدين عباس، زرع الأشراف بصعدة ومخاليفها، ودخل علاف ومجز، ورتّب ثلاثين فارساً في تعز، وثلاث مئة رجل، ونزل الجوف، ثم وصل صنعاء، وتوجّه [إلى] الأبواب الشريفة، ولَمّا خلت صَعْدة من العساكر السلطانية، جمع آل شمس الدين عساكرهم، ونزلوا الجوف وأقاموا بسوق آل دِعام(٣) ثلاثة أيّام، تجمّعت المخالف(٤) السلطانية في الزاهر(٥)، فكانت لهم معمولة في نعمة(٦).

وفي السنة المذكورة في صفر: تقدّم الأمر الشريف بزبيد بالقبض على الأمير ابن أسد الدين محمد بن أحمد بن عز الدين، وولده، والشريف شكر بن علي، وأن يلزم أولاده حيث كانوا، وذلك لما وقع في الخاطر الشريف السلطاني من السّعي عليهم بأنّهم ارتكبوا محذوراً في أمر صعدة وتلّمص وغير ذلك، مما أوجب الأدب السلطاني.

وفي السنة المذكورة: رسم السلطان بتجهيز الأمير أسد الدين محمد بن بُوز، سفيراً إلى الدّيار المصرية، فبلغه العلم أن الأمراء ربّما

---

(١) كذا في (الأصل) تكرر ذكرها.

(٢) رحبان: واد عظيم في الجنوب من صعدة بمسافة ٣كم.

(٣) سوق آل دعام: من الجوف. (معجم المقحفي ص٦١١).

(٤) جمع مخلاف (معروف).

(٥) الزاهر: قرية من بلاد الجوف جنوبي المطمة. (معجم المقحفي ص٢٨٥).

(٦) كذا في (الأصل) وفي الكنز ص١٣٤، و(العقود): ٤١٦ «عمولة في نعمان».

عبثوا بسلطانهم، فتوقف من إرساله، وأَمَرَ لَهُ بثلاثة أحمال[١]، وثلاثة أعلام، وأعاده إلى إقطاعه بأبين.

وفي السنة المذكورة: ارتفع الغلاء، ورخصت الأسعار في جميع اليمن، وزالت الشدّة.

وفي السنة المذكورة: قَدِم موسى بن أبي بكر[٢] من عمارة البرك، وكان الشَّريف طاهر بن أبي نميّ وصله[٣] إلى البرك من مكّة شرّفَها الله تعالى، قاصداً الباب الشريف السلطاني فسارا معاً، فلما بلغا قريباً من اللؤلؤة[٤] لقيتهم جهينة[٥]، فانهزم العسكر، وتُعقّب طاهر بن أبي نميّ فقتل، وأخذت أثقالهم وبعض دَوابهم.

وفي نصف رجب من السنة المذكورة: عاد السلطان إلى تخت مملكته فأقام بثعبات[٦]، وحصل عليه بعد طلوعه من زبيد بعض توعّك، فأرجف الناس لذلك وامتلأ اليمن خوفاً، فَمَنَّ الله بشفائه، وإزالة دائه، وصان ذاته الشريفة من الآلام، وأبقاه عصمة لآل سام وحام، وكان ذلك في النصف الأخير من شعبان، فأقام بثعبات إلى رمضان المعظَّم، وطَلَع إلى حصن تعز في موكب العزّ، وسُرَّ المسلمون برؤيته سروراً جدّد الأفراح، وأزال الأتراح.

وفي السنة المذكورة: توجَّه الأمير أسد الدين بن بُوز[٧] سفيراً إلى

---

(١) يعني: ثلاثة أحمال طبلخانة. العقود اللؤلؤية ص٤١٧.

(٢) في (العقود) ٢٩٨/١: «موسى بن أبي بكر بن علاء الدين».

(٣) كذا في (الأصل) و(العقود): «قد وصله».

(٤) قرية مندرسة، قال العقيلي: موقعها الآن جنوبي بلدة درب بني شعيب من المخلاف السليماني. انظر: المعجم الجغرافي ٢٠١/١.

(٥) قبيلة هناك، قال القلقشندي في نهاية الأرب ص٢٢١: «حي من قضاعة من القحطانية».

(٦) في مطبوعة (العقود): «شعبان»، خطأ.

(٧) يرد تارة هذا الاسم في بعض المصادر: بابن بوز بالباء الموحدة من تحت والزاي =

الديار المصرية، والسُّلطان بها الملك الناصر محمد بن قلاون، ومدبِّراً دولته الأميران سلّار، وبيبرس الجاشنكير، بأنواع [التحف][1] السنية من الفضّيات على اختلاف أنواعها، من الطشوت، والأباريق، والصلاحيات[2]، والمجامر، والأكر[3]، والقرنانات[4]، وسواري[5] العود، والطيب، والقطع الكبار العنبر ونوافح المسك، وما عظم شأنه من فخار الصيني واليشم[6] من الصحون، والزبادي[7]، والسكارج[8] ممّا لم يمكن شرحه من الحسن، ومن الخدم الْحَبَش، والقنا[9] الهندي، والمراقد الحبشية[10] ومن المراتب المذهبة القشيبة، ومن الشّاشات الرفاع، والبيلقانيات[11]، ومن الثياب الصينية المذهبة، ما عظم شأنها،

= المعجمة، وتارة ابن نور بالنون والراء المهملة.

(١) مطموسة من الأصل.

(٢) مفرد صلاحية: صحن كبير واسع الأعلى ضيق الأسفل.

(٣) ذكرها صاحب نور المعارف ص٩٨ ضمن الآنية وقال: أكرخشب الرقاصات، وقال في الهامش: أكر خشبيه مكورة تعمل كقاعدة خشبية لنوع من الزجاجات المتأرجحة الخاصة بالشراب تسمى رقاصات.

(٤) جمع قرنان: ذكره صاحب نور المعارف ص٢٠٥ في الأسلحة وهو نوع من الأقواس الثمينة.

(٥) جمع سارية: الأسطوانة.

(٦) في (الأصل): «البشم» بالباء الموحدة، صوابه بالياء المثناة (سبق شرحه).

(٧) جمع زبدية: صحفة.

(٨) جمع سكرجة: صحفة وهي من الفارسية.

(٩) القنا: جمع قناة الرمح. وانظر: الكلام على القنا الهندي وما يتعلق بضريبته في العصر الرسولي في نور المعارف ص٤٩٨.

(١٠) المراقد الحبشية هي الأنطاع تصنع في الحبشة وتباع في الهند، وذكر أثمانها في ذلك الوقت صاحب نور المعارف: بأنها تبلغ من عشرة دراهم إلى ثلاثين. انظر نور المعارف ص٣٦٣ ـ ٣٦٦.

(١١) نوع من الثياب الفاخرة ينسب إلى بيلقان ببلد أرمينية الكبرى. انظر: صادرات هذا البلد في العصر الرسولي في نور المعارف ص٥١٨.

ومن الأواني، والأطباق، والصَّناديق، مملوءة بالمسك المفروغ والشاه صيني، والكافور التَّارة[1] جملة أخرى، ومما يتعلَّق بحوائج الحوائج خاناه[2]؛ كالفلفل والقرنفل والزنجبيل والللك[3] والبقم[4] أبهرة كثيرة، ومن الوحش؛ كالفيل، وحمار الوحش العتابي، والزرافة كلّها مكسوّة بالثّياب الأطلس المطعمة بالذّهب، ومن الخيل المسوَّمة العربية الأصل اللائقة بحال المرسل إليه، نقل جميع ذلك مركبان عظيمان، ومثل هذه الهدية لا تتأخر بين كل عامين وثلاثة، طلباً للمودة والمحبة واستمرار على ما يُعهد من الصحبة[5]، ولو فصلت هذه الهدية عيانها، لآذنت بعلوّ همة سلطانها؛ لأن بها الغريب مما ذكر، والعجيب مِمّا سطر، لكن ساقها مصنّفها مساق الإجمال، ليعلم ما لهذا السلطان من نوال.

وفي السنة المذكورة توفيت الجهة المصونة زوج السّلطان ابنة الأمير أسد الدين[6] ابن جدّه[7]، وكانت عنده عزيزة مكينة عظيمة الشأن؛ لأنها كبيرة البيت كثيرة المروءة، حسنة الشفاعة، لها الصّدقات الجمّة، فعزّ عليه فقدها، وأمر بالقراءة عليها في جوامع سائر مملكته،

---

(١) الكافور التارة نسبة إلى بلد بالهند من كجرات. انظر: أثمانه وأنواعه في ذلك الوقت. نور المعارف ص٤٤٩.

(٢) الحوائج خانة: هو ما يتعلق بالمطبخ السلطاني كالتوابل والزيوت والحبوب. انظر: مصطلحات القلقشندي ص١١١.

(٣) الك: قال في المعتمد ص٤٦١: هو صمغ حشيشة تشبه المر.

(٤) في (الأصل): بالياء المثناة من تحت. قال في المعتمد ص٣١: البقم هو خشب شجر عظام تنبت بأرض الهند، والزنج وورقه مثل ورق اللوز الأخضر وساقه وأفنانه حمر ويصبغ بطبيخ خشبه.

(٥) ولذا يقول صاحب مسالك الأبصار ص٥٠: «وصاحب اليمن يهادي صاحب مصر ويداريه لمكان إمكان التسلط عليه من البحر والبر الحجازي».

(٦) انظر: معجم النساء اليمنيات ص٣٧.

(٧) يعني جده علي بن محمد الملقب برسول بن هارون الذي يجتمع أسد الدين محمد بن حسن بن علي بن رسول المذكور مع الملك المؤيد في علي.

وخرج بها إلى ضريحها من راس حصن تعز تحت البشخاناة[1] الحرير وأمامها ملوك بني الرسول، وجعل ضريحها في مدرسته السابقة الذكر، وكان دفنها يوماً مشهوداً، وما أحقّها بقول أبي الطيب:

ولو أن النساء كمن عَلمنا لفضّلت النساء على الرجال

وما التأنيث في اسم الشمس نقص ولا التذكير فخر للهلال

وفي السنة المذكورة: توجَّه الأمير سيف الدين طغريل الخازندار من صنعاء متبرئاً عنها، لمعارضة حصلت [بينه و] بين الطّواشي ياقوت، متولي الأملاك السّلطانية، فأبراه السلطان منها، وأقطعها ولده الملك المظفّر.

وفي الحجة من السنة المذكورة: كانت الوقفة يوم الجمعة، وحجَّ من مصر خلق كثير، وفي جملتهم الأمير ركن الدين بيبرس[2] الجاشنكير[3] في أمراء كثيرين، ووصل معهم الشريفان رميثة، وحميضة، ولدا أبي نمي المقدَّم الذكر في القبض عليهما، فلَمّا انقضى الحج، أحضر الأمير ركن الدين أبا الغيث وعطيفه، وأعلمهما بذلك، وأن ملك مصر قد أعادهما إلى ولايتهما، فلم يقابلا بالسّمع والطاعة، وحصلت بينهما منافرة، وكان بمكة والمدينة غلاء عظيم بلغ المدّ عندهم الحنطة الجيّدة عشرين درهماً والذرة ستة عشر درهماً، واستمر حميضة ورميثة في الأمر، يظهران حسن السيرة وجميل السياسية، وأبطلا شيئاً من المكوس[4].

---

(١) البشخانة: السرير والكلة واللفظة فارسية «دوزي: تكملة المعاجم ١/٣٤٨».

(٢) هو بيبرس المظفر الركني الجاشنكير. الدرر الكامنة ١/٥٠٩.

(٣) الجاشنكير: وظيفة من يتحدث على السماط ويتذوق الشراب قبل السلطان. التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٨١.

(٤) انظر: هذا الخبر في إتحاف الورى ٣/ ١٤٠.

وفي السنة المذكورة والتي قبلها: كان يمضي للسُّلطان أوقات نفيسة ومهرجانات عظيمة، وكان يصنع بثعبات دعوة الورد، فيجتمع إليها أعيان الأمراء والمنعمين، ويمدّ لهم الأطعمة النفيسة، ويسار بهم إلى المُستنزهات الأنيقة، ويخلع عليهم الخلع البهيّة بما يناسب كل شخص، ويحضر معهم بنفسه النفيسة، وفي جملة النّدمان الشيخ عفيف الدين بن جعفر شاعر دولته الشريفة المقدّم الذكر، واتفق في بعض المهرجانات أنشد بنو خونعة[1] رواة الممادح السلطانية قصيدة لابن النبيه أولّها[2]:

دع النوح خلف حدوج الرَّكائب وسلّ فؤادك عن كل ذاهب

فما العيش إلّا إذا ما نظمت بثغر الحباب ثنايا الحبائب

ببيض السوالف حمر المراشف صفر الترائب سود الذوائب

إلى أن انتهوا إلى قوله:

كأن الحباب على رأسها جواهر قد كلّلت في عصائب

فقال السلطان للأديب ابن جعفر: أتعرف يا عبد الله تكليل الجواهر في العصائب؟ فقال ابن جعفر مجيباً له: لا أعرف العصائب، ولا تكليل الجواهر لأنّي من البادية، فأمر السلطان بإحضار طبق من الذَّهب الأحمر مرصّع بالجواهر، وفي وسطه كلابند[3] مرصّع بالجواهر النفيسة من الياقوت الأحمر، البهرمان، ومن الزمرّد الزباني والريحاني[4]، ومن اللؤلؤ الكبار المنقى، ما يساوي مملكة، فبهت الحاضرون لذلك وعجبوا منه فقال ابن جعفر بديهاً:

---

(١) تقرأ هكذا أو خويعة، ولعلهم كانوا نُشّاد الحضرة المؤيدية أو أنهم مغنّون.

(٢) ديوان ابن النبيه ص١٨٧ ط. الأسعد.

(٣) هذه اللفظة ذكرها صاحب نور المعارف ص١٥٣ ضمن حديثه عن الحلي والصياغات من الذهب والفضة.

(٤) انظر: الكلام على الزمرد الريحاني في الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني ص١٦١.

أرى المليك كلابنداً جواهره فرائد حار عن تكييفها البصر
فاستحسنوا درراً فيها فقلت لهم من ذلك البحر تأتي هذه الدّرر

وله وقد أمر السلطان أن تطرح دراهم كثيرة في قعر البركة، وينزل الخدم والحاضرون على جهة الدعابة للغوص على الدَّراهم، فقال[1]:

إن بركة قد طما موجها وفي قعرها وَرِقٌ منتشر
فيا ملك الأرض هذي السما وهذي النجوم وأنت القمر

أراد بالسّماء خضرة الماء وصفاه، وأراد بالنّجوم الدراهم التي في قعر البركة، وأراد بالقمر السلطان، وله وقد أمر السّلطان الحرفاء[2] أن يعبثوا بعناقيد الكرم، فقطع عنقوداً كبيراً وحمله بيده، فلما صار بالقرب من البساط الشريف أنشد[3]:

جاء ابن جعفر حاملاً بيمينه عنقود كرم وهو من نعماكا
هذا الدليل بأن نصرك عاجل يأتي إليك برأس من عاداكا

وله في الحاج أحمد المطرب المعروف بالخروف[4]، وقد حضر المقام الشَّريف السلطاني[5]:

إن أيامكم ليُمن وأمن وأمانٌ في كل بدو وحضر
هيبة منك صالحت بين سرحا[6] ن وسنجل وبين صقر وكدري[7]
ومن المعجزات أن خروفاً يرفع الصوت وهو عند الهِزَبْري

---

(١) أوردهما الصفدي في الوافي بالوفيات ١٧/ ١١١.
(٢) جمع حريف وهو الماهر في صنعته.
(٣) أوردهما الصفدي في الوافي ١٧/ ١١١، وأعيان العصر ٢/ ٦٧٢.
(٤) ذكره الصفدي في الوافي ١٧/ ١١١، وابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة ٢/ ٢٥٤. وقال: قدم من الشام سنة (٧٣٠هـ).
(٥) انظرها في أعيان العصر للصفدي ٢/ ٦٧٣.
(٦) ذئب.
(٧) طائر ضعيف.

وله في الشجر الذي يصنعه الشيخ عز الدين يوسف الموصلي الشجري من الحرير، ويَزرّه في هيئة الأزهار من الورد، والياسمين، والجلْنار، والشقائق وغير ذلك، وهو بديع في بابه، وينظم هذه الأزهار الحريرية على عمود من نحاس مجوَّف ويكسو العمود حريراً أخضر، ويوضع قعر العمود أنابيب، فترى الماء يخرج من بين خلال تلك الأزهار، شعر:

وما الشجرات الخضر من عادة لها | بأن معين الماء منهنّ ينزل
ولكن من بسط[1] المؤيد أدنيت | فعلّمها من جوده كيف تفعل

وله قصيدة حسنة يذكر فيها حصول العنب ببركة صهلة[2] وهي طويلة، وأمر السلطان أن تطرح في البركة دراهم، وهذه البركة يَنصَبّ الماء من العين التي تخرج من وسط الحجر، وفيه من الصفاء الشديد، حتى إنّ البركة هذه عمقها مقدار قامة الإنسان ويمدّ يَدَه حتى إذا صار فيها المثقال أو الدّراهم أو الورقة المكتوبة، ووقف على جانبها شخص، قرأ الذي يقرأ جميع المكتوب لشدّة صفاء الماء، وتغزّل شاعر الدولة العفيف بن جعفر فيها فقال:

أيا شمس القيان لعلّ نرقى | إليك فما سليم هواك يرقى
حكاك البدر لَمّا حل وجهاً | وكان سوار زندك حين دقّا
وما تشفي المياه غليل قلبي | فهل قلبي بماء لقاك يُسْقى
قسوت وقد ملكت القلب منّي | فرقّي للذي قد صار رِقّا
أيا ليل الوصال عسى مردٌ | بِزَوْرةِ من برزت فعق عقا[3]

---

(١) في (الأصل): «بطء»، والإصلاح من عندنا.

(٢) بستان صهلة أحد متنزهات ملوك بني رسول يقع في جبل صبر أعلى من قلعة القاهرة بتعز. نور المعارف ص٥٦٠. هامش.

(٣) في (الأصل): (فعقعاً).

كأن الورد في خديك نبّا ... بسيف لحاظك الساجي برقا

ويا صبح الرضا باليُمن قابل ... جبيناً من هِزَبْرِ الدين طَلْقَا

تجد خير الملوك أباً وجداً ... ومجداً ثم فرعاً ثم عرقا[1]

ومن دانت له الأقطار عرباً ... وعجماً ثم غرباً ثم شرقا

يدين لبأسه في كل أرض ... وينظر باطل الأحكام حقّا

ويملأ ذكر داؤد لهات ... فما منها اللسان يطيق نُطْقَا

سعدنا بالمؤيد إذ نراه ... ومن نظر المؤيد ليس يشقى

فأقصر في الورى وأطل فأمّا ... كداؤد بن يوسف ليس تلقى

أقول لمريه بالأمس رامت ... لجمع كان بين يديه فرقا

دعينا كي نشاهده فقالت ... أخذتم حَقّكم وأريد حقّا

فقلت لها احذري من أن تضلّي ... لسحب من بنان يديه غرقا

فقد أشبَهْتَهُ كرماً ووفراً ... كتائب خيله رغداً وبَرْقا

فقبّلت البساط برش قطر ... وجادت حوله غدقاً وَوَدْقَا

وَحَنَّتْ بركة فاضت فكانت ... من الأمواج تحت الأفق أنقى

بها الإقبال ينظر كيف يسقي ... ولكن ليس ينظر كيف يُسقى

وغاص الغائصون بها فأبدوا ... دنانيراً على البطحاء تلقى

كذا كل البحار تفيض ماءً ... وبحرك يا مليك يفيض وِرْقَا

وشاذروانه[2] فيه صفوف ... تزاحم في السجود إليك سبقا

رأينا حدّ سيفك والعطايا ... بكفك صوّرا أجَلًا ورزقا

فجود يديك طوّق كل عنق ... وسيفك لم يدع لعداك عُنْقَا

فَدُم تبقى مدى الدنيا جميعاً ... وينصرم الزمان وأنت تبقى

وله في وصف المتنزهات السّلطانية قصائد مطوّلة موجودة في

---

(١) كذا في (الأصل).

(٢) عند أهل اليمن: النافورة.

ديوانه، كان مولانا أمر بجمع شعره فجاء أربعة أجزاء ورُتّب مقفى[1] الآن، وهو في الخزانة العالية[2].

وفي السنة المذكورة: ورد كاتب هذه السيرة من ثغر عدن المحروس إلى الأبواب العالية، يريد الانتظام في سلك الخدم، وأن يكون كاتب الإنشاء، فحصلت معارضات أوجبت عدم الاستمرار، والعمر إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة، وصنع في ذلك التاريخ رسالة سمّاها بـ(خلاصة الحكم في المفاضلة بين السيف والقلم)[3] حملها إلى المقام الشريف السلطاني، وتلاها بعد ذلك بقصيدة زائية أوّلها:

إذا حلّت أيادي البرق رمزاً	على كثر الغمام سقين حرزا
وأمطرت الغيوم خيول سيل	على وجه الثرى يخزن خزّا
أثرن نباته فكسى ربُوعاً	تعرّت عن ملابسهنّ خزّا
وباع المشتري لما توالت	محبته لكف الرّوض بزّا
وأطلعت الرّياض نجوم نورٍ	فنعرتها أيادي الشرب حزّا
ووالت عسكر الظلماء هَزما	أخافت من سبات الفجر وَخْزَا
فحينئذٍ ترى عقد الثريّا	على جِيْدِ الحمائل قد تَجَزَّا
فما هذا التأني يا نديمي	لقد خالفت إذ خالفت عجزا
وجام الشرب ينسب للثريّا	وشمس الراح نحو الكرم تُعزا
فواصلني بها لعلّ دائي	يزول إذا شربت الخمر مزّا

(١) في (الأصل): «مقفالان»، ولا معنى له.

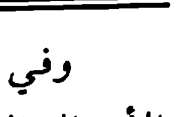
(٢) للأسف ضاع هذا الأثر النفسي من ديوان عبد الله بن جعفر، ولعل الأيام تمن علينا بوجوده كما منّت بديوان ابن حمير بعد اليأس من وجوده، وذلك عندما نبّه على وجوده في إحدى مكتبات الهند الشيخ العلامة حمد الجاسر في مجلته (العرب) السنة الخامسة عشرة ص٢١.

(٣) هذه المقامة من كتب المؤلف النادرة لم نقف على نسخة منها، والذي وقفنا عليه من مقاماته رسالة في المفاخرة بين القنديل والشمعدان، نشرناها ضمن مقامات الأدب اليمني، فلتنظر.

على نهر المجرّة والدراري عيون لها يبدين غَمْزَا
فَجَرِّد جيش لَهْوِك يا خليلي لغزو غنيمة من قبل تُغْزَا
إذا نَبَهَتْ ليالي الدهر غنماً ورُمت بأن يعود إليك عزّا
أيحسن بالزَّمان بأن أراه لعقلي بالحوادثِ مستفزّا
إذا ما الدَّهر طوَّقني بذلٍّ حلّلت فنا المؤيد مستعزّا
أخا العلياء والملك المرجّى وأعظم من حوى ملكاً وعزّا
وضرغاماً يؤزُّ بحد سيفٍ لدى الهيجاء قلب القَرْن أزّا
ويغمد سيفه في كل هام ويشهر رمحه في البحر ركزا
إذا يعد اللئام أتم عفواً وإن وعد الكرام أتم نَجْزَا
أقول لصاحبيّ وقد أجَدّا لتحريكي تعزُّ في تَعِزَّا

وهذا الَّذِي حضرني منها، وفي هذه السَّنة المذكورة كان توجهي إلى الدِّيار المصرية لَمّا منعت من الصدقات السلطانية، وأنشدت قول القائل[1]:

أيا ماء العذيب وأنت عذب تعرض دونك الماء الوخيم



ذكر ما اتفق في سنة خمس وسبع مئة



وفي المحرَّم منها: أقطع السلطان الأمير سيف الدين طغريل الأعمال الأبينيّة[2] ونَزَلها في النصف الآخر منه.

وفي آخر الشهر[3]: أقطع الأمير ابن بهرام المقدَّم الذكر، الأعمال الرحبانية، وأمر له برفع أربعة أحمال من الطبلخاناه، ومثلها أعلاماً.

(١) لابن هتيمل ديوانه ص٨٦٣ (تحقيق الدكتور عبد الولي الشميري).
(٢) نسبة إلى أبين البلد المعروف.
(٣) (كنز الأخيار) ص١٣٥.

وفي السنة المذكورة: وصل شمس الدين أطراف حرض، وافسد في نواحيها ورجعوا بالحين.

وفي السنة المذكورة: اتصلت الشوائع[1] بخلاف الأشراف الحمزيين، مثل ابن وهّاس إليهم، فجهز السلطان حينئذٍ الأمير بدر الدين محمد بن عمر ميكائيل، أستاذ داره في جيش أجشّ، وعسكر لهّام، سالت بهم الربى والآكام، إلى جهة صنعاء، وأوقف هنالك، وتم الصلح بين السلطان وبين الأشراف، وأمر بقبض رهائنهم، ورجع أهل مدينة صعدة إلى صعدة وسكنوها.

وفي أواخر شَعْبَان من السنة المذكورة: تبرأ[2] الملك المظفَّر من صنعاء، وتوجَّه إلى حرم أبيه، وأقطعها السلطان الأمير سيف الدين طغريل، فوقف في ذمار إلى شهر القعدة، وقبض في عرض[3] وقوفه حصناً من حصون عبيدة[4]، وخرج أستاذ داره لذلك. [فجمع الفضل العبيدي جمعاً، وقصد المحطة وأخذ أثقالها ثم وهن بعد ذلك وأصلح][5].

وفي الرّابع والعشرين من رمضان المعظم: أقطع[6] السلطان الأمير عماد الدين إدريس الأعمال الأبينية.

---

(١) جمع شائعة.

(٢) (كنز الأخبار) ص١٣٥.

(٣) (الكنز) (المطبوعة): «وقبض عرض رفوقه حصن».

(٤) من ناحية الحدا، وعبيدة أيضاً عزله من بلاد يريم.

(٥) زيادة من (الكنز).

(٦) (الكنز) ص١٣٥، وهو صاحب هذه الحادثة يقول محدثاً عن نفسه: «وفي رابع عشر رمضان: وصلني إلى لحج منشور أبين بعد أقطعني إياه السلطان. فصدرت ابن عمي القاسم بن الأبرش لقبض الجهة. . . إلخ».

وفي السّنة المذكورة: أعاد السلطان على الجحافل جوامكها وقد قطعوا منها لمدة خمس سنين على جهة الأدب لهم.

وفي السنة المذكورة: رجع الأمير أسد الدين بن بوز[1] من الديار المصرية ومعه سفير من هنالك، بعد أنْ عُومل بما يجب من الإكرام، واسم السفير مبارز الدين الطوري، وكان ممتَّع العين، فأقام بتعز أيّاماً، وحضر المقام السلطاني وتلقاه بالإكرام، جلالة لمن أرسله، ثم سار إلى زبيد، فأقام بها إلى أن تهيّأ للسفر إلى مخدومه.

وفي السنة المذكورة: حَجّ من مصر ونواحي المغرب، وبلاد العراق، والعجم، واليمن خلق لا يحصيهم إلّا الله تعالى، واجتمعت ثلاثة ألوية؛ لواء السُّلطان الملك المؤيد، ولواء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولواء السلطان رخدانيدا[2] محمد صاحب العراق، وقامت بِمِنى جفلة[3] عظيمة، وحَصَل الحرب بين المصريين والحجازيين، وكان مقدم الركب الأمير سيف الدين أبغية[4]، وكان كافر النَّفس، مُقْدماً على الجرائم، سفك من السرو[5] جماعة ووسطهم، وجعل نحر البدن[6] نحرهم، فنسأل الله يحمينا ويكفينا شرّ ما نخاف ونحذر، آمين.

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٣٦، و(العقود اللؤلؤية) ص٤٢٥.

(٢) كذا في (الأصل) صوابه: «خدا بنده وقيل: خربنده وهو حفيد هولاكو توفي سنة (٧١٦هـ) صبح الأعشى ٣٥٨/٤.

(٣) الجفله: القوم أسرعوا في الهزيمة.

(٤) في (العقود): «أنغة».

(٥) السرو: قوم من حمير ومذحج يسكنون نواحي البيضاء وما صاقبها.

(٦) جمع بدنة: مفرد بدن: الإبل.

وفي السنة المذكورة: ملك مولانا السلطان حصن القرانع[1]، وهو مزاحم للطويلة[2] يختلف بينهما النشاب والحجر، وحصل محاربة بين تاج الدين، وبين الأمير سيف الدين طغريل على القرانع وشريب[3]، وكان العاضد للأمير سيف الدين، شمس الدين عباس بن محمد بن عبد الجليل، وانكسر تاج الدين، وقوي العسكر السلطاني، وشحن الأمير سيف الدين الحصنين المذكورين بأنواع الشحن بعد أن عمّرها، ورجع إلى صنعاء المعمورة منصوراً بسعادة مخدومه.

وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة: ولد للسلطان ولدٌ سمّاه الملك المجاهد[4].

وفي السنة المذكورة: خالف[5] ابن أصهب[6] بأصاب، وأخذ حصن السانة[7] بها، وذلك في جمادى الأولى، وهذا الحصن قد نطح النجوم بروقيه[8] استطالة، ومن أحرز الحصون وأمنعها، وأضرّها وأنفعها، ليس له إلّا طريق واحدة، وليس إلى إحراز الغرض منه مساعدة، فقصده السلطان ببعض عساكره، وحط على الحصن المذكور

(١) حصن القرانع: حصن مطل على الطويلة كما هو مذكور.
(٢) الطويلة: مدينة بالغرب من كوكبان بمسافة ٢٥كم.
(٣) في (الأصل): «سربت»، وهذا الحصن ذكره الخزرجي ضمن حصون حاشد، وفي (الكنز) ص١٣٦: «حصن طرف الضلع».
(٤) هو: الملك المجاهد علي بن داود، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة (٧٢١هـ).
(٥) (كنز الأخبار) ص١٣٦، وتاريخ وصاب ص١٨٢ والعقود اللؤلؤية ص٤٢٨.
(٦) (كنز الأخبار) (المطبوعة): «ابن حصين».
(٧) السانة: من حصون وصاب من مخلاف نقذ.
(٨) الروق: القرن.

وحاصره، ولما حطّ على الحصن المذكور ما استطاع ابن أصهب الإقامة براس الحصن، بل ادّعى الطّاعة، ووقف على قدم الاستطاعة، ونزل على الذِّمة الشريفة، هو وأولاده وحريمه، واستعاد السلطان الحصن المذكور، ومعه حصوناً أخر، وانثنى من حصن السانة منصور اللواء مظفراً على الأعداء.

ولما استقر بزبيد، تقدّمت أوامره بأن تضرب البشائر، وتعمل الأفراح، ويقام موسم التَّهاني في سائر المملكة الشَّريفة. لا زالت أفراحه تتوالى على توالي الزمان، وهنأه شعراء دولته، فمن ذلك قصيدة العفيف ابن جعفر وهي:

جعل[1] الجبال الشُم قاعاً صفصفاً ... من وعده ووعيده ما أخلفا
متقاضياً ميراثه مستشهداً ... سُمْر العوالي والصفيح المرهفا
تغفو عيون الصابرين نفوسهم ... عن نيل ما طلبوا وكلّا ماغفا
جمع الجيوش إلى المغارِ ولو أتى ... للحرب قبل جيوشه فرداً كفا
لا يستقر الدّارعون أمامه ... حسب الرماد لعاصف أن ينسفا
دَأب المؤيد أن يسّل على العدا ... سيفاً ودَأب رقابها أن تقطفا
يرضى ملوك الأرض أيسر حقّها ... منه ويفرح من وفاها باللفا[2]
لا تقدر[3] الأيام ترفو خرقه ... أبداً ولا الأيام تُخرق ما رفا
والعاقد الغارات لم يك زاجراً ... طيراً بمسرحها ولا متعيِّفا
بخَبائس[4] للحرب بين خنائس ... تمسي وتُصبح للمراكز عكّفا
قامت عقاب المنجنيق وراءها ... فأشار مولاها بأن تتخلفا

---

(١) (العقود) ١/ ٣٠٥: «ترك».
(٢) أي بالقليل.
(٣) (العقود): «لا تقدم».
(٤) الخبائس: الأسود.

جمعت جناحيها ومدت عنقها للسّير في أثر الجيوش[١] وتزحفا
نوء يُجلجل من زبيد رغدَه الـ ساري فصار[٢] أصاب غيثاً وُكَّفا
حتى إذا ما السيف بالغ خطوه فيها وحثحثه السباق فأوجفا
وجرت[٣] سيول من دم لو أنها ماء لكان ربيعُهم والصّيفا
ورأوا من النيران حول قلاعهم عدد الكواكب في السماء ونيّفا
فتوجّسوا أن الطبول زلازل كادت بهم وبطودهم أن تخسِفا
طرحوا نفوسهم على أبوابه فعفا ومثل أبي المظفّر من عفا
هربوا إليه منه فاعتصموا به ولكم أجار الهارب المتخوّفا
مستشفعين بآل بيت محمد أهل الشفاعة للمسيء إذا هفا
فأقال عَثْرتهم وعاد بهم إلى ما أورثته بنو الرسول من الوفا
وأتت عقائِل[٤] في الحجال فجاورت منه الكريم الطاهر المتعففا
من لم يمدُّ إلى الخنا طرفاً ولم يسحب إلى طرق الفواحش مطرفا
يدعون يا سلطان عفواً بالرضا فأجابهم وأثابهم وتعطّفا
[ومهلهل الشرف استجار بأمنه ليسلّم الشرف[٥] الرفيع المشرفا][٦]
نظر البوارق من بلاد ربيعة وَقَدَتْ فخاف بلمعها أن تخطفا

وهذه عيونها، وللشريف عماد الدين[٧] أبيات:

نال ابن أصهب عفواً منكِ نال به وأيّ عفو من الذَّنْب الذي اجترحا
قد كان للبيض في أغمادها حَيَفٌ عليه لو لم يبادر سلّها افتضحا

---

(١) (العقود): «الخميس».
(٢) (العقود): «فصاب».
(٣) (العقود): «وجرب».
(٤) عقائل النساء: جمع عقيلة الكريمة المخدّرة.
(٥) الشرف من حصون وصاب (سبق).
(٦) هذا البيت ساقط من مطبوعة (العقود).
(٧) إدريس بن علي صاحب كنز الأخيار (سبق).

والخيل لو لم يطأ بالخد معتذراً   تراب بابك أوْ طَبَّ منه ما طمحا

وهذه عيونها.

وفي شوال من السّنة المذكورة[1]: نقض الجحافل الصلح، وحصل منهم إفساد عظيم لمحاربة الأمير عماد الدين لهم، وقتل من أعيانهم وجوه الجماعة.



ذكر ما اتفق في سنة سبع وسبع مئة

وفي أول هذه السنة المذكورة: جاشت[2] النجوع[3] من العربان بتهامة، فجرد السلطان إلى جهة حرض من الحلقة المنصورة ثلاثة مئة فارس، ففرقت شملهم.

وفي السنة المذكورة: هرب الشريف محمد بن أحمد بن خالد من زبيد، والسلطان يومئذٍ بها، ورهينته مستمرة بزبيد[4].

وفي السنة المذكورة: مَلَك السلطان شيعان[5]، وأخذه من الأمير تاج الدين.

وفي السنة المذكورة: توجه الأمير سيف الدين طغريل لحرب تاج الدين، وسار معه بالمنجنيق لرمي عزان وأكن، فلما سار التقى بتاج الدّين وابن أخيه علم الدين أسفل عقبه بكر، فاتفقوا على الصلح، وقربوا من الخدمة الشريفة، وحَلّفهما على ذلك وخلع عليهما، ورجع إلى

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٣٧.

(٢) (كنز الأخيار) ص١٣٦ والعقود اللؤلؤية ص٤٣٠.

(٣) النجوع: بطن من حمير.

(٤) في (العقود): «وترك رهينة أمه وأخته».

(٥) شيعان: قرية في سنحان جنوب شرق صنعاء بمسافة ١٨كم، وفي (العقود) ١/ ٣٠٧: «سبعان» بالسين والباء الموحدة.

محطته ومعه حمزة، وعند الصباح سيّر الأعلام السلطانية المنصورة، فطلعت حصن بكر، وخفقت ذوائبها بمشمخر الحصن طاعة للسلطان، وانصرف من عند الأمير بالخلع السنية، والمراكب النفيسة، وانعقد الصّلح بينه وبين السلطان خمس سنين، وتوجّه الأمير سيف الدين طغريل إلى الباب وصُحبته الأمير علم الدين حمزة بن أحمد صنو[1] تاج الدين، وهو قط ما وطأ أبواب الملوك، وصحبته وَلد أخيه تاجّ الدين عبد الله بن محمد، وجماعة من العرب.

وفي السنة المذكورة: بدأت[2] من الأمير سيف الدين سَلار، نائب السلطنة نكتة غير صالحة، وذلك أنّه خاف على زوال أمره، فاعتمل حيلةً، وذلك بأن حسن للأمير ركن الدين بيبرس الجَاشنكير أخذ البلاد اليمنية، وذلك بأن يتوجه إليها هو بنفسه وبمن معه من عسكره ومن يقول بقوله، فساعده الأمير في الظاهر دون الباطن، وشافها الملك الناصر محمد بن قلاوون بذلك، فساعدهما على مقصدهما، لعلمه بأنه إذا أزال أحدهما عما هو عليه استضعف الثاني واستبد بالأمر، فإنَّهما كانا لا يمكنانه أمراً يريده.

ولما علما منه رغبةً إلى ذلك، فَرِح سلار؛ لأنه كان يخشى تغير الحال، ولم يساعد خيفة من تضعضع حاله، واستقر الأمر على إظهار الحركة إلى اليمن، وحصلت بمصر أراجيف كثيرة، وتقدم عز الدين شاد الدواوين المعمورة إلى جهة قوص[3] لعمارة المراكب بالقصير[4]، وبلغني عن المحقق للحال: أنه بَنى مراكب تنيف على خمسين، فقدّر الله موته، وموت أولاده وعائلته، ولم يبق بداره أحد، ورجع سلّار عن ذلك

---

(١) في (العقود): «صهر»، خطأ.

(٢) العقود اللؤلؤية ص٤٣٢.

(٣) قوص: مدينة واسعة هي قصبة صعيد مصر بينها وبين قفط فرسخ. مراصد الاطلاع ص١١٣٣.

(٤) القصير: قرب عيذاب بينه وبين قوص قصبة الصعيد خمسة أيام. مراصد ص١١٠٣.

المقصد، ونظروا أنَّ تأخير هذا الأمر لا يتأتى لهم إلَّا بوجه، فأشارا بأن يحضر إلى مقام الملك الناصر القضاة، وأعيان الفقهاء، ومشائخ الخوانق، والزَّوايا، وأرباب الخير والصّلاح بالمصاحف، وأعلموا الملك الناصر، أنَّ هذا الأمر لا يحل الإقدام عليه؛ لأن اليمن بلاد الإيمان، وبها العلماء، والفقهاء، والصلحاء، وأرباب الخير، وملكها ثابت الولاية، مستمر الحكم قد انعقد الإجماع عليه، والبغي على من يكون بمثل هذه المثابة عاقبته وخيمة، فَرجع عن ذلك الأمر، وجعل ذلك حجةً على رجوعه من مقصده، ولولاه لفعلوا وصنعوا، وكان ذلك بمسعى بيبرس الجّاشنكير مخافةً على نفسه.

ولما علم السلطان ذلك، منع الكارم[1] تلك السنة حتى وصل الرسول إليه بما وصل، واستقرت الأمور على تسفير رسول ومتعمم[2]، فكان السفير والرسول رجل يُسمى السَّغْدي مملوك الملك الناصر[3]، وكان المتعمّم القاضي شمس الدين محمد بن عدلان[4] أحد القضاة بالدِّيار المصرية، ومضمون الرسالة التي توجها بها تقرير ما كان أشاع بالديار المصرية وأنه رجع عنه، وفي خلال ذلك الرغبة إلى الصّلح. هذا ما بلغني وأنا إذا ذاك بالقدس والله أعلم ما كان باطناً على ألسنتهم، ثم توجه الرسولان إلى بلاد اليمن، فحضرا بالمقام الشريف السلطاني، وهو مريض لا يستطيع الكلام، واتفق للأمير المذكور وجَع أفضى به إلى

(١) هم تجار البهار القادمون من مصر. ذكرهم صاحب نور المعارف ص٤٩٢، يقول: «لا يرخص لأحد من الكارميين أن يشتر مراكب أو يقيمها لوجهين الأول: لأنهم إذا أقاموا المراكب بطلت مراكب الديوان وبطل نولها والثاني: تخشى أن يطلع معهم ومراكبهم عساكر من دولة أخرى.

(٢) أي: لابس عمامة؛ يعني: فقيهاً.

(٣) يعني: حاكم مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون.

(٤) هو محمد بن أحمد بن عدلان توفي سنة (٧٤٩هـ). العقود اللؤلؤية ص٤٣٢.

الموت، وكانت وفاته في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وسبع مئة بزبيد، ودفن بظاهرها، وأعاد القاضي شمس الدين إلى الديار المصرية، وعلى يده جواب ما جاء فيه، ولم تزل سعادة مولانا السلطان الملك المؤيد عالية على مرّ الأزمان قاهرة بأرائها أرباب الشجاعة، فالرأي قبل شجاعة الشجعان[1].



ذكر ما اتفق في سنة ثمان وسبع مئة

وفي النصف من صفر من السنة المذكورة: كان فراغ قصر السلطان بثعبات المسمى بالمعقلي، والقصر المذكور قصر المحاسن على نواحيه، وأطلع الإجادة من أفق معاليه، تكون من رخام ومن نضار، وبُهتت عند رؤيته الأبصار، تدبجت رياض رخامه، وانفتحت أزهار كمامه، وبدت مصبّغات سقوفه، مشرقة الألوان، لابسة حُلَل العَسْجد والعِقْيان، سَمَا فليس له في شكله نظير، وعلا فلا شبيه بالخَورنق ولا السدير، أجمع أرباب اختراق الآفاق: أن لا نظير له في مِصْرهم وشامهم والعراق، وصورة بنيانه مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً، بسقفين مذهبين بغير أعمدة في مثل هذا الطول، بأربع رواشين[2] وبين يديه بركة، طولها مئة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً، على حافتها الأوز من الصّفر الأصفر، ترمي بالماء من أفواهها، وشاذروان قباله الملس بعيد المدى، ينصَب ماؤه إلى البركة، تخاله عند انصبابه كاللّوح من البلّور، لا يمكن التعبير عن حسنه، وفي المجلس المذكور طشتان من الرخام حلزونيان الشكل، ترى الماء يدور في جداولها ديران[3] عجيباً،

(١) من بيت للمتنبي تمامه: هو أوّل وهي المحل الثاني.
(٢) جمع روشان، سبق ذكره، وهي بناء خارج عن البناء كالشرفة.
(٣) يعني: دوراناً عجيباً.

وفي صدر الملك[1] شبابيك، تفتح على بستان عجيب المنظر، بديع المحبر[2]، وحسن المخبر، وكذا الروشن الذي به، حدّث عن جماله ولا حرج، جاوبت قيْناتها سواجع الطير بخفيف الرّمل[3]، وثقيل الهزج[4]. أمر السلطان عند فراغه بعمل فرحة عظيمة الشأن، لا يرسم بمثلها إلا من بَهَرة[5] عظيمة من السلطان.

حضر هذه الفرحة أعيان الناس، والأمراء، والوزراء، والفقهاء، وأعيان الدَّولة على اختلاف طبقاتهم، والعامة من أهل البلد أجرة[6] - ذلك والسُّلطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينظر إليهم من الطبقة الثانية، وأمر بإفَاضة الخلع على أعيان الناس، وأجرى من بحر كرمه لهم نوالاً، وبلَّغهم من سببه آمالاً، وبرز الناس من ذلك المقام الشّريف؛ كالرياض المدَبّجة والأزهار المتأرجة، فكم لهذا السلطان من سعادة قضت له ببلوغ الإرادة، وقام الشُّعراء بالممادح، فمن ذلك قصيدة العفيف بن جعفر وهي هذه[7]:

هُنيت قصراً على كل القصور سما	يا حبّذا برج سعد فيه بدر سما
بنيته مستَجداً تستجد به	نصراً من الله قد أجرى به القلما
ويلتقي اليمن والأمن المقيم به	والخلد والعز والأفراح والنعما
هل في الخلافة آيات تشاهدها	وفوق سقف ولا شيء به دعما

---

(١) كذا في (الأصل)، وفي (العقود): «المجلس»، وهو الأصح.

(٢) كذا في (الأصل).

(٣) الرمل من بحور الشعر: وزنه في الدائرة (فاعلاتن: ست) ومنه قول أبي الطيب: يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي:

إنما بدر بن عمار سحاب ... هطل فيه ثواب وعقاب

(٤) الهَزج: بحر من الشعر يشترك فيه العرب والعجم وزنه (مفاعيلن ست مرات).

(٥) كذا في (الأصل).

(٦) كذا في (الأصل): ولعله «ويعلم أجرة البناء في ذلك القصر» والله أعلم.

(٧) نقلها عن كتابنا هذا صاحب العقود اللؤلؤية ص٤٣٧.

وأبصر التبر مبذولاً لطالبه فنال من موجديه ما به زعما[1]
بين الحدائق والأعناب قد نشرت منها ثياب تَلُفّ الوهد والأكما
كأنما عاد غمدان كبنيته[2] وأظهر الله من أستارها إرما
كأن أربعه الجوزاء رواشنه والخركتان[3] كأن الفرقدين هما
بين الشبيهين شاذروان قبلته هما الجناحان وهو النسر بينهما
تظل منه صفوف الماء ساجدة مؤديات لسلطان الورى خدما
إلى سواقي رخام حول فسقية[4] فأعجب لجامد ماء كيف ذائب ما
وللخورنق[5] حيث المعقلي بدا كمثل ضد إذا قابلته[6] انهزما
لم يستطع لوقوف في مناظرة أمامه بل تولّى عنه محتشما
كَأَنَّهُ رب جيش قد طلعت له ففرَّ منك بروح منه مغتنما
فَحِلُّهُ في سعود في علو يد في رِفْعَةٍ من بقاء ليس منصرماً
أحييت من يوسف السامي مآثره فمذ وجدت بحمد الله ما عدما
في حَقْنِ كل دَمٍ أو كشف كل عما أو رِيّ كل ظما أو منع كل حمى

وهذه عيونها، ولكاتب هذه السيرة هذه القصيدة في المتنزهات السلطانية يذكر في جملتها المعقلي وهي هذه[7]:

دع رامة الوادي ودع سمراتها واترك بيوت الشّعر في أبياتها
والحظ منازل آل جفنة في العلا من رأس صهلتها[8] إلى ثعباتها

---

(١) (العقود) ١/ ٣١٢: «فنال من دونه ذوباً به رقماً».
(٢) (العقود): «كمبدئه».
(٣) الخركتان: مثنى خركاه بالفارسية معناها الخيمة والقبة. محيط المحيط ص٢٢٨.
(٤) الفسقية: الحوض والكلمة من اللاتينية.
(٥) الخورنق من قصور الدولة في ذلك الوقت سمي على اسم قصر الخورنق من قصور الغساسنة بالحيرة (ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٤٠١).
(٦) في (الأصل): «كان فأتينه»، والإصلاح من (العقود).
(٧) نقلها عنه صاحب العقود اللؤلؤية ص٤٣٨.
(٨) هي صهلة من تعز سبق ذكرها.

تجد القصور الشامخات على السها شرفاً تريك العز من شرفاتها
تلك الجنان أما ترى أنهارها قد أعربت بالطيب عن ثمراتها
تجلى زواهرها ويُشرق زهرها وكأنها الأقمار في هالاتها
مثل المجرة في انتظام قصورها أين المجرة من نما زهراتها
برزت بها الأغصان شبه عرائس نظمت عقود الزهر في آياتها
في كل عود من سواجع طيرها عود يريك اللَّحن من نغماتها
فخرت به ثعبات أمصار الورى بجميل منظرها وجلّ صفاتها
وسمت بقبتها[1] وحسن نباتها وتسلسل الأنهار في بحراتها
فلذابها الطاووس فَرَّقَ ريشه فشياته في العين مثل شياتها[2]
ما شعب بَوّان وغوطة جلِّق يوماً (م) بأزهى من بها غوطاتها
بنيانها من عسجد ومياهها من فضّة تجري على حافاتها
وبها مشيد المَغْقَلي فكم به من صنعة فخرت بحسن ثباتها
قَصْر يقصِّر عن لحاق كماله باهي النجوم إذا سَمَت بِسِمَاتِها
هذه المنازل لا منازل غيرها في حسنها الباهي وفي حَسَنَاتها
فلك [به الملك][3] المؤيد طالع كالشمس كاشفة دُجى ظلماتها
ملك له الأملاك خادمة على مجرى بما يختار في حركاتها
أيّامه للقاصدين مواسمٌ وبواسم عن فضلها وهِبَاتها
متعود بَذْلِ النوال لقاصد والنَّفس جارية على عاداتها
ملك له في العلم أوفىٰ غاية أربت على الأفلاك في غاياتها
[بدر الملوك أبو المظفر في العلا لما علت همّاته همّاتها][4]

---

(١) (العقود): «بعينيها».
(٢) شياتها: ألوانها.
(٣) ساقط من (الأصل) وأثبتناه من العقود اللؤلؤية.
(٤) ساقط من (العقود).

حازت مناقبَه شتات فضائل	فلذاك أضحى جامعاً لشتاتها
تلقى أعاديه كتائِب جيشه	والنّصر معقود على راياتها
لم تلف أن عاهدت ضوء جبينه	خططاً من الأيّام في نكباتها
أيّامه مخلوقة لهباته	مقصورة أبداً على لذاتها

وهذا عنوان القصيدة، وعند الفراغ من إنجاز هذا القصر المبارك، أمر ببناء قصر ثانٍ وسمّاه بالمنتخب في بستان صالة، بديع المباني مستغن بحسْنِه عن الأغاني، ليس له في شكله ثان.

وفي السنة المذكورة: توجه الركاب السلطاني، في رابع جمادى الأولى إلى جهة زبيد، ووقف بها نصف شهر وتوجّه إلى المهجم، فأقام بها إلى التاسع عشر من رجب، وسار إلى جهة حجة، يقيم على أعداء دولته بالانتصار عليهم الحجة، وذلك بمن معه من العساكر ووجوه أمرائه، ورَجَع من حجة يوم السبت تاسع عشر شعبان في السنة المذكورة بظفر ودخل المهجم.

وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال: وصل الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة إلى الأبواب الشريفة، ولم يطأها قبل ذلك، والمذكور من أعيان الشرفاء ورؤسائها، وممن له الصورة الكبيرة في قومه صاحب الحصون الغربية، ككحلان، والطويلة، وجماعة من الحصون الصّغار، فعامله السلطان بإنعامه، وأفاض عليه خلع إكرامه، وتوجه الركاب الشريف إلى صوب البحر، فركب الفيل، وأردف الأمير تاج الدين وراءه، فارتاع قلب الشريف تاج الدين لذلك، ولم يقصد السلطان بإردافه إلا ليعلمه أنه قوي الجنان، ليس من قبيل الجبان، ولا يهوله ما عظم من الحيوان، وقد حضر لي حين سمعت هذه النكتة ثلاثة أبيات وها أنا مثبتها في السيرة:

الله أولاك يا داود مكرمة	ومعجزاً ما أتاها قبل سلطان

ركبت فيلاً فظلّ الفيل ذا رهج مستبشراً وهو بالسّلطان فرحان
لك الإله أذَلَّ الوحش أجمعه هل أنت داؤد فيها أم سليمان

وعاد السلطان من صوب البحر إلى زبيد، وتوجه منها إلى قبة العز من تعز، والنزهة في قصور ثعبات، وقراضة، وصهلة، ورأى ملكاً كبيراً وجنّة وحريراً، ونظم الأمير عماد الدين[1] أبياتاً يهنىء السلطان ويذكر النزهة، ودخول أول عشر ذي الحجة وهي هذه:

تَهْنى بك العشر الكريمة والشهر وتزهو بك الأيّام والملك والدهر
وباليُمن والإقبال حلّت ركابكم بحيث استقر الملك والنهي والأمر
سمت ثعبات فوق كيوان رتبة وطالت على الآفاق وابتهج القصر
وأشرق نور المعقلي كأنما تبدّى لنا من بين أركانه الفجر
وقد كانَ ظنّ الهجر لما رحلتم ورام اصطباراً وهو ليس له صبرُ
فلما أتت منكم[2] بشائر حجة وما فعلت فيها صوارمك البتر
تسلّى عن البعد المُلِمّ وَسَرَّهُ وشاهد فيك العز والفتح والنصر
وحين بدا فيه جبينك مشرقاً ولاح ضياء منك يحسده البدر
زَهَا حينما حل ابن جفنة صدره ولا غرو[3] أن يزهو بك الدست والصدر
لعمري[4] إن آنستموا عرصاته فما رضيت بُعْداً تهامة والبحر
ولا يئست منكم أبَاطح مكة ولا زال مشتاقاً لك البيت والحِجْرُ
وفي كل أرض من سطاك مخافةٌ وفي كل قلب من مهابتكم ذعرٌ
وفوق محل الشمس قدراً ورفعةً ضربتم رواق الفخر فاتضح الفجر

---

(١) يعني: عماد الدين إدريس (سبق).
(٢) ساقط من (الأصل).
(٣) ساقط من (الأصل).
(٤) (العقود): «القد».

وَقَلَّدْتُمُ كل الأنام صنائعاً فما أحد من رِق إحسانكم حُرُّ
فلا زلت للدنيا وللدين بهجةً ليالیكم زهرٌ وأيّامكم غرُّ
تجدد في الأيام كل مسرة تدوم وتبقى ما لآخرها حصر

وفي السنة المذكورة: توجّه الملك النّاصر محمد بن قلاوون إلى صَوْب الشام، يظهر الحج إلى الحجاز الشريف من جهة فعلة[1] الكرك، وساعده على ذلك الأميران سلار، وبيبرس المقدما الذكر، وصحبته شعار السلطنة، ونظام المملكة من الحاشية المعدودة لسفر الصحبة، وفي نفسهما منه أشياء وفي نفسه منهما أشياء، وما أمكنه الإقدام عليهما لتمكنهما في الملك، ولما جازاه في الممالك، وكان الجيش بكماله طوع إرادتهما، ولم يمكنهما الإقدام عليه مخافة أن ينخرق السياج، فلما قصد الحج مخادعةً لهما، رغبا إلى ذلك لتنعقد الكلمة على أحدهما للملك من غير سفك دم، وعلما أنه إذا خرج على هذه الصُّورة لا يمكّناه من عوده إلى كرسي مملكته، وأنهما يعينان له بعد الحج فعلة[2] يأويها، فلما صار بالكرك أخرج من بها من النصارى، وأمر نائبها بالتوجه إلى الديار المصرية، وخرج بخلع نفسه، وجهز من كان صحبته من الحاشية، ولما علم الأميران بهذا الحال وقرأوا كتابه المصرح فيه بخلع نفسه[3] انعقد المشور من أرباب الآراء، على ملك يجعلونه عوض الملك المذكور، فانعقد المشور على الأمير ركن الدين بيبرس الجَاشنكير بأنه السلطان، فركب بأشعار السلطنة، وتلقب بالملك المظفر، وبسط لسانه وقلمه في المملكة، وأقام ناظراً على الممالك شخصاً، يقال له تاج الدين سعيد الدولة، فعامل الناس بالقسوة، فنفرت قلوب الأمراء منه، وسار جماعة

(١) كذا (بالأصل)، وأظنها تصحيف: «قلعة».
(٢) كذا، وهذه كالسابقة.
(٣) أورد نص هذا الكتاب صاحب تاريخ المماليك البحرية ص٩٢.

من الأمراء الكبار أصحاب الطبلخاناه مهاجرين إلى الكرك.

ولما علم الملك الناصر أن قلوب الأمراء والناس غير راضية بالجاشنكيز، كتب إلى سائر الممالك الشامية بإجابة الدعوة له، فتبادروا إليه زرافات ووحداناً، وأظهروا محبّته سِرّاً وإعلاناً، وتوجه من الكرك إلى دمشق في جملة من مماليكه، ولما صار بالقرب من دمشق تلقته الأمراء الألوف[1] بالعساكر وشعار السلطنة، وسار طالباً للديار المصرية، فلما صار بالقرب من غزة، جرّد الملك المظفر بيبرس الجاشنكير أكثر العسكر المصري، صحبة الأمراء الذين من جهته، فخامروا[2] عليه وساروا إلى الملك الناصر، وتبع العسكر الأمراء، فخاف الملك المظفر خوفاً شديداً، وخَلَع نفسه من الملك، وكتب إلى الملك الناصر كتاباً يعرفه أنه كان نائباً له، وأنّه حفظ له نظام البَيْت المنصوري، ولم يثق بالملك الناصر فَعَمد إلى الخزائن ليلاً، وأخذ منها جملةً من الذهب المسكوك، وبلغني من المحقق للحال: أنّه قسمه بين مماليكه بالأقباع[3]، وتوجه إلى صعيد مصر في ذويه، وعاد الملك الناصر إلى كرسي مملكته في يوم عيد الفطر سنة تسع وسبع مئة، واستمر له الأمر وفرّق أعاديه شَذَر مَذَر.

وفي السنة المذكورة: كان الحاج ضعيفاً من جهة مصر والشام لحصول هذه النكبة، والأميران بمكة حميضة ورميثة، وظهر منهما من التعسّف ما لا يمكن شرحه.

---

(١) أمير ألف ويقال له: أمير كبير، رتبة عسكرية في الجيش المملوكي وقد يتولى نيابة السلطنة أو أتابكية العسكر ويلي الأتابك وهو رئيس السلاحدارية. معجم الألفاظ التاريخية ص٢٢.

(٢) خامروا: خادعوا.

(٣) جمع قبع: وهو غطاء للرأس. الملابس المملوكية ص٧٧.

وفي السنة المذكورة[١]: تقدم المرسوم السلطاني إلى الأمير عماد الدين إدريس بالتوجه إلى صوب الشرفين[٢] لاستفتاحها بعد أن استخدم له مذحج وصحبته جماعة من العسكر، وتوجَّه الأمير المذكور، فطلع بالعسكر من الظهيرة[٣] نحو الشرف الأعلى واستولى [على] جبل[٤] سعد ببيلد الجبر[٥]، وحصن القاهر ببلد المحابشة، وأخذ رهائن أهل الشرفين، وتوجّه إلى الشرف الأسفل وحطَّ بقلحاح[٦]، وتسلَّم ذلك اليوم حصن القفل، وكان يومئذٍ بيد ابن مقرعة، مولّى الشّريف إبراهيم بن قاسم، وجمعت عساكر الشَّرفين مع العسكر السلطاني، فكان الجميع خمسة آلاف، فقصد الأمير عماد الدين[٧] بالعساكر المذكورة جبل الشَّاهل وهو من أحرز الجبال وأمنعها، وكان عند الشريف يحيى بن أحمد القاسمي يقاتل منه، فجعل الشريف عماد الدين بني عمه في عسكر العرب أول الناس، وسار بالعسكر السلطاني في آخر الناس، فلم يلقه[٨] دون حصن أقتاب[٩] أحدٌ، فحط عليه، وأخذه، واستولى على

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٣٩، ومؤلفه صاحب هذه الحادثة يقول: طلبني السلطان وجهزني لفتح الشرف وصدر لعسكر مذحج. . . إلخ.

(٢) الشرفين: من بلاد حجة.

(٣) كذا في (الأصل) و(الكنز) ص١٤٠ و(العقود) ١/٣١٦. وانظرها أيضاً في: غاية الأماني ص٢٦٧. ولعلها الظهرين.

(٤) (العقود): «بلد».

(٥) في (الأصل): «الحصر»، والإصلاح من (العقود).

(٦) في (الأصل): «ملحاح»، والإصلاح من (العقود) و(الكنز).

(٧) هو: عماد الدين إدريس بن علي السابق ذكره.

(٨) (العقود): «يلقهم».

(٩) في (الأصل): «قتاب»، وما أثبتناه في (الكنز) لصاحب الحادثة نفسها.

الناصرة[1]، واستولى على الشرف الأسفل بكماله، ولم يبق إلا حصن المشوكة[2] للأشراف أهل جبل حزام، ومنهم بالباب محمد بن علي، وأخوه يطلبان أن يبيعا على السلطان الحصن المذكور، فحط الأمير عماد الدين عليه وأخذه على مصالحة ألفي دينار، وطالع العلوم[3] الشريفة، فعند وصول الرسول، وجد الصّاحب موفق الدين قد عقد مجلساً لشراء الحصن المذكور من الشريف محمد بخمسة آلاف دينار، وكساوي وخيل، فلما فضَّ السلطان كتاب الشريف عماد الدين، ورأى أنه يريد أخذ الحصن المذكور بألفي دينار لا غير، سُرّ بذلك وأمر السلطان الصاحب بنقض المجلس وذلك بسعادة هذا السلطان.

وفي السنة المذكورة: عدا[4] الأكراد بذمار على الأمير سيف الدين طغريل المقدم الذكر، وكان قتله يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الآخر، وسبب ذلك أن الأكراد توهَّموا أن الأمير يريد القبض عليهم من المدينة، فقصدوا عسكر صنعاء فعقروا خَيْلهم، وساروا نحو القصر الذي به الأمير سيف الدين، وأخذوا الإصطبل الذي له، وحالوا بينه وبين مراكيبه، وسألوه الخروج إليهم على ذمة، فلما امتنع حصروه بعد طلوع الشمس، فخرج إليهم على ذمتهم، فقتلوه وقتل معه صهره، وهو أستاذ داره، وكاتبه ووالي ذمار، ونقيبه، وأربعة من مماليكه، فعزَّ وقوع هذا الأمر على السلطان، ولكن لا مفرَّ من قدر، ولما وصل العسكر إلى الباب الشريف، وقد فات عليهم ما فات من خيله وعددهم وأثاثهم، تقدَّم المرسوم يخبرهم، وأن يعوّضوا ما ذهب منهم، ممَّا أخذ الأكراد،

(١) حصن متصل بجبل ثلا. معجم البلدان والقبائل اليمنية ص١٧٠٩.
(٢) في (العقود) ١/٣١٧: «الشوكة»، وما أثبتناه في (الكنز).
(٣) (العقود): «وطلوع الشريفين من الباب».
(٤) (كنز الأخيار) ص١٤١.

وأمر السلطان بتجريد عسكر جرار، صحبة الأمير شجاع الدين عمر بن القاضي العماد، وهو يومئذٍ أمير جاندار[1]، وتقدَّم المرسوم أيضاً إلى الأمير شمس الدين عباس بن محمد إلى جهة صنعاء من طريق تهامة، وتوجه معه بمال جيّد ليستخدم به العساكر، فتأنّى الأمير شجاع الدين في طريقه حتى خرج الأمير شمس الدين عبّاس بالعساكر من صنعاء ومعه أعيان الأشراف، ووجوه مشايخ العربان، وفي جملتهم علم الدين حمزة بن أحمد، والأمير ابن وهاس، وصاحب ثلا وهمدان.

وكان دخول الأميرين ذمار في يوم واحد، وانحازت الأكراد بجملتها إلى الوادي الحار، واستولوا على حصن هِرَّان، ورتّبوا فيه جماعة وشحنوا فيه ما يكفيهم، فقصدتهم العساكر إلى الوادي، فقاتلوهم ثلاثة أيَّام، وقتل من الأكراد ثلاثة أنفار، وأخذت خيلهم، ثم تفرَّقت الأكراد في كل ناحية، وأخرب العسكر السلطاني أموال الفضل بن منصور وأصحابه، وعاد العسكر إلى ذمار، فتوجَّه الأشراف إلى صوب بلادهم، وأقام الأميران بذمار، ووصل إلى الأميرين من أخبرهم أن بعض الأكراد وأكثر حريمهم وما أخذوه على طغريل في مصنعة عبيدة، وأن ليس فيها من الماء ما يكفيهم ثلاثة أيام، فبادر الأميران لذلك وحطَّا عليها وحصراها حصاراً شديداً، وأقامت المحطة عليها ثلاثة أشهر إلى نصف رمضان، وأنفقت عليها الأموال الجليلة، ورأوا أن محاصرتها لا تجدي وأن الغرض الأكبر استئصال شأفة الأكراد، وبلغ الأميرين في أثناء الحصار، أن الأكراد يكاتبون ابن مطهر[2] ويكاتبهم وأنّهم قد اجتمعوا

---

(١) أمير جاندار: لقب شاع في العصر المملوكي ويعني: فئة من المماليك تتبع السلطان أو الأمير ومثله الخاصكية. (معجم الألفاظ التاريخية ص٥١).

(٢) يعني: الإمام المهدي محمد بن المطهر حكمه سنة (٧٠١هـ)، ووفاته سنة (٧٢٩هـ)، من مؤلفاته المنهاج الجلي شرح مجموع الإمام زيد بن علي وغيرها. انظرها في كتابنا: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن.

في بلاد بني شهاب، فعند ذلك ارتفع الأميران من المحطة، وسار الأمير عبّاس بعسكر صنعاء إلى صنعاء، ثم اجتمع الأكراد إلى الإمام ابن المطهر، وحالف بني شهاب وأهل الحصون، وقويت شوكته، وقصد حصن ظفار، وحطّ في حدّة فقاتل في صنعاء، ووقع حربٌ عظيم على باب صنعاء، ولم يكن بها إلّا الأمير شمس الدين عباس في جمع قليل من عسكره، فما قصَّر، وسدَّ البلد، حتى تواصلت إليه عسكر السلطان، وابن مطهر مقيم في حدة وظهرة بلاد بني شهاب، فلما بلغ السلطان ذلك، بادر بنفسه النفيسة وطَلَع نحو صنعاء محثاً، فلما وصل إلى ذمار، جَعَل رحلته من ذمار صبحاً فأمسى على باب صنعاء سراً.

وفي السنة المذكورة: انتقل [إلى رحمة الله] الفقيه رضي الدين أبو بكر محمد بن عمر[1] بزبيد، المقدَّم ذكره، المنوّه على جلالته وقدره وفضله، ورثاه الشعراء، فمن ذلك قصيدة العفيف ابن جعفر وهي هذه[2]:

يحاط سماكم أن تُمَدّ يد الدهر	إلى ما حوته من كواكبها الزهر
ويحرس أن تعيا صروف نوائب	بسر أبيكم فهو أينما سِرّ[3]
ويحمون في كل الخطوب فما انتهت	عليكم خطاها في مساء ولا فجر
فَصَبْراً على ما كان يا ابن محمد	على أنه صبر أمرُّ من الصَّبر
فإن كنت مرزوءاً بأعظم من برا	وأعلم من يَقْري وأكرم من يُقْرى
سيبكيه من لم يبكه اليوم في غدٍ	ويفقده في وقت مُلْتبس الأمر
ويا قاطعي أرض المفاوز بلّغا	إلى من بأقصى الأرض في البر والبحر

(١) هو: اليحيوي أخو الموفق الوزير، وصديق المؤيد (سبق ذكره). انظر ترجمته في: (العقود) ١/ ٣٢٠.
(٢) في نص القصيدة خلل بيّنٌ، حاولنا إصلاحه بقدر الإمكان.
(٣) كذا في (الأصل).

عزاء إلى الإسلام في موت قُطْبه | فموت أبي بكر كموت أبي بكر
وما سِيْق إلّا رحمة لتهامة | لفك ذوى الجلَّا وعتق ذوي الوزر
وإن كان لا تخلو الأقاليم كلّها | بما حملته الرِّيح من ذلك الأثر
سلام وإلمام ورَوْحٌ وراحة | على الطلعة البيضاء في الحلل الخضر

وهذه عيون القصيدة، وفي هذه السنة المذكورة: توفي الأمير[1] تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة المقدَّم الذِّكر.

وفي أول شوال: خالف[2] الأمراء آل شمس الدين بصعدة، وأخرجوا إليها الكردي منها، وسيَّروه على طريق حرض، فغضب السُّلطان لذلك، وجهّز ولده المظفر، والصَّاحب موفق الدين نحو صنعاء، فلمَّا وصل الموسعة بلغ السُّلطان قوة خلاف الأشراف، فتوجَّه بنفسه النفيسة بعسكره اللّهام إلى صوب صنعاء، فدخلها يوم الخميس الثالث والعشرين من شوال من السنة المذكورة، فأقام بها أيّاماً ووصله الأميران حمزة بن أحمد، وابن وهَّاس، وغيرهما من كبار العرب والأشراف، وجهَّز السلطان ولده المظفر إلى قاع بيت الناهم[3]، فحطَّ به يوم الاثنين السادس من ذي القعدة، ولوقته سار إلى بيت حَنْبَص فاستولى عليه، وظهرت عساكره على ابن مطهر بحدَّة، فانهزم هو ومن معه من الأكراد طريق الحازة إلى حافد، ثم طلعوا إلى سبأ[4]، وكان الميعاد بين السلطان وبين ولده إلى يوم الثلاثاء، وأن يركب العسكر السلطاني من صنعاء إلى حدَّة، فكان عجلة الملك المظفَّر آخر نهار الاثنين سبباً لسلامة ابن مطهر والأكراد، ولكن لكل أجل كتاب، وأقام ابن مطهر بجبل

(١) العقود اللؤلؤية ص٤٤٨.
(٢) (كنز الأخيار) ص١٤٢.
(٣) بيت الناهم، وعند بعضهم: بيت الفاهم ـ بالفاء ـ من حضور.
(٤) واد مشهور في خبان.

رهقة[1]، والأكراد بالبروية[2]، والمظفر بمحطته بقاع بيت الناهم مدّة نصف شهر، وعامل محمد بن الذئب الشهابي ابن عمر راجح على ابن مطهَّر والأكراد، وسَلِمُوا من السيف، وافترقوا من هنالك [فسار الإمام نحو ذروان، ثم سار نحو ظليمة فعيَّد بها عيد الأضحى][3]، وسار الأكراد نحو طوران[4]، وقد باطنوا أصحابه، وسار ابن مطهر نحو ذروان، وصاروا في أشر حال خوفاً من العسكر السلطاني.

وفي مستهل ذي الحجة: لزم السلطان الأمير جمال الدين عبد الله بن وهَّاس، وولديه داود، والمؤيَّد بصنعاء، واحتج عليه بأمور أوجبت ذلك، وسيَّر العسكر مع الأمير شمس الدين عباس إلى المحطَّة على حصنه عزَّان، وسيَّر معه المنجنيق، وعيَّد عرفةَ بصنعاء، وقام الشعراء على سماطه، فمن ذلك قصيدة الشيخ سابق الدين العنسي وهي:

نكَّدت من عُصب النفاق معاشاً	وأدرت منهم في العظام مشاشاً[5]
وأقدت نار الحرب منك فقد غدوا	لنزال نار الحرب منك فَرَاشاً
أفنيتهم في بحر جيش أغرق الـ	أجبال منه خشية إذ خاشا
أنعشت للإسلام صنعاً قد وهى	عجلاً قدمت لصنعه نعَّاشا
أنت الخليفة والإمام ولم تكن	أبداً كمن داجى ومن قد غاشا
أولاك للإسلام رُشتَ جناحه	ما إن غدا منه الجناح مُرَاشا
فأزال صنعا قد أعدت لقصرها (م)	العظيم ملك أسعد وبراشا[6]

(١) حصن في جبل ملحان.

(٢) البروية: صقع كبير من بني مطر في الغرب الجنوبي من صنعاء بمسافة ٢٨كم، وفي مطبوعة (العقود): «ورد ذكرها بالروبة».

(٣) ساقط من (الأصل)، فأضفناه من (العقود) ١/ ٣١٩.

(٤) كذا في (الأصل) ومطبوعة (العقود): «وما أظنها إلّا ذروان» أو ضوران، والله أعلم.

(٥) مشّ العظم مشاشاً: استخرج مخه.

(٦) هو: ذو براش ملك من ملوك حمير. منتخبات في أخبار اليمن ص٦.

حاشيتها ما إن صَفت تكون لغيركم لا زلت من صرف الزمان محاشا

وهذه محاسنها.

ذكر ما اتفق في سنة عشر وسبع مئة

وفي السنة المذكورة تَسلَّمَ الأمير شمس الدين عباس حصن عزَّان، ونقل محطَّته نحو ظفار، فحطَّ بالطَّفة[1] عند حصن تعز، ونصب المنجنيق عليه، فرغب[2] الأشراف في الصلح، وأذعنوا للخدم الشَّريفة على يد الشيخ نجم الدين محمد بن عبد الله بن عمرو الجنيد[3]، وهو بصعدة، ورهن الأشراف، وكان ذلك خدعة من الشيخ ابن الجنيد لمَّا عَلِم مضرَّة أهل ظفار إن أقام عليهم الحصار والمنجنيق، فاستغاثوا، فبادر مسرعاً بفك المحطَّة، وصاح بالصُّلح ليلاً، على كُرْه الأمير شمس الدين عباس المقدَّم الذِّكر على الحرب، فأعدها له السُّلطان من جملة الذّنوب، وأتمّ السلطان ما تقرَّر به الصلح.

وتوجَّه الرِّكاب الشريف من جهة صنعاء إلى تعز في الخامس والعشرين من صفر، وترك البلاد الصنعانية للأمير أسد الدين محمد بن حسن بن بوز مقطّعاً بها.

وفي السنة المذكورة: تسلم[4] الأمير عماد الدين إدريس نائب السلطنة حصن المفتاح[5] مضافاً إلى ما تسلَّمه من حصون الشرفين،

---

(١) الطفة: من ظفار هناك.

(٢) (الأصل): «مراغب».

(٣) (العقود): «الحيد»، وهو الصواب.

(٤) (كنز الأخبار) ص١٤٣.

(٥) حصن المفتاح: من قضاء الشرفين بالشمال من حجة.

وسلَّم الجميع إلى غلام الدولة حسن بن الطَّماح بن ناجي بحكم ما بيده من ولايتها من الباب الشَّريف.

وفي السابع عشر من جمادى الآخرة: دخل الأكراد في الطَّاعة، لمَّا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وبذلوها من أنفسهم، ولجؤوا إلى الحرم الشَّريف متفيئين[1] ظلاله، مستمطرين[2] نواله، يطلبون الرضاء عمَّا قضاه عليهم القضاء، فعادت الشنشنة[3] الرسولية عليهم بالإقبال، واستقرَّ الحال على الرَّهائن منهم، وعلى أن يتصدَّق السُّلطان عليهم بحصن هِرَّان، واستخدام من أراد الخدمة.

وفي السنة المذكورة: أقطع[4] السلطان الأمير جمال الدين بوز بن حسن بن بوز الأعمال الصعدية، والجوفية، والجثة[5] بتهامة، وعوَّض الأمير عماد الدين عن الجثة بالقحمة.

وفي جمادى الآخرة: سار ابن مطهر[6] يُريد أن يشوّش على الأكراد ويردّهم عن الطاعة الشريفة.

وفي السنة المذكورة: حج من الديار المصرية عسكر قوي[7] وبه أمراء الطبلخاناه يريدون لزم الشريف حميضة ورميثة، فلمَّا علما بذلك نفرا من مكة، ولم يحصل العسكر على قبضهما، فلمَّا توجَّه العسكر إلى الديار المصرية، عادا إلى مكة حرسها الله تعالى[8].

---

(١) (الأصل): «متوفيهن»، والإصلاح من (العقود) لأنه ينقل كلام المؤلف بالنّص.

(٢) (الأصل): «مستحضرين».

(٣) (الأصل): «فأعادت السياسة»، والإصلاح من (العقود).

(٤) (كنز الأخيار) ص١٤٣، والعقود اللؤلؤية ص٤٥٣.

(٥) الجثة: يضبطها الجندي بفتح الجيم والثاء، وهي من المدن العامرة على وادي سهام بالقرب من مدينة المراوعة.

(٦) يعني: الإمام السابق الذكر.

(٧) العقود اللؤلؤية: «كثيف».

(٨) انظر: هذا الخبر بتوسع في إتحاف الورى ١٤٧/٣.

وفي آخر المحرَّم منها: توفي[1] السُّلطان الأجلّ العالم مولانا الملك الواثق نور الدين إبراهيم ابن الملك المظفر يوسف بن عمر بظفار الحبوظي، فعزَّ على الملك المؤيد فقد أخيه؛ لأنَّه كان أميل إليه من بين سائر بني أبيه، لما كان فيه من الحلم والأناة، وكان فريداً في محاسنه، يرجع القهقهري عن مفاخرته زينة محاسنه، وكان له معرفة بالأدب ونظم الشعر، يجيز عليه الجوائز السنية، فكم من فتى أغناه بماله، وكفاه مؤنة سؤاله، انتجعه أرباب الخير والفضل ممتطين على ظهر اليَمّ:

أخت الغمامة ليردوا من كرمه ... منهل الأكاريم[2]

ومن يك داود بن يوسف صنوه ... فليس غريباً أن يُرَى بكريم

أخبرني من حج كعبة كرمه، وتمسَّك من مقام إبراهيم بعروته الوثقى التي لا تقبل الانفصام، بقصيدة بديعة المعاني، مذهّبة النِّظام، وتوجَّه بها من ثغر عدن المحروس، فلمَّا صار بظفار، أنهى إليه حاله، وبيَّن بالسؤال مقاله، وزفّ إليه العروس، فأثمرت بها ما لأمنيته من غروس، وأجازه عليها بألف دينار، وأمر له ببغلة وخلعة، وبلغني من الثقة: أن ولد ولد ولد الشيخ أحمد الرفاعي، وصل إلى ظفار يروم الحج، فتلَقَّاه السُّلطان الملك الواثق أحسن ملقى، وسنّمه من الإقبال والشرف أعلى مرقى، وأمر له ثلاثة أيَّام بالضِّيافات الحسنة، وفي كل يوم من الأيام الثلاثة يمضي إليه خازن داره بألف دينار وتشريف، فتلك شنشنة مظفرية، وأخوة هزبرية، متَّع الله ببقاء هذا البيت المظفري، ففي كلٍّ من أقطار ممالكه، حاتم زمانه، يهطل على وفادة سائب إحسانه،

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٤٤، والعقود اللؤلؤية ص٤٥٧.

(٢) كذا في (الأصل)، وقد حذفه الخزرجي من عقوده لسقمه واكتفى بالبيت الأخير.

وأقام عليه مولانا السُّلطان العزاء سبعة أيَّام، وفي كلِّ يوم ينصرف أعيان الدولة الشَّريفة والفقهاء إلى سماط بعد القراءة، تغمَّده الله رضوانه، وأسكنه فسيح جناته.

وفي السَّنة المذكورة: حصل من ابن مطهر عزم عظيم، بأن يتوجَّه إلى الشَّرف في جميع عساكره، فتوجّه السّلطان إلى زبيد، وجرَّد الجرائد إلى تلك الجهة، وأمر الأمير عماد الدين إدريس بالتوجّه إليها على عادته، وحصل بين الأمير إدريس، وبين ابن مطهر مصافات ومحاربات، وحشد ابن مطهر، حشداً كثيراً، وظنَّ الشَّريف عماد الدين إدريس أن أهل الشَّرف يميلون إليه، لا يقدمون بسوء عليه، فَراسلهم وباطنهم ووثق بهم، وحطَّ بالعساكر في أضيق مكان وأوعره على الجبل، قصده ابن مطهر، ووقع الحرب، وقتل قاسم بن الأبرش [ابن عمر الأمير إدريس، فلما انجلت وعرف قتل قاسم الأبرش][1] فعزَّ عليهم ولم يعرفوا ذلك، وأقام إدريس أيَّاماً ماسوراً، ثم أطلق[2].

ولمَّا علم السُّلطان بجمعه، أرسل ولده الملك المظفر، والصَّاحب موفق الدين بالعساكر، فوصلا إلى قلحاح، وحطَّا عليه، وحصل بين العسكر السلطاني وبين ابن مطهر فتن كثيرة، وتعب الفريقان من المحاربة، واستقر الحال على ذِمَّة السّلطان ليستريح الناس من الفتنة، وتضع الحرب أوزارها، فأمر السلطان بذلك مدة سنة.

وعاد الملك المظفر، والوزير موفق الدين، والأمير عماد الدين إلى الباب الشَّريف السُّلطاني، ومولانا السلطان إذ ذاك مقيم بزبيد.

---

(١) ساقط من (العقود).

(٢) (كنز الأخيار) ص١٤٤ يقول: محدّثاً عن هذه الواقعة وهو صاحبها، وجمع الإمام جمعاً جيداً زهاء ثمانية آلاف وعسكرنا دون الألف، فقصدنا المحطة فانهزم الناس قبل أن يصلوهم وكنت قد لبست في اربع أفراس فيهم ابن عمي قاسم بن محمد الأبرش. . . فقتل ابن عمي، وسلم الآخران وعقرحصاني فأقمت في يد الإمام أسيراً إلى سابع رمضان.

وكانت الوقفة المباركة بعرفة، وقفة الاثنين وحميضة ورميثة المتصرِّفان على الحاج، وكان الحاج من الديار المصرية ليس بقوي.



ذكر ما اتفق في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة

وفي المحرَّم منها: توجَّه السلطان من تهامة إلى محروسة تعز.

وفي السنة المذكورة: وصلت رسل الإمام ابن مطهر في طلب الذِّمة والصلح، وكان الوزير إذ ذاك مريضاً، وكان السَّفير في هذا الشأن الشيخ نجم الدين محمد بن عبد الله الحيد، فانعقد الصُّلح على عشر سنين على ما يقرب في التذاكر، وأمر السلطان أن يُصَاح في تعز بذلك، ولمَّا تمَّ الصلح انفصل الأكراد عن ابن مطهر، فأمر السلطان بتجريد مئتي فارس، ورجل جم من مذحج، وأمر الأمير أسد الدين بن بوز أن يلقاهم بعسكره من صنعاء، وأن يحط على حصن هِرَّان ويحارب الأكراد، فتوجَّه الشيخ ابن الحيد في خلال ذلك، وعقد صلحاً للأكراد على ترك دخول ذمار ورداع، وترك الإقطاع، وأن يستقر رهائنهم بالعروس، وأمر السلطان الأمي أسد الدين بسكنى ذمار وتوطّنها، فامتثل المرسوم الشريف[1].

وفي السنة المذكورة في رجب: احترقت[2] دار المرتبة في تعز، لأسباب اختلفوا فيها، واحترقت أشياء كثيرة عظيمة لا يمكن التَّعبير عنها من الفرش والأثاث، وسمعت من يُخبر: أنَّ في جملة الدَّار ممَّا احترق بشخانتين كاملتين من الزركش[3] واحدة صفراء أطلس، وأخرى حمراء أطلس، وكان السلطان إذ ذاك بزبيد.

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٤٦، والعقود اللؤلؤية ص٤٦٠.

(٢) (كنز الأخيار) ص١٤٦، والعقود اللؤلؤية ص٤٦١.

(٣) الزركش: الحرير المنسوج بالفضة (فارسية).

وفي السنة المذكورة: حصل على السُّلطان الملك المظفر توعّك في جسمه، وذلك بعد وصوله من الشَّرف، ولم يَزَلْ الوجع بين أيديه، والحمى لم تفارق ذاته الشريفة وهو مقيم في حرم أبيه بزبيد، ولمَّا رآه كذلك أمر بتوجهه إلى تعز وازداد تعباً، وذلك في رمضان من السنة المذكورة، هَمَّ السُّلطان بالطلوع، وذلك لخبر أزعجه، فأمر وزيره الصاحب موفق الدين بالتَّوجه، فسار من زبيد إلى تعز في يوم واحد، ثم تَبِعَه السُّلطان فألفاه ازداد ضعفاً ونُحفاً، واختار الله له ما عنده ورفع في جنَّاته فضله ومجده، وتُوفي يوم الأحد سادس شهر ذي القعدة، بعد أن أوصى وتثبت، وفي جملة الوصية: أن لا يُصاح عليه، ولا يُشق عليه ثوب، وأن لا تُغطى نَعشه إلَّا بثوب قطن، وأن لا يعقر على قبره شيء من خيله، وأن يدفن في مقابر المسلمين، فنفذ السُّلطان وصيته في جميع ما وصَّى به ما خلا الدفن، فإنه أمر بدفنه مع أخيه المقدَّم الذكر في مدرسته بمغربة تعز[1].

وهذا الملك المذكور، من أجلِّ الملوك قدراً، وأكثرهم معونة، وقد حاز في شرخ الشبيبة العقل والحلم، والآراء التي لم تزل لإحراز الغرض مصيبة، فكم له من مكرمة وأياد بالمعروف منعمة، وحاجة لها يختلف الوفاد مودعة ومسلّمة، مع شجاعة باهرة، وعدّة لأعداء الله قاهرة، وأوصى في جملة ما أوصى: أن يعمل له في قرية المخادر[2] مدرسة، وأن يجرى لها الماء، وأن يجرى منها الماء إلى حول[3] تحتها، ففعل ذلك، ورتَّب بها جماعة من الطلبة، وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً، لم يُشهد بمثله من الأسف والحزن على فقده، وحضر ملوك بني الرسول بأجمعهم، وشهدوا

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٤٦ يقول: فلما بلغني موته وكنت بالقحمة سرت مبادراً حضرت بعض القراءة. . . إلخ.

(٢) المخادر: بلدة بالشمال من إب بمسافة ٢٠كم.

(٣) (العقود): «حوض».

القراءة عليه سبعة أيّام، وأمر بالقراءة عليه في سائر المملكة الشريفة، تغمَّد الله تلك النسمة الطَّاهرة بالرضوان، وأسكنها فسيح الجنان، ورثاه الشعراء بالقصائد، فمن ذلك أبيات كتبها العفيف بن جعفر وهي[1]:

أخَيْر الملوك[2] وسلطانها ... ويا من له طاعة تفترض

فلا ملك ناقضٌ عهده ... ولا ملك عاقدٌ ما نقض

فلا عوض منك في ذي الورى ... وكلّ الورى أنت عنهم عوض

وهي عيونها.

وفي عاشر ذي القعدة: توفي القاضي جمال الدين[3] محمد بن أحمد ابن أخي الصاحب [اليحيوي][4]، وكان رجلاً جيداً خيراً، وكان تولّى قضاء الأقضية نيابةً عن عمه رحمه الله تعالى.

وفي ثالث الحجة: توفي الصَّاحب موفّق[5] الدين المقدَّم الذكر، وبلغني أن السلطان زاره في مرضه، فانظر إلى شَفَقة هذا السُّلطان وبِرّه بغلمانه، فلقد فعل ما فَعَله الخلفاء العباسيون؛ لأن المعتصم زار قاضي قضاته أحمد بن أبي دؤاد، وهذه شيم سادات الملوك مع وزرائهم، وغالب الظنّ أن الزّيارة لم تكن في مرضه الذي مات فيه، بل هي مَرْضة غيرها، وأظنُّها كانت بزبيد.

وفي السنة المذكورة: أمر السلطان بإنشاء قصر ظاهر بباب الشَّبارق بزبيد في البستان الذي أمر بإنشائه هنالك[6]، وصورة بنائه، أن وضع به

---

(١) أوردها الخزرجي في (العقود) ص٤٦٣ نقلاً عن كتابنا هذا.
(٢) (العقود): «أمولى الملوك».
(٣) (كنز الأخيار) ص١٤٦، والعقود اللؤلؤية ص٤٦٣ (بتوسع).
(٤) زيادة من (العقود).
(٥) العقود اللؤلؤية ص٤٦٤.
(٦) المعروف بحائط لبيق. (العقود) ١/٣٢٩.

إيوان طوله خمسة وأربعون ذراعاً، وفي صدره مقعد عرضه ستة أذرع، وله دهليز متسع، وفي الدهليز قصر بأربعة أواوين[1] والجميع بجملون[2]، وفيه المباني الغريبة المشرفة على البستان لمذكور من جميع نواحيه، لم ير الطَّرف بأحسن منه مبنى، حاز من الْحُسن فراداً ومثنى، قال كاتب هذه السيرة: لقد وقع لي في وصف هذا الإيوان مقاطع كثيرة من قصائد مَدَحت بها السلطان حال قُدومِه إلى زبيد وهي[3]:

تخذَّت زبِيْداً موطن الفخر والعلا ... فصارت لأنواع المكارم موطنا
ولو كان فيها أن تسير لأقبلت ... مسير مشوق شقة الشوق والعنا
بنيت بها قصر الفخار مشيَّداً ... فطال على سمك السماء ذلك البنا
وأودعته إيوان سعد ولن يُرى ... له مشبه فيما نأى عنه أودَنَا

وهذه عيون القصيدة، ولقد نظمت قصيدةً بديعة المعاني ليس لها في حسنها ثان أذكر فيها القصر والبستان وهي:

يا ناظم الشعر في نعم ونعمان ... وذاكر العهد من لبنى ولبنان
ومعمل الفكر في ليلى وليلتها ... بالسَّفح من عَقَدَاتِ الضَّال والبان
قَصْر فَبِالْعُلْوِ من وادي زبيد علا ... عال المنار عظيم القدر والشان
به التَّغزل أحلى ما يُرَى بهجاً ... فدع حديث ليبلات بِعَسْفَان
هذا الخورنق بل هذا السدير أتى ... في عصر داود لا في عصر نعمان[4]
قَصْر بناه هِزَبْر الدين مفتخرا ... وشاد ذلك بانٍ أيّما بانِ

---

(١) جمع إيوان: المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثة حيطان واللفظة فارسية.

(٢) الجملون: سقف مسنم وقبة محدبة مستطيلة، فإن كان مستديراً فهو قبة وهو من اصطلاح العامة، ويطلقون على بيت من الخشب أيضاً، ومنهم من يقول: جملول. انظر: محيط المحيط ص١٢٥.

(٣) نقلها عن كتابنا هذا الخزرجي في العقود اللؤلؤية ص٤٨ (تحقيقنا).

(٤) (العقود) ص٤٨٠: «قصر غمدان».

فَقِفْ بساحته حتى ترى عجباً كم راحة هطلت فيها بإحسان
أنسى بإيوانه كسرى فلا خبرٌ من بعد ذلك عن كسرى بإيوان
سامى النجوم عُلاءً فهي راجعةٌ عن السُمو لإيوان ابن غسَّان
تودّ فيه الثريا لو بَدَتْ سُرَجاً مثل الثريَّا به في بعض أركان
يحفّه دوح زهر كله عجبٌ كم فيه من فتن زاه بأفنان
من أبيض يقق حال بأحمره يميسُ في حلتي درٍّ ومرجان
تجمعَّت فيه أنواع محيرةٌ للعين[1] في سرَّها الزاهي بإعلان
إذا حللت به أبصرت معجزة الشَّام أصبح في أرض[2] بسيلان
فالسنبل الغض والورد البهي معاً من أخضرٍ ناصعٍ أو أحمر قان
صنوان حسن[3] به من كل فاكهة وكم أرى مجتليه غير صنوان
ظل ظليل وماء سَلْسَلٍ غدق تخاله من صفا بَطْنٍ ثعبان
[يسري بها أبيضاً والدهر يلبسه ألوانه فترى في وشي ألوان][4]
هذا وكم فيه من ورقاء صادحة يُغنيك عود لها من صوت عيدان
كأنهن قيان والستور لها في ذلك الدست[5] أوراق لأغصان
تَهْوى الغزالة لو أضحت مقبلةً منه مراشف أنهار لنيسان
وكيف يمكنها والدُّوح منعقد فحالة[6] الشمس عنه حال ظمآن
فأرضه كبناء منه مشرفة وها هما في بديع الوصف شبهان
توافق الناس في أوصافه فلِذا لم يختلف عند وصف الحسن[7] إثنان

---

(١) (العقود): «العقل».
(٢) (العقود): «واد».
(٣) (العقود): «اخصت».
(٤) ساقط من (العقود).
(٥) الدست: صدر البيت والمجلس، واللفظة فارسية.
(٦) (الأصل): «في آلة الشمس».
(٧) (العقود): «لم يختلف قط في أوصافه اثنان».

كـأن بـنـيـان داود وبَـهـجـتـه صَرْح القوارير عن آلا سليمان

أخفت مآثره البادي نضارتها ما شاده تُبّع في رأس غمدان

كم شاد من قصره العالي مراتبه في الفخر فاجتمعا في الجو فخران

لله مـوكـبـه الـزاهـي بـرونـقـه لـما استقل بفرسان وشجعان

مثل البحور ولكن في أكفِّهِم قـواضـب تـتـلألأ شِبْـه نـيـران

على المهمة القب[1] التي ملكت قيْد الأوابد من آل[2] وسرحان[3]

من كل أشهب صافي الجسم تنظره في الحرب نجماً هوى في إثر شيطان

وكـل أحـمـر زاهٍ فـي مـلابـسـه يختال من لونه في نسج عقيان

وكل أدهم مثل الليل قد طلعت كالـصّبـح غُـرّته الـغَـرَّاء بـإتـقـان

أما الكميت[4] فإن الدنَّ أُشْرِبَهُ سميه فبدا في حالِ سكران[5]

إذا مشوا في صباح عاد من رَهَجٍ لـيـلاً كـواكـبه أطراف خرصان

على الأكف شواهين لمالكهم وهـمّـها صَـيد نسر فوق كيوان

كالصّبح في اخرِيَات الليل هيأتها والنَّرجس الغضّ منها وَسْط أجفان

مشفوعة بفهود جلّ منظرها سليطة[6] لا ترى إلا لسلطان

قد ألبست حدق الغزلان فانبعثت مثل الجديدين في أفناء غزلان

ما سار مالك هذا الجمع مقتنصاً إلا انثنى ظافراً في ثوب جَذلان[7]

كم أمَّ مجتمع النخل التي سبقت أغـصـانـه فـأرت أنـواع أفـنـان

---

(١) (العقود): «المهمة القت».

(٢) (الأصل): «زال» والآل ما أشرف من البعير والخشب وعمد الخيمة.

(٣) السرحان: الذئب.

(٤) الكميت الأول: الخيل الذي يميل إلى الحمرة وسميه الثاني: الخمر.

(٥) (العقود): «نشوان».

(٦) (الأصل): «سلطنه».

(٧) من هنا ينتهي نقل (العقود).

من كل فَرْعٍ تَبَدَّى الطلع طلعتها	سلاسلاً حيَّرت للأنس والجان
وربَّما زار بحراً في ممالكه	بعامه فبدا في الأرض بحران
وَقَبَّل الأرض بحرٌ حلَّ ساحتها	أمامه وانثنى من غير حرنان[1]
مؤيد كاسمه في كل معترك	تغنيك عَزمته عن ليث خفان[2]
يلقى الضيوف كما يلقى الصفوف معاً	فالمم بداود مطعام ومطعان
فكم تماثيل حسن في محاربه	وكم جفان جواب يوم ضيفان
حوى المناقب والعلياء أجمعها	فالناس كلهم في شكل إنسان
فالله يحرس ملكاً حلَّ ذروته	على تعاقب أوقات وأزمان

ولم أذكر هذه القصيدة بكمالها، إلَّا لما بها من المعاني الغريبة العجيبة، ولولا إحسان هذا السُّلطان، لما رأيت اللِّسان تصوغ قلائد البيان، لا زالت منازله شامخة الأركان عالية البنيان.

وفي السَّنة المذكورة: حصل بين الملك النَّاصر محمد بن قلاوون وبين مماليك أبيه الكبار وحشة؛ كالأمير قراسنقر نائب حلب، والأمير جمال الدين آقوش الأفرم، نائب دمشق وجماعةٌ من الأمراء، فلمَّا علموا أنَّه يريد القبض عليهم خرجوا بأثقالهم وبمن معهم إلى جهة بغداد التحقوا بخدابندا محمد مالك العراق، فأقبل عليهم وأقطع كلًّا ما يناسبه من البلاد، وعيَّنهم في أعيان أمرائه، فحسَّن قراسنقر لملك العراق الغارة على الشام بالعسكر الجرار، فقبل منه، وسار الملك بعَسْكره وجَمَع وحشد وعبر العراق[3]، وحَاصَر قلعة الزنجية[4]، وحَصَل قلعة الزنجية، وحَصَل لأهل الشام من الخوف ما أوجب الجفل العظيم إلى نحو الدِّيار المصرية، ولمَّا عَلم الملك الناصر بذلك جرَّد العساكر

---

(١) الحرون من الخيل الذي لا ينقاد.

(٢) إشارة إلى المثل «أجرأ من ليث خفان» انظره في مجمع الأمثال للميداني وغيره.

(٣) لعلها: الفرات.

(٤) كذا في (الأصل): وأظنها: «قلعة الرحبة».

وكتب الكتب، وجاء في جحفله اللهَّام، ولمَّا صار بقرب غزَّة أوقع الله في خيول التتار عِلَّة الطابق، ولم يكن في نية ملك العراق الإقدام على الشام لاعتقاده أنّه موطن الأنبياء ﷺ، وأن من قدم عليه لا يفلح، فعاد إلى بلاده من الرَّحبة ولم يظهر منه ما يشوِّش على الشَّام وساكنيه، ولمَّا صار الملك الناصر بدمشق ودخلها بعسكره، ورأى أنَّ العدو قد مضى لسبيله، فرَّق العسكر الذي معه في سائر البلاد من المملكة الشامية، وترك أثقاله وغلمانه بدمشق، وسار متوجّهاً إلى حرم الله في مئة فارس من مماليكه، وستة آلاف مملوك على الهجن، ولمَّا وصل مكة المعظَّمة في اثنين وعشرين يوماً من دمشق، قَضَى مناسك الحج وعاد في مثلها، ولقد وصل منه كتاب كتبه بعض كتابه يخبر بأنه قضى الحج والعمرة وليس فيه من الأسجاع، وقري في سوق الخيل، ولم يستحسِن الكتَّاب ذلك الكتاب، وقالوا: يجب أن يكتب في هذا المعنى خلاف ما قيل في هذا الكتاب؛ لأن حجَّ الملوك يقع نادراً والكتابة في هذا المعنى.

قال مؤلف هذه السيرة: ولم أرَ بالمملكة الشامية كلِّها من أقدم على كتابة في هذا المعنى، فأنشأت كتاباً تجربة للخاطر في هذا المعنى، وعرضته على كتَّاب الإنشاء بمصر والشام، فحصل الثناء عليه، ونقلت منه نسخ عديدة، وصورة الكتاب: أدام الله نعمة الجناب الفلاني واسمعه من مسار أيَّامنا سائر التهاني، وأتحفه من منار مساعينا بمذهبات الأماني، وأورد عليه من أخبار سعينا بدائع المعاني، أصدرناها تهدي إليه سلاماً أرج العرف وثناءً بهيَّ الوصف، وتوضيح لعلمه الكريم، أنا حَمدْنا صُبح السرى، واستجلينا طوالع الإقبال من مطالع أم القرى، وارتشفنا رضاب القدوم عند البنيّة، وأخلصنا لله فيما قصدناه النيَّة، وحللّناها محرمين، ودخلناها بسلام آمنين، عالمين بأنَّ الذنوب هنالك منحطَّة، تالين: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾

[البقرة: ٥٨]. فرحين بالألْطاف، بهيجين بمناهج السَّعي والطواف، متجرِّدين عن المخيط واللُّباس، فائِضين من حيث أفاض الناس، معظِّمين شعائر الإسلام، ذاكرين الله عند المشعر الحرام، ناشرين لواء التَّعبُّد بين الحَرَمَيْن، نافرين من الأجر بما ملأ اليدين، مستجلين أسرار تلك الفَعَلات من النَّحر والحَلْق ورَمْي الجمرات، مظهرين مناسك الحج بين صفائه ومروته، مستمسكين من الحجر الأسود ببيضان غُرَّته، مُوفين بعهد الدَّار أمامه، بَعْد أن قبلناه وأطلنا التزامه، مفيئين ظلال الرقمتين، شاربين ماء زمزم للحسنتين، وبتنا حول خيامنا من غشيها[١]، وأذخر[٢]، وجليل[٣]، وقلنا ولسمرات الحيِّ علينَا ظل ظليل، ولَمَّا بلغنا المنى، وأفضنا من منى، ومسح بالأركان من هو ماسِح، وسالت بأعناق المطيّ الأباطح، ولم ينظر الغادي الذي هو رائح، أخذنا عن سلع شاماً، وتجليّنَا أنَّ النيّة لم تُبْدَ عند رحيلنا ابتساماً، حتى لقد ألفينا تلك الأماكن المعظَّمة وألفاها، ولولا ما يجب علينا من مراعة الرَّعية لَمَّا فارقناها وسِرْنا عنها وللنفس في العودة مجال، وفرقناها والدموع ترفض على فراق تلك المحال، مظهرين ما لحجتنا من المزايا، منشدين تمام الحج أنْ تقف المطايا، ولَمَّا مرَرْنا بنجد وبواديه، ومررنا على العقيق ووادِيه، وفعم الأنوف طيب طابة، وضَوّع الصبا شيحَه وملأ إهابه، وبَدت الجلالة الأحمدية من مشاهدها، وعلت الأنوار المحمديّة من معاهدها، وتطاولت العيس بهواديها إلى سيد الأمة وهاديها، ختمنا الحجة بالزِّيارة، كما بدأناها أول مرّة، ووقفنا موقف الإنابة فيما بين

(١) كذا، ولم نجد نصّ هذه المكاتبة في صبح الأعشى، وقد أورد له القلقشندي ـ بعض رسائل المؤلف ـ انظر: صبح الأعشى ٦/ ٤٢٢.
(٢) عروق أشجار هي: الأراك.
(٣) هو: الثمام.

المنبر والحجرة، واستجلينا محيًا الظفر من قسماتها، واستنشقنا أرج النظر مِن نسماتها، وودَّعنا تلك المواقف المكرَّمة، وأودعناها عهوداً، ونظمنا على جِيْدِ طلولها من المدامع عقوداً، وانصرفنا وبنات الشوق تحنُّ وترعى، ولسان الحال نراه لمسامعنا في كل حينٍ مسعًى[1]:

قفا ودِّعا نجداً ومن حل بالحمى وقلَّ لنجد «عندنا»[2] أنْ يُودَّعا

فللَّه المنّةُ على بلوغ الأماني، وله الحمد على أن أرانا منازل الوحي ومواطن السبع المثاني، وله الشكر في تبليغ السُّؤل، وله المنَّة في أن وافقنا في حجتنا حجة[3] الرسول، فليأخذ الجناب العالي حظَّه من هذه البشرى، التي لم يعهد بمثلها للملوك، ولينظم فرائِد محاسِنها نظم السلوك، وليتبرّك ببياض طرسها، وليكتحل عوض الإثمد بسواد نفسها بالغفران أهلة المعنى، وفي التهاني عريفة المغنى، أبقاه الله لمآثرنا سامعاً، ولمحاسِنَنَا جامعاً، ولنصرتنا يوم الوغى سيفاً قاطعاً. قضى الله لمولانا السُّلطان الحج إلى تلك الأماكن المعظَّمة، والمنازل المشرَّفة المكرَّمة، فإنَّه حقيق بأن يطأ تلك البقاع، وأن يضمَّه ذلك الاجتماع، ليعرفه[4] الحلُّ الحرم، وتتطاول إلى مشاهدته الأمم، وأن يرعى ما لذاك المواقف من حرم.

وكانت تلك السنة سنة الجمعة، وفعل[5] فيها حُميضَة ورميثة ما لا ينبغي من نهب التجارة؛ لأنَّهما خافا أن يقبض عليهما الملك الناصر، فعدلا عن مكَّة، ثُمَّ عادا إليها بعد ذهاب الملك الناصر.

---

(١) من أبيات للصمة بن عبد الله القشيري. شرح الحماسة للمرزوقي ٣/١٢١٦.

(٢) بياض في (الأصل).

(٣) أي: حج يوم الجمعة.

(٤) كلمة مبهمة في (الأصل).

(٥) إتحاف الورى ٣/١٤٨.

وفي السنة المذكورة: توجَّه السلطان الملك المؤيد من تعز إلى الجَنَد.

وفي ربيع الأول قبله: برز[1] مرسوم مولانا السلطان الملك المؤيد إلى الأمير أسد الدين بن محمد بن بوز، بأن يخرج من ذمار، ويحطّ على حصن هرَّان المقدَّم الذكر وينصب عليه المنجنيق، ففعل ما رسم به، وحَصَل من الأكراد تعدّي على بعض المماليك، وقتلوا جماعةً، فأمر السلطان الملك المؤيد بتجريد الأمير شمس الدين عبَّاس في خمسين فارساً غير الذي معه من عسكره، إعانةً للأمير أسد الدين بن بوز، فلمَّا ضاق بالأكراد الحال ورأوا الموت عياناً، وتقدَّمت لهم قبل ذلك ذمَّةً لجأوا إلى السُّلطان الملك المؤيد، ورغبوا إلى الخدمة، وكان السلطان الملك المؤيد قد رأى منهم شهامةً، فما أراد التفريط بهم، وبَرَز مرسومه الشَّريف بأن يحضر أعيانهم، فلمَّا حضروا، وحضر الأميران إبراهيم بن شكر، والجلال بن الأسد إلى السُّلطان الملك المؤيد بالجَنَد، ودخلوا تحت الرِّق واستعطفوا خاطره الشريف، فرجع إلى شنشته الكريمة، وعفا وصَفح، بشرط أن لا يبدر منه ما يوجب الغَيَار، وسلَّموا هِرَّان، وعادوا إلى ذمار على عادتهم في الخدمة، وارتفعت المحاط عنهم، وذلك في مستهل رجب من السنة المذكورة، وتوجَّه الأمير ابن بوز إلى صنعاء، والأمير عبَّاس بلد همدان لأخذ زَرْعها والمحطَّة على بيت أنعم[2]؛ لأنَّ أهلها بَدَأ منهم ما لا يجب، فأخرب زَرْعهم وبلادهم في مقابلة ما فَعلوه.

وتوجَّه ركاب مولانا السُّلطان الملك المؤيد إلى زَبيد، فَدَخلها يوم الخميس الثاني عشر من رجب الفرد من السنة المذكورة، ووصله

(١) (كنز الأخيار) ص١٤٧ والعقود اللؤلؤية ص٤٦٤.

(٢) بيت أنعم: قرية وحصن في بلاد سنحان بالجنوب الشرقي من صنعاء.

الأميران الهادي بن عز الدين، وداود بن موسى مخاطبين في الأمير أسد الدين بن محمد بن أحمد بن عز الدين المقدَّم الذكر، فَوَفدوا وأكرِمَا ولم يُجابا إلى خروج ابن عز الدين.

وفي السنة المذكورة: تقدَّم[1] مرسوم مولانا السلطان الملك المؤيد بتوجّه الأمير عماد الدين إدريس إلى صوب صُهيب في جمع كثير من الرجل والعسكر، فأقاموا في بلاد الأساود[2] حتى رهنوا رهائِن أكيدة، وساروا إلى مقمح[3]، فأخرب العَسْكر بلادهم، وأتلفوا عليهم طعاماً كثيراً، وأتلف الشَّريف ما للجحافل من زراعة وغيرها، ولم يزل سعد هذا السلطان عالياً، وسيفه لرؤوس أعدائه قاضياً.

وفي السنة المذكورة: وصل[4] الشريف أبو الغيث ابن أبي نمي من الدِّيار المصرية إلى مكَّة المشرَّفة، ومعه عسكر جرَّار، فيه من المماليك الترك ثلاث مئة وعشرون فارساً، وخمس مئة فارس، من أشراف المدينة خارجاً عمَّا يتبع هؤلاء من المتخطفة[5]، والحرامية، ولَمَّا علم حميضة ورميثة بأمرهم، هربوا إلى صوب حليٍّ بن يعقوب، واستولى أبو الغيث على مكة، وكان بها المقدَّم الأمير سيف الدين تقصباً[6]، ولمَّا علم الشريف أبو الغيث، والأمير المذكور بوصول المحمل السعيد والعلم المنصور، برزا للقائه، وصَعِدا به إلى جبل التعريف على عادته.

---

(١) (كنز الأخيار) ص١٤٧ يقول: وأحضرني السلطان وأمرني بالمسير صوب صهيب فسرت قبل العيد... إلخ.

(٢) في (الأصل): «الأساوية».

(٣) مقمح: من شرمان من القماعرة أعمال ماوية.

(٤) (كنز الأخيار) ص١٤٧، وإتحاف الورى ٣/ ١٥.

(٥) (الأصل): «المتحفظة».

(٦) كذا في (الأصل) و(العقود)، وإتحاف الورى: طقصبا. انظره أيضاً في النجوم الزاهرة ٨/ ١٥٢، والسلوك للمقريزي ٢/ ١٢٨.

وفي هذه السنة المذكورة: استولى علاء الدين ملك دهلك[١] على المعبر[٢] وبلد الصوليان[٣]، ولم يكن بقي عليه من بلاد إلّا هي، وكان قبل ذلك استولى على الجزارات[٤] كهراولة[٥] وكنباية[٦] وغيرها من الجزائر الهندية.



ذكر ما اتفق في سنة اربع عشرة وسبع مئة

ففي المحرَّم: سار أبو الغيث وتقصبا إلى صوب حِليٍّ بن يعقوب، لخطب حميضة ورميثة، فسارا قدر مرحلتين، ولم يجدا أخباراً عن الشريفين المذكورين؛ لأنهما لحقا ببلاد السراة، ووصلا إلى حليّ بن يعقوب، ولم يدخلها تقصبا، بل قال: هذه أوائل بلاد السُّلطان الملك المؤيَّد، ولا ندخلها إلّا بمرسوم السلطان الملك الناصر، فعاد على عقبه، وفي هذه السنة تُوفي الأمير عماد الدين إدريس المقدَّم الذكر[٧].



ذكر ما اتفق في سنة خمس عشرة وسبع مئة

وفي هذه السنة: وصل[٨] الأمير علاء الدين كشدغدي، وجماعة من المطلوبين من البلاد المصريَّة والشاميَّة، والأمير المذكور كان أستاذ

---

(١) كذا في (الأصل)، وصواب الاسم: «دهلي».

(٢) من بلد مليبار بالهند.

(٣) ذكرها صاحب نور المعارف ضمن البلدان الهندية التي يصدر منها بعض الآنية. نور المعارف ص١٨٨.

(٤) هي المعروفة بجزرات أو كجرات من بلاد الهند. انظر: نور المعارف ص٢٦٠.

(٥) كـــابقتها.

(٦) من بلاد الهند يصدر منها إلى اليمن بعض الآنية. نور المعارف ص١٨٨.

(٧) العقود اللؤلؤية ص٤٧٠، وإتحاف الورى لابن فهد ٣/١٥١.

(٨) العقود اللؤلؤية ص٤٧٥.

دار الملك المظفَّر ابن الملك المنصور صاحب حماة، وكان أميراً فاضِلاً في أبناء جنسه، جمع بين شهامة السنَّان وفصاحة اللسّان، وكان على ذهنه جملة من الأشعار الجاهلية والمخضرمية[1]، والمحدثية[2]، والمولديَّة[3]، وكان يعرف نوعاً كثيراً من البَزْدرة[4]، ويقال: إنّه كان يعرف شيئاً من الضَّرب بالملاهي، وتقدَّم عند السُّلطان تقدُّما لم يُعْلم بمثله، وكان هادىء الطبيعة، حسن المعاملة، نادم السلطان في الخلوات، وقابله بالإقطاع، وعقد له الولاية، ورفع له الطَّبلخاناة، وجَعَله من جملة ندمائه.

وفي هذه السنة: رجع[5] الشريف حميضة إلى مكَّة وملكها، وقَتَل الشريف أبا الغيث، واستولى عليها، فغضب من ذلك السُّلطان الملك الناصر، وجهَّز جيشاً كبيراً، صحبة الشريف سيف الدين عطيفة[6]، فَعلم حُميضة بذلك، فخرج هارباً من مكة، واستولى عطيفة على البلاد، ولحق حميضَة بالشرق.

وفي هذه السنة: تقضَّى[7] القاضي جمال الدين محمد[8] ابن الفقيه أبي بكر قضاء الأقضية، وكان السُّلطان يعظِّمه إكراماً لأبيه، وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة.

---

(١) يعني: أشعار المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام.

(٢) أي: أشعار المحدثين كابن الرومي والمعري وغيرهما.

(٣) أي: أشعار المولدين وهم الذين نشأوا في الدولة الإسلامية كالفرزدق، وجرير وغيرهما.

(٤) البزدرة: معرب بازدار وبازيار بالفارسية وهو صاحب الباز أو مربية.

(٥) العقود اللؤلؤية ص٤٧٦، وإتحاف الورى ٣/ ١٥٢.

(٦) هو: عطيفة بن أبي نمي. انظر: أخباره ومعاركه مع أخيه المذكور في إتحاف الورى ٣/ ١٣٤ ـ ٢٢٦.

(٧) أي: تولي القضاء. انظر: العقود اللؤلؤية ص٤٧٦.

(٨) هو: محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي سيأتي.

وفي هذه السنة المذكورة: حَصَل للسلطان الملك المؤيد مَرَضٌ خيف منه التَّلاف وأشفى منه على الهلاك، وانتشر في الأقطار، فذكر من ذكر: أن القاضي المذكور[1]، راسل الملك الناصر جلال الدين محمد بن الملك الأشرف بالأمور الباطنة، وأمره بنشر الدعوة، وآيسه[2] من عمِّه وكتب الكتب إلى البلدان، ولمَّا علم السّلطان الملك المؤيّد بذلك خرج مسارعاً من تعز إلى الجند، وهو في إثر الوعكة، فخاف ابن أخيه من ذلك، فلجأ إلى جبلٍ يُقال له السورق[3]، وهو جبل حصين، وحوله ناس من العربان، وهو جبل مطل على مدينة الجَنَد، وهو كثير الأفاعي، فجهَّز له السّلطان العساكر، وكان مقدَّمها الأمير جمال الدين بوز، فحطَّ عليه وأحاط به، ونَزَلَ الملك الناصر على الذِّمَّة، وحصل بينه وبين عمِّه اتفاق وصُلْح، ويقال: إنَّه عرَّف السلطان بسبب ذلك، فعزل القاضي المذكور من القضاء، واعتقله بحصن تعز.

وفي السنة المذكورة: فوَّض القضاء إلى القاضي رضي الدين أبي بكر[4] بن أحمد الأديب، أحد الفقهاء الشافعية قضاء الأقضية، وكان بمحضر من السُّلطان وجماعة كثيرةٌ من فقهاء التَّهائم والجبال، وحَصَل الإجماع عليه، والفقيه المذكور من الفقهاء الكبار، وممَّن له بسْطَةٌ في العلم، يعرف جانباً كثيراً من المعقولات والمنقولات، مع حنكة وتجربة، حَلب الدهر أشطره[5].

(١) هو: المعروف بجمال الدين البحيري.
(٢) في (العقود): «أنابته».
(٣) سورق: جبل من أعمال ماوية.
(٤) العقود اللؤلؤية ص٤٧٩.
(٥) في (الأصل): «بتنضيره» والإصلاح من (العقود).



ذكر ما اتفق في سنة سبع عشرة وسبع مئة



وفي السنة المذكورة: وصل[1] مؤلِّف هذه السيرة من دمشق على طريق مكّة، بطلب من السلطان الملك المؤيد، وناله من إحسانه ما صَغَّر عنده أخبار من مضى من الكرماء، وولِّي كتابة إنشائه.

وفي السنة المذكورة: دخل[2] العسكر المنصور فللة[3] وملكوها وضربت البشائر في سائر البلاد.

وفي السنة المذكورة: وصل رسل صاحب هرمز[4] بالهدايا والتُحف ومن المكلة[5] اثنين.



ذكر ما اتفق في سنة ثمان عشرة وسبع مئة



وفي هذه السنة المذكورة: وصل[6] القاضي صفي الدين عبد الله بن عبد الرزَّاق الواسطي بطلب حثيث من السلطان، وصَرَف عليه إلى حال وُصوله من الذهب العين ألفي مثقال، وفوَّض إليه شَدَّ الاستيفاء، وحظي عند مخدومه، وانبسطت يده في الدَّواوين، وكان زوجاً لابنة الأمير علاء المقدَّم الذكر، وهو الذي عَيَّنه لذلك.

---

(١) العقود اللؤلؤية ص٤٨٠.

(٢) العقود اللؤلؤية ص٤٨٢.

(٣) فلله: واد وقرية في بني جماعة بالشمال الغربي من صعدة. معجم البلدان والقبائل اليمنية ص١٢٢٥.

(٤) هرمز: ذكرها صاحب نور المعارف ص٤٧٥ يصدر منها الثياب الخام، وهو بلد على ممر مضيق الخليج موقعها في الجانب الإيراني مقابل ميناء بندر عباس.

(٥) كذا في (الأصل) وأسقطه صاحب (العقود). ولعله المماليك.

(٦) العقود اللؤلؤية ص٤٨٧.

وفي السنة المذكورة: توَجَّه إلى عدن وحَمَل منها الخزائِن المعمورة، ثلاث مئة ألف دينار، وصادف السُلطان في الجَنَد فأكرمه وعظم عنده.

وفي السَّنة المذكورة: توجَّه[1] الرّسل إلى مصر، وهم الأمير بدر الدين حسن بن الأسد، ومن جرت العادة بمسيره في خدمته، فقابلهم السُلطان الملك الناصر أحْسَن مقابلة.

وفي السنة المذكورة: رتبَّ[2] الأمير علاء الدين[3] الجيش المنصور، على ترتيب الجيوش المصريَّة، وجعل له جناحاً للميسرة، وجناحاً للميمنة، وجَعَل بخلف السلطان عصائِب كثيرة، وركب المماليك بالنفخ[4]، وجعل منهم طائفة طبردارية[5]، وركب السلطان بهذا الزّي.



ذكر ما اتفق في سنة تسع عشرة وسبع مئة

وفي هذه السنة: توجَّه[6] السلطان المؤيد إلى الأعمال الكدراوية[7] قاصداً المهجم، فوقف بالكدرا، وحصل عزل وتولية في النُّواب، والقاضي صفي الدين[8] مستمر الحكم في الدواوين.

(١) العقود اللؤلؤية ص٤٨٦.
(٢) العقود اللؤلؤية ص٤٨٧.
(٣) يعني: كشدعدي السابق ذكره.
(٤) كذا في (الأصل) وفي (العقود اللؤلؤية): «الصنج».
(٥) طبردارية: لفظ مركب من لفظين طبر = فاس، ودار بمعنى ممسك أي حملة الطبر حول السلطان حين ركوبه.
(٦) العقود اللؤلؤية ص٤٩٣.
(٧) نسبة إلى الكدراء: من مدن تهامة الخربة وتقع في وادي سهام فيما بين المراوعة والمنصورية. المقحفي ص٢٤٦.
(٨) يعني: عبد الله بن عبد الرزاق الواسطي السابق الذكر.

وفي السَّنة المذكورة: فوَّض[1] السُّلطان الملك المؤيد إلى الأمير علاء الدين نيابة السلطنة، والأتابكية[2] على العساكر، وتقدَّم عنده في هذه الوظيفة تقدما لم يُسْمَع بمثله، وحَصَل بينه وبين صهره منافسةٌ في الظَّاهر والباطن.

وفي السنة المذكورة: حَصَل[3] من السُّلطان تغيُّر على الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين الشِّهابي، فَعَزله من وظيفته، وأودعه السِّجن، ونَسِبَ إليه حديث طويل من جهة الملك الناصر[4]، وأقام مدَّة أسبوع وأطلقه السلطان، وتحقق براءته في يوم قرى منشور الأمير علاء الدين بإيوان بستان الراحة، وكان يوماً عظيماً، اجتمع فيه أعيان الملوك والأمراء والعساكر كلها، وكان كيوم العيد بل أزيد.

وفي السنة المذكورة: توجَّه[5] ركاب السُّلطان الملك المؤيد من زبيد إلى تعز، وحصل بين الأمير شجاع الدين[6]، وبين القاضي جمال الدين محمد[7] منازعات طويلة، وأحضر القاضي جمال الدين إلى مقام السُّلطان فقهاء يشهدون على الأمير شجاع الدين في أمور صعبة تتعلق بالملك الناصر، وحضر الملك الناصر إذ ذاك بالمقام السلطاني، ونفى عن الأمير شجاع الدين جميع ما ذُكر، وحقق للسّلطان ما كان من القاضي جمال الدين، فغضب السُّلطان على القاضي جمال الدين،

---

(١) العقود اللؤلؤية ص٤٩٣.

(٢) أتابك العسكر: معناه الوالد والأمير باللغة التركية والمراد هنا أكبر الأمراء المتقدم على العسكر بعد النائب. معجم الألفاظ التاريخية ص١١.

(٣) العقود اللؤلؤية ص٤٩٣.

(٤) يعني: ابن الملك الأشرف عمر بن يوسف السابق ذكره.

(٥) العقود اللؤلؤية ص٤٩٣.

(٦) يعني: عمر بن بهاء الدين الشهابي السابق ذكره.

(٧) يعني: القاضي جمال الدين محمد بن أبي بكر اليحيوي السابق ذكره.

وسَلَّمه إلى القاضي صفي الدين ليستخلص منه مالاً كثيراً، فوقع عليه أمور أعاذنا الله منها ومن ذكْرها.

ذكر ما اتفق في سنة عشرين وسبع مئة

وفي هذه السنة: مرض[1] الأمير علاء الدين[2] مرضاً صعباً أفضى به إلى الموت.

وفي السنة المذكورة: حَصَل مرافعات جَمَّة على القاضي صفي الدين[3]، وتحاقق هو والكتَّاب في المقام السلطاني المؤيدي، ونسبوا إليه أنَّه أخذ جملةً من المال، ولم يظهر عليه أثر ذلك، وغاية ما في الباب أنَّه عزله السلطان عن شد الاستيفاء، وفوَّض ذلك إلى الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب الجواد، وهو أميرُ فاضل عالي الهمة، حسن التأني والذمة. سأل[4] من السلطان الملك المؤيد: أنه لا يُعاقب أحداً وإن مهما تعين من الأموال فإن المستخرج له أمير جاندار[5] وهذا دليل على خيره.

وفي السنة المذكورة: وصل[6] القاضي محيي الدين يحيى بن عبد اللطيف التكريتي[7] من الديار المصرية على طريق مكة المشرَّفة، وأحضر بين يدي السُّلطان الملك المؤيد جوهراً كثيراً من الزمرَّد

(١) العقود اللؤلؤية ص٤٩٥.
(٢) يعني: كشدغدى السابق ذكره.
(٣) هو عبد الله بن عبد الرزاق السابق ذكره.
(٤) في (الأصل): «ذلك»، وأصلحناه من (العقود).
(٥) جاندار: سبق ذكره.
(٦) العقود اللؤلؤية ص٤٩٥.
(٧) ترجمته في الدرر الكامنة ٤/٤١٩.

والآلىء، وتقدَّم عند السلطان تقدماً حسناً، وأحلَّه محَلَّ الوزارة، وفوَّض إليه من خالص مَاله على حُكم التجارة، مئة ألف دينار من المال الحلال[1]، وأطلق له من عَدَن خمسين ألفاً، وتصرَّف في عدن تصرُّف الملاك بما على يديه، وكان قابضاً على الوزارة.

وفي السنة المذكورة: وصل[2] الرُّسل من مصر الأمير بدر الدين حسن بن الأسد وجماعة كثيرة ممن طلبهم السلطان، ومن جملتهم القاضي بدر الدين بن حسن بن أحمد المختار. الإمام الفاضل العارف بعلوم الأوائِل من الهيئة والهندسة، وعلم المجصطي[3]، ضارباً في كل فن من فنون العلوم الإسلامية بنصيب، لم يكن في الدِّيار المصرية والشامية مع اتساعها من يناسبه في معرفته، وفَرح به السُّلطان الملك المؤيد.



ذكر ما اتفق في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة

وفي السنة المذكورة: وصل[4] القاضي محي الدين من عدن، وحَصَل بينه وبين القاضي صفي الدين[5] مرافعات في مقام السُّلطان الملك المؤيد ومقاولات، ولم ينتصر محيي الدين على صفي الدين، واتفقت لمحيي الدين اتِّفاقات ليست بحسنة، فنَقَض[6] ذلك القبول من جِهَة السُّلطان، وحصل من السُّلطان له التجمُّل، وهو في خلال ذلك

(١) الأملاك السلطانية لها ديوان خاص. انظر: الدولة الرسولية في اليمن للفيفي ص٢٦٩.
(٢) العقود اللؤلؤية ص٤٩٦.
(٣) هو: المجسطي في الهيئة (سبق).
(٤) العقود اللؤلؤية ص٤٩٩.
(٥) يعني: القاضي يحيى بن عبد اللطيف التكريتي السابق ذكره.
(٦) العقود بالصاد المهملة.

يطلب الوزارة ويَسعى فيها، ولمَّا ألح وأكثر بلغني من المحقق للحال: أن السُّلطان قال في خلال ذلك: كلا لا وزر، وأراد السُّلطان جبر خاطره، فأركبه يوم العيد في موضع الوزارة، وحصل بينه وبين الأمير جمال الدين[1] منافسةٌ، وركب بطرحة[2] الوزراء المصريين.

وفي السنة المذكورة: همَّ[3] السُّلطان بالنزول إلى زبيد على عادته، فَنَزر قَصْر الشجرة، وحصل وجع أتعبه، فأقام بالقصر نحو عشرة أيَّام، فقبض الله روحه، فَرحِم الله تلك الرُّوح، وفتح لَهَا أبواب الجنان، فهي أول ما ترجوه من الفتوح، فَيَا لها من مُصيبة تركت النَّاس حَيَارى، والأمم سكارى، فَلَقد أقضَّ المضجع من بَعده، وأظلمت الدُّنيا لفقده[4]:

عمَّت منافعه فَعمَّ مُصَابه ... فالنَّاس فيه كُلُّهم مأجور
والنَّاس مأتمهم عليه واحد ... في كل دار أنّة وزفير

وكان موته فيما يقال نصف الليْل، في الليلة المسفر صباحها عن غرَّة يوم الثُّلاثاء، مستهل الحجة من السنة المذكورة.

وفي الليلة المذكورة: نزل الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد، وقد كان فَوض إليه السُّلطان الملك المؤيد الأستاذ داريَّة[5]،

(١) هو: الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب الجواد السابق ذكره.
(٢) الطرحة عبارة عن وشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة ويسترسل على الكتفين وكان ذلك الزِّي في الأصل يمنح فقط لقاضي قضاة الشافعية ولكن في سنة (٦٦٣هـ) أذن بيبرس لثلاثة من كبار القضاة الآخرين بلبسه. انظر: الملابس المملوكية لماير ترجمة صالح الشيتي ص٩٣.
(٣) العقود اللؤلؤية ص٥٠١.
(٤) الأبيات في الحماسة البصرية للشمردل الليثي.
(٥) الأستاذ دارية: وظيفة موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان. معجم الألفاظ التاريخية ص١٥.

والأتابكيَّة، وجميع الحال، ونيابة السلطنة إلى الشجرة حِفظاً للجهات السُّلطانية، ومعه جماعةٌ من العَسَاكر، وأعيان الأمراء، وثبت ثباتاً حسناً في تلك الليلة، وحفظ نظام السَّلطنة، وضَرَب يزكاً[1] على [القصر]، وكان عَصْر تلك الليلة قد تقدَّم الملك المجاهد[2] إلى الحصن ودَخَله، وكاتَب الأمراء وأعيان الدَّولة، فرغبوا إليه، وصَعِد النَّاس والعساكر إليه، وتَمَّ له نظام السَّلْطة، وغُسِل السُّلطان المرحوم بِدَار العَدْل بأسفل الحِصْن، وأوْصَى بأن يغسله جماعةٌ مِنْ الفقهاء، فنفِّذت وَصِيَّتُهُ، وكان يَوْمَه يَوماً مَشْهُوداً، ودُفِن في مَدْرَسته التي أنشأها المقدَّمة الذكر، ولمَّا استقرَّت شوكة السُّلطان عزل الأمير جمال الدين[3]، وفَوَّض النِّيابة والأتابكية إلى شُجاع الدين عُمر بن يُوسف بن مَنْصُور، وكان شاداً للدواوين أيَّام أبيه بمنشور قُرىء في دار الضَّيْف.

وفي ذلك اليوم: عَقَدَ لولدي أخيه المفضَّل والفائز الأوليَّة، ورَفَع لهما الطبلخاناه، وكان قِراءة المَنْشور بمحضر مِنْهما، وتغَيَّرت قُلوب الأمراء من الجُنْد من تلك السَّاعة، ونَفَر الأمراء البحريَّة من سَمَاع ذلك الأمْر، وحَصَل بينه وبين ابن عمِّه أعني الملك النَّاصر، مراسلة تقتضي أيماناً[4] وعهوداً، فأرسل إليه من جهته بالطَّواشي صلاح، والفقيه عبد الرحمن[5] معلِّمه، وحلف الملك الناصر اليمين المغلَّظة، وتقدَّم وكيل الملك الناصر على اليمين، وهو الفقيه مُحَمد عُرف بأبي الوشاح الصَّنعاني، ولمَّا تمكنَّ الشجاع بن منصور، سَعَى في خلاص

---

(١) يزكا أو اليسق: الحرس. معجم الألفاظ التاريخية ص١٥٧.

(٢) هو الملك المجاهد علي بن داود الرسول ستأتي وقائعه مع خصمه الناصر محمد بن الأشرف في هذا الكتاب.

(٣) يعني: الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب الجواد السابق ذكره.

(٤) مطبوعة (العقود): «أمانا».

(٥) هو: الفقيه عبد الرحمن بن أحمد الظفاري.

المعتقلين بمعتقل الدُّملؤة، وكان فيه الأميران، نجم الدين، وبَدْر الدين ولديَّ أزدمُرَّ المظفري، وشمس الدين أطنبا، أمير خَازِنْدار الخليفة، والشريفان داؤد، وأخوه ولد الشريف قاسم بن حمزة، وأحمد بن أزدمُر الجاندار المطفَّري الفارس، وكانت لهم مدَّة طويلة، ومنها أن تغيَّر مماليك أبيه ونقيبهم، واستجد له عسكراً، وكان وهو أعني الشجاع بن منصور، والفقيه عبد الرحمن مدبِّراً دولته، بل مدمِّراها، فأرسل الشجاع بن منصور، جماعة الشيخ عيسى بن الحريري[1] ناظر المخلاف، وبدر الدين محمد بن الصليحي، والشيخ أحمد بن عمران، رأس مذحج، ولمَّا علم الملك النَّاصر بذلك الحال، لجأ إلى تُربة الفقيه عمر بن سعيد[2] بذي عقيب من أعمال ذي جبلة، فأحاطوا على الملك النَّاصر، وأخذوه من التُّربة، ولم يراعوا جوارها، ودخلوا به تعزَّ، وعما قليل نُقل إلى عَدَن.

ونزل السُّلطان الملك المجاهد من الحصن، ثالث المحرَّم إلى الشجرة[3]، فلبث بها إلى مستهل ربيع الأول، ثم تقدَّم الجَنَد فلبث بها أيَّاماً، ثم توجَّه إلى الدُّملؤة ودَخَلها وخَرَج منها، ولم يُعط أحداً ما جَرَت به العادة إلا قليلاً ممن يختص به، ومَنَع الملوك من الدّخول إلى المنصورة، فَتغيَّرت قلوب النَّاس عليه، ولمَّا نزل من الدُّملؤة، توجَّه إلى ثعبات فأقام بها، ولم يظهر منه إنصاف للملك المنصور[4]، بَلْ سَام منه

---

(١) في السلوك للجندي (مخطوط) الجزيري.

(٢) هو: الصوفي الكبير عمر بن سعيد بن أبي السعود بن أحمد بن أسعد الهمداني المعروف بصاحب ذي عقيب وهي قرية مشهورة قريبة من مدينة جبلة وفاته سنة (٦٦٣هـ). انظر ترجمته: في طبقات الخواص ص٢٣٤ ط. ثانية.

(٣) يعني: قصر الشجرة. بتعز.

(٤) هو: الملك المنصور أيوب ابن الملك المظفر يوسف ستأتي أخباره مع منافسة الملك المجاهد في هذا الكتاب.

أموراً لا تنبغي، ورَام حصن السمدان[1] عليه.

ولمَّا علم الأمراء البحرية[2]، وأكابر الدَّولة ما في خاطر ابن منصور[3] من السُّوء، تآزر جماعةٌ منهم في النِّصف الأخير من جمادى الآخرة فقتلوه في داره بالمحاريب[4]، وهو وقاضيه الذي ولَّاه الأقضيةَ المسمَّى بالفقيه عبد الرحمن[5]، وكان من جملة مؤدبي السُّلطان الملك المجاهد، وعَقَد له القضاء بجامع الجند، ولمَّا تمَّ قتل من ذُكر، لجأ الأمراء البحرية، والعساكر إلى السُّلطان الملك المنصور، وقبضوا على السُّلطان الملك المجاهد، وهو إذ ذاك بثعبات، ونُهبت تلك الليلة، دُورٌ كثيرة بالمغربة والمحاريب، وحَلَّف النَّاس السّلطان الملك المنصور، وصَعَد إلى الحصن في ناموس المملكة وزِيِّ السُّلطان، وفَرِح الناسُ به، وبَذَلَ للنَّاس الأموال، وأنفق في العَسْكر، وصَرَف مدَّة سلطنته سبع مئة ألف دينار، خارجاً عن التَّشاريف والإنعامات، وكان ملكاً عظيم الشَّأن، قلَّ مِثْلُه في الإنسان، ظاهر التَّنسُك والعبادة، كثير الشفقة على خلق الله، وكاتبه الأشْراف والأمراء بالتهنئة، ورغبوا إلى أيَّامه، ودُفعت إلى كُل شريف من الشُّرفاء أرباب العوائِد عادته، وفَوَّض نيابة السَّلطنة إلى الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين، فأقام أيَّاماً فَحَصَل بينه وبين الأمراء البحرية مُنَافرةٌ أوجبت أن استبدل به الأمير جمال الدين يوسُف بن يعقوب، المقدَّم الذّكر، وفَوَّض إليه أمر الباب بكماله.

---

(١) السمدان: حصن شامخ في بلاد الرجاعية من بلاد المعافر بالغرب من تربة ذبحان.

(٢) هم مماليك السلطان الخاصة بلغ عددهم في عهد الملك المنصور عمر بن علي نحو ثمانمائة فارس. الدولة الرسولية للفيفي ص٣٧٠.

(٣) يعني: شجاع الدين عمر بن يوسف بن منصور السابق ذكره.

(٤) المحاريب: حي من مدينة تعز وقيل قرية كانت تقع في الشرق الجنوبي من تعز أسفل وادي المدام.

(٥) يعني: عبد الرحمن الظفاري.

ولَيلة جلوس مولانا الملك المنصور على كُرسي مملكته، أرْسَل إلى الملك الناصر ابن أخيه الملك الأشرف، يَطْلُبه إليه، فلمَّا وَصَل الجند لقاه بالطبلخاناه، وأقطعه المهجم، وشرف عنده بمثوله الرُّوح[1] الناصر، وأعدَّه أعزَّ عاضد وأشهمهم ناصر، وعَقَد أيضاً للأمير بدر الدين حسن بن الاسد الألوية، ورَفَع له الطبلخاناه، وأقطعه حرض وما وَالاها، وعَقَد لولديه الملك الكامل مؤيد الدين، والملك الواثق شمس الدين الألوية، ورفع لهما الطبلخاناه، وعيَّن لهما الإقطاعات، وأرسل ولده مولانا الملك الظاهر إلى الحصون[2]، وكانت سرايا السلطان الملك المجاهد تستوي[3] في العساكر.

وكان من إحسان مولانا الملك المنصور وإشفاقه على حاشية أخيه أن أبقى عليهم، ولم يُغيِّر على أحد منهم، وكان مِنْهم من يميل إلى ابن أستاذه، وكان من القضاء والقدر، أن تقدَّم بعض غلمان الملك المجاهد إلى بلاد العُربيين[4]، واتفق هو وجماعةٌ منهم مقدَّمهم بشر الذّهابي، وكانوا عاملوا شخصاً، يقال له: صالح بن القوَّاس على طُلوع من ورائه باتّفاق من جماعة من عبيد الشربخاناه[5] والطشتخاناه[6]؛ لأنَّهم مودته،

(١) كذا في (الأصل).
(٢) الكلمة في (الأصل) مطموسة وفي (العقود) ٢/ ١٥ (الدملؤة).
(٣) كذا في (الأصل).
(٤) محل في صهبان في ناحية ذي السفال قرب ذي جبلة.
(٥) الشربخانة أو الشراب خانة، هو مخزن الشراب ويحتوي على أدوات الشراب من أنواع الصيني والشوك والكيزان والطاسات النحاسية... إلخ، (معجم الألفاظ التاريخية ص٩٧).
(٦) الطشتخانة: معناه بيت الطشت، فيه الطشت الذي يُغسل فيه القماش وبه ثياب السلطان التي لا بد لها من الغسل وما يتعلق بالحمام من مواقد ومباخر ومناشف... إلخ، وللطشت خانة مهتار يشرف عليها ويعمل معه غلمان. انظر: مصطلحات القلقشندي ص٢٣٢.

فوصل إليهم العرب إلى المكان الذي قرر مَعَهم الطلوع مِنْهُ ليلاً، وكان بينهم وبين العبيد إشارة، فلمَّا علموا العبيد بهم أرسلوا لهم الحبال المعدودة للطلوع، فطلع الحصن أربعون رجلاً، وباتوا تلك الليلة في الشربخاناه، وكانت الليلة السَّادسة من رمضان، فلمَّا علموا بنزول الخادم بمفاتيح أبواب الحصن، وهو الطواشي شهاب الدين موفق، خرجوا عليه فضربوه بالسّيوف ضرباً، ودخلوا على السلطان الملك المنصور، وقبضوا من الخادم المفاتيح، وكانت الرتبة الذين بالحصن يبيتون بدار الضيف، فلمَّا طلع العرب بظاهر البيوت نادوا: يا مجاهديَّة، فخاف الرتبة الذين هنالك وتراموا من الحصن، وقاتل الأمير شمس الدين أطنبا والي الحصن قتالاً عظيماً لم يشهد بمثله، ومات رحمه الله.

ولمَّا عَلِم الملك النَّاصر بهذه الواقع رَكِبَ، وركب معه جماعة من العسكر إلى أسفل الحصن، ولم يتهيأ لهم عمل، فتظاهر جماعة من الناس بنُصْرة السلطان الملك المجاهد، وقام سواد البلد على الملك الناصر، وخافَ على نَفْسه مِنْهم، وكان يوماً عصيباً لم يُشاهد أمرٌ منه، ممَّا جَرَى في بيوت الملوك، وحمل النَّاس إلى الملك المجاهد الحبال وملك الحصن ثانياً، واستولى على ما فيه، وحصل بينه وبين مماليك أبيه ذمم وعُهود، وكتب لهم ذمامه بالأمان والتمام والوفاء، ونادى بِهُم في الأسواق ومجامع الناس، بحضور القاضي والشهود، وجَمَع ملوك بني الرسول كُلَّهم عنده تحت الحفظ، ما خلا ولدي الواثق، فإنَّه لم يغير عليهما، واستناب في نيابة سلطنته الأمير جمال الدين بُوْز، وكان الملك المجاهد قد طلب من عمه السلطان الملك المنصور، أن يكتب إلى ولده السُّلطان الملك الظاهر بتسليم الدملؤة، فكتب له إلى ولده كتاباً شافياً، فامتنع السُّلطان الملك الظاهر من تَسْليمها، فجهَّز إليه عسكراً مقدَّمه الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين، والشيخ أحمد بن عمران العِيَاني، والشيخ عمران بن

أبي بكر المغلسي[1]، وخامر[2] جماعة من الأشعوب[3] على السُّلطان الملك الظاهر، مقدمهم غلاب، ومكنوا عسكر مولانا السّلطان الملك المجاهد طرقاً يفضي إلى الصلو[4]، وحاصروا حصن المنصورة[5]، وحصل بينهم وبين عسكر الملك الظاهر مقاتلة وزحوف كثيرة، ولم ينالوا من الحصن شيأ، وكان له من الله واقية، وكلمة في سلطانه باقيةُ، ورجعوا بخفي حنين، وتركوا أثقالهم وخيمهم وما بها، وخرج العسكر من المَنْصُورة، فانتهبوا ذلك، وعظم ذلك عند مولانا السلطان الملك المجاهد، فأحضر الأمير شمس الدين عبَّاس، وهو لا يستطيع الركوب، ولم يزل راكباً إلى باب السَّتَّارة[6] للمشورة في ذلك فلم يفده.

وفي أواخر سنة اثنتين وعشرين: اختلَّ أمر المخلاف، وخرج عن السلطنة وأحكامها، وثاروا مشائخ العُربان والقبائل، وملكوا أملاك الملوك، ونهبوا خيله وأخذوا جميع ما فيها حتى حصر الجامع، واستفظُّوا الأبكار عند المنبر، وجرى أمر لم يجر مثله، وخالف بنو فيروز، وعسكر الدروب، واتسعت دائرة الخلاف.



ذكر ما اتفق في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة

وفي هذه السنة المذكورة في المحرَّم: انتقل مولانا السلطان المنصور إلى رحمة الله تعالى ورضوانه، ودُفِن بمدرسة أبيه المظفرية،

(١) (العقود): «العنسي».
(٢) خامر: خادع.
(٣) الأشعوب: عزلة من جبال العدين شمال تعز.
(٤) الصلو: جبل في بلاد المعافر وهو يشكل ناحية من أعمال الحجرية وهو بكسر الصاد وسكون اللام.
(٥) المنصورة: من قرى الصلو المذكورة في الغرب الشمالي من حصن الدملؤة.
(٦) هو: الباب الخاص بالجهات السلطانية على حسب عرفهم في ذلك الوقت.

رحمه الله رحمةً تحلُّه الرضوان وآواه فسيح الجنان.

وفي هذه السنة: نفر جماعة من الجند إلى السُّلطان الملك الظَّاهر، ووردوا إليه جماعات من عرار[1] وذمار، وقابلهم أحسن مُقابلة، وأعدَّهم للإرهاب والمقاتلة، وصاروا يغيرون بأطراف بلاد الملك المجاهد، وتألبوا وتجمَّعوا إليه، وسار جماعة من المماليك إليه، ووصل إليه الأمير غيَّاث الدين محمد بن يحيى بن منصور السَّبَائي[2]، فأكرمه وأعزَّه وأحلَّه وأعلى محله، وكاتب الأمير بدر الدين حسن بن الأسد إلى ذمار فأجابه، وكان إبراهيم بن شكر مع السُّلطان الملك المجاهد قد نزل إليه من بلاده لمَّا علم بعودة الملك إليه، وكان حظيّاً عنده، ولمَّا تألبت العساكر، واجتمعت، وكانت في جملة المماليك البحرية، جماعة يكاتبون مولانا الملك الظاهر ويميلون إليه كالأمير عز الدين أيبك الدويداري المؤيدي، فجيَّشَ الأمير بدر الدين حسن بن الأسد، وجَمَع وحشد ودخل الجَنَد، قاصداً حصار تعز بأموال جمَّة من ذهب وفضَّة، ارسل بها مولانا السلطان الملك الظاهر، فأخرج مولانا السُّلطان الملك المجاهد عسكره الذين حَوْلَه ومقدمهم إبراهيم بن شُكْر، ومَعَهم الفائِز قطب الدين ابن أخيه.

ولمَّا ترائى الجمعان، نكَّس جماعة من المماليك والحلَقَة[3] رماحهم ونادوا: يا ظاهريَّة، وانتظم العَسْكر بكماله ظاهرياً، وأمَّا الفائِز، فسرى من ليلته بمساعدة إبراهيم بن شكر، وحَصَل بين ابن شكر وبين

---

(١) يحقق اسم الموضع وهو كذا في الأصل.

(٢) في (المطبوعة): «الشبابي»، وأصلحه في (العقود) هكذا والله أعلم بحقيقة الاسم وقد كتبه في (العسجد) بالشيباني وأظنه الصواب.

(٣) مماليك الحلقة: هم أهل المرتبة الثانية بعد المماليك البحرية السلطانية وتتركز مهمتهم في حراسة السلطان في السفر والإقامة. الدولة الرسولية للفيفي ص٣٧٠.

ابن الأسد أيمان وعهود على قبر شيخ صالح يسمَّى زيد[١]، وأجمع العَسْكر على دُخول تعز، فدخلوا دخولاً عظيماً، ولاقاهم الأمير غياث الدين بن السَّبائي من ناحية الدملؤة، على طريق الدَّمينة[٢]، وضَرب الخيام على مزارع عديْنة، وأقامت المحطةُ سبعةُ أيَّام، وكان أهل تعز في أشدّ ما يكون من قُوة الحصار والتَّعب، وقَيَّض الله ارتفاعها، ونال النَّاس مضارٌ كثيرةٌ من الملك المجاهد، ومن ذلك الوقت، اضطربت أحواله، واختلف آراء وزرائه الذين حوله، وكان قد لحق به جماعة مِمَّن نزل إلى المحطة وانتظم في سلكه، فأشار على السّلطان الملك المجاهد من أشار، ويقولون إنَّه آلى ابن شكر بالقبض على الأمراء البحرية والمماليك، وكان المحرَّض له عبد الرحمن بن العنقاء ليأخذ بثأر عمه، فهجموهم سحراً، فنجا منهم جماعةٌ أراد الله بقاهم، ومسك منهم جماعةٌ كثيرة، ونهبت مَنَازلهم، وجرى عليهم أمر يقصُر لسان التَّعبير عنه، وشنق مِنْهم جماعةً، وجَنَّد منهم جماعةً فجازاهم على ما فعلوا معه من الخير، ولولا انتصارهم له لما ارتفعت المحطة، وتآلب النَّاس بأجمعهم إلى الحرم السُّلطاني الظاهري، ولمَّا علم بنفورهم عن السلطان الملك المجاهد، ووثق بهم أرْسَلهم إلى الخوخية[٣]، وكانت في الخوخية في محطة لَه قبل ذلك، تبلغ مئتي فارس وكانوا بين إقدام وإحجام، إلى أنْ قدَّر الله نزولهم إلى تهامة.

وكان الحاث لهم على النزول، والمتدرك لهم بالبلاد بهادر

(١) الحلف والأيمان على القبور من مظاهر الشرك بالله فلا يكون الحلف إلا بالله جلَّ وعلا.

(٢) الدمينة كذا في الأصل وأظنه دمنة نخلان واد مشهور بالشمال الغربي من تعز والدمنة أسماء مواضع كثيرة هناك.

(٣) في (الأصل): «الحوجَبة» ولم نقف على هذه القرية وأظنها الخوخة قرية بالغرب من جنوبي حيس.

الصقري، فنزلوا إلى تهامة، ودخلوا السلامة[1] دخولاً حسناً، وتوجهوا إلى حيس وسلكوا مع الفقيه السيِّد علي[2] بن أبي بكر الزيلعي نفع الله به ما استحسن ذلك منهم، وزوَّدهم بالدعاء، وكانت كتب المجاهد ورسوله ابن شكر تصل إلى الفقيه المذكور، تخوفه وتهده، بسبب المتجوِّرين المنتسبين إلى الظاهر، وتوجَّه العسكر إلى زبيد، ولـمَّا أن صاروا بالقُرتب[3] اختلفت آراؤهم، فَهمَّ جماعة مِنْهُم بالتوجه إلى بلاد أخرى، وهمَّ آخرون بالرجوع إلى السلطان.

وأخبرني بهاء الدين الصقري: أنّه الذي ثبتَّهم وقرَّرهم وجَمعَ شَمْلهم، وتوجَّه هو وجماعة من المماليك إلى زبيد، وخاف النَّاس خوفاً شديداً بها، وكان بها الأمير بدر الدين بن طرنطاي، وأمر البلد إليه، فكاتبه الصقري فلم يُعْد له جواباً، وهو مُصر على حفظ البلدة[4]، وكان أهل زبيد يرغبون إلى الصّقري لولايته المتقدمة عليهم أيَّام السُّلطان الملك المؤيد، وكان من قضاء الله وقدره أن اختلف أهل البلد على قتيل ووقع بينهم، والعَسْكر بكماله قد نزل ببستان الراحة، ما يلي باب الشبارق، فخرج جماعة من عَوَّارين البلد من أهل حافة أعلا البلد بباب سهام، فتكفلوا للعساكر دُخولهم البلد، وتَطْليع رجلهم بالحبال، وكان الحديث مع الصّقري، فلـمَّا وثق العسكر بكلامهم ساروا إلى البلد زرافات ووحداناً، ودخلوها أوَّل يوم من شهر رجب الفرد عند الظهر من السنة المذكورة، ونهبت بيوت مخصوصة منسوبة إلى الملك المجاهد؛ كدور بني النقَّاش ومن والاهم، وكان بها من الطَّعام جملة مستكثرة وغير

---

(١) السلامة: قرية في وادي نخلة شرقي مدينة حيس.

(٢) من الصوفية وفاته سنة (٧٠٢هـ). العقود اللؤلؤية ص٥٦٣.

(٣) القرتب: بلدة وضاحية من ظاهر جنوب زبيد.

(٤) في (الأصل): «العهدة»، وأثبتناه من (المطبوعة).

ذلك، وظفر الصقري بآلات للملك المجاهد كحياصتين[1] عظيمتين، مرصَّعتين بالجواهر النفيسة، كانتا للملك المؤيد، وسرموجة[2] مرصَّعة بالجواهر، يقال: إنها كانت لبنت جوزاء أخذها المجاهد من الدملؤة حالة طلوعه، وأعادها الصقري إلى الملك الظَّاهر، واستقرَّت الدَّعْوة للسُّلطان الملك الظاهر في البلاد التهامية، وضربت السكة باسْمه، وخطب له بالتهايم كلها، وسكن العسكر بكماله زبيد، ولَمَّا علم السُّلطان الملك المجاهد بهذا الأمر ضاق به ذَرْعاً، وجهَّز عسكره الذين بقوا ببابه، وقدَّم عليهم الأمير نجم الدين أحمد بن أزدمُرَ بن العماد.

وكان كما قيل: «ضاع الرعيان ومن يقوده» ومقدمهم الزعيم ابن الافتخار، وكان مَعَهم من الرجل ما ينيف على أربع مئة راجل، من خيار مذحج، مُقدِّمهم الورد السبئي، ولمَّا دخلوا السَّلامة نهبوا أكثر بيوتها، وأخلُّوا بحرمة الفقيه[3]، فتضاعف الدعاء عليهم، وساروا إلى جهة زبيد، ولمَّا علم الأمراء البحرية والعساكر الظاهرية بقربهم منهم ثبت البلد بهادر الصقري، وخرج جماعةُ العساكر، وحصلت بينهما مقاتلة عظيمة بالمنصورة، وكان عسكر السلطان الملك المجاهد فوق الثلاث مئة فارس، ففرَّقوا شملهم، وكسروهم كسرة عظيمة، وقتلوا منهم الجم الغفير، وأخذوا الجمل والعلم الذي كان مع ابن أزدمر، وأسروه، ودخل رديفاً خلف الشَّريف صارم الدين داؤد بن قاسم بن حمزة، وقتل أخو الورد السبئي[4]، وابن العماد، وتفرق العسكر الذين لهم شذر مذر،

---

(١) مثنى «حياصة»: حزام يسمى منطقة، كان يصنع من معدن ثمين. أفخمها ما كان من الفضة المطلية بالذهب. انظر: الملابس الملوكية ص٤٧.

(٢) هي «السرموزة» سبق ذكرها.

(٣) يعني: ابن الزيلعي السابق الذكر.

(٤) في (الأصل) و(المطبوعة): «الشبلي» ويرد ذكره في (العقود) «بالسنبلي» وما أظنه إلَّا ما اخترته.

واستقدم منهم جماعة، وقويت شوكة السلطنة الظاهرية، ولم تعد تظهر للملك المجاهد راية في طلب حصارٍ أو أخذ ثأر.

وكانت عدن بيد السُّلطان الملك المجاهد، وواليها ابن النقَّاش، وكان من قضاء الله وقدره، أن كان بين ابن النقاش، وبين الأمير عمر بن بلبان العلمي منافرة، وكان يكتب فيه إلى المجاهد بأشياء لا تليق، فظفر بعض غلمان الظَّاهر بمكتّب وصل من تعز، ومَعَه كُتب، فقتله، وأخذ كُتُبَه، وأمر بها إلى السُّلطان الملك الظاهر، فَوَجد فيها مطالعةَ جواباً لابن النقاش، وفيها فصول تتعلَّق بابن الدوايدار وأجوبةً لا ترضى، وكان قبل ذلك قد توجَّه إليه ابن الدويدار، وصُحبَتُه جماعةٌ من الجحافل بمالٍ، فلم يقابلهم المجاهد في خلال ذلك بما جرت به العادة، ونفروا، ونَفَر ابن الدّويدار مَعَهم، وطَلَب المجاهد في خلال ذلك من ابن الدوَّيدار قَرْضاً مبلغ سبعين ألف دينار، فنفر، وفي خاطره ما فيه، ومع ذلك مشاحنة ابن النقَّاش له، فلمَّا وقف الظاهر على تلك الفصول المتقدّمة، أرسل بها إلى ابن الدّويدار، فلمَّا وقف عليها، نادى: يا ظاهري بَعْد أن استفتى الفقهاء، فأفتوه بأن لا أثر للأيْمان التي حلفها للسّلطان الملك المجاهد، فتوَّجه من ساعته محاصراً لعدن، فأقام عليها عشرين ليلة.

ولمَّا كان الثَّامن والعشرين من شعبان: افتتح البلاد رجال أصعدهم على الدَّرب، وتحيَّلوا على فتح الباب، ودخلوا البلد دخولاً ضعيفاً، نهبت فيه أكثر البيوت الخوصيَّة[1]، وعاث الجحافل في البلد وقبضوا على ابن النقاش، ونهبوا داره، وجعلوها كأن لم تغن بالأمس، واستقر أمير البلد نجم الدين ابن الصليحي، واستقرَّت المملكة كلها ظاهرية،

---

(١) كذا في (الأصل) وفي (المطبوعة): «الخصوصية».

وَوَفَد النَّاس إلى السُّلطان الملك الظَّاهر من كل ناحية وقُطْر، وقابل الناس بالإجلال والإنعام والإقبال والإكرام، ولم يبق مع السُّلطان الملك المجاهد غير حصن تعز، وهو يبذل لأهل صبر الأموال في كل شهر جملة من المال خوفاً منهم على أن يقطعوا المياه ويُحاصِرُوه.

ذكر ما اتفق في سنة أربع وعشرين وسبع مئة

وفي هذه السنة المذكورة: ثار الزَّعيم ابن الافتخار ببلاد المحالب، وتوجَّه إليه الأمراء البحرية وكسروه كسرةً شنيعة، وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة.

وفي السنة المذكورة: عُقدت الألْوية للأمير بهاء الدين الصقري، ورفعت له الطبلخاناه، ودَخَل زبيد دخولاً لم يُعْهد بمثله، وأحسن إليه مولانا السلطان الملك الظاهر الإحسان الكلي، وهو كافر النعمة[1].

وفي السنة المذكورة: خالف أهل صبر على الملك المجاهد، وقطعوا المياه عنه، وضعف حَالَه، وتعب[2] أهل المغربة وعُدينة بين أهل صبر والمجاهد، وطَلَع الأمراء البحرية، مقدّمهم الأمير بدر الدين محمد بن طرنطاي، ووافاه الأمير شجاع الدين عمر بن بلبان العلمي من عدن فحطّوا على الحصن وحاصروه، ونصبوا عليه المجانيق، ورموا الحصن وهدّوه حجراً حجراً، وأزالوا ما به من المناظر[3] والمنازل، وأخبرني المحقق للحال: أن الواصل إلى الحصن من الحجارة المنحوتة أربعة آلاف حجراً إلى تاريخها، وحَصَل قتل كثير، وخربت تعز خراباً

---

(١) في (المطبوعة): وهو مع ذلك «يسر حسوا في ارتغاء» مثل يضرب لجاحد النعمة.

(٢) (المطبوعة): «وشعث».

(٣) جمع منظر وهي الغرفة المرتفعة من المنزل.

لا يتدارك، وخلت أكثر بيوتها إلى ما شاء الله والله أعلم[1].



تكملة

[2]وآخر هذا الأمر أن الله سبحانه فتح بالنصر والظفر لمولانا السلطان الملك المجاهد سيف الإسلام علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وتملّك البلاد جميعها، وكانت دولته ثلاث

---

(١) في (المطبوعة) زيادة لا توجد هنا، أظنها محذوفة من قبل صاحب التعليق الآتي لصلتها بالمجاهد وحصاره وهو من الموالين للمذكور:
«واستمر الحصار إلى ذي الحجة سنة أربع وعشرين وسبع مئة، ولما اشتد الحصار على المجاهد ورأى تألب الناس عليه وخروج البلاد عنه، راسل السلطان الملك الناصر في ذلك، واستغاث به وتضرع إلى مراحمه، والتزم تحمل الأموال والتحف والنفقة في العساكر، فوصلت رسله إلى الأبواب السلطانية، وذلك سنة خمس وعشرين ـ كما تقدم ـ فكان من تجهيز العساكر المصرية ما نذكره إن شاء الله. قال: واتفق أن الأشراف كانوا قد استولوا على صنعاء بعد وفاة الملك المؤيد عندما وقع الاختلاف بين الملكين باليمن، فلما علموا أن الصقري ومن معه من المماليك استولوا على زبيد وبلاد تهامة، وإنهم مظهرون الطاعة للملك الظاهر ابن الملك المنصور مخالفون على المجاهد، وإنهم استقلوا بأموال البلاد لا يحملون منها إلى الظاهر شيئاً، تحرك الأشراف عند ذلك، ونزلوا في جمع كبير يقال: إن عدتهم كانت خمس مئة فارس وكثير من الرجالة، وراسلوا الأمير بهاء الدين بهادر الصقري، أن يعطيهم نصف بلاد تهامة، فقال: لا جواب لكم عندنا إلا السّيف، فوقعت الحرب بينهم على وادي سهارم من عمل الكدراء، فكانت الدائرة على المماليك، وأسر الأشراف جماعة من أعيانهم فعند ذلك اضطربت المحطّة الذين كانوا يحاصرون المجاهد بتعز وفارقوا الحصار وتوجّهوا لإنجاد أصحابهم، وأظهر الأشراف عند ذلك الانتصار للمجاهد، وكان الحامل لهم على ذلك ولدي المظفر أخي المجاهد، وهما الملك المفضل شمس الدين يوسف، والملك الفائز قطب الدين أبو بكر، فإنهما التمسا من الأشراف نصرة عمهما الملك المجاهد، ولما حصل من الأشراف ما حصل رجع المماليك البحرية الصقري وغيره والغياث بن بُوز إلى خدمة الملك المجاهد رجعت زبيد وتهامة إليه.

(٢) من هنا إلى آخر الكتاب ليس من كلام المؤلف؛ وكأنه ألحق بآخر الكتاب من قبل أحد كتبة الأشرف؛ لأن المؤلف كان متعصباً مع الملك الظاهر ومنحرفاً عن المجاهد حتى أدى ذلك إلى رحلته إلى اليمن كما ذكرنا في ترجمته.

وأربعين سنة، وبَلَغ من سُعْدة أن أسَر أم الظاهر وأهله، واستولى على الحصون والبلاد جميعها، وردَّ الله ابن عبد الحميد[1] بغيظه هو وسلطانه[2]، ويفعل الله ما يشاء ويُريد، فلو أجمل في الكلام، وقلّ التعصب مع الظاهر، لكان ذلك هو اللائق بحاله، فإن الملوك لا يجوز انتقاصهم ولا سيّما مثل الملك المجاهد، فإن الله سُبْحانَه أحْيَا به الملّة المحمدية، وأقام به الإسلام، وضبط بملكه الشرائع والأحكام، ومدَّ الله له في العُمر، حتى بَلَغ من الدنيا مسألته، وخَلَفه ولده مولانا السلطان الملك الأفضل العبَّاس بن عَلي، وسَار السيرة المرضية، وصلحت بملكه أحوال البلاد والعباد، وكانت دولته أربع عشرة سنة إلى سنة ثمان وسبعين، ثم قبضه الله إليه مشكور الثناء، مشهور السناء.



[ذكر مزايا الملك الأشرف إسماعيل بن العباس]

وانتقل الملك إلى ولده مولانا ومالكنا السلطان ابن السلطان الملك الأشرف مُمهد الدين إسماعيل بن العباس بن علي بن داؤد بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول العباسي الجفني[3]، نصَره الله وخلّد ملكه وطوّل عمره، فإنه فاق الآباء والأجداد، زيادة في الكرم الفائض وسلامة النَّفس الشريفة عن الحيف والأحقاد، والناس في زمنه في خفض عيش رغيد، وظل عَدْل مديد، فنسأل الله أن يُبقي للمسلمين في حياته ويجعل فيها البركة والمزيد، فإنّه جدير بالذّكر الجميل والثناء الجزيل، ولقد جَعَل الله فيه رحمةً

---

(١) كذا في (الأصل)، وكذا وردت ترجمته في أعيان العصر ٣/ ١١٢ لمعاصره الصلاح الصفدي ولعل هذه النسبة هي الصواب فهو: عبد الباقي بن عبد الحميد بن عبد الله تاج الدين اليماني.

(٢) يعني: الظاهر عبد الله بن أيوب الرسولي توفي سنة (٧٣٤هـ).

(٣) نسبة إلى جفنة بن عمرو أحد الغساسنة.

للعباد، وعَدْلاً شاملاً في جميع البلاد، وأرقَّه ورحَّمه على الحاضر والباد.

ومن توفيق الله تعالى له وعنايته، أنَّه لا يُعْلم أنَّ أحداً من الظلمة أراد القيام في دَوْلته بمضار المسلمين ومظالِمهم، إلَّا سَلَّطه الله عليه، حتى فنى في دولته طائفة من الظلمة، تبديداً وتشريداً وتمزيقاً، وجماعة ممَّن لا يخافون الله طرفة عين، ولا يرو الإثم في ارتكاب المظالم واتِّباع المآثم نَقْصٌ ولا شين، فشتت الله شملهم[1] بهم فعلهم، ولقد أشبهت أيّامه أيّام عمر في خلافته بالرفق والعدل، حتى إن الرَّعية أحبته ولا سيّما أهل زبيد، فإنهم يَوَدون أنْ يجعلوه في قُلوبهم، ويرون حبّه قربةً إلى الله سُبْحانَه يدينون بذلك ويرونه غايةَ مطلوبهم، ولمَّا أحسَّ نصرة الله تعالى بمحبة أهل تهامة له. جَعَلَ غالب قراره في زبيد، وبَنَى داراً أسمَاها دارا النَّصر، سعيدة البناء، ومنذ عمرت هذه الدَّار، أنَّ مولاها في زيادة من السعادة، فالله يزيده من فَضْلِه، ويجعله من خَوَاص أهله، ولمّا صحّ له الله بطول عُمره وبعزّ نصره، تَساهل تهامة له اطّرح الحَرَسة وألان الحجاب، وسار سيرة عُمر في زمانه، بحَيث كان ينام وحده في البادية؛ لأنه عَدَل فأمنَ فَنَام، كَما جَرى في زمن عمر ﷺ، فنسأل الله تعالى أن يُطيل له البقاء، ويُبارك للإسْلام والمسلمين في حياته ويكفيهم فيه الأسواء كافةً، ويبلغه من فَضْله ما يشاء، ويُوفّقه لما يُحب ويَرْضى، فإنّه فاق آباءه وأجداده في العدل، وكانت فيه صِفَات حميدة عديدة، منها شأنه فوق الندى[2] الأيمن، من شاهدها علم أن علامة السّعادة، ومنها لين الجناب والرأفة على الخلق، والمبادرة إلى إعانة المسلمين، وبذل المعروف، ولقد جرت نكتة تشهد له بالانفراد بالفَضْل والكرم المستجاد، لم يبلغ إليها الآباء والأجداد، هي: أنّ بعض تُجار عدن كان يُسمى جمال الدين

---

(١) بياض في (الأصل).

(٢) كذا في (الأصل). تقرأ: «شامة فوق الثدي الأيمن».

محمد بن حسن الهبل انكسر وتَضعضع حاله، وعلقه دين اكتشفت به أحواله، فَقَصده من عدن إلى زَبيد، واجتمع بمقامه الشريف في بستان الراحة ارج زبيد، وشكا حاله عَلَيْه، وكان غاية مطلوب التَّاجر المقدَّم الذكر، أن يَكْتُب له كتاباً إلى النواب بالثَّغر المَحْروس يَسْتَمهلون له أهل الدِّين إلى مَيْسرة، فأجازه الله بإجازة سنيّة من غير سُؤال ولا تعرّض لطلب مال.

وكانت هذه صفات غريزية في هذا الملك الكريم، ومحاسن أشْرفيّة ورسوليّة، فَيُقال: إنَّ المبلغ الذي حبا به التّاجر المذكور مئة وعشرون ألف درهم فضَّة، وهكذا تكون العطيّة الهنيّة، ثم كتب له إلى النوّاب بعدن يُسَاعدوه ويُقيموا حُرْمَته، فعاش التاجر سعيداً مسروراً.

وعلى الجُملة، فَصِفات مولانا السلطان الملك الأشرف لا تُحْصَر، فالله يزيده سعادة سرمدية، حتى يُعمّر ما يَشَاء أنْ يعمر، فليس على كريم ذلك بمنكر، ولا سيّما مَنْ كان في حياته صلاح العباد وعمارة البلاد، ودَمَار أهل البغي والفساد، أسأل الله أن يُبارك لنا في حياته، ويزيدنا من شفقاته وصدقاته، ويوفّقنا للسلُوك في طاعته ومَرْضاته، بحق سيّد البَشَر، والمشفّع في المحشر محمد ﷺ وخصّه بتحياته وبركاته، ورضي الله عن أصحاب رسوله أجمعين.

ولقد أنقل عن مكارم أخلاقِه ما نَطَق به وأنا سامع، وهو أنه جرى حديث في مقامِه الشريف عن الملوك والخلفاء المتقدمين وسيرهم في أيَّامهم، فقال: والله ما أمسيت وفي قلبي غيظ على مُسْلِم، ولا أضْمُر ضَرر على أحدٍ من خلق الله، وكان كريم الصفات، لا تنفق عنده النميمة والمكائد والتزويرات، وعاشوا[١] معه أهل دولته سعداء، فالله يَجْعل في حياته البركة وطُول البقاء.

---

(١) كذا في (الأصل) على لغة أكلوني البراغيث.

حكاية عجيبة: عنه نَصَره الله تعالى، تَشْهد له بالحلم والوقار، وسلامة الصدر ونَفْسه الشريفة عن الحقود، والمعاقبة على الذنوب الكبار، ممّا يتعجب من وصَفْه السَّامِعون، ويزيد به فَضْله وعَقْلِه على مَا تُقدّمه من آبائه وأجداده، وتميَّز به على الملوك والخلفاء من أجداده، فإنه في بَعْض الأيّام، كانَ حَرَسه الله تعالى في دار السرور بزبيد، في أيّام السبوت، وعِنْده غلمانه الذين يتشرّفون بحضرته، وعلى رأسه مملوك من المماليك الخواص، المحظوظين[1] بالشفقة، وفي يَده مَرْوحة صيني من مراوح عدن بعود قنا، في رأس المروحة صور طير فضّة بمنقار على صِفَة مِنْقار الطّير محدّد، وهو يَروح على مولانا نَصَره الله تعالى في أيّام الحر الشديد، وهو الله ينصُره يُحدّث غلمانه ويُطارح، والمملوك مستمر يُروح، وعقله مفترق وحسّه غير حاضر، فأهوى بالمروحة ليروّح، وأدنى يده من السُّلطان بغير شعورهن فَوقع منقار الطير الفضّة الذي في رأس المروحة في الجفن الأعلى من العين اليُمنى، فَقَطعه واندفع الدم انْدفاع غزير، فأمّا الجماعة الحاضرون فَبُهتوا وزاغت قلوبهم، وكادوا يهلكون من الجزع ممّا شاهَدوا، وأمّا المملوك فاصفر لونه وظَهر على وَجْهه علامة الموت من الخوف والجزع، ولا يُلام، هذا والدِّماءُ تنحدر من الجفن الذي يغمد العيون[2] الجفون، فلما شاهد نَصَره الله تعالى وعَامَلَهُ بلطفه، ما لحق الجماعة الحاضرين من الرعب، ثم ما لحق بالمملوك من الجزع الشديد، أسرع يُحدّث غلمانِه بما تطمئن به قلُوبُهم، وتَزيلُ به وحشتهم، فلمّا استقرَّت نُفوسَهم، شَرَعوا يتحدّثون معه في أمرِ المملوك، فَمِنْهُم من يُخطئِهُ، ومِنْهم من يَعْتَذرُ له، وأنّه إنما فَعَل، وإنّما كان ذلك وهو مُفْترِقُ العقل، فما كان كلامَهُ نَصَرهُ الله تعالى وأطال في عُمْره: وهَلْ يُرْضيكم

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض.

ما صَنَع، فَتَكلَّموا بما سَنَح لَهُم من القول، وقالوا: لا يرضينا إلا أن نأكل لحمه ما أشفانا، فعفا عنه الله تعالى يُعامِلُه بِلُطْفِه[1]، وكفكف دم الجفْن، وجَعَل عليه شيء من الأدوية حتَّى كفَّ الدم ولا وَجَدَ غِلْمَانه مِنْهُ ما يكرهون، ولا نال المملوك منه ما يكرَهُ بَلْ طيب خَاطِره إحساناً، فَسُبحان من خصَّه بهذه الصفات الحميدة والمزايا العديدَة[2].



(١) بياض.
(٢) هنا ينقطع المخطوط وهو استطراد من أحدهم لا صلة له بالكتاب فيفهم.

فهرس الأعلام

فهرس البلدان

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* مقدمة المحقق	٥
- ابن عبد المجيد اليماني	٧
- كتابه «بهجة الزَّمن»	١٢

كتاب
بهجة الزَّمن في تاريخ اليمن

الموضوع	الصفحة